دراسات في الفكر و الأديان

حوارُ الأفكار
في
منهج ديدات
و مُوجز المُنجزات





حوار الأفكار

في

منهج ديدات وموجز المنجزات

رقم الإيداع : ٢٧٣٠٩ / ٢٠٠٧
الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977 - 262 - 114 - 2

فهرسة دار الكتب المصرية
الجوهرى ، على
حوار الأفكار فى منهج ديدات وموجز المنحزات

تأليف : على الجوهرى
ط ١ ـ القاهرة : دار البشير ، ٢٠٠٧
٤٠٠ صفحة ٢٤ سم
فى رأس العنوان : دراسات فى الفكر والأديان
تدمك ٢ ١١٤ ٢٦٢ ٩٧٧
١ - الديانات المقارنة
أ - العنوان :
رقم الإيداع : ٢٧٣٠٩ / ٢٠٠٧

دار البشير القاهرة
للطباعة والنشر والتوزيع
١٤٥ طريق المعادى الزراعى ص.ب : ١٦٩ المعادى ت: ٢٥٢٤٣٦٨٧ - ٢٥٧٥٢٣٩٠

دراسات في الفكر والأديان

حِـوارُ الأفْكـارِ

في

مَنْهَـجِ ديدات وَمُوجَزِ المُنجَزات

حقيقة الصلب فى رأى ديدات .
منهج ديدات فى الحوار .
ما يقوله الإنجيل عن محمد ﷺ
المسيح فى الإسلام .
هل الإنجيل كلام الله ؟
ما إسم الله عند النصارى ؟
مناظرة ديدات مع سويجارت .
مناظرة ديدات مع شروس .
مناظرة ديدات مع شوبيرج .

إعداد

على الجوهرى

دار البشير
القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾.

[إبراهيم: ٤١]

﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيۡتِيَ مُؤۡمِنٗا وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾.

[نوح: ٢٨]

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد،،،،،

إن الصراع بين الحق والباطل والخير والشر، صراع قديم منذ أن خلق الله الأرض ومَن عليها، سواء اتَّخذ هذا الصراع الطابع الفكري أم العسكري أو غير ذلك، وواجب العاقل أن يحدد هدفه وسط هذا الصراع، وهو الوصول إلى الحق والبعد عن الباطل، حيث لم يُعْد هدف الحرب اليوم هو كسب الأرض كما كان هذا هو هدفه سابقًا، بينما أصبح هدفه هو كسب العقل البشري واعتقاده الفكري، وهذا ما يقوم به المستعمر حاليًا، حيث يقوم بالدعوى والتبشير بالعقائد الخاصة به.

إن الكتاب الذي بين أيدينا يعد من أوسع الكتب التي تضم أعمال المجاهد الكبير «أحمد ديدات» ومنهجه وأفكاره العظيمة التي تحارب هذا الغزو الفكري الموجود في الأقطار الإسلامية، الذي من السهل فيها السيطرة على العقول البشرية، الغير ناطقة باللغة العربية، وعدم تعمقها في فهم القرآن المجيد.

ويضم أيضًا نبذة مبسطة عن حياة هذا الرجل العظيم القدر بعلمه، ودفاعه عن الإسلام وعن النبي ﷺ، وزلزلة الأرض من تحت أقدام الأديان الأخرى، ورد دَرَنها عن الإسلام، ويبين لنا مدى تميزه في مناظرة القساوسة، وإبطال كلامهم، بشكل بسيط من الكلام المقنع للبشر أصحاب العقل الذي يقبل الفكر الصحيح، وذلك لأن بين الأديان تلغي وجود العقل في مناقشة الدين والعقيدة التي تعتقدها.

وقد قدَّم الكتاب دراسة عن منهج ديدات في الحوار، ومنهجه أيضًا في الدعوة،

وبيان القضايا التي قام ديدات بمناقشتها، حيث أن غيره من العلماء لا يستطيع مناقشتها، أو الرد عليها.

ونرجو من الله ﷻ أن يوفقنا في نشر هذا العمل لنحوز رضاه، ولنلفت أنظار أهل العلم إلى بيان جهد هذا العالم الكبير أثابه الله على هذا الجهاد ورحمه الله وإيانا، وجعله في ميزان حسناتنا. والحمد لله رب العالمين.

الناشر

مقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على مَنْ لا نبي بعده.

وبعد،،،،،،

لم يعد هدف الحرب في العالم اليوم هو كسب أراضي بالقوة المسلحة، بل أصبح هدف الحرب الدائرة في عالم اليوم هو كسب عقول البشر، وأصبح على القوة المسلحة، وأصبح على جميع مظاهر التقدم المادي والاقتصادي أن تتراجع لتقف وراء وسائل الغزو الفكري؛ لتجني ثمار الانتصار فيه، وإلا عَزَّ عليها جَني أي ثمار، لقد تغلبت وسائل الاستقلال الوطني الكامنة في أعماق قلوب البشر، على وسائل الاحتلال العسكري لدى طغاة البشر، ولقد تغلبت وسائل المقاطعة السلبية التي قادها، وأصبح رمزًا لها المهاتما غاندي في الهند على منتجات التقدم الصناعي والتفوّق الاقتصادي، واضطر الاستعمار العسكري والاقتصادي بالهند مثلاً إلى التراجع والانحسار، وأصبح للغزو الفكري المقام الأول في تحقيق أهداف الاستعمار.

والدين بطبيعة الحال هو أول وأهم مكونات ومقومات عقول البشر، ومن أجل هذا الاعتبار، يبذل الاستعمار الجديد جهودًا جبارة لصياغة العقائد الدينية لدى أي جماعات بشرية، تتصل مصالحه وأهدافه بها.

إن اهتمام الناس فيما يتعلق بمطالب الحياة الآخرة، يفوق لدى كل المؤمنين بوجود الله كل مطالب الحياة الدنيا، وتتضاءل مطالب الحياة العاجلة لدى كل المؤمنين بوجود الله إزاء مطالب الحياة الآجلة، من حيث إن الحياة الدنيا العاجلة حياة قصيرة زائلة، بينما الحياة الآخرة الآجلة هي حياة الخلود في الراحة والنعيم لدى المؤمنين المخلصين، أو الخلود في العذاب الأخروي الذي يحيق بالعصاة الكافرين. وسواء قضى الإنسان مطالب حياته الدنيا بترف، أو قضى الإنسان مطالب حياته الدنيا بتقشف وشظف، تمضي به الحياة الدنيا لا محالة إلى نهاية معروفة محتومة. وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤][(١)].

---

(١) والحيوان تعنى: الحياة الحقيقية المفعمة المملوءة بالحيوية التي تتصف بكمال تحقق مطالب الحياة.

ومن هذا المنطلق تعرضت الأقطار الإسلامية إلى محاولات غزو فكري ذي طابع ديني، مرسومة ومحمومة وشرسة وضارية، بدأت على الأقطار الإسلامية غير الناطقة باللغة العربية لسهولة المهمة أولاً، وتركزت على الأقطار الإسلامية الناطقة باللغة العربية ثانيًا، باعتبار أنها النواة الصلبة لعقائد الدين الإسلامي الحادسة لتراثه الذي استودعها الله إياه.

وتشاء إرادة الله العزيز الحكيم أن ينبري لصد هذا الغزو الفكري ذي الطابع الديني، الذي تدور رحاه حول عقول المسلمين، الذين تشغلهم هموم الحياة الدنيا شقاءً وبؤسًا أو ترفًا ورفاهية، تشاء إرادة الله أن ينبري لصد هذا الغزو الفكري الديني رجل بسيط النشأة، مهاجر فقير من الهند إلى جمهورية جنوب إفريقيا، حيث الديانة السائدة هي المسيحية، واللغة الرسمية هي اللغة الإنجليزية، والسياسة المتبعة حتى كتابة هذه السطور هي السياسة العنصرية، ليصبح داعية إلى صحة عقائد الإسلام وشرائعه، وصدق نبوة ورسالة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، ولينادي بأن القرآن الكريم هو كتاب الله بحق وسواه باطل، ماتت لغته الأصلية، وحُرِّفَت نصوصه بالحذف والإضافة خلال عمليات الترجمة إلى اللغات الحديثة، مع الغياب التام للنصوص الأصلية بالنسبة إلى الكتب السماوية السابقة زمنيًا للإسلام.

ولم يطلب أحد المسلمين أن يؤدي هذا الرجل هذه المهمة، ولم يصدر له تكليف بالمهمة من أية حكومة أو هيئة أو جماعة ذات تنظيم بشري، ولم تُدَعِّم جهوده قوى اقتصادية، ولا هيئات رسمية، ولا سفارات ولا قنصليات، ولا أجهزة مخابرات ولا شرطة ولا قوات مسلحة، لقد نشأ عصابيًا في بلاد غير إسلامية، لا يخطر ببال بشر أن يبزغ فيها نجم داعية إسلامي عبقري عالمي التأثير، لقد أنجز «أحمد ديدات» وحده من خلال كتبه ومحاضراته ومناظراته ورحلاته في جميع أنحاء الكرة الأرضية، ما تعجز عن تحقيقه حكومة من أقوى الحكومات في العالم، لو شاءت مثل هذه الحكومة تحقيق نصف ما حققه هذا الرجل العصامي المسلم الجنوب إفريقي

ولفظ الحيوان المستخدم إنما هو على وزن «فعلان» الذي يدل على الحيوية والحركة والفاعلية مثل: جولان، وفوران، وهيجان، وجريان، وغير ذلك.

الجنسية، الهندي المولد، الذي يتكلم اللغة الإنجليزية بطلاقة وسلاسة ويكتبها باقتدار وبلاغة، ويدعو إلى الإسلام بكياسة وأدب ومهارة جلبت الألباب، وأذهلت الخصوم والأصدقاء على حد سواء.

ولنقرأ سطورًا قليلة مما كتبه هذا الداعية الإسلامي العبقري في صفحة من صفحات واحد من أصغر كتبه حجمًا، وهو الكتاب الذي أصدره بعنوان «ما اسمه ﷻ» لنجده يقول بالحرف الواحد ما نصه بعد ترجمته عن الإنجليزية كما يلي: «هذا هو الله الذي يعبده المسلمون، إنه الله، يُطْعِم ولا يُطْعَم، ولقد اقترب الأسترالويد - وهو الرجل البدائي الأسترالي- بفطرته من هذا المفهوم الإسلامي الروحي السامي لله في نظر المسلمين، عندما اشترط ألا يأكل الإله طعام البشر، وألا يخرج الإله فضلات طعام البشر كما يفعل البشر، أي أنه اشترط أن يكون الإله الذي يرتضى الاعتراف بألوهيته «آتاناطو» وفق ما تقول به لغته لغة الأسترالويديين سكان أستراليا الأصليين الذين لا يزال ربع عددهم عندما وطأت أقدام الاستعمار الأوروبي لأستراليا موجودًا في مناطق منعزلة بها حتى اليوم».

ويقول العلامة ديدات: «كم هو سهل منطق هذا الأسترالي الأصيل من بقايا سكان أستراليا الأصليين! ومع ذلك، ما أشد وما أعجب هذا الجدل الذي يدور حول ألوهية وبشرية المسيح عليه السلام! هل نحتاج نحن المسلمين إلى هذا الرجل الأسترالويد؛ ليذكرنا بقوة أسلحتنا في مواجهة خصوم الإسلام الذين يريدون زحزحته من قلوب المسلمين؛ لإدخال مفهومهم العجيب بشأن ألوهية المسيح عليه السلام في عقول وفي قلوب جميع سكان العالم.

لقد فقدنا -نحن المسلمين- كل براعة أو مهارة في فن الدعاية لنصرة ونشر معتقداتنا، بل نكاد نفقد القدرة على الدفاع عنها؛ لأننا توقفنا منذ عدة أجيال عن نشر دعوة الإسلام بين الأمم المحيطة بنا، ونجح خصومنا في أن يفرضوا علينا أن نغلق أفواهنا، فلا نذكر حق الله؛ ليفتحوا هم أفواههم ليروجوا بين شعوب العالم أباطيلهم، وهاهم أولاء النصارى يقرعون علينا أبوابنا، إن هذه الحقيقة لا تخفى حتى على العميان كل العمى الروحي، ولا عن أعين النعام الكثير، الذي يخفي

رءوسه تحت الرمال في عالم المسلمين الذين يحيون، ويعلم الله كيف يحيون في العالم المعاصر!

الكويت مثلاً كان بها منذ عهد قريب عائلة مسيحية واحدة، وأصبح فيها اليوم خمس وثلاثون كنيسة، وأندونيسيا وهي أكبر بلد إسلامي من حيث عدد السكان المسلمين، يمتلك المبشرون فيها مطارات خاصة، أكثر عددًا من المطارات الحكومية، ويمتلكون العوامات المزخرفة، والسفن الراسية بين الجزر، المستعدة لاحتضان المستهدفين من المسلمين؛ لتقديم المغريات لهم من أجل التسلية، ومن أجل الهدف الذي لم يستحوا من إعلانه كشعار لنشاطهم التبشيري في إندونسيا، وهو شعار الإفساد حتى النهاية.

لقد تسلل إلى جزر إندونيسيا آلاف المبشرين النصارى، ويعتبر كُلٌّ منهم نفسه مُبَلِّغًا أنه ليس قِسًّا من القساوسة العاملين في أي كنيسة، إنه مهيج ديني «Propegator» حتى إذا صادف أي متاعب تتنصل الكنيسة منه ومنها بعد أن كانت تسانده، طالما هو يتقدم في مهمته دون مشاكل أو متاعب.

إنهم غزاة صليبيون «Crusaders» جدد، يحاولون غزو العالم الإسلامي وغير الإسلامي بعقائد مزيفة، ولكنهم نشطون، لا ينفد صبرهم، ولا تهن عزيمتهم، ويزدادون عددًا كل يوم، ويزدادون عُدَّة، إنهم يحملون بضاعتهم الزائفة التالفة من أجل إرهاق وحصاد وقهر الكفار، والكفار في نظرهم هم الناس الذين لم يدخلوا في النصرانية بعد، وهم الناس الذين لم يقبلوا بضاعتهم الزائفة التالفة، وماذا يفعل الناس عندما لا يجدون أمامهم سوى بضاعة تالفة؟

وإذا كانت هذه هي بعض صولات الباطل وجولاته، فماذا نحن صانعون؟ نحن معشر المسلمين الذين أنزل الله بين ظهرانيهم القرآن الكريم؟ ألا يحتم الواجب علينا أن نواجه أعداءنا بما لدينا من إمكانات إلهية لا حدود لمدى فاعليتها لو أننا شرعنا في استخدامها؟ يكفي أن نثير سؤال: هل كان عيسى المسيح عليه السلام يأكل الطعام؟ يكفي أن نجعل قول الله تبارك وتعالى حاضرًا أمام أذهان البشر؛ إذ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: ٧٥]

هكذا، وبمثل هذا الاقتدار، يتكلم ويكتب ويحاضر الداعية الإسلامي العبقري العالمي التأثير، العلامة أحمد ديدات، نقلنا بعون الله وتوفيقه معظم أعماله إلى اللغة العربية، وها نحن أولاء بعون الله وتوفيقه، نحاول التعرف على معالم منهجه في الدعوة إلى الله، وهو منهج جديد وأسلوب فريد في الدعوة إلى الله من خلال الحوار والجدل بالتي هي أحسن.

وللحوار في تاريخ الفكر البشري دور رئيسي في تقدم وتحسين قيم حياة البشر منذ سقراط «Socrates» (٤٧٠ – ٣٣٩ ق.م) وما عرف عنه من حوار أُطلق عليه الحوار السقراطي، الذي كان يعتمد على ما أسماه مؤرخو الفكر البشري بمنهج «التهكم والتوليد» حتى لاحت في آفاق البشرية أنوار الدين الإسلامي الحنيف، وهذّب الإسلام شأن الحوار؛ ليكون حوارًا وجدلاً بالتي هي أحسن؛ لبيان واستبيان الحق واتباع الهدى، وذلك في مثل قول الله ﷻ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥]

وهكذا أكد الإسلام الدعوة إلى سبيل الله وبَيَّن كيفية آدائها، وأوضح ضرورة أن تكون بالحكمة، وليس بالسفاهة ولا باللجاجة ولا بإلقاء النفس في التهلكة؛ لأن هذه الأساليب البغيضة من أساليب الدعوة إلى سبيل الله تبعد ولا تقرب، وتضر ولا تنفع، وتضل ولا تهدى، وتجعل المخاطب المدعو أقرب إلى الرفض منه إلى القبول، وأوضح القرآن الكريم أيضًا أن يكون الجدل بالتي هي أحسن، ولا يجوز في الجدل بالتي هي أحسن -بطبيعة الحال- الكذب، كما لا يجوز الغش، كما لا تجوز المغالطة ولا السفسطة.

ولقد أوصى الله ﷻ بأن يلتزم المسلمون بالحق، دون إسفاف في الجدل مع أهل الكتاب على وجه الخصوص، لحكمة يعلمها وهو الحكيم العليم؛ إذ يقول الله ﷻ: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

[العنكبوت: ٤٦]

ويمكن لنا القول: إن الجدل والحوار هما لحمة التاريخ البشري وسداه، سواء على المستوى الفردي أو المستوى العائلي أو المستوى العشائري أو المستوى الأسمى، يضطر الإنسان إلى الحوار مع غيره بصدد كل شأن من شئون حياته على المستوى الفردي، وتعتمد شخصية الفرد ويعتمد نجاحه في حياته على مدى قدرته على إدارة الحوار الجيد، ويستحيل أن يدير شخص حوارًا جيدًا مع غيره إن لم يكن موقفه الفكري العقلي الذهني بالنسبة لموضوع الحوار سليمًا، اللهم إلا لو اعتمد على المغالطة من جانبه، وجازت المغالطة على الطرف الآخر الذي يحاوره، ولقد نهى الإسلام عن المغالطة في الحوار، ومن الضروري بناءً على ذلك أن يلتزم المسلم في حواره بالحق وبالحقائق، ويلزم المسلم أن تكون لديه القدرة على إثبات ما يقول في ثنايا الحوار، من أدلة صحيحة تؤيد صدق ما يقول.

والحوار بين الأمم ذات الحضارات المتباينة، والمذاهب السياسية، والمعتقدات الدينية المتقاربة أو المتباعدة، هو لحمة التاريخ البشري وسداه، وفي ذلك يقول الحق سبحانه: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً ﴿٥٤﴾﴾ [الكهف: ٥٤]

وماذا عساه أن يفعل وفد مفاوضات على مستوى عال، يعقد لقاء مع وفد المفاوضات لدولة أخرى؟ وماذا يفعل أعضاء أي مجلس من مجالس الدولة؟ وماذا يفعلون في هيئة الأمم المتحدة؟ الجدل والحوار هو لحمة الحياة البشرية وسداها.

ويعتمد منهج العلامة أحمد ديدات كل الاعتماد على الحوار، حتى الكتاب الذي يؤلفه ويكتبه بقلمه، يحشد له، ويخلق لسطوره صورًا بديعة خلابة قوية الدلالة من الحوار، ناهيك عن المناظرات العالمية التي أجراها في المدن الكبرى في بريطانيا والسويد والولايات المتحدة الأمريكية، صورًا رائعة لأروع صور الحوار العالمي المستوى.

ولقد حظي الحوار الذي يعتمد عليه منهج الداعية الإسلامي العبقري العالمي العلامة أحمد ديدات، بكثير من جهدنا في هذا الكتاب؛ لبيان شروط الحوار الجيد وآدابه، ولقد عرضنا الكثير من القضايا التي يدور بشأنها حوار العلامة أحمد

ديدات، على شكل حوار مع صديق لنا، حتى تكون دراسة هذه القضايا تمهيدًا لفهم ما يثيره العلامة ديدات من قضايا لا يهاب -كما يهاب غيره من الدعاة- إثارتها أو الاقتراب منها لخطورتها وأهميتها من جهة، ولطبيعتها التي تحتاج دراية وذكاء يعز على الكثير بلوغهما من جهة أخرى.

ولمزيد من الوضوح والإيضاح لمنهج العلامة ديدات الذي يعتمد على الحوار، عمدنا إلى إيجاز أشهر وأهم منجزاته الفكرية في مجال الدعوة الإسلامية، وغني عن البيان أن الإيجاز أو التلخيص «Summarization» يختلف عن الترجمة «Transltion» إذ أنه في مجال الترجمة يتجه جُلَّ الاهتمام نحو نقل محتوى الكلام كاملاً إلى اللغة التي تنقل إليها، وكلما كانت الترجمة حرفية مع سلامة نقل المعنى وسلامة الجمل التي يصوغها المترجم لنقل المعاني، كانت الترجمة أفضل وأحسن، أما التلخيص أو الإيجاز، فلا مجال لنقل كل المعاني، ولا مجال بالتالي للالتزام الحرفي التام بالنص الذي نوجزه أو نقدم تلخيصًا له، ومَن يرغب في الإطلاع على النص الكامل للأعمال الديداتية التي أوجزناها بهذا الكتاب، يستطيع الرجوع إليها في ترجمتنا الكاملة التي أشرنا بوضوح إليها كلما لزم ذلك.

وليس الايجاز عملاً سهلاً؛ إذ أن البراعة في الإيجاز تعتمد أكثر ما تعتمد على تقديم أكبر قدر من المحتوى المعلوماتي والفكري الموجود في نص من النصوص، في غضون حيز يلزم أن يقل في حجمه وعدد سطوره وعدد صفحاته عن النص الأصلي، وهي مهمة شاقة للغاية يعرف مشقتها كل مَن يضطر إلى مزاولتها.

قدمنا بين يدي القارئ الكريم دراسة عن منهج ديدات في الدعوة إلى الله، دراسة عن فن الحوار ومواصفات الحوار الجيد وشروطه، وبيانًا لأهم القضايا التي أثارها العلامة أحمد ديدات من خلال منهجه الذي يعتمد على الحوار، ثم قدمنا بين يدي القارئ الكريم موجزًا للمنجزات.

ونرجو أن يوفقنا الله ﷻ لنحوز رضاه وفضل هداه، ونرجو أن يوفقنا الله ﷻ في القيام بواجب التعريف بأعمال وجهود هذا الداعية الإسلامي العبقري العالمي أحمد ديدات، باعتباره أول وأيسر الواجبات التي يفرضها رد الجميل لهذا الإنسان

العصامي، الذي استطاع بمفرده أولاً، وبجهود معاونيه المحدودي العدد ثانيًا، وبمحبة الناس له ثالثًا، استطاع أن يذيع من الدعاية الإسلامية على أفضل وجه، ما لم تستطعه منظمات عالمية يفوق مدى دعمها كل تصور معقول.

أثاب الله داعيتنا الإسلامي الكبير خير المثوبة، وسدد خطاه، ووفقنا في واجب مؤازرته في دعواه من أن الدين عند الله هو الإسلام، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الراجي رحمة ربه وتوفيقه

علي الجوهري

القسم الأول

منهج ديدات

الحوار وآداب الحوار

عزوف عن حوار

أرجو من الله العلي القدير أن يوفقني فيما أحاوله بكل ما أستطيعه من جهد، في أن أكون أعزف الناس عن الكلام، وأزهد الناس في الحوار.

يسألني تلاميذي: هل أنت مؤلف كتاب كذا، أو مترجم كتاب كيت، لقد وجدنا اسم سيادتك عليه؟

وأجيبهم بقولي: ألا يحتمل أن يكون الأمر مجرد تشابه في الأسماء؟

يقولون: بلى، يحتمل؛ ولهذا نسألك لنقطع الشك باليقين!

أنا لا أريد أن أكذب أمام تلاميذي، ولا أريد أن يعرفوا أنني مؤلف كتاب كذا، أو مترجم كتاب كيت، حتى لا تكون معرفتهم بذلك بداية فتح المجال لسؤال من هذا، واستفسار من ذاك، مما يفضي بنا إلي الدخول في حوار أو جدال يخرجنا عن موضوع الدرس، ولا أجد مناصًا من أن أقول لتلاميذي: على أي حال يا أبنائى، لا يهمكم ما إذا كنت مؤلف هذا الكتاب أو مترجم ذلك الكتاب، إن ما يهمكم هو موضوع درسكم الذي يجب أن نلتزم به كل الالتزام، كنا قد ذكرنا كذا، ونضيف كيت، مَن منكم يستطيع أن يجيب سؤال كذا في موضوع درسنا اليوم؟

لم نؤت من العلم إلا قليلاً

ويقول لي معلم زميل: لقد درستُ موضوع كذا، ولك فيه مؤلفات وترجمات وتعليقات، فما رأيك بشأن كذا؟

وأقول بكل تواضع: يا حبيبي لم نؤت من العلم إلا قليلا، أنا لا أعرف الباذنجان الأبيض من الباذنجان الأسود.

يقول زميلي: كيف لا تعرف الباذنجان الأبيض من الباذنجان الأسود، إن كل الناس يعرفون؟

أقول: أنا لا أعرف لماذا إبيضَّ الأبيض، ولا أعرف لماذا إسودَّ الأسود، وعلى كل حال، عندما تطفئ الأنوار يستوي الأبيض والأسود من الباذنجان، فحذار من إطفاء الأنوار! وأنتهز أقرب فرصة لمغادرة المكان، هروبًا من جدل، وعزوفًا عن حوار، وزهدًا في كلام، وتفاديًا لشِجار.

دبلوماسية حوار

وعندما كلف الضباط الأحرار صاحب السعادة السياسي الماهر «علي ماهر باشا» بالذهاب إلى مَلِك مصر السابق للحصول على توقيع جلالته، بما يفيد تنازل جلالته عن عرش مصر عام ١٩٥٢م، قال الملك السابق: فيم جئتَ يا باشا؟ قال الباشا: جئتُ يا مولاي الملك المعظم لتتفضلوا جلالتكم بالتوقيع باسمكم الكريم على وثيقة تفيد التنازل عن العرش المفدى. قال الملك السابق: التنازل عن العرش؟! لَمن يا باشا؟ قال الباشا: لن تتنازل جلالتك عن العرش المفدى لأجنبي أو غريب، أو دخيل يريد أن يسلب العرش أو أن يتعدى. قال الملك السابق: لَمن التنازل يا باشا؟ قال الباشا: التنازل عن عرشكم -يا مولاي- لن يكون لشخص آخر غير ابنكم المحبوب، صاحب السمو الملكي الأمير[1] أحمد فؤاد الثاني؛ ليظل العرش باقيًا في أسرته وسلالته؛ بل إن العرش -يا مولاي- لا بد راجع في يوم قريب إلى جلالتك شخصيًّا؛ لتعود -جلالتك- إلى كرسيك وتاجك، إنها يا مولاي الآن كَرَّة خاسرة، تعقبها يا مولاي قريبًا رجعة رابحة.

إنني يا مولاي قَبلتُ رياسة الوزارة ليجتاز العرش هذه العاصفة، ولقد اخترت يا مولاي مجلس وصاية، على رأسه الأمير محمد عبد المنعم؛ لتظل راية الملكية خفاقة عالية، إن كل ما أرجوه يا مولاي المعظم، هو أن تعجلوا بالرحيل إلى روما مع الطفل المكرم، الذي سينادى به ملكًا قبل الرحيل؛ لصون حياة الوالد والولد، وهما أغلى ما يملك البلد.

وبيد مرتعشة، وضع مَلِك مصر السابق توقيعه على وثيقة التنازل عن عرش مصر، وهي الوثيقة التي كان رئيس وزراء مصر آنذاك علي ماهر باشا قد بسطها أمام جلالته ليضع جلالته آخر توقيع ملكي له على تلك الوثيقة بعد ذلك الحوار، وكم يختلف حوار عن حوار!

---

(١) عن الأستاذ/ محمد الوادي: أقطاب مصر بين الثورتين – ص ١١٦ بتصرف.

حوار أفضى إلى شجار

ولقد كنتُ أجلس بالمقعد الأمامي بجوار سائق سيارة من سيارات الأجرة، وأقبلت سيارة أخرى مسرعة من شارع جانبي، وحاول كل من السائقين أن يسبق الآخر في نفس الاتجاه، واصطدم جانب مقدم كل من السيارتين، وحدثت بعض التلفيات.

قال أحدهما ما معناه: الطريق لي يا حمار، أليس عندك شيء من الصبر؟ كان يلزمك الانتظار! أين تعلمت السياقة؟

قال الآخر ما معناه: أنا حمار يا ابن الـ.... مَن الذي أعطاك رخصة قيادة؟

قال الأول ما معناه: أنا ابن... يا ابن الـ.... خذ... وخذ هذه أيضًا لتعرف من منا ابن الـ.... وسالت دماء حمراء فوق ملابس بيضاء! وتوقفت سيارات، وعلت أصوات أبواق، وسمع صوت صفارة، وطلب شرطي من السائقين أن يكفا عن الشجار، وأن يأخذ كل منهما سيارته إلى جانب الطوار، بعد أن كان قد وضع علامات بالطباشير تحدد موضع كل من السيارتين قبل الشجار، ووضعتُ شيئًا من النقود على كرسي السيارة، وانتقلتُ إلى سيارة أخرى لأكمل المشوار.

حوار أفضى إلى شجار، ولو كان ذلك الحوار قد أُجْرِيَ بأدب وتواصٍ بالحق وتواصٍ بالصبر واحترام للآخر؛ لكان أحرى بالحوار أن يصل إلى إصلاح ما وقع من أضرار، وكم يختلف حوار عن حوار!

حوار يلغي القرار

وذات مساء استدعاني عريف للذهاب إلى العقيد «س عشم الله» وذهبتُ إلى سيادته، وأديتُ التحية العسكرية.

قال: أهلاً يا حضرة الضابط علي، شَكِّلْ طاقمًا من صف ضباط، اختر مَن يعجبك منهم، وجهز مدفعًا للتحرك إلى غزة مع صندوقين ذخيرة تدريب، وسَلِّم نفسك في مقر القائد العام لقطاع غزة؛ لتتولى تدرب أفراد من الحرس الوطني الفلسطيني على الاستعمال الصحيح لهذا المدفع المضاد للطائرات.

ولا أعتقد أنني أذيع سرًّا من الأسرار العسكرية، وصل إلى علمي بموجب عملي بالقوات المسلحة لسنوات من أغلى سنوات العمر، الموضوع أبسط من أن يرقى إلى مرتبة الأسرار، ويهمني الحوار، كيف جرى؟ وكيف انتهى إلى اتخاذ قرار؟ ثم أفضى الحوار إلى إلغاء القرار.

كان ما قاله لي سيادة العقيد بداية ذلك الحوار، وكنتُ أعمل ضمن فوج من أفواج المدفعية الخفيفة المضادة للطائرات بمكان ما في سيناء، وكان الأستاذ أحمد الشقيري قد تزعَّم النضال الفلسطيني قبل قيام جبهة التحرير الفلسطينية في بداية الستينات، وبالإضافة إلى ما عرف عن الأستاذ أحمد الشقيري من قدرة على الخطابة، فإنه كان يحاول إنشاء ما كان يسمى آنذاك بالحرس الوطني الفلسطيني.

قال سيادة العقيد: استعد للتحرك من هنا في الساعة الثانية عشر ليلاً، وذلك لكي تصل إلى نقطة الرية[(١)] حوالى الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، احرص ألا يكتشف البوليس الدولي أنك متجه إلى مدينة غزة، ولو اكتشفوا مرورك، قل لهم إنك متجه إلى العريش، وإنك قد ضللت الطريق، وسلهم عن الطريق الصحيح إلى العريش.

قلتُ لسيادته: لو سمحتَ يا أفندم.

قال: ماذا تريد أن تقول يا حضرة الضابط؟

قلتُ: كرامتي كضابط بالقوات المسلحة المصرية، لا تسمح لي أن أقول لأفراد من البوليس الدولي بالرية أنني قد ضللتُ الطريق، إن هذا مجافٍ للكرامة ومخالف للحقيقة؛ ولذلك أرجو إعفائي من هذه المهمة، وتكليف ضابط آخر بها ربما يقبل ذلك.

قال سيادته: نفذ بالأمر يا حضرة الضابط، لقد أبلغتُ اسمك بالفعل إلى قيادة الفرقة؛ لأنك تجيد التخاطب باللغة الإنجليزية بمستوى لائق، وهو الاعتبار الذي أمرتني قيادة الفرقة أن أتحراه. أديتُ التحية العسكرية لسيادته، وقلتُ: عُلِم يا أفندم، حاضر يا أفندم. ولم أنصرف من مكاني.

---

(١) تقع الرية في منتصف المسافة تقريبا بين العريش وغزة، وكانت توجد بالرية نقطة شرطة عسكرية مصرية وبجوارها معسكر للبوليس الدولى.

قال سيادته: أي أسئلة أخرى يا حضرة الضابط؟

قلتُ: استيضاحًا للمهمة، لو سحمت سيادتكم، عندي بعض الأسئلة.

قال: ما هي؟

قلتُ: عندي أسئلة كثيرة يا أفندم، هل آخذ أسلحة صغيرة وكمية من الذخيرة لزوم الدفاع الشخصي ضد أي مشاة، ربما يتعرضون للمدفع وطاقمه أثناء التحرك أو أثناء وجوده في مدينة غزة؟ ولماذا الاقتصار على ذخيرة التدريب فقط؟ لماذا لا نأخذ ذخيرة حية «س.ف» وذخيرة «خ.د» احتياطًا لأي طارئ قد يصادفنا؟ هل لدى قيادة القطاع علم بوصولنا، وكيف سننظم التعاون مع القيادة؟ بِمَن أتصل لأتلقى أي تعليمات تخصني؟ وكيف سيصرف أفراد الطاقم تعيينهم؟ من أين؟ وكيف سيحصلون على طعامهم؟ هل تمت أية ترتيبات بخصوص ذلك؟ ما هي هذه الترتيبات؟ كيف سأتعامل مع أفراد الحرس الوطني الفلسطيني؟ ما مدى رغبتهم في التدريب؟ هل سأحصل على أمر كتابي بالتحرك به تفاصيل هذه المسائل أم أنني سأتحرك بناءً على التعليمات الشفهية من سيادتك مع احترامي لها؟

قال سيادته: لقد أثرتَ مسائل هامة، جهز ما يلزم للتحرك حسبما ترى وسأتصل بقيادة الفرقة، وعندما تعطيني التمام باستعدادك للتحرك، ستكون عندك إجابة كل الأسئلة.

أديتُ لسيادته التحية العسكرية، وانصرفتُ لكي استعد للتحرك، وبعد نصف ساعة استدعاني سيادة العقيد ليقول لى: خلاص يا على كما كنتَ، لقد ألغت قيادة الفرقة المأمورية.

حوار أفضى إلى قرار، وعلى كل حال أطلعني ذلك الحوار على سر من الأسرار لم أكن أعرفه قبل أن يجري هذا الحوار، عرفتُ من الحوار أن انسحاب الإسرائيليين من شبه جزيرة سيناء عام ١٩٥٦م لم يكن دون قيد أو شرط، لقد كان محظورًا على مصر إدخال أي مدفع أو دبابة في مساحات شاسعة من سيناء، وكانت المهمة الأولى للبوليس الدولي الذي كانت مصر قد قبلت وجوده آنذاك، هو التحقق من تنفيذ هذا الشرط من شروط الانسحاب الإسرائيلي من سيناء عام

١٩٥٦. وعرفت لماذا سقطت غزة تحت الاحتلال الإسرائيلي من جديد عام ١٩٦٧ في الدقائق الأولى؟ قُل: في دقيقة واحدة أو دقيقتين أو خمس دقائق لم يكن في غزة عام ١٩٦٧م مدفع واحد أو دبابة واحدة بموجب شروط انسحاب عام ١٩٥٦م. وماذا تفعل «غزة» لو تحركت محركات وجنازير الدبابات الإسرائيلية من مستعمرة «الدنجور» الإسرائيلية المجاورة لغزة، ولا يفصل بينهما سوى خط واحد من أشجار الجازورينا؟ وتقطع الدبابات الإسرائيلية شارع عمر المختار، وهو الشارع الرئيسي لمدينة غزة جيئة وذهابًا في بضع دقائق، لا براعة خارقة للعادة في القتال، ولكن لبراعة خارقة للعادة في تفريغ أي أراض عربية مجاورة لإسرائيل من أسلحة القتال. حوار أفضى إلى قرار، وأفضى إلى سر كان من الأسرار.

متى الحوار؟

وعندما ألتحقتُ للعمل بأحد أفواج المدفعية المضادة للطائرات كملازم أول احتياط، كنتُ أعزَفُ الناس عن الكلام، كان زملائى من ضباط الفوج يطلقون عليَّ لقب الضابط الأبكم، لم أكن أتكلم اللهم إلا إذا كان الكلام تحية عابرة أو ردًّا على تحية عابرة، أو ردًّا موجزًا على سؤال مباشر موجه إليَّ.

كنتُ أقول لنفسي: ماذا أعرف عن عملي هذا كضابط مدفعية؟ إن معارفي جد قليلة؟ كيف يعمل الضباط القدامى بهذا الفوج؟ يجب أن أراقبهم جيدًا، ويجب أن أقرأ، ماذا أقرأ؟ أين الكتب والمذكرات العسكرية؟ واهتديتُ إلى مكتبة الفوج، كانت مكتبة لا بأس لها، كان بها كتب كثيرة في المعارف العامة، ومما يصلح للتوجيه المعنوي، وكان بها كتب عسكرية، وأبديتُ اهتمامًا خاصًا بكتب التاكتيك العام، تاكتيك المشاة والمدرعات عمومًا، كما أبديت اهتمامًا بالتاكتيك الخاص أو تاكتيك السلاح الذي أنتمي إليه، ولم أعد ذلك الضابط الأبكم، بعد سنوات قليلة سأل أحد قادة فوجنا مجموعة من الضباط لم أكن موجودًا بينهم، سألهم قائلاً: أريد أن نعمل برنامج لتدريب صف الضباط المجندين والمتطوعين، مَن منكم يشرف على هذا التدريب؟ ولم يرد أحد من الضباط الموجودين، ربما للتواضع. قال قائد الفوج: أنا أرشح للإشراف على تدريب صف الضباط النقيب على. وسأل أحدهم: لماذا

النقيب علي يا أفندم؟ قال: لأنه يوجد في هذا الفوج رجلان يجيدان الكلام: النقيب علي، وأنا. إن تدريب صف الضباط بما فيهم صف الضباط المتطوعون، يحتاج أكثر ما يحتاج إلى مَن لديه معلومات، ويجيد الكلام وصولاً إلى الإقناع. اهـ.

وعندما عدتُ من أجازتي، وجدتُ أن أركان حرب التدريب كان قد أعد برنامجًا لتدريب صف الضباط، وأسند إلى شخصي المتواضع مهمة الإشراف على تدريبهم، وأبلغني سيادته بفحوى ذلك الحوار.

الحوار قدرة على التفكير

وأنا أشرب الشاي بخيمة الرائد سمير وبيدي مجلة «المصور» وبها صورة لسيادة المشير عبد الحكيم عامر، وكان في زيارة لفرنسا في بداية الستينات، قلتُ: أتعرف سيادتك فيما أفكر، وأنا أتأمل صورة المشير في فرنسا؟

قال الرائد سمير: فيم تفكر؟

قلتُ: أفكر في مباحثات المشير في فرنسا، هل ستكون مجدية، أم أنه سيجد اليهود ونفوذ الصهيونية العالمية في باريس كما تعرف، سيجدهم وقد أوصدوا أبواب التفاهم الجدي مع فرنسا، وتغدو رحلة المشير إليها مجرد نزهة لسيادته؟ وأنا أتساءل أيضًا عن مدى كفاية المشير العسكرية؟ لقد قفز فوق أكتاف الثورة إلى قيادة الجيش وإلى رتبة المشير، والأهم من كل شيء في نظري، هو أين مكان القوات المسلحة المصرية بالنسبة للتقدم العسكري الموجود حاليًا في العالم؟ ويؤرقني على وجه خاص يا أخ سمير، سؤال عن إمكاناتنا العسكرية بالنسبة لدولة إسرائيل، هل نستطيع أن نطمئن إلى أننا نستطيع النصر على الجيش الإسرائيلي؟

قال: هذه أسئلة كبيرة، لا تقلها لأحد، وإلا تعرضت للمحاكمة العسكرية، أو على الأقل للمساءلة في قيادة الفرقة، كما تعرَّض لذلك أحد الضباط الذين تعرفهم عندما قال علنًا بين جمع من الضباط عن مدافع الفوج، إنها من مخلفات الحرب العالمية الأولى، وهي لا تصلح للدفاع عن أرنجانة قيادة الفرقة.

قلتُ: أنا أتحدث إليك، ونحن بمفردنا، وأنا أثق بك، لماذا لا نفكر بصوت عال؟ ألا تعرف فيما أفكر أيضًا؟

قال: فيم تفكر؟

قلتُ: أفكر في وضع معظم القوات المسلحة المصرية في صحارى سيناء، هل هذا هو المكان المناسب لوضع معظم القوات المسلحة المصرية؟ علام ترتكز هذه القوات؟ إنا ترتكز على كوبري الفردان والقنطرة نمرة (٦)، ماذا يحدث لو دمرت هذه المعابر تدميرًا متكررًا بواسطة طيران العدو؟ أيكون الجيش المصري أسير صحراء سيناء؟

قال: عندنا طيران يحمي المعابر، ويمنع الطيران المعادي من تدميرها.

قلتُ: ذلك ما نرجوه من الله، ولكن تطورات المعارك تحفل دائمًا بالمفاجآت، ومن الضروري عمل حساب لكل الاحتمالات، لم تعد بلدنا تستطيع أن تتحمل هزائم أخرى، اليهود لا يستهان بهم، إن وراءهم الصهيونية العالمية، لقد هزموا الجيوش العربية في حرب ١٩٤٨م، واكتسحوا سيناء في حرب ١٩٥٦، وهم بطبيعة الحال يستعدون لكسب حرب جديدة كما نستعد، ماذا يحدث لو كانوا أكثر استعدادًا؟

قال الرائد سمير: لا يا رجل، لا تقل مثل هذا الكلام، الجيش المصري بعد الثورة غير الجيش المصري قبل الثورة.

قلتُ: إنني أرجو من الله أن يكون كل شيء على ما يرام، ولكنني لا أخفي عليك أنني غير مرتاح لوضع قوات عسكرية مصرية كثيرة في صحارى سيناء ترتكز على بضعة معابر فوق مانع مائى، مثل قناة السويس.

قال: ماذا تريد أن تقول؟

قلتُ: أريد أن تكون عندنا كمصريين القدرة على التفكير، وعلى معاودة التفكير بمرونة تامة، القدرة على التفكير وحرية التفكير، هي أهم مقومات البشر يا سمير، هل قرأت كتاب الأمير؟

قال: ما هو كتاب الأمير..؟ آه... كتاب الأمير لمكيافيلي... سمعت عنه فقط.

قلتُ: معي، في خيمتي نسخة منه باللغة الإنجليزية، كنتُ قد اشتريتها من القاهرة من أحد باعة الكتب القديمة، سأقوم الآن لأحضره لأترجم لسيادتك فقرة

واحدة منه. وبعد دقائق معدودة كان كتاب الأمير لمكيافيلي معنا، وقمتُ بترجمة الجزء الأخير من الفصل الرابع عشر بعنوان «واجبات الأمير نحو قواته المسلحة»:

«Dutis Of Aprince With Regard To The Militia»

وقلتُ: بعد نصائح هائلة غالية يوصي ميكافيلي بها الأمير؛ حتى لا يسمح لأفكاره أن تبتعد عن التفكير في شئون الحرب، وحتى يمارس الأمير الاستعداد للحرب زمن السلم بأكثر من ممارسة الحرب بالفعل، يقول ميكافيلي بالحرف الواحد: ومن بين الأفضال التي تعزى إلى فيليبيومين «Philoboemen» أمير أرخاي «Archaei» أنه لم يكن في زمن السلم يفكر في شيء سوى شئون الحرب وأساليبها «Methods Of Warfare» وكان يوقف رفاقه أثناء تجواله معهم، ويسألهم: لو كان عدو فوق ذلك الجبل وكانت قواتنا في هذا الوادي، فلمَن تكون الميزة أثناء القتال؟ وكيف يتسنى لنا أن نصل إليه لنتلاحم معه ونقضي عليه مع الاحتفاظ بقواتنا وبنظام قواتنا؟ وإذا شئنا الانسحاب، فماذا ينبغي علينا أن نفعل؟ ولو اضطر العدو أن ينسحب، كيف نطارده؟ ولأي غرض وإلى أي حد نطارده؟ لقد كان فيليبيومين يا سمو الأمير، يضع أمام رفاقه كل الاحتمالات الممكنة خلال المعركة، وكان يستمع إلى وجهات نظرهم، وكان يطرح أمامهم رأيه معززًا بالأدلة والبراهين. وبفضل هذه الأفكار المستمرة التجدد، لم يصادف فيليبيومين يا سمو الأمير خلال المعارك الحقيقية أي موقف لم يكن مستعدًا له» اهـ.

وقلتُ: نكتفي بترجمة هذه الفقرة قبل الأخيرة من الفصل الرابع عشر من كتاب الأمير لميكافيلي.

قال الرائد سمير: هذا كلام كبير يحض على التعقل وعلى التفكير، وفيم تفكر أيضًا؟

قلتُ: لا أخفي عليك أننا نُهَوِّن من شأن العدو الإسرائيلي بطريقة غوغائية مبالغ فيها، انظر إلى هذه اللوحة المعلقة في خيمتك، وفي معظم خيام الجنود، إنها صورة لقدم جندي مصري ضخمة، ترتدي حذاء ضخمًا، تدوس جنديًا إسرائيليًا ضئيل الحجم، لم يجد الرسام المصري عناء في رسمها، وهي لا تساوي الحبر الذي

طبعت به، إنه نفس العدو الذي هزم جيوش الدول العربية عام ١٩٤٨م، واكتسح سيناء عام ١٩٥٦م، ولقد تصورنا أنه لولا تحالف إسرائيل مع بريطانيا وفرنسا لما تمكنت إسرائيل من احتلال سيناء، هذا التصور بنظري، فيه مبالغات الدعاية غير الواعية، لقد كان في سيناء قوات لم تستطع الصمود إطلاقًا قبل أن يصلها أمر الانسحاب، لقد كنت أسأل صف الضباط المتطوعين، وعرفتُ حقائق هائلة من أفواههم، قال لي أحدهم: لا يا حضرة الضابط علي، إن اليهود عندما يهجمون، يهجمون بقوة نيران كبيرة جدًّا وهائلة جدًّا، كانوا يجعلون الأرض في المنطقة التي يهاجمونها تشتعل، وعندما تتأمل التاكتيك العسكري الإسرائيلي في الحروب السابقة تندهش من قدرتهم الفائقة على الاختراق والتطويق، انظر إلى الموقف مثلاً في عام ١٩٤٨م؛ لنستخلص منه أهم الدروس، إنهم لم يصابوا بالرعب عندما تحركت القوات المصرية نحو فلسطين، وكأن لسان حالهم كان يقول: تعالوا أيها المصريون. دعك مما كانت تقوله وسائل الإعلام، عندنا عندما كانت تصور تقدم قوات الجيش المصري في أرض فلسطين، لقد كان ذلك التقدم دون معارك، كان السلاح المصري محدودًا، ولم نكن نعرف بأي حال، ماذا يقذف البحر المتوسط في تل أبيب وحيفا من أسلحة لكي يستخدمها اليهود ضدنا، ولقد ظهر أثر ذلك في المعارك، ألم يكن الرئيس عبد الناصر نفسه محاصرًا في الفالوجا؟ هذه الحقيقة المرة توضح مصير معظم الوحدات المصرية في حرب ١٩٤٨م، قوات محدودة التسليح والذخائر، توغلت في أراضي بعيدة عن قواعدها في مصر، تواجه عدوًّا ماكرًا، يقوده ضباط محترفون، تخرجوا من كليات عسكرية بريطانية، وتمرسوا بالحرب في آتون الحرب العالمية الثانية، وتصلهم أسلحة وذخائر تفوق احتياجاتهم من أوربا وأمريكا عن طريق البحر، ماذا يفعلون بها؟ هل يعطونها هدية للجيش المصري؛ لأن اليهود كما نتوهم جبناء؟! كان تطويق القوات المصرية، وقطع خطوط مواصلاتها ممكنًا لليهود في حرب ١٩٤٨م، لقد تدرب ضباطهم الجدد على عمليات الاختراق والتطويق والحصار في حرب ١٩٤٨م في أفضل الظروف، وكانت النتيجة توقيع العرب على معاهدة رودس لتترك الوحدات المصرية أرض المعركة لليهود وسط تعتيم إعلامي كثيف.

قال الرائد سمير: إنك تنظر إلى الأمور من زوايا عجيبة.

قلتُ: ولكنها زوايا حقيقة وموجودة، كل ما في الأمر أننا تعودنا أن ننظر إلى الأمور من الزوايا التي تعجبنا، أو الزوايا التي تريد لنا حكومتنا أن ننظر من خلالها، ولكن، ماذا عن الزوايا الأخرى؟ ألا يجوز أن ننظر إلى الأمور من خلالها؟ أتعرف يا سمير ماذا يؤرقني؟ تؤرقني نوعية تسليح جيشنا! أتعرف ماذا عساها أن تكون نتيجة حرب لو كانت الطائرات الحربية الإسرائيلية بها مزايا فنية تفوق طائراتنا؟ أتعرف ماذا عساها أن تكون نتيجة الحرب لو كانت مدافع الدبابات الإسرائيلية أبعد مدة من مدافع الدبابات المصرية بمقدار نصف كيلو متر فقط؟ أنت تعرف أن الحرب لم تعد مجرد قوة بنية الجنود وشجاعة الرجال، لقد أصبحت الحرب حرب تفوق في السلاح، فلنتأمل النمط التقليدي للحروب المصرية منذ أواخر العصر المملوكي، كيف قابل طومان باي الجيش العثماني الذي كان قد أدخل مدافع بدائية ضمن تسليمه، انهزم طومان باي في الرايدانية، ثم في مرج دابق، ماذا كانت نتيجة الحرب عندما التقي المماليك مع جيش نابليون في موقعة الأهرام؟ فَرَّ المماليك لتفوق مدفعية نابليون على سيوفهم ورماحهم وخيولهم، وخضعت مصر لحكم نابليون بضع سنين، حتى نظم الشعب المصري مقاومة الاحتلال الفرنسي، التاريخ معروف، لماذا لا نقرأ تاريخنا قراءة صحيحة؟ لماذا نتمسك بتعليق أمن مصر على بعض القوات، وعلى كمية محدودة من السلاح؟ لماذا لا نسلح الشعب ونعمل على استنباط نوع آخر من استراتيجية الحرب وتاكتيكات جديدة، تكون أكثر ملاءمة لظروفنا؟

قال الرائد سمير: ماذا تقترح يا جنرال؟

قلتُ: لست جنرال، أنا رجل عادي، أنا ضابط احتياط صغير، لكنني أفكر، لقد كنتُ في الصف الثاني الابتدائي عام ١٩٤٨م، وكنت أتابع في الصحف أخبار هذه الحرب، لقد أحسستُ بالخطر الإسرائيلي التوسعي منذ الصغر، كان تاجر قطن يهودي عندنا، وبينما كان ذلك التاجر اليهودي يحتسي الشاي بمنزلنا، قال: الضباط اليهود في دير ياسين يتراهنون على الطفل الموجود في بطن أمه الفلسطينية، هل هو

ذكر أو أنثى؟ ويفتحون بطنها ليعرفوا من منهم يكسب الرهان! أنت تعرف آن أمن فلسطين يرتبط كل الارتباط بأمن مصر، الرومان كانوا في فلسطين ومصر، والعرب كانوا ولا يزالون في فلسطين ومصر، العثمانيون والإنجليز كانوا في فلسطين ومصر الأمن واحد، والمصير واحد يا سمير.

قال الرائد سمير: هذه حقائق واضحة، ولسنا وحدنا الذين نعرف حقائق التاريخ، هذه الحقائق التاريخية معروفة للجميع، ولاشك أن قادة جيشنا يعرفون التاريخ، ويعرفون عن الحرب والتسليح أكثر مما نعرف أنا أو أنت.

قلتُ: صدقتَ، وأرجو من الله العلى القدير أن يكون الجيش المصري بعد الثورة أفضل منه قبلها، لكنني بحق لا أستطيع أن أكف عن التفكير في مثل هذه الأمور التي تضمنها ما دار بيننا من حوار.

قال الرائد سمير: الحوار معك غير عادي يا علي، أنت تفكر في أمور قلما يصل إليها التفكير، هيا إلى خيمة الميس لنتناول طعام الغداء لننسى هموم هذا الحوار.

قلتُ ونحن نمشي سويًا إلى خيمة الميس: أتعرف فيما أفكر الآن؟

قال: ألا تريد أن تكف عن التفكير؟

قلتُ: لا أستطيع.

قال: فيم تفكر؟

قلتُ: فكرة صغيرة قفزت إلى ذهني من جراء موضوع العريف عماد، جهاز اللاسلكي الموجود عندنا ضخم الحجم ثقيل الوزن، ألا يمكن استخدام راديو ترانزستور صغير الحجم لتلقي الأوامر العسكرية على أن يكون بقيادة القوات محطة إرسال مثل محطة وإرسال الإذاعة بشكل مبسط مصغر؟

قال الرائد سمير: ولمَّا العدو يستمع إلى الإذاعة يعرف كل الأوامر الصادرة لقواتنا؟

قلتُ: وهل يخفي الزمار ذقنه؟ هل يمكن إخفاء انفجار القنابل والقذائف والصواريخ؟ الحرب الحديثة حرب على المكشوف، تقول فيها الجيوش: ها نحن

أولاء، تعالوا إلينا أيها الأعداء، إننا نستطيع أن نقضي عليكم لو حاولتم اعتراض طريقنا، لم تعد الحرب الحديثة تعتمد على إخفاء الأسرار، وكنا قد وصلنا باب خيمة الميس التي نتناول فيها الطعام، فتوقف بيننا الحوار.

شروط الحوار الجيد

قال صاحبي: لماذا تعزف عن الحوار والجدل؟

قلتُ: أنا فعلاً أرغب عن الحوار والجدل، مع أن الحوار هو لب الحياة منذ بدء الحياة، حتى يستقر للحياة قرار بمشيئة الواحد القهار، ولقد مرت بنا صور مختلفة من الحوار أدى بعضها إلى قرار، وبعضها إلى إلغاء قرار، وأفضى بعضها إلى شجار، وللحوار الجيد البناء مواصفات، ولا بد أن تتوافر له وفيه شروط وضمانات.

قال صاحبي: ما هي شروط وضمانات الحوار الجيد البنَّاء؟

قلتُ: تعجبني محاورات أفلاطون، سواء كان أفلاطون قد عرض الحوار السقراطي كما صدر عن سقراط بأمانة، أو أشاع تصوراته الخاصة بين ثنايا ذلك الحوار، وإن كنتُ أرجح أمانة أفلاطون في النقل عن سقراط باعتبار أنَّ مُفَكِّرًا مثل أفلاطون هو أولى بأمانة النقل، لما توافر له من مزايا العقل، وهي المزايا التي لا ريب أن أفلاطون كان يتمتع بمستوى عال في مجالها، ويضاف إلى ذلك أن العرف قد جرى أن ينتحل المفكرون أفكار السابقين وينسبونها إلى أنفسهم، لا أن ينسب المفكرون المبدعون أفكارهم إلى غيرهم، وتعجبني على وجه الخصوص محاورة جورجياس أو محاورة البيان، وتتضح شروط وضمانات الحوار الجيد بطريقة عملية واضحة، هيا يا صاحبي نتأمل بعض مجريات تلك المناظرة أو المحاورة.

قال صاحبي: لا بأس، ما دامت بعض مجريات هذه المناظرة ستوضح لنا شروط الحوار الجيد البناء.

قلتُ: أولاً، كان الجو الثقافي العام آنذاك يدعو إلى وجود هذه المحاورات أو المناظرات؛ إذ كانت بلاد اليونان تعيش ما يسمى بحقبة الخمسين سنة العظمى «The Great Fifty Years» وهي السنوات التي جاءت في أعقاب انتصار اليونان في حروبهم ضد الفرس عام ٤٧٩ ق. م، فوصلت بلاد اليونان إلى أوج قوتها

ورخائها المادي؛ إذ تأكد استقلال بلاد اليونان بعد دحر المعتدين وردهم على أعقابهم، ليلزموا حدودهم حول دجلة والفرات، وليتركوا لليونانيين بلادهم حرة مستقلة.

وبفضل مشاركة أبناء الشعب اليوناني جميعًا في دحر أعدائهم، تحول المجتمع اليوناني من النظام الأرستقراطي الأولجاركي إلى النظام الديمقراطي، وازدهرت التجارة، وأصبح الأسطول التجاري اليوناني يتحرك على جميع شواطئ البحر المتوسط، شرقًا إلى فينيقيا، وجنوبًا إلى مصر وشمال إفريقيا، وغربا إلى إسبانيا، وجنوب غرب ليصل إلى قرطاجنة، أو ما يعرف الآن بالمغرب العربي، كما نبغ كثيرٌ من العلماء والشعراء والخطباء والأدباء والمفكرين والأطباء والمؤرخين والفنانين، وظهر التنافس بين الأفراد بوجه عام، وازداد تنافسهم على الشهرة بوجه خاص، وازداد تكالبهم على المناصب العليا، ونتج عن ذلك انحلال ثقافي، نشأ من جراء الانفتاح على ثقافات شعوب أخرى، وماذا عساه أن يحدث في ذهن اليوناني عندما يجد أن شعوبًا أخرى تعبد آلهة أخرى غير آلهة البانثيون الروماني، ويتعصب مواطنوها لها ويصرون عليها، نفس تعصب اليوناني، ونفس إصرار اليوناني على عبادة آلهته، وهكذا الشأن في شتى مظاهر الحياة المتعددة.

اهتزت القيم وظهر التفكك الثقافي، متمثلاً في ظهور السوفسطائيين «Sophists» الذين كان أبرزهم بروتاجواس «Proragoras» (٤٨٠ – ٤١٠ق.م) وجورجياس «Gorgias» (٤٨٠ – ٣٧٥ ق.م) تظاهر السوفسطائيون بأنهم قادرون على تعليم الناس البيان والخطابة في بيئة تعاظمت فيها الحاجة إلى البيان والخطابة؛ لأن أبناء الأسر الغنية كانوا يتنافسون على الوظائف العامة، وكانت القدرة على الخطابة من مسوغات الحصول على تلك الوظائف القيادية، ووصل الأمر بأولئك السوفساطئيين أنهم ادعوا أنهم قادرون على إثبات صحة وجهة من النظر في قضية من القضايا وإثبات نقيضها بمجرد البراعة في الخطابة، ولمجرد اقتداءهم على الأخذ بتلابيب البيان، وكان السوفسطائيون يتقاضون أجورًا عالية في مقابل تعليم أبناء الأسر الغنية الخطابة والبيان.

وكان لا بد لهذه الموجة العاتية المدمرة لليقين وللقيم الثابتة النافعة، من أن تجد مَن يتصدى لإيقافها، وهو الأمر الذي أخذه مفكرون ممتازون على عاتقهم، كان أبرزهم سقراط Soucrates (٤٧٠ – ٣٩٩ ق.م) الذي كشف جهلهم بالحقائق، ومغالطاتهم وبعدهم عن الفضائل، وحرصهم على المنافع الشخصية الزائفة الزائلة، خدمة لمصالحهم، دون أن يهدفوا إلى خدمة أحد؛ وذلك لغياب المعايير الصحيحة، ولعدم اكتراثهم بالقيم السليمة النافعة للناس، الضرورية لانتظام حياتهم، ولتنكرهم للحقائق التي اعتبرها السوفسطائيون نسبية Relative، وليست ثابتة مطلقة الصواب Absolute، ولقد وصل الأمر إلى حد أن يسأل سقراط، يسأل أبقراط Hippocrates تلميذ بروتاجوراس نفسه في ختام المحاورة المعروفة باسم بروتاجوارس، يسأل سقراط أبقراط قائلاً له: ألا تشعر بالعار يا أبقراط، أن تظهر نفسك بين الشعب اليوناني كواحد من السوفسطائيين؟ فيرد أبقراط من تلقاء نفسه عن اقتناع قائلاً: إنني أخجل من ذلك حقًّا يا سقراط، بعد أن سمعتُ منك كل ما قلتَ!

قال صاحبي: هل كان ذلك هو الجو العام الذي ظهرت فيه محاورات سقراط مع السوفسطائين التي نقلها إلينا أفلاطون وغيره؟

قلتُ: نعم، كان ذلك هو الجو العام لظهور تلك المحاورات.

قال صاحبي: أيشبه ذلك الجو العام الذي كان سائدا أيام سقراط الجو العام الذي نعيشه اليوم، ونحن نشهد اهتمام الناس اهتمامًا هائلا بمناظرات العلامة الداعية الإسلامي الكبير أحمد ديدات مع مشاهير علماء الدين المسيحي؟

قلتُ: بالضبط يا صاحبي، كان العالم المسيحي يعيش منطويًا على مسيحيته في الغرب، مغرورًا بالتقدم المادي الذي أحرزه، وكان العالم الإسلامي يعيش محتضنًا إسلامه قانعًا بحياته، رغم ما يعتريها من تخلف حضاري طوال القرون العشرة الماضية، ولكن تقدم وسائل المواصلات مزجت الناس من الشرق والغرب مزجًا شديدًا من خلال الحملات الاستعمارية الغربية، ومن خلال الطائرات والبواخر والسيارات والسكك الحديدية، ومن خلال الصحف والمجلات والكتب، ومن خلال الإذاعة والتلفاز وأشرطة الكاسيت وأشرطة الفيديو.

إن سهولة الانتقال في العصر الحديث جعلت أحد أصحاب الملايين من الأمريكيين ينتقل بملايينه إلى جمهورية جنوب إفريقيا، ليقيم بها معهدًا لتخريج المبشرين بالدين المسيحي، ومطبعة للكتب ومكتبة لبيع الكتب، كمشروع متكامل؛ وشاءت المقادير أن يعمل به فور إنشائه صبي مسلم من أصل هندي، هو الذي شبَّ ليصبح رجلاً اسمه أحمد ديدات، وكان في صباه يبيع الكتب في ذلك المشروع الذي أقامه ذلك المليونير الأمريكي على نحو ما سنبين فيما بعد.

قال صاحبي: حقًا، إنني أفتح الراديو فأسمع محطة القرآن الكريم أحيانًا، وأسمع محطة مسيحية من لبنان أو غيرها أحيانا أخرى، وأجد كتبًا تدعو إلى المسيحية، وأجد كتبًا تدعو إلى الإسلام، وأسمع عن اتساع نطاق التبشير المسيحي في جميع أنحاء الكرة الأرضية بواسطة عشرات، بل مئات الألوف من المبشرين، كما أسمع عن وصول رسائل إلى بعض المسلمين في بيوتهم للتبشير بالمسيحية في بلاد إسلامية كمصر وغيرها، وأسمع عن تعرض كثير من الشباب الذي يسافر إلى أوروبا وأمريكا للتعلم أو للعمل لضغوط هائلة للتحول من الإسلام إلى المسيحية، ومن الطبيعي إذن أن يدافع المسلمون عن عقيدتهم وعن كيانهم؛ ولهذا السبب نجد أن المفكر الإسلامي الكبير الشيخ محمد الغزالى يتصدى في مقالات عديدة يتوالى صدورها في جريدة «الشعب» المصرية، وفي جريدة «المسلمون» يتصدى لهذه المحاولات الهجومية المسيحية، إلى حد أنه قد كرَّس واحدًا من أهم كتبه بعنوان: «صيحة تحذير من دعاة التنصير» استهله بقوله: إنه كان يؤثر الصمت حتى يميل صبره.

قلتُ: هو ذاك يا صاحبي، بَيْدَ أن الداعية الإسلامي العظيم الشيخ محمد الغزالى يجيد العربية وحدها فيما يبدو، وسيادته إذ يكتب ويحاضر ويحاور مستخدما اللغة العربية، فإن سيادته -جزاه الله خيرا، وأطال عمره، ومتعه بالصحة والعافية- يخاطب المسلمين الذين يتكلمون العربية، وهم السواد الأعظم من المسلمين؛ ولقد شاءت إرادة الله، أن يظهر من جنوب إفريقيا، حيث الديانة السائدة هي المسيحية، وحيث اللغة السائدة هي اللغة الإنجليزية، رجل اسمه أحمد ديدات، ليدافع عن

الإسلام وقرآنه وعقيدته، مستخدما اللغة الإنجليزية بمنهج في الدعوة جديد، وأسلوب في الحوار فريد، نعم يا صاحبي، لا بد للحوار من وجود جو عام يدعو للحوار ويسمح به، وهذا -يا صاحبي- هو الشرط الأول من شروط الحوار.

حوار سقراطي

قال صاحبي: ماذا عن محاورة البيان التي جرت بين جورجياس وسقراط؟ ومن هم أهم أشخاص تلك المحاورة؟

قلتُ: أشخاص هذه المحاورة الشهيرة هم سقراط Socrates وجورجياس Gorgias وشيريفون Cherephon صديق سقراط وتلميذه، وبولس Polus تلميذ جورجياس، وكاليكليس Calliclis صاحب المنزل الذي جرت به المحاورة، وكان مواطنًا من أثرياء أثينا.

قال صاحبي: كيف جرت تلك المحاورة، وكيف نستخلص منها قواعد وشروط الحوار الجيد؟

قلتُ: إليك يا صديقي وقائع محاورة جورجياس الشهيرة في خطوطها العامة، -وسأضع ما يمكن استنباطه من شروط الحوار الجيد بين قوسين- يصل سقراط إلى منزل كاليكليس متأخرًا، ويخفُّ كاليكليس، صاحب البيت إلى لقائه قائلاً: كنتَ تقول: إنك تريد أن تستمع إلى عظمة بيان جورجياس معلم البيان والخطابة يا سقراط، ولكنك تصل بعد المعركة كما يقولون يا سقراط!

سقراط: هل تأخرنا كثيرًا عن الاحتفال بالنصر كما يقولون يا كاليكليس، أو ليس لنا في حلاوة النصر نصيب؟

كاليكليس: يؤسفني يا سقراط أن حلاوة النصر يستمتع بها من بادر إلى المعركة وشارك فيها، وأسهم في تحقيق النصر، لقد فاتك يا سقراط الكثير من البهجة والظرف، اللذين أشاعهما بيننا أستاذ الخطابة ومعلم البيان جورجياس؛ إذ كان يشنف أسماعنا منذ قليل بدور البيان، يزجيها إلينا بصوت قوي رنان.

سقراط: إن شيريفون الموجود معي الآن هو المسئول عن هذا التأخير يا كاليكليس؛ لأنه كان يرغمني على الوقوف في الطريق، إذ كان يدأب على الوقوف

ليحاور الناس، وكان يجرني إلى التدخل في الحوار، إذ كان الناس يستنجدون بي لحسم الخلاف.

كاليكليس: على كل حال تفضلا، لا يسعني شيء سوى الترحيب بكما، وسيبسط لكما جورجياس الموضوع الذي كنا نتكلم فيه.

سقراط: شكرًا يا كاليكليس، ولكن أتراه يقبل التحدث معنا، إنني أريد أن أعرف منه خواص الفن الذي يمتهنه ويعلمه للناس لنعرف حقيقته؛ إذ أنني لا أكتفي كما تعرف بأن أقف مبهورًا، مسلوب اللب أمام ظواهره، مشدوهًا بفن الإلقاء، ومحسنات وزخارف الأقوال مع التلاعب المخل بالألفاظ، وهو ما لا آبه له ولا أحفل به.

[وهكذا، يتضح شرط ثان للحوار الجيد، وهو ضرورة رغبة طرفي الحوار في إجرائه لرغبة كل من الطرفين في الانتصار لوجهة نظره، كما يتضح شرط ثالث للحوار الجيد، هو الإخلاص في معرفة الحقيقة وطلبها، كما أصر على ذلك سقراط عندما أعلن رغبته في معرفة حقيقة فن البيان، الذي يزعم بروتاجوراس أنه يجيده ويتقنه].

ويسأل شيريفون تلميذ سقراط قائلاً: أخبرنا إذن يا جورجياس، أصحيح ما يقوله كاليكليس من أنك مستعد للإجابة على كل الأسئلة التي يقدمها لك الإنسان؟

جورجياس: نعم يا شيريفون، إن هذا هو نفس ما أعلنتُ عنه هنا قبل حضورك أنت وأستاذك سقراط، وأضيف إليه الآن أنني لم أتلق سؤالاً من أي إنسان حتى الآن يمكن لي أن أعتبره جديدًا ولا أعرف إجابته، وإجاباتي بالغة السهولة والسرعة، وتستطيع أن تجرب.

[وسيتضح فيما بعد أن جورجياس كان واهمًا في تصوره هذا، وأنه إنما كان يغلف جهله بالتظاهر بالمعرفة، معرفة كل شيء، ومنه يتضح الشرط الرابع للحوار الجيد، وهو التواضع].

ويتدخل بولس تلميذ جورجياس في الحوار قائلاً: سلني أنا ما شئت من الأسئلة يا شيرفون؛ لأنه يبدو لي أن أستاذي جورجياس متعب من كثرة الأسئلة

التي سبق أن أجاب عنها قبل مجيئك يا شيريفون بصحبة أستاذك سقراط، لقد تحدث أستاذي جورجياس في أشياء كثيرة.

شيريفون: ما هذا يا بولس؟ هل تدعي أنك تستطيع أن تجيب إجابات أحسن وأفضل من أستاذك جورجياس؟

بولس: ماذا يهمك إذا كنتُ سأجيبك إجابة تقنعك وتكفيك؟ سل ما تريد من أسئلة.

[ومنه يتضح الشرط الخامس للحوار الجيد، وهو ألا يكون الحكم بصحة الإجابة لَمن حاول الإجابة، فالمحاولة شيء ونجاح المحاولة شيء آخر، وسيتضح من المحاورة أن سقراط الذي كان يسأل، كان أكثر توفيقًا من جورجياس الذي كان يحاول الإجابة].

شيريفون: هل أستاذك جورجياس ماهر في نفس فن أخيه هيروديكوس Herodicos مما يجيز لنا أن نعتبره طبيبًا كأخيه -كان هيروديكوس شقيق جورجياس طبيبًا-؟

بولس: إن أستاذي جورجياس هو أحسن مَن يتكلم في الطب.

شيريفون: هل يشتغل أستاذك جورجياس أيضًا بذلك الفن الذي يشتغل به إيستوفون(١) بن جلاوفون؟

بولس: تقصد فن التصوير؟ إن أستاذي جورجياس هو أبرع مَن يتكلم في فن التصوير أيضًا.

شيريفون: في أي فن على وجه التحديد بلغ علم جورجياس أعلى مدى، حتى نطلب منه أن يحدثنا في هذا الفن.

[ومنه يتضح المبدأ السادس للحوار الجيد وهو تحديد الموضوع، ومن السهل أن نلاحظ أن كل تلميذ ينسج على منوال أستاذه، يتظاهر شيريفون تلميذ جورجياس

---

(١) كان إيستوفون بن جلاوفون يحترف فن التصوير، والغرض من أسئلة شريفون المتتالية هو تحديد مزاعم الطرف الآخر في المحاورة، ليجعله يُقِرُّ أن السوفسطائي يدعي العلم بكل شيء، ثم العمل على هدم هذا الزعم الخاطئ كما لا يخفى.

السوفسطائي أنه قادر على إجابة أي سؤال، وفي ذلك يتمثل ادعاء المعرفة، ويزعم أن أستاذه يجيب عن أي سؤال في أي فن، مما يعني أن أستاذه يحذق كل العلوم والفنون؛ بينما يحرص شيريفون تلميذ سقراط على تحديد موضوع المحاورة إلى أبعد حد ممكن، ونعود إلى سياق محاورة جورجياس].

بولس: للناس فنون كثيرة يا شيريفون، والإنسان مدين في كشفها للتجربة؛ لأن التجارب هي التي تجعل حياتنا متمشية مع قواعد الفن، بينما عدم التجارب يجعل حياتنا تسير مع الصدفة العمياء، والناس يختلفون فيما بينهم، بعضهم ينهمك في هذا الفن، وبعضهم ينهمك في فن آخر، ولكن أفضل الفنون جميعًا هو فن أستاذي جورجياس.

[المبدأ السابع من مبادئ الحوار الجيد، هو القدرة على كشف الصواب من الخطأ فيما يقوله الآخرون، صحيح أن التجربة مصدر من مصادر المعرفة، ولكن أي تجربة؟ يقصد بولس بالتجربة، التجربة الشخصية الذاتية التي يعبر عنها السوفسطائيون بقولهم: إن الأشياء بالنسبة لي كما تبدو لي، وهي بالنسبة لك كما تبدو لك، ويلزم التفرقة بين التجربة في مجال العلوم الطبيعية، والتجربة في مجال الفنون والعلوم الإنسانية، قد يكون بعض ما يقوله طرف من أطراف الحوار صحيحًا، وبعضه خطأ قد تكون مقدمات كثيرة صحيحة، وبينها مقدمة واحدة خاطئة، والقدرة على التمييز بين الصواب والخطأ يلزم أن تكون متوفرة لدى طرفي الحوار، وإلا جاز أن يفضي الحوار إلى نتائج خاطئة، ويتصل بالمبدأ السابع مبدأ ثامن من مبادئ الحوار الجيد، وهو القدرة على تحديد معنى الألفاظ ذات الأهمية في الحوار، مثل المعنى المقصود بالتجربة فيما قاله بولس، وسنجد أن العلامة أحمد ديدات -مثلاً- يطلب من كثير من علماء المسيحية أن يحددوا معنى قولهم عن يسوع إنه الابن الوحيد المولود لله، مولود وليس مخلوقًا. «Begolten Not Made» وسنجد أنهم يصرون على أن الأبوة غير الأبوة التي يعرفها البشر ويتعارفون على معناها، وأن البنوة غير البنوة التي يعرفها البشر ويتعارفون على معناها، وعندما يسألون عن المعنى الذي يقصدونه لا يجدون جوابًا] وهنا يتدخل سقراط في الحوار.

سقراط: يبدو لي أن جورجياس قد برع على وجه الخصوص في فن الخطابة، فصار علمًا من أعلامه، أليس كذلك يا جورجياس؟ بأي الفنون على وجه التحديد تشتغل يا جورجياس؟

جورجياس: أنا أشتغل بفن البيان يا سقراط.

سقراط: إذن، لنا الحق في أن نعتبرك معلمًا لفن البيان؟

جورجياس: نعم، وأنا من المعلمين المقتدرين المجيدين يا سقراط، أنا أعظم معلم للبيان لو شئت أن تسميني بما أفخر به على حد تعبير هوميروس.

سقراط: هل يمكن أن تستمر معنا في الحوار بحيث نسأل أسئلة قصيرة موجزة، وتتفضل سيادتك بالإجابة عنها إجابات قصيرة موجزة كما فعلنا حتى الآن، ضاربا صفحا عن الخطب الطويلة التي لا نحتاج إليها في حوارنا يا جورجياس؟

جورجياس: هنالك يا سقراط إجابات عن بعض الأسئلة تحتاج إلى سعة وبسط بالضرورة، ولكنني سأحاول مع ذلك أن أجيب أسئلتك بكل اختصار؛ لأن من الأشياء التي تعجبني في نفسي، أنني لم أصادف معلمًا من معلمي البيان يستطيع أن يجيب الأسئلة بأوجز مما أفعل أنا، أنا أقدر الناس على البسط والاستفاضة في الكلام، وأنا أقدر الناس على الإيجاز يا سقراط.

سقراط: الإيجاز في الإجابة هو ما يجب أن نلتزم به في حوارنا هنا يا جورجياس، أرنا ما تدعيه من قدرة ممتازة على الاختصار في القول، والإيجاز في الرد الذي تزعم أنك أبرع الناس فيه، ولنترك الأقوال المطولة إلى فرصة أخرى.

جورجياس: سأبهرك يا سقراط في هذا المجال الذي تطلبه مني، وسترى أنك لم تسمع من قبل شخصًا مثلي، يشرح مسألة بأوجز من شرحي أنا لأي مسألة تطرح بين يدي.

سقراط: ما موضوع فن البيان يا جورجياس؟

جورجياس: موضوعه الخطب والأحاديث دون ريب يا سقراط.

سقراط: أية خطب يا جورجياس؟! هل هي خطب وكلام في أي موضوع؟ هل تكون أستاذًا للبيان حين تشرح للمرضى نظام الغذاء الذي يجب أن يتبعه المريض حتى يتم له الشفاء؟

[يتضح لنا أكثر وأكثر ما سبق أن أشرنا إليه من ضرورة، تحديد موضوع الحوار أولاً، وتحديد معنى الألفاظ ذات الأهمية المستخدمة في الحوار ثانيًا، وتتضح ثالثًا طريقة سقراط الفذة المبتكرة في الاستدراج والتوليد، وهو التعبير الذي نفضله عن تعبير التهكم والتوليد؛ إذ نرجح أن سقراط لم يكن يهدف إلى السخرية من أحد، بل كان يهدف إلى جره إلى الحقائق لينطق بها بنفسه].

جورجياس: كلا، ليس الكلام الموضح لنظام الغذاء الذي يجب أن يتبعه المريض خطابة يا سقراط.

سقراط: ليس البيان وليست الخطابة، إذن كلامًا في أي موضوع يتحدث فيه الناس يا جورجياس؟

جورحياس: من غير شك يا سقراط.

سقراط: هل يحتاج فن الحفر كلامًا يا جورجياس؟

جورجياس: كلا.

سقراط: هل يحتاج فن التصوير كلامًا يا جورجياس؟

جورجياس: كلا.

سقراط: هل يحتاج كل من الحساب أو الإحصاء أو الهندسة كلامًا أو إلقاء خطب يا جورجياس؟

جورجياس: كلا.

سقراط: ما هو الموضوع الذي يتصل به ذلك الكلام الذي يستخدم في فن الخطابة والبيان يا جورجياس؟ هل يتصل بالطب؟ إنك لو زعمت لي أن بيانك أو فنك الخطابي يتصل بالطب، فإن أحد الأطباء يمكن أن يقول لي: احذر يا سقراط. إن جورجياس لا يعرف شيئًا في الطب، وهو سيؤذيك لو أطعتَ كلامه، ولو أنني لم أكن أعرف مهنة ذلك الشخص وسألته عن مهنته، فسوف يقول لى: إنه طبيب. ولن يجحد أحد فضله ما دامت صحة البدن هي الغاية المنشودة المرجوة.

جورجياس: إنني أقول: إن البيان يا سقراط هو أن يكون المرء قادرًا أن يقنع القضاة في المحاكم، والشيوخ في مجلس الشيوخ، والجماهير المحتشدة في أماكن

التجمهر لمناسبة من المناسبات بما يراه ويريده لكي يقتنعوا به، وبهذه القدرة على إقناع الآخرين، يترامى الطبيب، ومدرس الألعاب الرياضية، وصاحب أي مهنة أخرى تحت قدميك يا سقراط، إذا كنتَ تتقن فن البيان أو فن الخطابة لتسيطر على روح الجماعة.

سقراط: يلوح لي يا جورجياس أنك تقصد أن فن البيان هو القدرة على الإقناع.

جورجياس: بالضبط يا سقراط.

سقراط: أنت تعرف يا جورجياس أن زيوكسيس Zeuxis قد برع في تصوير الحيوانات ورسمها بطريقة مقنعة للناس، تدل على براعته في الرسم والتصوير، بحيث لا يختلف الناس بهذا الشأن، والأوضح من ذلك أن معلم الحساب عندما يقوم بحل مسألة حسابية بطريقة صحيحة، يحدث الإقناع والاقتناع بصحة حل المسألة، ونخلص من هذا إلى أن فن البيان لا ينفرد وحده بما أسميته الإقناع.

جورجياس: يا سقراط، أنا أقصد بالإقناع، ذلك الاقناع الذي نجده في المحاكم متصلاً بالعدل والظلم، وما شابه ذلك مما يعرض في حياة الناس، عندما ينظر الناس إلى قضايا تتعدد فيها وجهات النظر.

سقراط: أنت تقر يا جورجياس بوجود ما يسمى المعرفة عند الناس؟

جورجياس: نعم، إن لدى الناس معرفة، ومعارف الناس متعددة.

سقراط: وبما أن البيان يجعل الناس يعتقدون عقائد معينة يدفعهم الخطيب المقتدر دفعًا إليها، نجد لدى الناس ما يمكن أن نسميه عقيدة؟

جورجياس: نعم، لا شك في أن لدى الناس ما يمكن أن نسميه عقيدة.

سقراط: هل المعرفة والعقيدة شيء واحد يا جورجياس، أم هما شيئان مختلفان؟

جورجياس: هما شيئان مختلفان دون ريب.

سقراط: هل يسعى الخطيب في المحاكم ويهدف إلى حمل الناس على الاعتقاد، أم أنه يسعى ويهدف إلى توفير المعرفة للناس؟

جورجياس: هدف الخطيب في المحاكم هو حمل الناس على الاعتقاد.

سقراط: عندما يكون أهل المدينة بحاجة إلى أطباء وبناة سفن، هل تكون المدينة بحاجة إلى خطباء ومعلمي بيان مثلك يا جورجياس؟

[وعلى الرغم من وضوح القضية إلا أن جورجياس السوفسطائي سيحاول المكابرة والعناد إلى أبعد حد ممكن].

جورجياس: إن مصانع الأسلحة بأثينا وأسوارها وموانئها إنما أنشئت كلها برأي تيموستوكل من جهة، وبرأي بركليس أخطب الخطباء في أثينا من جهة أخرى، دون أن يؤخذ بشأن هذه الإنشاءات الكبرى رأي واحد من الصناع، إن الخطباء المتمكنون من فن البيان يا سقراط هم الذين ينصحون ويعلو رأيهم، ولقد عجز أخي وهو طبيب أن يقنع مريضًا بتناول الدواء، وأقنعته أنا بقدرتي على البيان.

[هنا مغالطة واضحة؛ إذ أن جورجياس لا يفرق بين تشخيص الداء ووصف الدواء، وهو عمل الطبيب، وبين تناول المريض للدواء الذي يمكن أن يتدخل فيه أي شخص غير الطبيب، وهي المغالطة المعروفة بمغالطة انفكاك الجهة، إن جورجياس يريد أن يوهم بأن أثر الخطيب أبلغ في شفاء المريض من أثر الطبيب].

ويستمر جورجياس في مغالطته ليقول: ولو دخل طبيب وخطيب إلى إحدى المدن، لن ينتبه أحد إلى الطبيب، أما الخطيب فإنه سيجذب اهتمام الجميع، وأحب أن أوضح ها هنا أن معلم الخطابة لا ذنب له لو أساء أحد الخطباء استخدام موهبة الخطابة التي تعلمها على يديه في التغرير بالناس وتضليلهم، كما أن معلم التربية الرياضية الذي يهدف إلى تقوية الأجسام لا لوم عليه لو عمد أحد تلاميذه إلى ضرب أبويه.

سقراط: أظن أنك قد اشتركت مثلي يا جورجياس في مناقشات كثيرة، وأظن أنك قد لاحظتَ فيها شيئًا، فهو أن الناس عندما يشرعون في المناقشة، يجدون مشقة كبيرة في تحديد أفكارهم وتحديد موضوع المناقشة، وإذا نشأ بين طرفي الحوار شيء من الخلاف والتناقض والتباين في وجهات النظر، نجد أنهم في العادة يغضبون، ويظنون أن المعارضة وعدم الاتفاق في وجهة النظر سببهما يرجع إلى عوامل

الخصومة والبغضاء والعداوة والحسد؛ ولذلك ينتهي الأمر ببعضهم إلى تبادل الشتائم المقذعة ثم يفترقون، ومع كُلٍّ أتباعه وشيعته وأنصاره، وهم يأسفون لاشتراكهم في ذلك الحوار وتلك المناقشة.

[يتضح المبدأ الثامن من مبادئ الحوار الجيد، وهو من أ هم المبادئ اللازمة لجودة الحوار وجدواه، ألا وهو وجوب أن تسود الروح الودية بين طرفي الحوار].

ويستطرد سقراط ليقول: هل تدري يا جورجياس لم أخبرك بذلك؟ إنني إنما أخبرك بذلك؛ لأنه يبدو لي أنك لا تتكلم الآن بطريقة مجدية تتفق مع ما سبق أن قررته بنفسك عن البيان. [يبدو أن سقراط قد اكتشف ما سبق أن ألمحنا إليه من مغالطات جورجياس، التي حاول تمريرها في المقطع السابق من أقواله].

ثم يستطرد سقراط قائلا: أرجو يا عزيزي جورجياس، ألا يتبادر إلى ذهنك إطلاقا أنني إذ أناقضك وأخالفك الرأي بصدد أي شأن، فأنا أناقضك وأخالفك الرأي؛ لأنني عدو لك أريد أن أنهض في وجهك لزعزعة مكانتك المرموقة بين الناس؛ ولكنني أحب أن نتأكد أنني أناقضك وأخالفك إذا لزم الأمر لنصل سويًا إلى الحقائق المتصلة بالموضوع الذي نتناقش فيه.

[وهنا يتضح المبدأ التاسع من مبادئ الحوار الجيد، وهو ضرورة التزام طرفي الحوار بالحقيقة، ومحبة الوصول إليها، والإقرار بها دون عداوة أو مكابرة، من الضروري أن يكون كل من طرفي الحوار محبًا للحق، باحثًا عنه، غير مكابر أو معاند في التسليم به].

ويستطرد سقراط قائلاً: إنني أعتبر المناقضة والمعارضة لآرائي يا جورجياس خيرًا عظيمًا؛ لأن مَن يناقضني ويخالفني الرأي ربما كشف لي حقيقة لم أكن أعرفها، وربما تمكنتُ أنا من الكشف له عن حقيقة لم يكن يعرفها، وأنا أسعد وأعترف بحقه في إزجاء الحقيقة إليَّ لو كان يعرفها بأكثر مما أسعد عندما يعترف بأنني قد أوصلته إلى إدراك حقيقة من الحقائق.

من الضروري يا جورجياس أن نُخَلِّصَ أنفسنا قبل المناقشة والحوار من أسوأ الشرور التي تدمر جدوى المناقشة، والحوار متمثلاً في الروح غير الودية، الراغبة عن

إدراك الحق والتسليم به أثناء الحوار، إنني لم أعرف حتى الآن وِزْرًا يفوق وِزْرَ أن تكون لدينا أفكار خاطئة، نعرف أنها خاطئة في موضوع مناقشتنا، ونستمر في المناقشة والجدل والمغالطة مع معرفتنا بخطأ وجهة نظرنا، إنني أقول ذلك بوجه عام، لا بخصوص حوارنا الجاري بيننا الآن يا جورجياس، وإذا كان حقا ما تدَّعيه من أنك مثلي تحب الحقيقة، وترضخ لها فور ظهورها ووضوحها، فلنعد إلى المناقشة، وإذا كنت ترى أننا يجب أن نتركها حيث وقفنا، فليكن ما تريد، ولننه ما بيننا من حوار.

وقلتُ لصاحبي: ولسنا بحاجة يا صاحبي إلى مزيد من الاستطراد لسرد بقية تفاصيل محاورة جورجياس، ويتضح منها على كل حال، أن جورجياس لم يكن إلا دعي معرفة، حسبنا يا صاحبي هذا القدر من محاورة جورجياس، لنستخلص منه شروط ومقومات ومبادئ الحوار الجيد، ونرجو أن يكون الجزء الذي عرضناه منها قد أوفى بالمراد منه، لنقف على شروط جودة الحوار.

الحياة حوار

قال صاحبي: لقد اتضحت شروط ومبادئ الحوار الجيد فعلاً، ولكن أراك تولي الحوار اهتمامًا كبيرًا، فما هو سر ذلك الاهتمام؟

قلتُ: لستُ أنا وحدي الذي أعير الحوار كبير اهتمام، ولقد رأيتَ بنفسك كيف كان سقراط في تصديه لإفساد السوفسطائيين، يعتمد على الحوار وصولاً إلى الحقيقة، ودحضًا للباطل، وإنقاذًا للقيم الصحيحة، ولست أبالغ عندما أقول: إن الحياة حوار، حوار بين الحق والباطل، وفي ذلك يقول الحق سبحانه وتعالي: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨] وعلى الرغم من أن مشيئة الله نافذة، ويقول ﷻ للشيء: ﴿كن فيكون﴾ نجد أن الله ﷻ قد صور مشيئة عندما اقتضت مشيئته ﷻ بدء حياة البشر على الأرض بقوله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾

قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة: ٣٠ -٣٩]

حوار اقتضته مشيئة الله لنفاذ مشيئة الله، أطلعنا عليه الله ﷻ في القرآن الكريم؛ ليطلعنا من خلال الذكر الحكيم على أصل العالم وبداية حياة بني آدم على الأرض، وكيف أتاح الله المعرفة وحرية الاختيار لآدم؟ ومن ثم أتاح ﷻ المعرفة وحرية الاختيار لبني آدم، ليختاروا بين الكفر والإيمان، أو بين الطاعة والعصيان؛ لأنه ﷻ اقتضت مشيئته أن يعبده وأن يؤمن به من يشاء أن يؤمن طواعية واختيارًا، وليس قهرًا وإجبارًا؛ ليصح الثواب لمَن آمن واهتدى واتقى وأطاع، وليحق العذاب على مَن كفر وضل وفسق، وليتحقق عدل الله وتتضح حكمته، إنه ﷻ هو العزيز الحكيم.

حوار الرسل والأنبياء

ولم تخل حياة الأنبياء والرسل من الحوار مع منكري النبوات والرسالات لهداية الناس منذ بدء الخليقة حتى ظهور الإسلام على يد خاتم الأنبياء والمرسلين، النبي العربي الأمين، محمد بن عبد الله ﷺ، ووقائع الحوار بين الأنبياء والمرسلين وبين الكفار والمشركين كثيرة كثيرة، تضمنتها آيات الذكر الحكيم بالقرآن الكريم، نقدم بعض نماذج منها كما ذكرها المفسرون، ولا بأس أن نشفع الحوار كما رواه مفسرو القرآن الكريم بآيات الذكر الحكيم التي تضمنت ذلك الحوار.

ومن أجمل صور الحوار الذي شارك فيه الأنبياء والمرسلون، ذلك الحوار بين أبي الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام وبين ذلك الذي يشير إليه القرآن الكريم بقوله: ﴿ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ [البقرة: ٢٥٨] ويقول المفسرون: إن ذلك الذي حاجَّ إبراهيم في ربه هو ملك كان يحكم بلاد بابل، وهي تعرف اليوم باعتبار أنها العراق، ويجمع المفسرون على أن اسم ذلك الملك هو «النمرود».

قال الملك: أنا الملك، لقد أوتيت الملك في هذه المملكة الواسعة، وعندي الجيوش، ولي سلطان لا ينازع على الناس، وأنا الذي أقرر للناس الأصنام التي يعبدونها، كيف تنادي بإله واحد غير الآلهة التي أمرت الناس بعبادتها يا إبراهيم؟ وماذا يستطيع الإله الواحد الذي تدعو الناس إلى عبادته أن يفعل ولا تستطيع آلهتنا وآلهة آبائنا أن تفعله[1] يا إبراهيم؟

قال سيدنا إبراهيم: ربي الذي يحيي ويميت.

قال النمرود: أنا أحيي وأميت.

قال سيدنا إبراهيم: كيف؟

قال النمرود: أجئ برجلين وأطلق سراح أحدهما وأقتل الآخر، فأكون قد أحييتُ الأول وأمتُ الثاني.

وعلى الرغم مما في كلام النمرود من مغالطة ظاهرة، تتمثل بوجه خاص في أن إطلاق سراح الرجل الأول ليس بداية بث الحياة في جسده، كما أن إطلاق سراح رجل واحد لا يضاهي ولا يماثل بأي حال بث الحياة في كل البشر، وكل الحيوان وكل النبات، في كل مكان، وكل زمان، إلا أن المغالطة قد لا تكون واضحة أمام جمهور الحاضرين، ولا يعقل أن مثل هذا الحوار لم يشهده جمهور من علية القوم آنذاك، وربما ظن بعض الحاضرين أن النمرود يحيي ويميت كما يدعي، وعاجله أبو الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام بالحُجَّة الدامغة التي لم يستطع النمرود أن يحير إزاءها جوابًا.

---

(١) نستدل من الحوار القرآني ما يمكن أن يكون قد أوجز. مثلاً: من رد سيدنا إبراهيم: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ نستطيع أن نستدل أن الملك كان قد سأله: ماذا يستطيع ربك أن يفعل يا إبراهيم؟

قال سيدنا إبراهيم: إذا كنتَ يا جلالة الملك تستطيع أن تطلق سراح الرجل الأول وتقتل الثاني، وتزعم أنك تستطيع أن تحيي وأن تميت، فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأتِ بها من المغرب.

حوار أجمله لنا القرآن الكريم أجمل إجمال في قول الحق ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: ٢٥٨]

لقد أجمل الله ﷻ هذا الحوار الفذ في آية كريمة واحدة من آيات القرآن الكريم الخالدة، وهو حوار لم يرد له مثيل في كتاب سماوي سابق على القرآن الكريم، وهو حوار حافل بالمكابرة والسفسطة والمغالطة من جانب ذلك الملك الذي لم يحفل القرآن الكريم بذكر اسمه إهمالاً لشأنه، ولتكون دلالة الآية عامة شاملة لكل مكابر معاند مغالط ممار في قدرة الله على الخلق، مشرك لغير الله في قدرة الله الواحد الأحد ﷻ عما يشركون؛ وهو حوار حافل بقوة حُجة الحق لتدحض سفسطة الباطل وليبهت الذي كفر، وهو حوار أطلع الله ﷻ خاتم الأنبياء والمرسلين، وأطلع المسلمين جميعًا عليه إلى يوم الدين، ولم يكن خاتم الأنبياء والمرسلين، ولم يكن أحد المسلمين من شهود الحوار بين أبي الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام وبين ذلك الملك الذي غرَّه أن أتاه الله الملك، فكفر بأنعم الله بدل أن يشكر، وظن ظن سوء أنه كان يستطيع أن يحاور سيدنا إبراهيم في دينه الحنيف، الذي دعا قومه إليه كما دعاهم إلى نبذ الأصنام التي كانوا يعبدونها بتشجيع ملكهم ذاك ورضاه، فأفحم الله الملك على لسان سيدنا إبراهيم بتحد لم يحر إزاءه جوابًا، هل يستطيع أحد من البشر أن يأتي بالشمس من المغرب، والله يأتي بها بقدرته ﷻ صباح كل يوم من المشرق؟

وعلى الرغم من أن خاتم المرسلين ﷺ لم يشهد مشاهدة عيان ذلك الحوار الفذ المفعم بالدلالات، فقد أطلعه الله ﷻ، وأطلع الناس جميعًا على المعاني الخالدة لذلك الحوار، الذي استهل الله الآية القرآنية التي تضمنته بقوله: ﴿ألم تر﴾ ومعناها: لقد رأيت يا محمد، كيف رآها محمد؟ أراه الله إياها إذ أنبأه الله ﷻ، وأنبأ الخلق

جميعًا بفحواها عندما أزجاها في آية من آيات القرآن الكريم، معجزة ضمن معجزات تشهد بقدرة الله، وبأن القرآن الكريم إذ خلد كل المعجزات بين دفتيه، هو دون ريب معجزة المعجزات.

قال صاحبي: حوار وأيم الحق رائع معجز، لقد كنت يا صاحبي تعرض بين أيدينا صورًا من الحوار، لم يرق واحد منها إلى مستوى عظمة هذا الحوار، أين الحوار الموجود في محاورة بروتاجوراس مثلاً -رغم شهرتها- من هذا الحوار الذي اقتضته إرادة الله، لتتضح لكل ذي بصيرة مدركة قدرة الله وحده على الخلق، خلق الإنسان والكون الذي يعيش فيه الإنسان وسائر الكائنات، أين الحوار الموجود في محاورة بروتاجوراس من هذا الحوار الذي اقتضته مشيئة الله بين سيدنا إبراهيم عليه السلام وبين ذلك الملك الذي أتاه الله الملك فحاجَّ إبراهيم في ربه؟!

قلتُ: لا وجه للمقارنة يا صاحبي بين كلام البشر وكلام الله تعالى، كلام الله معجز، ولا وجه للمقارنة يا صاحبي بين حوار أجراه البشر فيما بينهم وفق مشيئتهم في شأن من شئون حياتهم، وبين حوار اقتضته مشيئة الله، وارتضاه الله وأعلنه للناس في القرآن الكريم ليهدي الناس سبيل الرشاد، ولننتقل يا صاحبي إلى صورة أخرى من صور الحوار الذي اقتضته مشيئة الله، وكان أحد أطرافه رسول الله ﷺ.

حوار مع خاتم الأنبياء ﷺ

قال صاحبي: إنني جد مشوق إلى مثل هذا الحوار.

قلتُ: أنت تعرف يا صاحبي أن ظهور دعوة الإسلام على يدي محمد ﷺ، خاتم الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام كان حدثًا ضخمًا، في مكة أولاً، وفي يثرب التي أصبحت المدينة المنورة بهجرة الرسول إليها مع أتباعه من المسلمين ثانيًا، وفي جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية ثالثًا. ولم تلبث أصداء دعوة التوحيد الإسلامي أن ترامت أصداؤها شرقًا حيث الفرس المجوس عبدة النار، وشمالاً وشمال غرب وجنوبًا حيث كان الرومان والخاضعون لنفوذ الرومان في الحبشة واليمن وشمال إفريقيا قد انحرفوا بدعوة المسيح إلى عبادة المسيح ضمن تثليث ثلاثي الأقانيم

ابتدعوه، ولم تكن أصداء دعوة التوحيد الإسلامي التي تدافعت في هذين الاتجاهين أصداء ضعيفة أو خافتة أو متقطعة، ولكنها كانت أصداء قوية صاخبة مستمرة الإيقاع، كانت رسالة مكتوبة أملاها خاتم الأنبياء المرسلين عليه الصلاة والسلام قد وصلت إلى كسرى أنوشروان، وكانت رسالة منه ﷺ مكتوبة أيضًا قد وصلت إلى إمبراطور الرومان، وكانت مناوشات عسكرية قد وقعت بين المسلمين وبين جنود هاتين القوتين في معارك مثل مؤتة وتبوك، ولم يكن لليهود في العالم المعمور دولة آنذاك، ولكن أعظم تجمعات اليهود شأنًا كان موجودًا على تخوم شبه الجزيرة العربية وبالمدينة المنورة ذاتها وفيما جاورها من تخوم، وكان اليهود قد استنفذوا مكرهم وحيلهم ودهاءهم ودساسهم وجدلهم لنبي الإسلام ﷺ، ولم يظفروا بطائل، وكان من الضروري أن تسبق معارك الفكر والحوار معارك السيف والقتال.

كلف إمبراطور الرومان كبير أحبار النصارى في نجران أن يتوجه على رأس وفد من أعلم علماء القساوسة والرهبان للقاء محمد ﷺ سيما وأنهم يجيدون العربية لمحاولة التغلب على هذا النبي العربي في حوار يقضي على دعوته، فلا يقر لها قرار لو قدر لكبير الأحبار من نصارى نجران أن ينتصر في مثل هذا الحوار.

ويروي لنا الأستاذ الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه «حياة محمد» قصة هذا الوفد النصراني، وقصة حواره مع النبي ﷺ فيقول: «في هذا الوقت الذي اشتد فيه الجدل بين محمد ﷺ واليهود، وفد على المدينة وفد من نصارى نجران عُدَّتهم ستون راكبًا؛ من بينهم من شرف فيهم ودرس كتبهم وحسن علمه في دينهم، فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ومولوه وأخدموه، وبنوا له الكنائس وبسطوا عليه الكرامات، ولعل هذا الوفد إنما جاء إلى مدينة النبي ﷺ حين علم بما بينه وبين اليهود من خلاف، طمعًا في أن يزيدوا هذا الخلاف شدة حتى يبلغ به العداوة، فيريح النصرانية المتاخمة في الشام وفي اليمن من دسائس اليهود وعدوان العرب.

واجتمعت الأديان الثلاثة الكتابية بمجيء هذا الوفد، وبجداله النبي ﷺ وبقيام ملحمة كلامية عنيفة بين اليهودية والمسيحية والإسلام، فأمَّا اليهود فكانوا ينكرون

رسالة عيسى ومحمد، إنكارًا فيه من العنت ما رأيت، ويزعمون أن عزيرًا ابن الله، وأما النصارى فكانوا يقولون بالتثليث وألوهية عيسى، وأما محمد ﷺ فكان يدعو إلى توحيد الله وإلى الوحدة الروحية تنتظم العالم من أزله إلى أبده، كان اليهود والنصارى يسألونه عما يؤمن به من الرسل، فيقول: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [البقرة: ١٣٦]

وكان ينكر عليهم أشد الإنكار كل ما يلقى أية شبهة على وحدة الله، ويذكر لهم أنهم حرَّفوا الكلم مما في كتبهم عن مواضعه، وأنهم يذهبون إلى غير ما ذهب إليه النبيون والرسل الذين يقرون لهم بالنبوة، وأن ما جاء به عيسى وموسى ومن سبقهم لا يختلف في شيء عما جاء هو به؛ لأن ما جاءوا به إنما هو الحقيقة الأزلية الخالدة التي تتكشف في جلال وضوحها وعظمة بساطتها، لكل مَنْ نَزَّه نفسه عن الخضوع لغير الله في عظمة وحدانيته، لينظر في الكون على أنه وحدة متصلة نظرة سامية فوق أهواء الساعة ومطامع العاجلة وشهوات المادة، مجردة من الخضوع الأعمى لأوهام العامة ولما وجد عليه آباءه وأجداده.

أي مؤتمر أعظم من هذا المؤتمر الذي شَهِدَتْ يثرب، تلتقي فيه الأديان الثلاثة التي تتجاذب حتى اليوم مصاير العالم، وتلتقي فيه لأسمى فكرة وأجل غاية! لم يكن مؤتمرًا اقتصاديًّا، ولا كان مرماه أي غرض من هذه الأغراض المادية التي ينطح عالمنا اليوم عبثًا صخرتها، وإنما كان مرماه غاية روحية تقف من ورائها في أمر النصرانية واليهودية مطامع السياسة ومآرب أرباب المال وذوي الملك والسلطان، ويقف فيه محمد ﷺ لغاية روحية إنسانية بحتة يملي عليه الله في سبيلها الصيغة التي يلقي بها إلى اليهود والنصارى وإلى الناس كافة، يقول لهم فيها ما أوحاه إليه ربه أن ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤﴾ [آل عمران: ٦٤]

ماذا يستطيع اليهود أو يستطيع النصارى أو يستطيع غيرهم أن يقولوا في هذه الدعوة، ألا يعبدوا إلا الله ولا يشركوا به شيئًا، ولا يتخذ بعضهم بعضًا أربابًا من

دون الله! فأما الروح المخلصة الصادقة، فأما النفس الإنسانية التي كرمت بالعقل والعاطفة، فلا تستطيع إلا أن تؤمن بهذا دون غيره، لكن في الحياة الإنسانية إلى الجانب النفساني جانبها المادي، فيها هذا الضعف الذي يجعلنا نقبل لغيرنا علينا سلطانًا بثمن نشتري به أنفسنا وأرواحنا وقلوبنا، فيها هذا الغرور القتَّال للكرامة وللعاطفة ولنور النفس العاقلة.

هذا الجانب المادي المصور في المال وفي الجاه وفي كاذب الألقاب والرتب، هو الذي جعل أبا حارثة أكثر نصارى نجران علمًا ومعرفة، يدلي إلى رفيق له باقتناعه بما يقول محمد ﷺ، فلما سأله رفيق: فما يمنعك منه وأنت تعلم هذا؟! كان جوابه: يمنعني ما صنع بنا هؤلاء القوم؛ شرفونا مولونا وأكرمونا، وقد أبوا إلا خلافه، فلو فعلتُ نزعوا مِنَّا كلَّ ما ترى.

دعا محمد ﷺ اليهود والنصارى إلى هذه الدعوة أو يلاعن النصارى؛ فأما اليهود فكان بينه وبينهم عهد الموادعة، إذ ذاك تشاور أعضاء وفد النصارى، ثم أعلنوا إليه ﷺ أنهم رأوا ألا يلاعنوه، وأن يتركوه على دينه، وأن يرجعوا على دينهم، ولكنهم رأوا حرص محمد ﷺ علي العدل حرصًا احتذى أصحابه فيه مثاله، فطلبوا إليه أن يبعث معهم رجلاً يحكم بينهم في أشياء اختلفوا عليها من أقوالهم، وبعث محمد ﷺ معهم أبا عبيدة بن الجراح ليقضي بينهم فيما اختلفوا فيه. اهـ[١].

وإذا كان الدكتور/ محمد حسين هيكل قد أجمل تفاصيل حوار النبي ﷺ مع وفد نجران من النصارى، فإن كتب التفسير وأسباب النزول قد زودتنا بتفاصيل ذلك الحوار الهام الشهير، ويجمع المفسرون على أن آيات صدر سورة آل عمران حتى الآية الثانية والثمانين، بما في ذلك الآية الثانية والستون، وهي الآية المعروفة بآية المباهلة قد نزلت كلها للرد على دعاوي ذلك الوفد من النصارى، ومن ورائه اليهود يرقبون ما يمكن أن يسفر عنه ذلك الحوار، يذكر لنا الواحدي في أسباب النزول أن وفدًا من نصارى نجران عدتهم ستون راكبًا، قدموا إلى المدينة المنورة سنة عشر من الهجرة بقصد مناظرة النبي ﷺ وبقصد إظهار المسيحية التي كان بعض

---

(١) انتهى اقتباسنا مما كتبه الدكتور/ محمد حسين هيكل، في كتابه «حياة محمد» ص ١٩٩- ٢٠٠ ط دار المعارف.

الناس قد ابتدعوها تحريفًا لتعاليم عيسى ﷺ، وأراد وفد النصارى إظهار أنها أولى وأحق بالاتباع، وكان على رأس وفد النصارى ذاك ثلاثة هم: عبد المسيح الملقب بالعاقب، والأيهم الملقب بالصاحب، وكان ثالهم هو حَبرَهم وإمامهم وصاحب مدارسهم، وهو أبو حارثة بن علقمة الذي كان ملوك الروم قد شرفوه ومولوه وبنوا له الكنائس يشرف على شئونها لعلمه واجتهاده.

ويقول الواحدي: دخل أعضاء الوفد مسجد الرسول ﷺ بعد صلاة العصر عليهم الثياب الحبرات، جبات وأردية، حتى قال: مَن رآهم من أصحاب رسول ﷺ: ما رأينا وفدا مثلهم. ويذكر الواحدي أيضًا أنهم قاموا فصلوا متجهين جهة بيت المقدس، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «دعوهم» وبعد أن فرغوا من صلاتهم جاءوا إلى مناظرة رسول الله ﷺ. قال الرسول ﷺ بعد أن كانوا قد اختاروا رجلين منهم لمناظرة الرسول ﷺ: «أسلما» قالا: قد أسلمنا قبلك. فقال لهما ﷺ: «كذبتما، منعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولدًا، وعبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير». قالا: إن لم يكن عيسى ولد الله فمن أبوه؟ فقال لهم النبي ﷺ: «ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا ويشبه أباه؟» قالوا: بلى! قال ﷺ: «ألستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت وأن عيسى أتى عليه الفناء؟ قالوا: بلى! قال ﷺ: «ألستم تعلمون أن ربنا قَيِّمٌ على كل شيء يحفظه ويرزقه؟ قالوا: بلى! قال ﷺ: «فهل يملك عيسى من ذلك شيئا؟» قالوا: لا. قال ﷺ: «فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء، وربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث» قالوا: بلى! قال ﷺ: «ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة، ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها، ثم غذي كما يغذى الصبي، ثم كان يطعم ويحدث؟» قالوا: بلى! قال ﷺ: «فكيف يكون هذا كما زعمتم؟» اهـ.

صدقتَ يا رسول الله! لقد حددتَ يا رسول الله في أوجز الإيجاز مواطن زيغهم وزيفهم! ويحدثنا علماء أسباب النزول أن آيات صدر سورة آل عمران حتى الآية رقم (٨٢) قد أوحاها العليم الحكيم إلى رسوله الأمين الكريم، موضحة شأن مريم ابنة عمران أم عيسى المسيح ﷺ، وما كان من شأن آل عمران وبني إسرائيل حتى نهاية شأن المسيح ﷺ مع قومه، ولم يغب عن علم الله ﷻ تردد وفد

النصارى من أهل نجران في الدخول في الإسلام، بالرغم من وضوح الحق أمامهم في حوار النبي ﷺ معهم، وفيما أوحاه الله إليه من آيات بينات بصدر سورة آل عمران إلى قوله ﷻ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۞ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۞ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ۞ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۞ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٩-٦٣].

وتُعرف الآية رقم (٦١) من سورة آل عمران بآية المباهلة، إشارة وتخليدًا وإثباتًا لحدوث ذلك الحوار بين نبي الإسلام ﵇ وبين وفد نصارى نجران.

وعلي الرغم من نزول آيات القرآن الكريم مصرحة بأسرار حياة المسيح وأمه مريم ابنة عمران، وعلى الرغم من ذيوع هذه الآيات القرآنية الكريمة، ووصولها دون ريب إلى مسامع وفد نصارى نجران ومسامع اليهود المترقبين نتائج حوار وفد نصارى نجران مع خاتم الأنبياء المرسلين، مما هزَّ وجدان هؤلاء وهؤلاء ورج وجدانهم وعقولهم هزًّا ورجًّا لا ريب فيه، إلا أننا نلاحظ غلبة الشيطان وغلبة حبهم لحطام الدنيا وزخارفها على نفوسهم، كَبُر عليهم أن يدخلوا في الإسلام، وقد أرسلهم قيصر الرومان للتغلب بالحجة والبرهان على خاتم الأنبياء والمرسلين في عقر داره بالمدينة المنورة عاصمة المسلمين، في حوار تكفل له أهميته الخلود على وجه الزمان! ولكن خاب فألهم وطاش سهمهم، لقد لزمتهم الحجة وقام على بطلان دعوتهم البرهان، مع أن الرسول ﷺ لم يجادلهم بآيات القرآن الكريم، بل حاورهم حوارًا لحمته وسداه استمدهما الرسول ﷺ مما لا يستطيعون إنكاره من معارفهم التي لا يستطيعون إلى إنكارها سبيلاً.

وإذ أوحى الله ﷻ إلى الرسول ﵇ أن يدعوهم إلى المباهلة أي الابتهال إلى الله ﷻ، أن تحل لعنته على الكاذبين كما تقضي بذلك الآية الحادية والستون من سورة آل عمران، طلب وفد نجران فسحة من الوقت للتشاور؛ إذ قالوا للرسول ﵇: يا أبا القاسم، دعنا ننظر في أمرنا، ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه. ثم

انصرفوا عنه، ثم خلوا بالعاقب وكان ذو رأيهم، فقالوا له: يا عبد المسيح -وهو اسمه الحقيقي، وكان لقبه هو العاقب- ماذا ترى؟ فقال لهم: والله يا معشر النصارى، لقد عرفتم أن محمدًا هو النبي المرسل، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم (عيسى) ولقد علمتم أنه ما لاعن قوم نبيًا قط، فبقي كبيرهم أو نبت صغيرهم، وإنه الاستئصال يحل بكم إن فعلتم، فإن كنتم أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم، فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم.

وأتوا إلى النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم، قد رأينا أن لا نلاعنك ونتركك على دينك، ونرجع على ديننا، ولكن ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا، يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها في أموالنا، فإنكم عندنا رضا.

قال محمد بن جعفر: فقال رسول الله ﷺ: «أتوني العشية أبعث معكم القوي الأمين» وبعد صلاة الظهر رأى النبي عليه السلام أبا عبيدة بن الجراح، وكان بين المصلين وراءه، فدعاه وقال له: «اخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه».

حوار خالد على مرِّ الزمان، تدعمه آيات بينات من القرآن، وإذا كان الناس بفطرتهم التي فطر الله الناس عليها يستطيعون أن يدركوا، هل الحق في جانب سقراط أم الحق في جانب السوفسطائيين في تلك المحاورات التي جرت ببلاد اليونان، أيعجز الناس بفطرتهم أن يدركوا أين الحق، وأين الباطل بشأن المسيح عيسى ابن مريم ابنة عمران، بعد أن جابه رسول الإسلام عليه السلام وفد نصارى نجران، بأن عيسى قد حملته أمه كما تحمل المرأة، ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها، ثم غذي كما يغذى الصبي، ثم كان يطعم ويحدث[1].

ولقد تضمن هذا الحوار الخالد كل القيم وكل المبادئ وكل الشروط الضرورية للحوار الناجح البناء، لم يرفض النبي ﷺ المناظرة والحوار من حيث المبدأ، لقد احترم رغبة وفد نصارى نجران في المناظرة والحوار، ولقد أكرم الرسول ﷺ وفادتهم، وأنزلهم بأكرم منزل بالمدينة المنورة، وهو مسجد الرسول عليه السلام، مع أن غرضهم

---

(١) يحدث: يخرج فضلات الطعام والشراب.

المعلن غير الخفي هو قهر دعوة الإسلام والانتصار لدعاوى المسيحية على المستوى الفكري، وهو أهم المستويات في حياة العقائد والأديان، ولقد احترم النبي ﷺ رغبة أعضاء وفد نجران في أن يصلوا بمسجده الصلاة التي تواضعوا عليها، متجهين في صلاتهم إلى قبلة غير قبلة المسلمين إذا اتجهوا نحو بيت المقدس، وقال لأصحابه: «دعوهم» احترامًا لمعتقدات الغير، ونزولاً على مقتضيات اللياقة، بصرف النظر عن الصواب أو الخطأ في معتقدات الغير أو في طقوس عبادتهم وإقامة شعائرهم.

ولقد كان كل من طرفي الحوار يستمهل الطرف الآخر بعض الوقت فيمهله، كان الرسول ﷺ يستمهلهم عسى أن يصله وحي الله ليستطيع أن يجابه هذا الوفد النصراني القادم من نجران، رافعًا رايات التحدي الفكري، مزودًا بعلوم ما مضى من تاريخ ووقائع وأحداث، انقطع رجاله الستون منذ نعومة أظافرهم لمدارسة عقائد النصرانية على يد معلمين من أجيال سابقة، اتصلوا بفلسفة اليونانِ، بعد أن كانت فلسفة اليونان قد بلغت أوج نضجها إذ كانت قد تجاوزت مرحلة سقراط، ومرحلة أفلاطون وأرسطو، ومرحلة العصر الهلنستي، الذي بذل مفكروه جهودًا جبارة بمدرسة الإسكندرية للاستفادة من منجزات الفلسفة لترويج ما دَبَّجوه من معتقدات الدين كيف، كيف بالله يجابه ويناظر ويحاور نبي أمي بمفرده مثل هذا الوفد في حوار على شكل مناظرة يترقب نتائجها اليهود والمسيحيون والمسلمون؟! وعندما نعرف أن حياة المسيح بين قومه من بني إسرائيل كان قد مضى عليها آنذاك حوالي ستة قرون، فإننا ندرك أن وقائع حياة المسيح إنما هي بمثابة «غيب» بالنسبة لسيدنا محمد ﷺ وبالنسبة لأتباعه من العرب.

ولقد كان وقد نصارى نجران يستطيع أن يزعم أنه متصل بوقائع حياة المسيح عليه السلام اتصال الأبناء بالآباء بالأجداد، فيما يتعلق بتراث كل شعب من الشعوب، ولكن نبي الإسلام كان حقًّا مؤيدًا بوحي الله مؤزرًا بالقرآن الكريم، ولقد أطلعه الله تبارك وتعالى في أكثر من ثمانين آية أنزلها الله تبارك وتعالى إلى رسوله الكريم بصدر سورة آل عمران التي يجمع المفسرون وعلماء أسباب النزول أنها جميعًا قد أنزلها الله بشأن وفد نصارى نجران، ماذا يستطيع وفد نصارى نجران أن يزعم أنه يعرف بشأن حياة

المسيح معرفة خلف عن سلف، وآيات القرآن الكريم تترى بشأن آل عمران، ومريم ابنة عمران، وكيف كفلها زكريا، وكيف بشر الله زكريا بيحيى، ويردد المسلمون بالمدينة المنورة هذه الآيات البينات من الذكر الحكيم فرحين مستبشرين، أن لن ينتصر على رسولهم الكريم وفد نصارى نجران المغرورين المتأنقين المتحذلقين فلقد أيَّدَ الله رسوله الصادق الأمين بآيات بينات من القرآن، تقطع الشك باليقين بشأن عيسى ابن مريم وآل عمران وبني إسرائيل.

ولا ريب أن بلغت آيات القرآن الكريم أسماع اليهود بالمدينة وأسماع نصارى وفد نجران، فارتعدوا ولم يستقر لهم جنان، ربما كان وفد نصارى نجران مغرورين بما لديهم من شذرات علم غامضة أو غير غامضة، ولكنها على كل حال شذرات علم يستطيعون أن يتمسكوا بها وأن يتعصبوا لها، وماذا يملك ذلك العربي الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب من معارف أو علوم؟! ظنوا أن مهمتهم سهلة، وظنوا أن غايتهم ميسورة، وما هي إلا جولة واحدة ويعودون منتصرين إلى نجران يزفون منها أخبار انتصارهم إلى عاهل الرومان، ولكن فاجأتهم آيات صدر سورة آل عمران، فارتعد منهم كل جنان! العربي الأمي يعرف ما لا سبيل إلى إنكاره من أخبار بني إسرائيل وآل عمران ومريم العذراء وعيسى ابن مريم عليه السلام.

ولقد جرى العرف في المناظرات أن يحاور الرجل الرجل، ولكن ويا للغرابة، طلب وفد نصارى نجران أن يتصدى رجلان لمحاورة النبي عليه السلام! ماذا؟ لا ريب أن أعضاء وفد نجران قد تحاوروا وقد تناقشوا بشأن من منهم هو الذي سيتصدى لمحاورة النبي ﷺ في تلك المناظرة التي يرقب نتائجها اليهود والمسيحيون بما فيهم إمبراطور الرومان والمسلمون في كل مكان منذ ذلك اليوم المشهود إلى نهاية الزمان! كانت عدتهم ستين راكبًا، ولا يعقل أن يتكلم الستون مع رجل واحد، من منهم الذي يستطيع أن يتحاور في مناظرة مع النبي ﷺ؟ لا ريب أن أعضاء وفد نجران لم يجدوا بينهم رجلاً واحدًا يستطيع أن يقف هذا الموقف لضخامة المسئولية، ولعظيم هيبة النبي ﷺ، ولعظيم أثر آيات القرآن الكريم البينات التي تصادف نزولها مع نزول وفد نجران بالمدينة المنورة، ولا شك أن وفد نصارى نجران قد استقر قرارهم على أن يقوم رجلان من وفدهم بمحاورة النبي ﷺ، ولا شك أنهم قد استأذنوا النبي ﷺ

في ذلك، فأذن لهم تسامحًا من جانبه، وثقة ويقينًا من صدق دعوته، واطمئنانًا إلى تأييد الله ونصره، وتقديرًا من جانبه ﷺ أن رجلاً واحدًا من نصارى وفد نجران يستحيل عليه أن يقف هذا الموقف في مناظرة مع نبي هو خاتم الأنبياء والمرسلين، والدليل على كل ما رجحناه، هو أن النبي عليه السلام عندما كان يحاور وفد نصارى نجران كان يخاطب شخصين، فيقول لهما مثلاً في مستهل المناظرة: «أسلما» وهكذا.

ومن عجب أن النبي ﷺ لم يعتمد في حواره مع وفد نصارى نجران على آيات القرآن الكريم، بل حاورهم بأسئلة بسيطة استهلها بفعل أمر في كلمة واحدة هي «أسلما» وحاول ممثلاً وفد نصارى نجران المراوغة، ولكن النبي عليه الصلاة والسلام لم يلبث أن عاجلهما بسيل من الأسئلة مثل: «ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا ويشبه أباه؟» أسئلة واضحة تعتمد على البداهة، ولا تحتمل إجابة سوى الإجابة بأداة الإثبات «نعم» أو الإجابة بأداة النفي «لا» ومن عجب أن لم يستطع ممثلاً وفد نصارى نجران الاستمرار في المراوغة، كانا يجيبان باستخدام أداة الإثبات «نعم» أو «بلى» حيث يجب، وكانا يجيبان باستخدام أداة النفي «لا» أو «كلا» كما ينبغي، لتصل المناظرة إلى نتيجتها المحتومة، وهي انتصار النبي وهزيمة وفد نصارى نجران في هذه المناظرة العظمى بين المسيحية والإسلام، ولا حاجة إلى إعلان نتيجة، إن المسألة تشبه أن يقول قاض لسارق: هذه الحقيبة وبها أوراق المدعي ونقوده عثر عليها رجال الشرطة معك، أليس كذلك؟ فيقول الرجل: بلى. ويقول القاضي للرجل: أنت سرقتها خلسة من صاحبها؟ فيقول الرجل: بلى. ويقول القاضي: أم أنك تستطيع الزعم أن الحقيبة هي حقيبتك وليست حقيبة المدعي؟ فيقول الرجل: كلا. إنها حقيبة المدعي، ولقد سرقتها منه! هل يحتاج مثل هذا الحوار إلى إعلان نتيجة أو مناقشة أو مراء بصددها قدر احتياجه إلى إصدار حكم قاطع؟! إن المناظرة التي جرى حوارها بين النبي عليه السلام وبين وفد نصارى نجران مَثَلٌ أعلى لما ينبغي أن تكون عليه المناظرة التي استوفت شروط ومبادئ الحوار الجيد يا صاحبي.

قال صاحبي: أليس غريبًا أن يطلب وفد نصارى نجران واحدًا من المسلمين؛ ليقضي بينهم فيما كانوا فيه يختلفون، وهم يزعمون أنهم أصحاب دين وقد جاءوا إلى المدينة عن عقيدة هذا الدين منافحين؟

قلتُ: يلوح لي يا صاحبي أن هنالك أسبابًا وجيهة اقتضت مطلبهم، وإن بدا غريبًا!

قال صاحبي: ما هي أسباب مطلبهم الذي اعترفت بغرابته فيما ترى؟

قلتُ: أولاً: كانت الروح السائدة طوال وقت المناظرة روح ود وسلام، وإذا كانت زخارف الدنيا قد حالت بين نصارى وفد نجران وبين الدخول في الإسلام، فإن مطلبًا هينًا كمطلبهم ذاك يعبر عن روح الود والاحترام، بأكثر مما يعبر أي كلام.

ولن يكلفهم الأمر ثانيًا إلا استضافة رجل مسلم واحد في ديارهم مدة تطول أو تقصر حسب هواهم من الزمان.

ولا ضرر ثالثًا في أن يصحبوا معهم أحد صحابة نبي الإسلام عسى أن يشبع فضولهم ورغبتهم في استطلاع ما خفي عليهم من شئون دين جديد بزغ نجمه بقوة في السماء، والتفتت إليه المسكونة جمعاء.

وربما كانت لهم رابعًا مآرب أخرى إزاء مطلبهم الغريب يا صاحبي فيما أرى.

الحوار بين أفكار البشر

قال صاحبي: حوار وأي حوار يفوق في قوته أي صارم بتار!

قلتُ: لماذا لا يا صاحبي؟

قال: لا أعرف، ليتك يا صاحبي توضح لي أسباب تفوق مثل هذا الحوار بين نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام وبين وفد نصارى نجران، عن أي حوار يمكن أن يكون بين إنسان وإنسان في أي شأن من شئون الحياة التي يتجادل ويتحاور بشأنها إنسان مع أخيه الإنسان.

قلتُ: لعلك تدرك يا صاحبي أن أي حوار بين الناس يعتمد على فكر الناس، لا يمكن أن يبلغ مرتبة الكمال لقصور العقل البشري عن بلوغ مرتبة الكمال، وهو ما لا خلاف عليه لدى أصحاب العقول السليمة والفطر القويمة، إذا قال طاليس «Thales» (٦٢٤ - ٥٤٦ ق.م): الماء أصل وجود العالم. انتقده وناقضه أنكسمندريس «Anaximanderes» (٦١١- ٥٤٧ ق.م) إذ يلاحظ أن الماء عنصر

محدود بخواص معينة، ولا يمكن أن يكون أصلاً لكل الأشياء، ونادي أنكسمندريس بأن أصل العالم مادة لا متناهية ولا محدودة أطلق عليها اسم المادة الأولية غير المحدودة «Apeiron»، ليناقضه أنكسيمانس «Anaximenes» (٥٨٥ - ٥٢٨ق.م) ليقول: وكيف يخرج المحدود من اللامحدود؟ إن أصل الحياة هو الهواء؛ إذ تستحيل حياة الأحياء بدونه. ثم يأتي بعدهم فيثاغورس «Phythagoras» (٥٧٢ - ٤٩٧ق.م) ليطلب من المفكرين أن يكفكفوا من غرورهم، إذ أن الحكمة الكاملة لا يمكن أن يتصف بها البشر، الحكمة الكاملة على حد قوله لا ينبغي أن تضاف إلى غير الآلهة، وحسب البشر أن يتصفوا بمحبة الحكمة. وهكذا لم يمض قرن واحد منذ فجر الفلسفة اليونانية، حتى كان الفكر البشري قد سجل عجزه عن بلوغ كامل الحكمة، ونسب الحكمة إلى الحكيم العليم، وهو الله ﷻ، وإن لم يكن التوحيد قد اتضحت معالمه بعد في دنيا البشر بوجه عام وفي بلاد اليونان بوجه خاص.

ولو ضربنا صفحًا عن سفسطة السوفسطائين التي ناقضها وتصدى لها سقراط بجهود عقلية مخلصة رائعة، لينقذ القيم الإنسانية من التردي والانهيار في وهاد الشك والمغالطة في الحوار، لنصل مباشرة إلى أفلاطون «Plato» (٤٢٨-٣٤٨ ق.م) الذي صاغ نظريته الشهيرة المعروفة باسم نظرية المثل؛ ليربط المحسوس بالمعقول في محاولة لتفسير العلم والعالم، داعيًا على وجود نفس كلية بسيطة تعقل المُثُلَ المجردة البسيطة، وإذ رجع أفلاطون بوجود هذه النفس الكلية البسيطة إلى ما قبل وجود البدن، فلقد كفل لها من هذين الوجهين خلودًا لا ينقضي، من حيث إن البسيط لا ينحل، وما كان موجودًا بذاته قبل الجسم، خليق أن يوجد بذاته من بعده؛ فإذا اتجه الفكر إلى عالم الأخلاق والقيم، وما يجب أن يكون عليه سلوك البشر، كان التعلق بالخير في ذاته لذاته، وكان التمسك بالقيم السليمة ضرورة لا فكاك منها، ولو بحثنا عن الجمال كان الجمال في أي من الصور تبدي هو هو صِنْو الجمال في أي من الصور الأخرى عندما يتفق مع مثال الجمال الذي صاغه الفكر الواعي بما يجب أن يكون عليه الجمال، علة الجمال المتفرق في الأشياء التي تبدو لنا جميلة، ولو بحثنا عن الحق كان واجب الناس النفور من الباطل والتعلق بالحق مقصدًا أسمى للإرادة في نزوعها إلى الكمال والصلاح والفلاح.

انظر يا صاحبي ما فعله أرسطو «Aristotle» (٣٨٤ - ٣٢٢ق.م) بنظرية المثل هذه التي نادى بها أفلاطون، قال أرسطو: إن المادة جزء من المحسوسات، فلا يوجد إنسان مثلاً إلا في لحم وعظم وسائر مكونات جسم الإنسان، ولو كانت المثل مجردة من المادة كانت معارضة لطبيعة الأشياء التي هي مثلها، ولو افترضناها متحققة في المادة، صارت المثل محسوسة جزئية؛ أي أنها تكون فاقدة لمقومات المثل عند أفلاطون، وهنالك أيضًا من التصورات الذهنية ما لا يمكن تصوره دون يكون مجسمًا في مادة كالأشكال الرياضية مثل المثل أو الدائرة أو المستطيل أو المربع؛ إذ يستحيل وجود أي من هذه الأشكال في غير جسم مادي يجسد شكلها، وكذلك الحال بالنسبة للألوان؛ إذ لا يمكن تصور البياض مثلاً إلا في شيء مادي محسوس أبيض، ولا السواد إلا في شيء أسود، من المحسوسات نرتقي إلى المعقولات التي يطلق عليها أفلاطون اصطلاح «المثل»، ولم تتحقق لنا المعرفة كما ينادي أفلاطون بالتحليق الذهني في عالم المثل لنفهم وندرك المحسوسات.

قال صاحبي: ليتك تستعرض لي تاريخ الفكر البشري لنرى تخبط البشر فيما أجروه من حوار الفلاسفة والمفكرين.

قلتُ: يؤسفني يا صاحبي استحالة أن ألبي مطلبك هذا؛ حتى لا يطول بنا الحوار الذي ينبغي أن يقف عند حد، وأن يكون بمقدار، حسبنا أن نشير إلى ما أسلفناه كمجرد أمثلة توضح الفرق بين حوار جرى بين البشر، ولم تَخْل منه حياة البشر فيما صغر من شئونهم وما كبر، وبين حوار اقتضته مشيئة الله ﷻ، الحوار بين البشر يمكن أن يختلط فيه الصواب بالخطأ، ولذا نجد مفكرًا مثل المفكر الألماني هيجل، يرجع التاريخ البشري إلى فكرة الحوار أو الجدل أو «الدياليكتيك» كما أسماه هيجل «G.W.F.Hegel» (١٧٧٠ - ١٨٣١م) وإن كان هيجل قد لاحظ ملاحظة هامة بالنسبة للحوار أو الجدل أو الدياليكتيك.

قال صاحبي: ما هي هذه الملاحظة التي لاحظها هيجل؟

قلتُ: لاحظ هيجل أن لحمة التطور الفكري البشري وسداه، هي الحوار بين الفكرة ونقيضها، وأنه من الجائز أن يتكون من هذا الحوار بين الفكرة ونقضيها فكرة أخرى جديدة لا تلبث أن تتفاعل مع غيرها، وهكذا فيما اسماه بالصيرورة الجدلية التي شكَّلت في نظره جوهر تاريخ الفكر البشري.

حوار لا مجال فيه لأنصاف الحلول

قال صاحبي: يكاد يكون هيجل قد أصاب كبد الحقيقة.

قلتُ: فليصب الإنسان المفكر أو ليخطئ، احتمال الصواب والخطأ بطبيعة الحال وارد، لا ينبغي النظر إلى اجتهادات البشر في مجالات الفكر مع تصديق مذاهبهم فيما ذهبوا إليه، الموقف الأمثل في هذا المجال هو موقف المتفرج يا صاحبي، وإذا كانت قد أعجبتك نظرية هيجل في الجدل أو الحوار، فإنني أود أن ألفت نظرك إلى أنها لو كانت صالحة في عالم البشر بالنسبة لأمور الدنيا، فإنها لا تصلح فيما يتعلق بأمور الدين.

قال صاحبي: ماذا تقصد بالضبط؟

قلتُ: انظر يا صاحبي إلى الحوار الذي سبق أن أشرت إليه عندما ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٣١ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣٢ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ۝٣٣﴾ [البقرة: ٣١- ٣٣]

قال صاحبي: ماذا تجد وتلاحظ في هذا الحوار؟

قلتُ: انظر يا صاحبي بقية الحوار إذ قال الله للملائكة: ﴿ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٣٤﴾ [البقرة: ٣٤]

قال صاحبي: ماذا تجد في هذا الحوار القصير؟

قلتُ: وقال الله ﷻ: ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٣٥ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ﴾ [البقرة: ٣٥- ٣٦]

وقال الله ﷻ: ﴿ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ۝٣٦ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝٣٧﴾ [البقرة: ٣٦- ٣٧]

قال صاحبي: ماذا تجد في هذا الحوار المتتابع المناظر المتعدد المحاور؟

قلتُ: لقد وجد المفسرون في هذا الحوار أشياء، وأجد فيه يا صاحبي أشياء جديدة، أن القرآن الكريم يا صاحبي لا تنفد معانيه وعجائبه ومعجزاته وفوائده.

قال صاحبي: هات ما عندك بشأن هذا الحوار، وأنا جَدُّ مشوق إلى ما تقول.

قلتُ: نلاحظ أولاً أن هذا الحوار الجليل قد اقتضته إرادة الله ﷻ، كما صاغتها كلمات الله ﷻ في سورة البقرة؛ إذ قال جل شأنه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٠- ٣٧]

هل يمكن يا صاحبي أن يخالج إنسان عاقل شك في صحة هذا الحوار، وقد صاغته كلمات الله ﷻ وكان الله ﷻ هو مبدع الحوار، وهو ناقله إلى البشر فيما أوحاه ﷻ إلى خاتم الأنبياء والمرسلين في القرآن الكريم آخر وأتم وأكمل صور وحي الله إلى البشر أجمعين؟

قال صاحبي: لا شك في صحة الحوار ما دامت كلمات الله هي التي صاغته ونقلته إلينا قرآنًا كريمًا أوحاه الله إلى خاتم الأنبياء والمرسلين، ولذلك لا نجد رواية أخرى للحوار كما نجد في أي حوار ينقله إنسان عن أناس آخرين.

قلتُ: والحوار اقتضته مشيئة الله؛ إذ أننا نحن المؤمنين بالله وبفضل الله نؤمن أنه لم يحدث ولا يحدث ولن يحدث شيء بغير مشيئته وإرادته ﷻ؟

قال صاحبي: بلى، هذا صحيح لا ريب فيه.

قلتُ: استخلاف آدم في الأرض تكريم لآدم، بدليل أن الملائكة فيما أخبرنا الله بإرادة الله، قد غبطوا آدم على هذا التكريم، وقالوا لله بمشيئة الله: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾؟ وليس الاستفهام إنكارًا، بل فيه استعلام؛ إذ أن الله ﷻ يريد أن يعلمنا.

وبالإضافة إلى تكريم آدم بالاستخلاف في الأرض في هذا المشهد الإلهي، الذي شاءت إرادة الله أن يطلع خلق الله عليه، نجد شيئين متقابلين تقابل تضاد ألا وهما: الإفساد في الأرض، وسفك الدماء في جانب السوء غير المرغوب، والتسبيح بحمد الله وتقديسه في جانب المسلك الحميد المستحسن دون ريب.

قال صاحبي: وهذا أيضًا صحيح لا شك فيه.

قلتُ: من الضروري أن نلحظ أن تكريم آدم بالاستخلاف في الأرض إنما هو تكريم لبني آدم، وليس لآدم وحده بدليل قوله ﷻ في ختام هذا المشهد الإلهي المفعم بالمعاني الكبيرة: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

التحول من التحدث عن الاثنين آدم وحواء إلى التحدث عن الجماعة في قوله: ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟﴾ يدل دلالة واضحة على أن الجنس الآدمي كله مقصود، معني بكل ما حفل به الحوار الذي اقتضته مشيئة الله من معان.

قال صاحبي: هذا أيضًا صحيح واضح كل الوضوح.

قلتُ: هذا المشهد يا صاحبي يوضح لكل ذي بصيرة أن بدء الخليقة قد تم بإرادة الله ومشيئته، ولا حاجة لاجتهاد العقول البشرية في البحث عن خلق الكون أو العالم وكيفية خلق الإنسان، وفهم الوجود، ومكان الإنسان من الوجود، وغير ذلك من مباحث شغل المفكرون بها أنفسهم، وشغلوا الناس من حولهم بها دون جدوى، ولقد فطن إلى هذه الحقيقة بعض المفكرين أنفسهم فقالوا لزملائهم: إن ما تسمونه المحرك الأول أو العلة الأولى هو «الله».

والخلاف والاختلاف الذي لا ينبغي وجوده هو خلاف واختلاف في التسمية فقط، ولقد كان ذلك اكتشافًا عظيمًا أضيف إلى مفكرين عاشوا إبان العصر الهليني

بالإسكندرية أبرزهم فيلو «Philo Judaeus» اليهودي (٢٠ق.م-٤٠م) ثم أفلوطين «Plotinus» (٢٠٥-٢٧٠م) المسيحي المصري الصعيدي، الذي تعلّم على يد أنونياس سكاس «Annonius Sacas» بالإسكندرية، ثم رحل إلى روما ذاتها.

قال صاحبي: هل يلزم أن تصرف النظر عن الفلسفة وإبداعات كبار الفلاسفة؟

قلتُ: سبق أن أشرتُ إلى أهم منجزات الفلسفة، وأشرتُ إلى أن الفلاسفة أنفسهم لم يتفقوا على رأي أبدًا. ولقد قدمت بين يديك يا صاحبي أمثلة لذلك؛ ولو شئت مئات من هذه الأمثلة تستطيع أن تجدها في تاريخ الفلسفة بمختلف عصورها؛ إذ لا ينتظر من البشر إلا الخلاف وعدمه، والاتفاق في مجالات الفكر ومقتضيات إعمال العقل، وهذا طبيعي في البشر دون ريب.

ولو كان ضروريًّا أن تلتفت إلى ثمار فكر الفلاسفة، فأنا أنصحك بإخلاص يا صاحبي أن تنظر إلى منجزاتهم وابتكاراتهم نظرة متفرج ليس مطلوبًا منك أو مني أو من أي متفرج على منجزات الفلاسفة، أن تؤمن برأي هذا الفيلسوف أو ذاك، إذ أن منجزات الفيلسوف إنما مثلها مثل منجزات الفنان أو الشاعر أو اللاعب في أي مباراة من المباريات الفردية أو الجماعية التي يلعبها البشر، لو رسم الفنان صورة طفل يبتسم أو يبكي، نجد أن الفنان نفسه لا يستطيع أن يزعم الكمال لصورته التي رسمها للطفل، ويدرك الفنان نفسه الفارق الهائل، بل الفروق الهائلة بين صورة الطفل الجامدة الهامدة التي رسمها، وبين الطفل الحقيقي الذي يخلقه الله بمشيئته وحكمته في أي زمان أو مكان، ولو اندمجت أنت نفسك يا صاحبي في لعبة الفلسفة أو في أي علم من علوم البشر أو أي فن من فنون البشر، فمن الضروري أن تكون مدركًا لثمار جهدك المتواضع وقدرتك المحدودة على الإبداع، التي لا يمكن إلا أن تكون دليلاً على حكمة الله وقدرته الكاملة. وقل يا صاحبي مع من أدركوا الحقيقة وسلموا وآمنوا بالله قائلين: سبحانك اللهم، خلقتَ الإنسان، وعلمته ما لم يكن يعلم، وجعلتَ بيده مقاليد الأمور وتصريفها؛ لتجعل من حكمته المحدودة دليلاً على حكمتك الكاملة، ولعلك تعلم يا صاحبي أن تصور الكمال من أهم أدلة وجود الله.

قال صاحبي: كيف أن مجرد تصور الكمال دليل على وجود الله؟

قلتُ: يا صاحبي، لو تصورت أي صفة من الصفات التي يمكن أن يتصف بها الإنسان، لوجدتَ أنها محدودة بالنسبة للإنسان، قد يوصف إنسان بأنه عالم، ولكن هل تستطيع أن تتصور إنسانًا يبلغ كمال العلم؟ كلا؛ ولذلك يقول الناس بإيمان فطري: الكمال لله وحده، وسموا هذه الحقيقة البسيطة الواضحة دليل الكمال «Perfection» واعتبروه من أهم الأدلة على وجود الله، وملخصه أننا لا نستطيع أن نتصور الكمال المطلق غير النسبي إلا معزوًا إلى الله ﷻ.

قال صاحبي: إن الآية التالية تنقلنا إلى قضية العلم والتعليم مباشرة؛ إذ يقول الحق ﷻ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ فماذا ترى ها هنا من معان؟

قلتُ: يا صاحبي هذه هي نظرية المعرفة أو مبحث الإبستمولوجيا «Epistemology» فيما يسميها العلماء لقد سبق أن أشرتُ إلى ذلك الخلاف الذي شجر بين أفلاطون وأرسطو فيما يتعلق بقدرة الإنسان على اكتساب المعرفة، هل يصل الإنسان إلى اكتساب المعرفة عندما يطابق ما يجده من محسوسات متعددة مع المثل أو المعاني المجردة الموجودة في ذهنه، كما نادى بذلك أفلاطون؟ أم أن الإنسان يعرف ويدرك المحسوسات أولاً، ويستخلص منها خواصها وجوهرها ليدرك تلك الخواص، وذلك الجوهر ثانيا كما ذهب إلى ذلك أرسطو؟

ولا يزال الخلاف بين المثاليين أو الذاتيين وبين التجريبيين أو الموضوعيين مستمرًا إلى اليوم؛ في حين أن الله ﷻ يطلعنا في هذه الآية الكريمة أنه ﷻ هو الذي علَّم آدم الأسماء كلها.

ولقد درج المفسرون المسلمون على تفسير الأسماء التي علَّمها الله لسيدنا آدم، باعتبار أنها أسماء الأشياء، ورووا عن ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث عاصم ابن كليب عن سعيد بن معبد عن ابن عباس قال: علمه اسم الصحفة والقدر؟ قال: نعم، حتى الفسوة والفُسَيَّة. وقال مجاهد: علمه اسم كل دابة وكل طير وكل شيء. فيما يذكره لنا في هذا المقام ابن كثير في تفسيره للقرآن العظيم، ويذكره غيره من المفسرين المسلمين.

ونرى -والله أعلم- أن تعليم الله آدم الأسماء كلها يعني عموم المعارف التي مَنَّ الله على البشر بها، وجرت إرادته ومشيئته أن تكون في إطار معارفهم وعلومهم، وإطلاق الخاص أو إطلاق الجزء مع قصد الكل شائع معروف في استخدام اللغة على سبيل المجاز المرسل، كقولك: أخذ الأب بيد ابنه في مجال التجارة. وأنت تعني بذلك أنه قد علَّمه أسرارها وأطلعها على أصولها قدر استطاعته، كما أن العلم بأسماء الأشياء يمتد في العادة إلى المعرفة بخواصها؛ إذ أن الخواص الموجودة في الأشياء هي التي تحدد أسماءها، ولا يمكن لصبي معرفة اسم الشاي واسم القهوة دون معرفة بخواص كل من هذين المشروبين.

وبالإضافة إلى أسماء الأشياء هنالك دون ريب أسماء المعاني، وقد علم الله آدم الأسماء كلها؛ أي أسماء الأشياء، وأسماء المعاني أيضًا، مما يدل على عموم المعرفة المتاحة للإدراك البشري منذ بدء الخليقة، حتى يرث الله الأرض ومَن عليها، وبهذا المعنى نستخلص دون ريب أن معارف البشر جميعها، إنما هي في حقيقة أمرها هبة من الله ومِنَّة منه ﷻ.

إن هذا التفسير يوضح لنا لماذا يدرك بعض الناس حقائق العلم المتعددة دون بعضهم الآخر؟ لماذا اكتشف إسحاق نيوتن مثلاً قانون الجاذبية دون غيره في عصره وزمانه أو قبل عصره وزمانه؟ كل الناس كانوا يرون أشياء تسقط من أعلى إلى أسفل، ويقال: إن إسحاق نيوتن هو الذي تساءل: لماذا تسقط التفاحة من أعلى إلى أسفل، ولا تتحرك من أسفل إلى أعلى أو تنحرف ذات اليمين أو ذات اليسار؟ وأدى به هذا الخاطر إلى اكتشاف قانون الجاذبية «Law Of Gravity» ما هو السبب في أن ترد هذه الفكرة في ذهن رجل مثل إسحاق نيوتن؟ لقد اقتضت إرادة الله أن يجعل قانون الجاذبية متاحًا في إطار المعارف البشرية منذ تلك اللحظة التي خطرت فيها الفكرة بذهن واحد من بني آدم في مكان معين وزمان معين.

وهذا هو الشأن في شتى المعارف الإنسانية التي أتاحها الله للإدراك البشري، وليكن مصدر المعرفة البشرية هو الحدس أو الإلهام أو التجربة أو مناشط الذات البشرية أو الذهن الإنساني أو هذه الأمور جميعًا، ولكن هذا وذاك وكله مرتبط تمام

الارتباط بإرادة الله ومشيئته، أن يتيح للإنسان معارف ومعلومات ينتفع أو يستمتع أو يشقى بها في حياته الدنيا، وكذلك الحقائق والمعارف المتعلقة بالحياة الآخرة، وهي الأقيم والأهم باعتبار أن الحياة الدنيا هي دار الفناء، وأن الحياة الآخرة هي دار البقاء.

قال صاحبي: هذا فيما يتعلق باستخلاف الله سيدنا آدم في الأرض وتعليمه الأسماء كلها، ماذا يمكن لنا استخلاصه من سجود الملائكة لآدم ورفض إبليس السجود إذ أنه أبى واستكبر؟

قلتُ: كل ذلك يا صاحبي إنما جرى بقدرة الله وبإرادة الله ووفق مشيئة الله ﷻ أراد الله للملائكة أن يسجدوا لآدم فسجدوا، وأراد الله لإبليس أن يأبى ويستكبر فأبى واستكبر، وسجود الملائكة لآدم إنما هو تكريم آخر لآدم ﷺ، كما أنه سجود طاعة لأمر الله، وليس سجود عبادة لسيدنا آدم.

ولقد كان السجود إظهارًا للطاعة والاحترام، مألوفًا في حياة البشر إزاء سلوكهم، ومن ذلك سجود إخوة يوسف أمام عرشه بمصر، كما يدل عليه قول الله ﷻ: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ﴾ [يوسف: ١٠٠] حتى أبطل الإسلام السجود لغير الله، قال معاذ: قدمت الشام فرأيتهم يسجدون لأسقفتهم وعلمائهم، فأنت يا رسول الله أحق أن يسجد لك، فقال ﷺ: «لا لو كنت آمرًا بشرًا أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عِظَم حقه عليها» وبهذا الحديث النبوي الشريف نهى رسول الله ﷺ عن أن يسجد بشر لبشر وقصر سجود البشر لله وحده مع التنويه، ضمنًا بوجوب احترام المرأة المسلمة لزوجها كتوجيه نبوي شريف.

ولو كان لك يا صاحبي أن تسأل: لم أبى إبليس أن يسجد لآدم واستكبر؟ لكان الجواب أن ذلك أن أيضًا بمشيئة الله وإرادته؛ إذ اقتضت حكمته ﷻ ذلك، وهو من قبيل وجود الشر والكفر والخطيئة في العالم مع قدرة الله ﷻ على محو الشر والكفر والخطيئة من العالم ومن الوجود كله دون مراء في ذلك.

بين الخير والشر أو بين الاختيار والجبر

قال صاحبي: انتظر ها هنا بالله عليك، هذه النقطة بالذات مثار القيل والقال وكثرة السؤال، أريد مزيد إيضاح.

قلتُ: طال بنا الحوار يا صاحبي.

قال: إن إلقاء الأضواء على الحوار وآدابه وأهميته في حياة البشر، هو خير توطئة لبيان منهج الداعية الإسلامي الكبير العلامة أحمد ديدات في دعوته إلى الله؛ إذ أنه يعتمد في منهجه أساسًا على الحوار.

قلتُ: يا صاحبي، إن العلامة ديدات مع اعتماده أسلوب الحوار في منهجه للدعوة إلى الله وللدفاع عن العقيدة الإسلامية كان بارعًا؛ إذ تجنب باقتدار عجيب مزالق علم الكلام ومشكلات الفلسفة وشطحات التصوف واختلافات السياسة؛ لينافح فحسب عن عقيدة الإسلام في صفائها ونقائها؛ ولكنك يا صاحبي تمد الحوار إلى آفاق تلو آفاق في هاتيك المجالات، رغم ما فيها من مصاعب ومشكلات، أنت تريد أن تستوقفني عند هذه النقطة التي انتهينا إليها؛ لأنك تريد أن تسأل عن سبب وجود الخطيئة في العالم، أرجو يا صاحبي أن تدرك أن هذه المشكلة كانت أكبر الصخور التي تحطمت عليها جهود المفكرين الإسلاميين وجهابذة علم الكلام، أنت تذكر دون ريب سبب اعتزال واصل بن عطاء عن أساتذه الحسن البصري في القرن الثامن الميلادي، ولأنشط ذاكرتك، كان الحسن البصري يعرض بالدراسة لحكم مرتكب الكبيرة، ولم يرتح واصل بن عطاء إلى الحكم بكفر مرتكب الكبيرة، وقال بالمنزلة بين المنزلتين، باعتبار أن مرتكب الخطيئة مؤمن عاص، فقال الحسن البصري قولته الشهيرة: اعتزلنا واصل. ومنذ ذلك الحين لا تزال المشكلة موجودة حتى اليوم.

قال صاحبي: أرجو أن توضح سبب صعوبة المشكلة، وهل وجدت لها حلول أم أنها لم تصادف حلاً حتى اليوم؟ المشكلة متصلة دون ريب بمشكلة الجبر والاختيار، ومدى قدرة الإنسان على كسب الأفعال، أليس هناك حل لهذه المشكلة خصوصًا أنها متصلة بذلك الحوار الذي اقتضته مشيئة الله عند بدء الخليقة بين الله ﷻ وسيدنا آدم والملائكة وإبليس؟

قلتُ: حقًّا يا صاحبي، أنت تضغط بإصرار لمد أسباب الحوار، وهو ما لا أرغب فيه بأي حال؛ لأننا لم نعمد إلى تقديم أمثلة منه إلا لبيان أهمية الحوار في حياة البشر، وبيان آداب وشروط الحوار الجيد؛ لأن منهج العلامة ديدات يعتمد بشكل أساسي على الحوار، وإذا كان الحوار هو المسيطر على تاريخ العالم في ماضيه وحاضره ومستقبله، فمن الضروري أن نحذر يا صاحبي كل الحذر حتى لا يطول بيننا الحوار عما ينبغي له من طول، إنني حريص جدًّا على ذلك، مُصِرٌّ عليه كل الإصرار.

قال صاحبي: هذه المسألة أنت قد أوردتها ضمن الحوار الذي اقتضته مشيئة الله بعد أن خلق الله سيدنا آدم وأمنا حواء بالجنة، وهي مسألة هامة تشغل بالى كما تشغل كثيرًا من الأذهان. ولا ريب أن مَن لم يهتدوا إلى الله بحق يقولون: ما ذنبا؟ ولكم أَوَدُّ لو وقفت على حل لهذه المعضلة!

قلتُ: لنحدد يا صاحبي أبعاد المشكلة كما تطورت لتغدو معضلة، تحل مشكلة لتواجه مشكلة أخرى، لدينا أولاً الإنسان يؤمن أو يكفر، يعمل الخير أو يجنح إلى الشر، وتوجد ثانيًا دائمًا وأبدًا أو منذ الأزل إلى الأبد قدرة الله ومشيئته التي تشمل كل ما حدث ويحدث في الكون وفق إرادة الله، إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها، وهنالك بطبيعة الحال العلم الإلهي، وهنالك ثالثًا قدرة الإنسان على كسب الأفعال وما يأنسه الإنسان في نفسه من قدرة وإرادة واختيار، وهنالك رابعًا ما يسلم به كل مؤمن بالله من العدل الإلهي فيما يتعلق بالحساب في الآخرة وثواب الله للمؤمنين الصالحين وعقابه للكافرين وللعصاة الطالحين.

ولو قلتَ يا صاحبي: إن الإنسان مجبر، لاصطدمت بالعدل الإلهي؛ إذ لا يجوز عقاب المجبرين، ولو قلتَ يا صاحبي: إن الإنسان مخير، لاصطدمت بالعلم الإلهي. ولأزيد المسألة الأخيرة وضوحنا، فلنفترض أن إنسانًا من البشر إزاء معصية من المعاصي كقتل نفس حرَّمها الله أو سرقة أو زنا؛ لو افترضنا أنه مجبر على ارتكاب المعصية، لا يكون من العدل أن يحاسب أو يعاقب، ولو افترضنا أنه مختار لديه القدرة على كسب الأفعال، لاصطدم افتراض الحرية والقدرة على الفعل والقدرة

على الاختيار لديه بعلم الله القديم الأزلي الأبدي؛ إذ أنه إزاء جريمة القتل مثلاً بافتراض قدرته على الاختيار بين أن يقتل أو لا يقتل، يستحيل أن يعرف طرف آخر ما إذا كان سيقدم على اقتراف جريمته أو سيحجم عنها، وهذا يتناقض ظاهرًا على الأقل حتى تتضح أسباب إزالة التناقض مع علم الله، يضاف إلى ذلك أن قول الأشاعرة، ومَن لف لفهم ونسج على منوالهم بقدرة الله الشاملة الكلية وقدرة الإنسان المحدودة الجزئية، لا يحل المشكلة ولا يقدم ولا يؤخر؛ لأن الحرية المقيدة هي والجبر التام سواء بسواء؛ إذ لا يمكن أن يتصور أحد أن تطغي القدرة المحدودة على القدرة غير المحدودة، ولا يمكن أن تتغلب الإرادة المقيدة على الإرادة الكاملة غير المقيدة.

قال صاحبي: هذا تصوير واضح للمشكلة لم أعهده بهذا الوضوح من قبل، فما هو الحل؟ قلتُ: الحل بسيط وواضح يا صاحبي.

قال: يستحيل أن يكون الحل بالنسبة لهذه المشكلة بل المعضلة بسيطًا واضحًا، إنني أشحذ ذهني استعدادًا لاستيعاب الحل مهما كان معقدًا.

قلتُ: لماذا تفترض ذلك يا صاحبي؟ هل يعيب حل مشكلة أو مجموعة مشاكل أن يكون الحل بسيطًا واضحًا؟ هب أن مرض عضو من الأعضاء في جسم الإنسان أدى إلى مرض عضو ثان وعضو ثالث، وجاء طبيب ماهر وعرف هذه الحقيقة البسيطة الواضحة المتمثلة في أن المرض الذي أصاب عضوين من الجسم، إنما هو بسبب مرض عضو آخر، وقدم علاجًا بسيطًا لعلاج العضو المتسبب في مرض العضوين الآخرين، فتم شفاؤه باستخدام عقار واحد، وتم شفاء العضوين الآخرين تبعًا لذلك، أيكون مثل هذا العلاج الناجح الشافي معيبًا بسبب جدواه مع بساطته؟

قال صاحبي: كلا، إن مثل هذا العلاج هو العلاج الأمثل الأفضل، ولا تعيبه البساطة إطلاقًا، فما هو الحل بخصوص موضوعنا، لقد أصبحت مستعدًا للقبول بأي حل للمشكلة مهما كان بسيطًا واضحًا.

قلتُ: فلنعد يا صاحبي أولاً للحوار الذي لا يزال بين أدينا، مما اقتضته مشيئة الله وإرادته في الجنة؛ إذ كان آدم عليه السلام والملائكة وإبليس في حضرة الله، ويحضرني سؤال أرجو أن تجيب عليه يا صاحبي إجابة فورية تلقائية موجزة.

قال: هات سؤالك.

قلت: ألا تستطيع أولاً أن تتصور يا صاحبي، وقدرة الله لا تحدها حدود، اللهم إلا ما لا يتفق مع جلاله وكماله، إن الله ﷻ كان يستطيع أن يبقي سيدنا آدم وأمنا حواء وذريتهما مع توالى الأجيال بالجنة؟

قال: لم يكن ذلك ليعجز الله لو شاء الله ذلك دون ريب، ومصداق ذلك قول الله ﷻ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يونس: ٩٩] وبالقرآن آيات كثيرة تؤكد هذا المعنى.

قلتُ: ماذا كانت تكون النتيجة لو لم تقض مشيئة الله وحكمته أن يهبط آدم وحواء من الجنة؟

قال صاحبي: لو لم تقض مشيئة الله وحكمته أن يهبط آدم وحواء من الجنة لظلا فيها مؤمنين، ولكان جميع بني آدم مؤمنين؛ إذ يستحيل وجود كفار بالجنة كما تقضي بذلك البداهة.

قلتُ: يا صاحبي أيهما أليق بمقام الربوبية، أن يؤمن بنو آدم بالله ويعبدوه طواعية واختيارًا، أم قهرًا وإجبارًا؟

قال صاحبي: الإيمان بالله وعبادته طواعية واختيارًا لا قهرًا وإجبارًا، هو الذي يليق بمقام الربوبية دون ريب، بل إن طبيعة الإيمان ومعناه لا تتضح إليَّ بتوافر نقيضها من الكفر، وطبيعة الطاعة وحقيقتها لا تتضح إلا بتوافر إمكانية العصيان.

لقد اتضحت معالم هذه الفكرة تمامًا، لقد اتضحت لي حكمة الله ﷻ في هذا الحوار الذي اقتضته مشيئة الله، إن كل ما جرى في ذلك الحوار قد اقتضته مشيئة الله بما في ذلك عدم سجود إبليس لآدم كما سجدت الملائكة له، ما كان إبليس ليستكبر عن السجود لآدم لو لم تقض مشيئة الله بذلك لحكمة يعلمها الله ﷻ، وما كان الحوار كله ليتم لو لم تقض به إرادة الله وحكمته ومشيئته وقدرته ﷻ، لقد ورد ذكر هذا الحوار بالقرآن الكريم لتتضح لنا هذه المعاني، وهي معان ما كنا لندركها لولا أن أنعم الله علينا بنعمة القرآن الكريم.

قلتُ: اتفقنا إذن يا صاحبي على أن الله ﷻ اقتضت حكمته أن يعبد، وأن يؤمن به مَن يشاء من خلقه طواعية واختيارًا لا قهرًا وإجبارًا، ونود بأوجز الإيجاز أن نتفق على حقيقة أخرى تقضي بها البداهة، وتتمثل هذه الحقيقة في أن الله ﷻ شاءت حكمته أن يختبر بني آدم، فمَن شاء فليؤمن، ومَن شاء فليكفر، ولقد ورد بالقرآن الكريم آيات كثيرة تدل على هذا الاختبار الإلهي لبني آدم منذ اكتمال عقلهم إلى آخر حياتهم في كل قول أو فعل أو اعتقاد، ومن هذه الآيات قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨].

قال صاحبي: ماذا تقصد بالضبط؟ أين حل المشكلة أو المعضلة؟

قلتُ: حل المشكلة أو حل المعضلة يا صاحبي كلمة واحدة هي كلمة الاختبار، خلق الله الإنسان بمشيئة في أحسن تكوين، وزوده بالعقل، وعلم آدم الأسماء كلها، بما يعني أنه ﷻ قد زود بني آدم بالقدرة على المعرفة وبالقدرة على التعلم، وأسبغ الله على بني آدم نعمة ظاهرة وباطنة؛ ليستطيعوا الحياة حتى يتوفاهم الله بعد أن يستفوا آجالهم، وبالإضافة إلى نعمة العقل والقدرة على المعرفة؛ وأرسل الله الأنبياء والرسل، وأمدهم بالمعجزات، وأنزل على بعض الأنبياء والرسل الكتب السماوية، وكان كل نبي أو رسول يظهر في قومه ليهديهم إلى عبادة الله لو تقطعت أسباب مداركهم عن الاهتداء إليه، وأتم الله نوره لبني آدم جميعًا برسالة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ إلى الناس كافة، وأمده الله ﷻ بآخر وأتم وأكمل صور وحي الله إلى الأنبياء والمرسلين، وهو القرآن الكريم معجزة المعجزات؛ إذ حوى المعجزات السابقة جميعًا، وحشدها ذخيرة هدى وإيمان لكل مَن يشاء الهداية والإيمان؛ ليؤمن من بني آدم مَن يشاء، وليطيع أوامر الله؛ ولينتهي عمَّا نهى عنه الله، وليتبع الصراط المستقيم، فيستحق ثواب الله؛ وليكفر مَن يشاء من بني آدم، وليعص أوامر الله، وليستحل ما حرَّم الله، متبعًا صراط المغضوب عليهم والضالين، فيستحق عقاب الله. إنه الاختبار يا صاحبي.

قال صاحبي: هل الحل بهذه البساطة؟

قلتُ: ألم نتفق على أنه لا يعيب حل مشكلة أو معضلة أن يكون الحل بسيطًا، قلنا: إن صميم المشكلة أو المعضلة كما يحلو لك أن تسميها، هو أن القول بالجبر وتعززه آيات قرآنية كريمة لدى القائلين بالجبر مثل: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنفال: ١٧] القول بالجبر لدى القائلين به يا صاحبي يتصادم مع عدل الله كما ألمحنا.

والقول بالاختيار وتعززه آيات قرآنية كريمة لدى القائلين بالاختيار مثل: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩] القول بالاختيار لدى القائلين به يتصادم مع العلم الإلهي كما أسلفنا، ولو أننا سلمنا بقدرة الإنسان على الاختيار وعلى عدالة الحساب والثواب والعقاب، لما أصبحت هنالك ضرورة للقول بالجبر من جهة، ولما تعارض الاختيار مع العدل من جهة ثانية، والقول بالاختيار أو الابتلاء ينفي التعارض مع العلم الإلهي ثالثًا لو افترضنا هذا وذاك وتلك، لأمكن حل المشكلة أو المعضلة كما يطيب لكل أن تسميها.

قال صاحبي: الصواب إذن هو القول بحرية الإنسان، وقدرته على كسب الأفعال، مما يتسق مع عدل الله عند الحساب ويتسق مع الثواب والعقاب، ولا يتناقض مع سابق علم الله وإرادته وحكمته؟

قلتُ: لا ريب في ذلك يا صاحبي فيما يتعلق بالأمور المتصلة بما يحاسب عنه الإنسان بين يدي الله مثل الإيمان والكفر، الطاعة والمعصية، وغير ذلك مما يحاسب عليه الإنسان، بدليل ربط القائلين بالجبر والمعارضين للجبر بين هذا الجبر الذي يتوهمونه أو يعارضونه وبين تعارضه مع الثواب والعقاب والحساب والعدل الإلهي، ولنضع في اعتبارنا أن الآيات التي يستندون إليها في قولهم بأن بني الإنسان، عموم الإنسان؛ أي الناس جميعًا، مجبرون، مسيرون غير مختارين، لا تعني كما هو

الشأن بالنسبة للآية السابعة عشر من سورة الأنفال التي ذكرناها منذ قليل فعلاً، من الأفعال التي تستوجب حساب البشر بين يدي الله ﷻ؛ إذ أنها تدل في مجملها على مساعدة الله ﷻ وعونه ومدده لمن كانوا يقاتلون في سبيل الله في معركة بدر الكبرى، كما يتفق على ذلك جمهور المفسرين.

المسألة يا صاحبي -لمزيد الإيضاح، ومع الفارق طبعًا- مثلها مثل معلم يعرف مقدار تحصيل كل طالب من الطلاب الذين يعملهم، هل يعطيهم آخر العام درجات دون امتحان بالغًا ما بلغت معرفته بقدرات كل منهم ومدى تحصيله؟ لو فعل ذلك لاحتج أي طالب مَن قلَّت درجاتهم دون امتحان بأنه كان يستحق درجات أكبر، ولكن الامتحان الذي يؤدونه يمنع أي احتجاج مهما اتفقت النتائج التي يسفر عنها الامتحان، مع توقعات المعلم لما يستحقه كل منهم من الدرجات الدالة على مستوى تحصيله في مادة الامتحان، ولو كان لنا أن نوجز حل المشكلة، وقلتَ لي: هل الإنسان مسير أم مخير، مجبر أم مختار؟ لقلتُ لك: الإنسان مخير مختار، ويتفق ما ينعم به الإنسان من قدرة على اختيار الأفعال وكسبها فيما يتعلق بالحساب والثواب والعقاب مع العدل الإلهي بطبيعة الحال، والله جل شأنه يقول: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت: ٤٦] لا تناقض بين اختيار الإنسان وقدرته على كسب الأفعال المتعلقة بالحساب والثواب والعقاب مع العدل الإلهي الواجب لله ﷻ، ولا تعارض بين اختيار الإنسان وبين العلم الإلهي الأزلي الأبدي الواجب لله ﷻ.

قال صاحبي: اتضحت معالم نظريتك في حل المشكلة أو المعضلة، ولكن النقطة الأخيرة تحتاج مزيدًا من الإيضاح، شخص بصدد أن يقتل نفسًا حرم الله قتلها. لو افترضنا أنه مختار غير مجبر على فعلته هذه كما ترى، يستطيع بموجب حريته إتيان الفعل أو عدم إتيانه، وحتى لحظة إتمامه الفعل أو نكوصه، كيف يستطيع أحد أن يعرف ما إذا كان سيقترف فعلته أو خطيئته أو سينكص عنها؟ إن حريته كما ألحت أنت نفسك تجعل من المستحيل أن يعرف أحد ما إذا كان سيقترف فعلته أو خطيئته أو سينكص عنها! كيف تفسر ذلك؟ كيف لا تتعارض حريته مع العلم المسبق القديم الذي نسلم به لله ﷻ؟

قلتُ: يا صاحبي، هذه هي عقدة المشكلة بالفعل، ولقد قلت يا صاحبي: إن أحدًا لا يمكن أن يعرف ما إذا كان ذلك الشخص سيقترف فعلته أو خطيئته أم سينكص عنها. ومعرفة آحاد الناس وعلمهم يختلف بطبيعة الحال عن علم الله ﷻ من جهة، ولا مراء في ذلك؛ إذ أن معرفة آحاد الناس محدودة، وعلم الله لا تحده حدود كما تقضي بذلك بداهة المؤمنين بالله ﷻ، ومن جهة أخرى فقد اتفقا أن الله يريد أن يختبر بني آدم ليبلوهم أيهم أحسن عملا؛ ومن جهة ثالثة، فقد اتفقا على أن الله يريد أن يؤمن به بنو آدم، وأن يطيعوه طواعية واختيارًا، لا قهرًا وإجبارًا؛ ومن جهة أخرى نجد أن قضاة البشر، فيما تواضع عليه البشر، يضعون في اعتبارهم -لو وصلت يد عدالة البشر إلى مثل هذا الجاني- يضعون في اعتبارهم ما إذا كان ذلك الجاني مجبرًا على اقتراف جريمته أم اقترف جريمته مع سبق الإصرار والترصد بحرية إرادته وكامل وعيه وتدبيره، أوليس الله أولى مع كامل عدله بمراعاة الجبر والاختيار؟

ودعني يا صاحبي أقدم لك مثالاً أعم وأشمل، ولكنه أوضح من مثال مرتكب معصية أو خطيئة، فلنناقش قضية الإيمان والكفر ذاتها من هذا الجانب المتصل بموضوعنا، ألا ترى يا صاحبي أن بعض الناس قد آمنوا بالله وأزمعوا اتباع الصراط المستقيم، وأن بعضهم قد كفر بالله وحاد عن الصراط المستقيم؟ ألا ترى يا صاحبي كل يوم أن أناسًا من العرب والعجم يدخلون في الإسلام، إذ يتضح لهم أن الدين عند الله هو الإسلام؟ كيف يتم ذلك؟ علام يدل هذا؟ إن هذه الظاهرة التي تحدث كل يوم تدل على حرية الإنسان وقدرته على الاختيار؟ إن التحول من دين إلى الآخر فيه كثير من العنت والمشقة كما هو معروف مألوف؛ إذ ربما يحرم الإنسان الذي آثر دينًا غير دين أبويه إرثًا، أو ربما أفضى تحوله من دين إلى آخر إلى قطع علاقات إنسانية، تتمثل في علاقات الدم أو القرابة أو الزمالة، وهي أقوى العلاقات الاجتماعية التي يصعب على الإنسان قطعها؛ ولكن مَنْ صَحَّت بصيرته، وقويت عزيمته، يستطيع بالفعل أن يعمل إرادته، وأن يمارس حريته، وأن ينفذ اختياره للدين الذي اهتدى إلى صحته، وللعقيدة التي ارتضاها، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [الكهف: ٢٩]

ولقد اتفقنا آنفًا يا صاحبي أن الله لم يكن ليستحيل عليه ﷻ أن يخلق بني آدم جميعًا في الجنة مؤمنين طائعين صالحين، ولكن شاءت إرادته أن يهبط آدم، وبالتالي بنو آدم إلى الأرض لتكون لهم مستقرًا ومتاعا إلى حين؛ لأن الله ﷻ شاءت إرادته أن يؤمن بنو آدم طواعية واختيارًا لا قهرًا وإجبارًا، ولا يتأتى ذلك بطبيعة الحال إلا إذا اجتازوا إلى الإيمان بالله وإلى طاعته بلاءً واختبارًا، تختلف درجاته، ويختلف عقابه، ويختلف ثوابه، نسأل الله ﷻ أن يخفف بلاءنا وأن يهدينا، وأن يعفو عن خطايانا إنه هو التواب الرحيم، ولقد كانت نعمة التوبة هي خاتمة ذلك الحوار الذي اقتضته مشيئة الله؛ إذ قال ﷻ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝٣٧﴾ [البقرة: ٣٧]

قال صاحبي: هل تريد أن تلخص حل المشكلة أو المعضلة في أن الاختيار بغرض الاختبار، وأن الله يعلم ما يسفر عنه الابتلاء لبني الإنسان واختبارهم، وأن كل ذلك يجري وفق مشيئة الله وحكمته؛ لأنه بضدها تتمايز الأشياء، وأن الإيمان والطاعة ما كانا ليعرفا في دنيا البشر لولا وجود، أو على الأقل لولا إمكانية وجود المعصية والكفر؟

قلتُ: بالضبط يا صاحبي، والله أعلم.

الحوار وأصول الكلام

قال صاحبي: وتبقى أسئلة.

قلتُ: بخصوص هذه المشكلة أو المعضلة أم بخصوص مسائل أخرى؟

قال صاحبي: بخصوص مسائل أخرى، لقد أوفيت هذه المشكلة أو المعضلة حقها، وقدمتُ لها بنظريتك في الاختيار للاختبار حلاً قبلتُ به عن رضى واقتناع، سيما تقديمك إياه مرتبطًا بطبيعة الإيمان والطاعة، اللذين لا يتضحان بدون الكفر والمعصية فيما قضت به إرادة الله ومشيئته وحكمته، والأسئلة المتبقية تسأل بمسائل أخرى.

قلتُ: يا صاحبي ألا ترى أنه قد طال بيننا الحوار؟ ألا تلمس يا صاحبي رغبتي عنه وزهدي فيه؟ ألا تعرف أن حياة البشر كلها حوال في حوار؟ ألا تعرف أن

الحوار لو لم نطو صفحته يمكن أن يمضي بنا إلى ما لا نهاية، فننشغل به آناء الليل وأطراف النهار؟ أم يغرك مني أنك الإنسان الوحيد الذي أستريح معه إلى حوار؟ أم يغرك مني أنني لا أرغب في أن أعرض معك عن حوار؛ لأنني حريص على ودِّكَ، أرجو رضاك؟

قال صاحبي: اطمئن، إن حوارنا سيصل إلى نهاية، ولم يبق عندي إلا أسئلة قليلة، وهي متصلة أشد الاتصال بموضوعنا؛ إذ أن منهج العلامة ديدات وهو الموضوع الذي أعرف أنك معني به، يعتمد على الحوار كل الاعتماد.

قلتُ: ما دامت الأسئلة المتبقية لديك قليلة، وما دامت متصلة بموضوعنا، هاتها واحدًا واحدًا، فما جعل الله لرجل من عقلين في رأسه، ولا لسانين في حلقه.

قال صاحبي: ما أزجيته من حل موفق لمشكلة الجبر والاختيار من خلال الاختبار المتسق مع طبيعة الإيمان في إطار مشيئة الله وحكمته، إنما هو -في حدود علمي- من مسائل علم الكلام، هل علوم مثل علم الكلام والتصوف والفلسفة بوجه عام والفلسفة الإسلامية بوجه خاص، إنما هي علوم ضرورية للإنسان المسلم حتى يفهم الإسلام كما ينبغي؟

قلتُ: كلا يا صاحبي، ولم يصطنع صحابة رسول الله ﷺ ولا التابعون ولا تابعو التابعين علمًا من هذه العلوم، وكان إسلامهم رضي الله عنهم أجمعين هو المثل الأعلى للإسلام كما ينبغي أن يكون، لقد سبق أن ألمحت في سياق حوارنا أن الفلاسفة مثلاً لم يتفقوا على شيء أبدًا، وقدمتُ بعض الأمثلة الدالة على ذلك، كذلك يختلف أصحاب علم الكلام في كل الكلام تقريبًا، وكذلك يختلف المتصوفة في أحوالهم ومقاماتهم وتذوقهم ومواجيدهم، ويقتضيني إصراري على الإيجاز ألا أخوض في تفاصيل ذلك، ويبدو يا صاحبي أنه لن يجديني معك نفعًا إلا إعمال قاعدة «عدم الخوض» هذه إلى أبعد حد مستطاع، ويكفي هنا أن أُذكِّرَك بأن النصيحة التي نصحتك بها بخصوص أن الموقف السليم للإنسان العادي من الفلسفة، يجب أن يكون هو موقف المتفرج، لا يلزم أن تؤمن بكل ما تسمع أو تقرأ من آراء الفلاسفة، وهذا هو الموقف السليم أيضًا فيما يتعلق بعلم الكلام أو التصوف، ولحسن الحظ ليس كل الناس فلاسفة، وما ينبغي أن يكونوا، وليس كل

الناس من المشتغلين بعلم الكلام وما ينبغي أن يكونوا، وليس كل الناس متصوفة وما ينبغي أن يكونوا تماما، كما أنه ليس كل الناس موسيقيين وليتهم كانوا، وليس كل الناس لاعبي كرة قدم أو كرة سلة وليتهم كانوا، لكننا يجوز أن نستمع بالموسيقى الجيدة وأن نتذوقها بعض الوقت، ولو اتسع وقتنا وفرغنا من أعمالنا وأدينا صلواتنا بما يرضي الله، يجوز أن نروح القلب ساعة بالتفرج على أي رياضة مشروعة محترمة، بل يجوز لو أمكن لنا أن نشارك في هذه الرياضة أو تلك، مع التسليم بأنه ليس مطلوبًا أن يمارس كل البشر المشاركة في لعبة كرة القدم مثلاً. يلعب كرة القدم فريقان لا يزيد عددهم عن ٢٢ لاعبًا، يتفرج على أدائهم، وما يتيسر لهم من فنون اللعبة ومهاراتها، وما يحرزونه من أهداف تصل بهم إلى النصر أو التعادل أو الهزيمة مئات أو آلاف أو ملايين البشر، وربما يكون هذا التفرج مفيدًا أو مريحًا أو محققًا لمتعة، ولكن يستحيل أن يكون الناس جميعًا لاعبين أو مشتغلين بعلم الكلام أو بالفلسفة أو بالتصوف، يجوز أن يكون هذا مفيدًا ممارسة أو تفرجًا؛ ولكنه ليس ضروريًا.

وعلى كل حال ستلاحظ يا صاحبي أن العلامة أحمد ديدات في منهجه الذي مارس به دعوته إلى الله ودفاعه عن الإسلام، قد استطاع أن يتجنب مزالق هذه العلوم ببراعة واقتدار، كما أنه تفادى مشكلات السياسة بما حباه الله من فطنة وكياسة، وحسبي ها هنا -كمثال- أن أشير بإيجاز إلى آخر سؤال، وهو السؤال العاشر، بآخر مناظرة جرت بينه وبين كبير قساوسة السويد باستر إستانلي شوبيرج بمدينة استوكهولم في الثامن والعشرين من أكتوبر عام ألف وتسع مائة وواحد وتسعين؛ إذ سألت صاحبة السؤال قائلة: هل غَيَّر إله المسلمين رأيه وأخطأ فصرف النبوة عن على وأعطاها لمحمد؟ هل إله المسلمين، إلهك وليس إلهنا، يغير رأيه ويخطئ؟ ودعني أوجز لك القول يا صاحبي، فأخبرك أن إجابة العلامة ديدات جاءت كما يلي بالحرف الواحد: لقد سألت صاحبة السؤال سؤالاً، وأرجو أن أكون قد فهمت سؤالها، سألت: هل يرتكب الله أخطاء؟ والإجابة هي: لا. لا يرتكب الله أخطاء. وانتهت بهذه الإجابة الوجيزة إجابة العلامة ديدات على ذلك السؤال، وضجت القاعة بتصفيق الاستحسان، وكانت إجابته -أطال الله بقاءه-

مسك الختام في ذلك اللقاء الهام، دون أن يخوض العلامة في ترجيح أو تجريح فكر الشيعة، ودون أن يخوض العلامة فيما بين الشيعة والسنة من نقاط اتصال واتفاق أو نقاط خلاف وقطيعة.

العقل؟ أم القلب؟ أم الجمع بينهما ؟

قال صاحبي: سؤال آخر؟

قلتُ: ما هو؟ هاته.

قال صاحبي: نعرف أن العالم المعمور الذي ترعرعتْ ونمتْ في أرجائه حضارة البشر، هو ما تعارف الناس على تسميته الشرق الأقصى (اليابان والصين والهند وما جاورها) والشرق الأوسط (بلاد النهرين أو بلاد فارس والشام وشبه الجزيرة العربية وشرق البحر المتوسط) وجنوب أوربا وخصوصًا إيطاليا وبلاد اليونان وإسبانيا وشمال إفريقيا، وهنالك كثيرون يلاحظون أن أهل الشرق الأقصى غلب عليهم الطابع العاطفي الروحي، الذي يعتمد في معارفه وعقائده على الحدس الذي يعتمد على الشعور الفطري، بينما اعتمد الإنسان الأوروبي في بلاد اليونان على النظرة العلمية التي تسعى إلى تحصيل العلوم الطبيعية بطريقة تجريبية استقرائية، وهي النظرة التي أفضت إلى تقدم الفلسفة وإلى التقدم العلمي الذي يعزى التقدم فيه إلى الجنس الآري المتفوق على الجنس السامي، الذي تقطن شعوبه بلاد الشرق، وفي ذلك يقول «ليون جوتييه في كتابه تمهيد لدراسة الفلسفة الإسلامية، ص٦٦» ما نصه: «يختلف الآريون عن الساميين اختلافًا أصيلاً في كل المناشط البشرية من أدنى الأمور كالطعام والثياب إلى أعلاها كالنظم الاجتماعية والسياسية، والعقل السامي يترك الأشياء مفرقة مفككة مبعثرة كما يصادفها، وكل ما يفعله إزاءها هو أن يقفز قفزات مباغتة من شيء إلى شيء بغير محاولة لربطها معا، وللتنسيق بينها وفقًا لما يمكن ملاحظته من تدرج فيها؛ على حين أن العقل الآري يُرَكِّب الأشياء المختلفة تركيبًا يعتمد على روابط متدرجة تجعلها وثيقة العرى بعضها مع بعضها الآخر؛ حتى يصبح الانتقال من شيء إلى شيء، ومن مقدمات إلى نتائج أمرًا طبيعيًّا».

ويقول «دنكان ماكدونالد» في كتابه المعنون بعنوان «تطور الفقه ونظرية الحكم عند المسلمين» (ص ١٢٥-١٢٦): «ليست الحياة بأسرها في نظر الساميين إلا موكبًا طويلاً يبدأ من المحيط العظيم، لينتهي إلى المحيط العظيم مرة أخرى، وليس في العالم عند الساميين حق سوى الله، فمنه نشأنا وإليه نعود، وما على الإنسان إلا أن يخشى الله ويعبده، أما هذه الدنيا فهي دنيا خادعة، تسخر مِمن يركنون إليها، وتلك هي النغمة السائدة في الفكر الإسلامي كله، وهي الإيمان الذي يرتد إليه السامي آخر الأمر دائما، وتترد مثل هذه الأقوال عن الساميين في الشرق وعن الآريين في أوربا في كثير من كتابات وكتب مفكري الغرب، فأين مكان المشرق العربي، وأين مكانته الحقيقية في هذا الذي يقوله مفكرو الغرب.

قلتُ: مكان المشرق العربي يا صاحبي مكان القلب بين الشرق الأقصى وبين الغرب؛ ولذلك أطلقوا عليه عضويًا وتلقائيًا اسم الشرق الأوسط، ولقد ألقيت يا صاحبي بأشياء كثيرة على بساط الحوار دفعة واحدة، ولم تأت بنص واحد لتستشهد به، بل أتيت بنصين، هل تريد أن يصدق فينا قول «دنكان ماكدونالد» وهو صاحب النص الثاني فيما أوردته بين يدي سؤالك؟

قال صاحبي: أردتُ أن أقدم بين يدي كلامي ما يثبته، ولم أشأ الإطالة بأي حال.

قلتُ: ومع ذلك يا صاحبي يطول بنا الحوار، ويطول لو أردنا الوصول إلى كل التفاصيل، أنت تدرك يا صاحبي أن الشرق الأوسط، بوجه عام وبيت المقدس حيث هيكل سليمان ومولد المسيح ومرتقى خاتم المرسلين إلى السماء؛ وقلب الجزيرة العربية حيث جبال حاران التي تتربع فوقها الكعبة المشرفة ومكة المكرمة، هذا الشرق الأوسط هو مهبط الأديان، سل يا صديقي ليون جويتيه أو دنكان ماكدونالد: ما ديانتك؟ لن تخرج إجابة أي منهما عن أن يجيبك بقوله: اليهودية أو المسيحية أو الإسلام، ويعرف كل منهما كما يعرف غيرهما على سبيل اليقين أين نزلت ديانات التوحيد الثلاثة، لقد نزلت بالشرق الأوسط.

قال صاحبي: ما نصيب قوليهما من الصواب والخطأ.

قلتُ: فيما أدليا به من أقوال صواب، وفيه خطأ، ومنشأ الخطأ في أقوالهما هو التعميم أولاً والمبالغة ثانيًا، لقد وقع دنكان ماكدونالد نفسه في ذات الخطأ الذي يعيبه على ما يسميه الفكر السامي؛ إذ يعتبر أن الساميين كآسيا في الحديد يتمددون جميعًا بالحرارة، وتنحدر أفكاره من هذا المحيط، لتصب فيه كما نبعت منه، لندع يا صاحبي الشرق الأقصى؛ إذ أنه حتى مشارف العصر الحديث كاد أن يكون منغلقًا على نفسه، بل لماذا ندع الشرق الأقصى يا صاحبي؟ ولماذا ننساق إلى خطأ، بل خطيئة الظن بانغلاق المجتمعات الانسانية، ونحاول الوصول إلى ذات النتيجة التي توصل إليها العنصريون من مفكري الغرب في محاولتهم المتهالكة على إثبات تفوق الجنس الآري على أبناء الجنس السامي.

نقول: إن الاتصال والتواصل الحضاري منذ فجر التاريخ وفي العصر الوسيط وفي العصر الحديث، كان وما زال وسيظل يجري على قدم وساق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، يقول الأصحاح الثاني من إنجيل متى ما نصه: «ولما ولد يسوع في بيت لحم اليهودية في أيام هيرودس الملك إذا مجوس من المشرق قد جاءوا إلى أورشليم، قائلين: أين هو المولود ملك اليهود» ألا يدل ذلك على اتصال الشرق الأقصى بالشرق الأوسط؟

ويقول سفر من أسفار اليوبانشاد الهندية: «حقا إنه لم يكن مسرورًا، فواحدٌ وحده لا يشعر بالسرور فتطلب ثانيًا، لقد كان حقًّا كبير الحجم حتى ليعدل جسمه رجلاً وامرأة تعانقا، ثم شاء لهذه الذات الواحدة أن تنشق نصفين، فنشأ زوج وزوجة؛ لأن النفس الواحدة تكون كقطعة مبتورة، وضاجع زوجته فأنسل البشر، وسألت الزوجة نفسها قائلة: كيف استطاع مضاجعتي بعد أن أخرجني من نفسه؟ فلأختف، واختفت الزوجة في صورة البقرة، فانقلب هو ثورًا وزاوجها، وتولدت الماشية... إلخ» هذه السمة التقريرية ليست هي سمة الفكر الشرقي الهندي الآري القديم، بل هي هي سمة الفكر الأوروبي الآري القديم، ويقول طاليس في بلاد اليونان عام [٦٢٤-٥٤٦ ق.م]: «لقد خلقت الأشياء بمختلف أشكالها من عنصر أولي واحد هو الماء؛ إذ أن الكائنات الحية تنشأ في البيئة الرطبة».

ويقول أنكسمندريس: «إن مادة أولية لا متناهية وغير محدودة هي التي خلق منها العالم، وهي مزيج من الأضداد المختلفة» وذهب أنكسيمانس (٥٨٥-٥٢٨ ق.م) إلى أن الهواء هو الأصل في حياة كل الموجودات الحية.

ويقول الأصحاح الأول من سفر التكوين بالعهد القديم أو التوراة بذات الطريقة التقريرية: «في البدء خلق الله السموات والأرض، وكانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه القمر ظلمة، وروح الله يرف على وجه الماء، وقال الله ليكن نور فكان نور، ورأى الله النور أنه حسن، وفصل الله بين النور والظلمة، ودعا الله النور نهارًا والظلمة دعاها ليلاً، وكان مساء وكان صباح يومًا واحدًا، وقال الله: ليكن جلد في وسط المياه، وليكن فاصلاً بين مياه ومياه. فعمل الله الجلد وفصل المياه التي تحت الجلد والمياه التي فوق الجلد، وكان كذلك، ودعا الله الجلد «سماء» وكان مساء وكان صباح يومًا ثانيًا» [سفر التكوين ١:١-٨]

إنها هي هي نفس الجمل التقريرية الإخبارية في أسفار اليوبانشاد، وفي أقوال فلاسفة اليونان، وفي سفر التكوين.

وعندما نادى فيلو اليهودي (٢٠ ق.م - ٤٠م) باللوغوس أو العقل الذي يحكم العالم، واستخدم في التعبير عنه اصطلاح الكلمة، ظهر اصطلاح الكلمة أيضا بإنجيل «يوحنا» بعد حوالى مائة سنة من انتهاء شأن المسيح مع قومه ليطالعنا أول سطر من إنجيل «يوحنا» بقوله: «في البدء كان الكلمة» وكأن القديس متى والقديس مرقص والقديس لوقا، لم يكونوا يعرفون أنه في البدء كان الكلمة حتى جاء يوحنا، وهو غير يوحنا بن زبدي حواري المسيح ﷺ، ليقول في صدر الإنجيل الذي كُلِّفَ بإنشائه في مدينه إفسس أول ما يقول: «في البدء كان الكلمة» بعد أن كان هذا الاصطلاح قد صله «فيلو» اليهودي الهيليني.

تنتقل الأفكار يا صاحبي في جميع أنحاء العالم من أقصاه إلى أقصاه منذ فجر التاريخ حتي اليوم، وماذا كان يفعل جند الرومان بفلسطين ومصر وشمال إفريقيا في عهد المسيح ﷺ، ألم يكن حاكم فلسطين في عهد المسيح هو بيلاطس الروماني؟ ألم يكن جند الرمان هم الذين قبضوا على المسيح إذ تقرر صلبه في محاولة لتقله؟ ألم

يضطهد جند الرومان المسيحيين الأوائل طوال ثلاثة قرون؟ ألم يستدر جند الرومان لاضطهاد اليهود عندما قرر إمبراطور الرومان نبذ الوثنية واعتناق المسيحية التي انتشرت بين الرعية في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية، فقرر التحالف مع قادتها وكهانها؛ ليستتب الحكم للإمبراطورية وتظل السيطرة الرومانية؛ إذ كان الإمبراطور يحتاج إلى كهنة السميحية لضمان خضوع الرعية، وكان كهنة المسيحية بحاجة إلى الحراب الرومانية لقهر العداوة الوثنية واليهودية على حد سواء، وليشرب اليهود والوثنيون من ذات الكأس المرية التي كان يشرب منها أوائل المسيحيين؟ إن محاولة تقسيم البشر إلى ساميين وآريين وحاميين مع محاولة اعتساف خصائص لنمط التفكير السائد لكل جنس من هذه الأجناس، كالقول بأن التفكير السامي يجنح إلى العاطفة والخيال، ويعتمد على الحدس واستنباط الذات في نظرة شمولية روحية، تحاول التسامي إلى استشراف المطلق، والغيب مع انعدام القدرة على التحليل والتجريب والتفكير الموضوعي، الذي يتصف به الفكر الآري فيما يزعمون، إن هذه المحاولة أشبهما تكون بمحاولة الفصل بين رأس الإنسان وقلبه، والزعم بأن الإنسان يعيش برأس دون قلب، أو بقلب دون رأس؛ إذ لا غني للإنسان في حقيقة الأمر عن رأسه فوق كتفيه وقلبه بين جنبيه لتتاح له فرصة الحياة.

وحسبنا أن نشير إلى أوجه التشابه بين الفكر المسيحي الذي قبلت به أوروبا فيما يتعلق بالمسيح، وبين الفكر الهندي الذي كان يزعم أن كرشنا هو ابن الله، وذلك في جدول موجود بكثير من الكتب والمراجع، آثرنا منها ذلك الجدول الموجود بآخر كتاب عقيدة الصلب والفداء للشيخ محمد رشيد رضا لوجود ثبت بمراجعه(١).

ومنه يتضح يا صاحبي مدى استقلالية وموضوعية وتجريبية وتركيبية واستقرائية الفكر «الآري» الذي لم يتورع عن نقل أفكار الهنود عن كرشنا ابن الله فيما يزعم الهنود، ونسبتها إلى يسوع ابن الله فيما يزعم النصارى.

---

(١) انظر: كتاب عقيدة الصلب والفداء للشيخ محمد رشيد رضا من ص ١١٧ - ١٢٨، وهي عبارة عن جداول توضح أوجه التشابه بين المسيح وكرشنا ابن الله.

قال صاحبي: لو سلمنا باتصال البشر وانتقال الأفكار وامتزاجها بين البشر منذ الأزل وإلى الأبد في الغالب الأعم، وسلمنا بتهافت الزعم بتفوق الفكر الآري على الفكر السامي، بماذا تفسر وجود نظم الحكم الديمقراطية الأكثر تقدمًا، ووجود الثراء والقوة العسكرية في الغرب، وعدم وجود نظم مستقرة ديمقراطية في بلدان العالم الثالث في الشرق في الغالب الأعم؟

قلتُ: مجرد ظروف تاريخية يا صاحبي، ليس غنى الثروة دليلاً على رقي الفكر أو صحة العقيدة، ولو ساعدت اليابان مثلاً دولة فقيرة، هل تكون عقيدة اليابان الدينية صحيحة، وتكون عقيدة الدولة التي تلقت المساعدة فاسدة من الناحية الدينية؟ يا صاحبي، لم يكن رسل الله أغنياء أقوياء بمعايير القوة الدولية في عالم اليوم، التي تعتمد على الجيوش والسلاح، ولم تكن عقيدة أولئك الذين حاولوا صلب المسيح ﷺ عقيدة سليمة، ولم تكن عقيدة المسيح حين حاولوا صلبه فاسدة، كان الثراء وكانت القوة في جانب جنود الرومان الوثنيين وفي جانب اليهود المارقين، وكان الحق وكان الصواب في جانب المسيح ﷺ.

ولقد تعرض رسول الإسلام ﷺ إلى مثل هذا الغمز وذلك اللمز من جانب بعض أثرياء العرب؛ إذ قالوا: وماذا تجديه النبوة؟ نحن أغنى منه! فنزل قول الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩﴾ [الهمزة: ١-٩]

نعم يا صاحبي، كان هنالك رجال مثل أمية بن خلف، أو الأخنس بن شريق، أو جميل بن عامر الجمحي، وكانوا يغمزون هذا الغمز، ويلمزون مثل هذا اللمز، فرد القرآن الكريم على همزهم ولمزهم.

وإذا كان مفكرو ومؤرخو ومستشرقو الغرب يتهمون الدين عمومًا، والدين الإسلامي خصوصًا بأنه سبب تخلف بعض الدول الإسلامية، فلقد مضت على العالم قرون متتالية كانت لدول العالم الإسلامي اليد العليا في مظاهر الحضارة والقوة والتقدم والثراء، وكانت الجيوش الإسلامية تتقدم في أراضي إمبراطوريات

قوية لتنفتح أمام نور الإسلام وحضارته دول كثيرة كانت تحت حكم الرومان سادة أوربا في ذلك الزمان كالشام وفلسطين ومصر وكل شمال إفريقيا وتركيا وإسبانيا، ووصل الإسلام إلى أبواب فرنسا من جهة المغرب وأبواب فيينا من جهة المشرق، كان الشرق الأوسط الإسلامي يتلألأ نورًا وحضارة، وكانت دول أوربا آنذاك ترقد في غياهب الظلمات والتخلف الحضاري.

ليس الدين يا صاحبي هو سبب التقدم الحضاري أو التخلف الحضاري، إذن فيما نحن بصدده من اتهام المستشرقين والمفكرين الأوروبيين المغرضين في أحكامهم، العكس من ذلك صحيح تمامًا، تخلفتُ دول العالم الإسلامي دون ريب عندما ابتعدت عن روح الإسلام وقيمه الصحيحة بعد قرون متتالية من الازدهار الحضاري والتقدم، بينما تقدمت دول أوربا دون ريب عندما ابتعدت هذه الدول الأوروبية عن سيطرة المسيحية ورجال الكنيسة على مسارات التقدم وأسباب النهضة وصكوك الغفران، ومحاكم التفتيش التي كانت موجودة بدول أوربا حتى مطلع العصر الحديث حقائق تاريخية ملموسة لا ينكرها أي مؤرخ.

لقد كانت الكنيسة يا صاحبي كما سجل التاريخ تفرض نظم الحكم، وتتفق مع الحكام الطغاة ضد الشعوب المظلومة بأوربا، وكانت الكنيسة يا صاحبي تبيع طلاق ملك فرنسا من ملكة فرنسا بعد مباحثات سياسية ومفاوضات ومعاهدات وصفقات، وكانت الكنيسة يا صاحبي تفرض نظريات علمية خاطئة باعتبار أنها تعاليم دينية متصلة بالعقيدة، وكان يتم تعذيب وحرق مَن يبرهن بالأدلة العلمية على خطأ النظريات العلمية الخاطئة، التي تروج لها وتفرضها الكنيسة على رعاياها.

وأشهر مثال على ذلك أن الكنيسة كانت تقول: إن الأرض ثابتة وإن الشمس هي التي تتحرك حول الأرض، وكانت الكنيسة تعتبر أن مَن يقول بغير ذلك كافر يستحق التعذيب حتى الموت، ما لم يعلن توبته على الملأ، ليقول بدوران الشمس حول الأرض، كما تقول الكنيسة التي تفرض هذا المعتقد باعتبار أنه نظام العالم المقدس، إذ أدخلت هذا المعتقد الخاطئ ضمن العقيدة المسيحية، واكتشف عالم الفلك «نيقولا كوبرنيكوس» «N . Copernicos» (١٤٧٣- ١٥٤٣) أن الشمس

هي مركز الكون وليست الأرض كما كان ينادي بذلك بطليموس وتقول به التوراة أو العهد القديم.

ولقد كان بعض علماء الفلك بأوربا مثل «جروستيست» و«بوريدان» و«أوريسم» و «كوسا» قد توصلوا إلى ذات النتيجة؛ ولكن «كوبر نيكوس» كان في غاية الشجاعة عندما ضمن اكتشافه العلمي ذاك مع براهين معتبرة عليه في كتاب المرسوم باسم" الحركات السماوية «De Revolulionibus Orbium Caelestium» ولقد حدث تعتيم ثقافي قاتم على كتاب «كوبرنيكوس» هذا ولم يطبع سوى طبعة واحدة محدودة خلال خمسين سنة، ولما اكتشف جاليليو جاليلي «Galileo Galilee» (١٥٦٤- ١٦٤٢م) أن نظرية كوبرنيكوس صحيحة بعد تطويره مجموعة من المناظر عاد من هولندا إلي إيطاليا مصممًا على نشر النظرية الجديدة، ونشر بعض الكتب لهذا الغرض أهمها كتاب المحاول «Gl Saggiatore» على شكل حوار، فاستدعاه مجلس التفتيش واتهمه بالكفر والهرطقة، وحكم عليه بالسجن وبالتعذيب في طنبور به مسامير من الداخل ليقر أن الأرض ثابتة، وأن الشمس هي التي تتحرك، كما يقول الكتاب المقدس، فكان يقر بذلك وهو داخل الطنبور حتى إذ نزل منه يضرب الأرض بقدمه ويقول: «ومع ذلك فإن الأرض هي التي تدور والشمس ثابتة في مكانها لا تدور».

متى كانت صيحة جاليلو تلك يا صاحبي؟ لقد كانت صيحة جاليليو هذه ترج سلطات الكنيسة وطغيانها السياسي والعلمي معًا في آن واحد، حتى مطلع القرن السابع عشر الميلادي، ولم يحدث أن وقف الدين الإسلامي حجر عثرة في طريق التقدم العلمي، بل نجد أن القرآن الكريم يحصن على العلم، ويثني على العلماء؛ إذ يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨] وأفضال الإسلام والمسلمين على التقدم العلمي للإنسانية معروفة مبسوطة في كثير من الكتب، والرجوع إليها يغني عن الاستطراد في ذكر تفاصيل ذلك.

حوار نظم الحكم

قال صاحبي: والديمقراطية، وحكم الشعب للشعب، وافتقار دول كثيرة بالعالم الثالث إلى وجود نظام حكم كفء مستقر؟

قلتُ: يا صاحبي أنت تطيل الحوار بأكثر مما أريد وبأكثر مما أتصور، ماذا أفعل معك؟

قال صاحبي: أنت تدرك أن كل ما له بداية في حياة البشر صائر حتمًا إلى نهاية، أنا أرجو أن تطمئنك هذه الحقيقة التي تقضي بها البداهة إلى أن حوارنا سيصل إلى نهاية، وأنا لا أقحم أسئلتي إقحامًا ليس له ما يبرره، ألم ترد إلى قول «ليون جوتييه» الذي أوردته بين يديك عن الآريين والساميين؛ إذ قال: «يختلف الآريون عن الساميين اختلافًا أصيلاً في كل المناشط البشرية من أدنى الأمور كالطعام والثياب، إلى أعلاها كالنظم الاجتماعية والسياسية، والعقل السامي يترك الأشياء مفككة مبعثرة كما يصادفها... إلخ.

قلتُ: يا صاحبي، أنا أعرف أن سؤالك متصل بالموضوع لم يخرج عن إطاره، ولكنني أرجو أن تعرف أن موضوع السؤال يحتاج كتبًا كبيرة ومجلدات ضخمة، تتقاعس مئات الصفحات بها عن تقديم إجابة كاملة وافية شافية له، وأنا أستطيع ببساطة أن أحيلك إلى مثل هذه الكتب، كما أشار أحد كبار رجال الدين البوذيين إلى مجموعة كثيرة من الكتب على رفوف المكتبة قائلا لمحدثه: «إذا كنتَ تريد أن تعرف ما هي البوذية؛ اقرأ هذه الكتب».

قال صاحبي: أنا أعرف أن مجلدات ضخمة موجودة عن الفلسفات السياسية، ولقد قرأتُ ما تيسر لي منها، ولم تشف لي غليلاً، ومعظمها تحوي كتابات هي إلى التاريخ أقرب منها إلى أي شيء آخر، ومعظمها يحوي استعراض آراء كبار المفكرين والفلاسفة وما كتبوه من النظريات السياسية بدءًا من العصر اليوناني والنظام الأثيني والإسبرطي ومرورًا بأفلاطون، وأرسطو، ومكيافيلي، وتوماس هوبس، وجون لوك، وديفيد هيوم، وغيرهم، وهم كثير حتى يومنا الحاضر، ومجرد سرد هذه الآراء طبعًا يستغرق مئات الصفحات نجدها أمامنا في مجلد كبير، أنا لا أريد أن

أظل سنوات وسنوات أقرأ وأقرأ، أنا أريد خلاصة قراءة واحد ممَن يجيدون الفهم والقراءة ممزوجة بخلاصة فهمه، ولهذا السبب أغتنم فرصة هذا الحوار وألح في السؤال، أم أنك تريد أن ترفض إجابة السؤال، وأن تبتر ما بيننا من حوار؟

قلتُ: أنا لست بحاجة إلى أن تطريني يا صاحبي لتغريني على الاستمرار في الحوار مهما طال بيننا الحوار، كل ما في الأمر أنني أشفق على مَن يطلع على ما بيننا من حوار، أشفق من طول الحوار مع الغير، وأنت بفتح مجالات الحوار في كل جنبات الموضوع تطيل الحوار، وأنا أشفق من بتر الحوار معك، ولقد قُلْتُ من قبل: إن كل ما له بداية في حياة البشر له نهاية، وهذه بديهية لا خلاف عليها؛ إذ أن حياة الكائن البشري لها بداية ونهاية، والخلود لله وحده لا شريك له، وأنا حريص كل الحرص على أن ينتهي حوارنا بشكل طبيعي غير مبتور.

إن استمرار الحوار ديمقراطية ما دام استخدام اصطلاح الديمقراطية قد أصبح بديهي المفهوم شائع الاستخدام في عصرنا الحديث، ذات مرة يا صاحبي تفضل أحد أصدقائي بتوصيلي بسيارته إلى محطة السكة الحديد بميدان رمسيس، وأثناء تحرك السيارة من عابدين إلى رمسيس دأب صديقي على التحدث معي بطريقة غير لائقة بشأن نقود مستحقة لي طرفه، وكنت على وشك أن أطلب منه التوقف عن المسير بالسيارة والنزول منها لأكمل طريقي بوسيلة أخرى غير سيارته، ولكنني لحسن الحظ لاحظت أن السيارة قد وصلت بالفعل إلى محطة السكة الحديد، وصافحته مودعًا، ونزلتُ من سيارته شاكرًا، وانطوت صفحة ذلك الحوار ليموت موضوعه موتًا طبيعيًا، ولو كنتُ قد نزلت من السيارة قبل بلوغ نهاية المشوار لأفضى نزولي المباغت إلى أزمة ربما عصفت بصداقتنا إلى آخر العمر، ولست أريد يا صاحبي أن أبتر حوارنا بترًا يفضي إلى سوء تفاهم بيننا، وأنت وأنا أحرص الناس على حسن التفاهم واستمرار المودة، فتحتم يا صاحبي استمرار الحوار، والموضوع الذي أثرته، ويثيره المستشرقون ومفكرو الغرب بالفعل مثار، مثار اليوم وغدًا على صفحات كتب وكتيبات صدرت وتصدر وستصدر، وعلى صفحات مجلات وصحف نطالعها كل يوم. وتستطيع يا صاحبي أن تجد كلمة الديمقراطية في عناوين الكتب ومانشتات الصحف على حد سواء، وأنت تدرك يا صاحبي صعوبات موقفي في

الرد على سؤالك، أنت تطلب الخلاصة والإيجاز، والموضوع متشعب يقتضي متابعة التفاصيل والاستطراد، وفي الموضوع مفارقة بين ما ينبغي أن يكون، وبين ما هو كائن بالفعل.

قال صاحبي: أنا مدرك لصعوبات تناول الموضوع فيما بيننا من حوار، وأنا أقبل خلاصة الرأي بشأنه بكل إيجاز.

قلتُ: أشكرك لتواضع مطلبك يا صاحبي، وأرجو من الله أن تكون إجابة مطلبك في حدود المستطاع، بادئ ذي بدء لقد قذفتُ أمامي يا صاحبي نصين من أقوال «ليون جوتييه» و«دنكان ماكدونالد»[1] ينعى أولهما تخلف الساميين في كل المناشط البشرية من أدنى الأمور كالطعام والثياب إلى أعلاها، كالنظم الاجتماعية والسياسية، وينعى ثانيهما على الساميين طريقتهم بالتفكير التي تربط كل شيء بالدين، الذي شبهه بالمحيط يبدأ منه كل شيء وينتهي إليه كل شيء، وربما لاحظت يا صاحبي أنني قد ركزتُ ردي على طريقة التفكير، وحاولت أن أثبت اتصال الفكر البشري، وانتقال الأفكار في كل أنحاء الدنيا، ليتضح لنا أن القدرة على الفكر واكتساب المعرفة النافعة، ليست حِكرًا على جنس دون جنس، لا يستطيع أحد أن يزعم أن الله قد خلق الناس بهذا التمييز العنصري فيما يتعلق بالقدرة على اكتساب المعارف والعلوم.

وإذا كان المستشرقون ومفكرو الغرب يعتمدون فيما يصدرونه من أحكام على ما يدعون أنه استقراء للواقع الفعلى الموجود في عالم اليوم، نجد أن الرد عليهم هو أن الواقع الفعلي الموجود في عالم اليوم متغير، وربما لا يكون موجودًا في الغد، مما يجعل أحكامهم قابلة للنقض من أساسها، ولكنهم يستطيعون أن يحتجوا لخلاصة نتائجهم بأن ما يسمونه بالواقع الفعلى الموجود قد امتد طوال قرون متتالية منذ عصر النهضة حتى اليوم، وحجتهم هذه قوية دون ريب يا صاحبي، ويمكن الرد عليها فحَسْب، بقولنا بأن الزمان الطويل الذي أتاح للجنس الآري أن يتقدم

---

(١) انظر بوجه عام: المرحوم الدكتور زكى نجيب محمود «الشرق الفنان» حيث أورد رحمه الله الرأيين المشار إليهما دون تفنيد.

حضاريًا، ويصل إلى نظام متطور من أدني الأمور كالطعام والثياب إلى أعلاها كالنظم الاجتماعية والسياسية، متاح مثله لشعوب الجنس السامي، لو أخذنا بتقسيم البشر إلي ثلاثة أجناس كما صنفوا البشر، ومن الذي يملك الزمان؟

وجدير الذكر يا صاحبي أنني سبق لي أن أشرتُ بين يديك إلى أن الجنس الآري لم يتقدم في مجالات العلوم إلا بعد انفكاك العلم عن الدوران في عجلة الدين لدى أصحاب الفكر الآري، لقد عاد «جاليليو» من هولندا حيث كان يدرس ويعلم في جامعتها، وحيث وضع كتابه «رسول من النجوم Sidereus Nuncius» عاد «جاليليو» من هولندا إلى إيطاليا موطنه الأصلي لينادي بصحة نظرية كوبرنيكوس في الفلك، وبأن الإنجيل ليس كتاب علم، فهوجم جاليليو في مواعظ الكنائس، واتِهم بالكفر، وحرم من الغفران، وحُوكِمَ وعُذِّبَ وسُجِنَ؛ لأنه نادى بضرورة فصل العلم عن الدين، لكن الثورة الكوبرنيقية يا صاحبي لم تكن ثورة تنادي باستقلال العلم عن المسيحية فحسب؛ إذ ترتب عليها ظهور الدعوة إلى ضرورة فصل السياسة ونظم الحكم عن الدين أيضًا، وهو ما أسفر عنه الصراع بين الكنيسة وبين دعاة الإصلاح العلمي والسياسي، يؤكد تاريخ الجنس الآري هذه الحقائق التاريخية التي لا يمكن أن ينكرها أحد، ولست في حل من أن أذكر السبب الرئيسي الذي أفضى إلى ضرورة المناداة بانفصال العلم والسياسة عن الكنيسة؛ بل لماذا نتحرج من ذكره يا صاحبي؟ السبب الرئيسي يعود دون ريب إلى أن تعاليم الكنيسة حتى مطلع عصر النهضة كانت ترتكز على جهود البشر، وليس على تعاليم الله، والبشر معرضون للخطأ، وهو ما أظهرته بما لا يدع مجالاً للشك الثورة[١] الكوبرنيقية، هل هكذا الشأن فيما يتعلق بالدين الإسلامي، وهو الدين السائد بين مَن يسميهم المستشرقون ومفكرو الغرب بالساميين؟

قال صاحبي: لا، الدين الإسلامي يقوم أساسًا على وحي الله المنزل قرآنًا كريمًا على خاتم الأنبياء والمرسلين كمصدر أول للعقائد والشرائع الإسلامية، ويقوم ثانيًا

---

(١) تنسب الثورة الكوبرنيقية إلى نيقولا كوبر نيكوس (١٤٧٣ – ١٥٤٣م) ولم تقض نظريات في الفلك الخالقة لفعالية الكنيسة إلى الاستقلال العلمي فحسب، بل أفضت إلى استقلال السياسة ونظم الحكم بأوروبا عن الكنيسة أيضًا.

على سنة خاتم الأنبياء والمرسلين فيما صدر عنه من أقوال وأفعال في أمور الدنيا والدين، ويقوم ثالثًا على الاجتهاد حسب أصول الاجتهاد، ولقد دعا الإسلام إلى العلم وحث على التعلم ولم يقف ذات يوم حجر عثرة في طريق التقدم العلمي، ولم يدع الإسلام إلى استبداد سياسي، ولم يفض الإسلام إلى تخلف حضاري، بل أفضى إلى نهوض علمي وعملي وحضاري، استمر قوة دافعة في العالم الإسلامي قرونًا متتالية بدءًا من أواخر القرن السادس الميلادي.

قلتُ: حسنًا يا صاحبي، لقد قلتَ بنفسك ما فيه الكفاية، وحسبي أن أضيف إلى ما قلته بنفسك حقيقتين موجزتين، وتتلخص الحقيقة الأولى في أن المفكرين الآريين المتعصبين لآريتهم معذورون في أن يطالبوا ويطالب معهم بعض المخدوعين بانفصال السياسة والنظم السياسية عن الدين، لو شاءت الشعوب السامية أن تنهض وتتقدم وتصل وتهتدي إلى نظم سليمة للحكم، كما حدث بالنسبة للشعوب الأوربية منذ القرن السادس عشر، وهو ما أفضى إلى نظم حكم ديمقراطية مستقرة بالغرب كما يعتقدون، إنهم يخلطون بين الدين من صياغة البشر، والدين من وحي الله، اليهودية والمسيحية والإسلام كلها في نظرهم مجرد دين، ولقد انفصلت السياسة ونظم الحكم بالغرب الآري عن نفوذ وسلطان وهيمنة، أو على الأقل مداخلات وتوجيهات وتخطيطات الكنيسة المسيحية، فتطورت نظم الحكم إلى الأفضل، هذه الفكرة أو بالأحرى، هذه المغالطة هي عامود الخيمة في انتقادهم هيمنة مبادئ الإسلام على فكر ووجدان المسلمين، وعلى أساس هذه المغالطة جاء قول «دنكان ماكدونالد» بأن الدين في حياة أبناء الجنس السامي كالمحيط، يخرج منه كل شيء ويعود إليه كل شيء. و«دنكان ماكدونالد» ينعي بمقولته تلك على الساميين ارتباط السياسة ضمن كل شيء بالدين، ومن المعروف أن الدين السائد لدي أغلبية الساميين هو الإسلام، ويحرض «دنكان ماكدونالد» المسلمين بذات مقولته تلك على أن يفصلوا بين الدين والسياسة كما سبق أن فعلت أوربا ذلك فتقدمت، والمغالطة في دعوى «دنكان ماكدونالد» يا صاحبي تكمن في اعتقاده أن الدين المسيحي مماثل تمام المماثلة للدين الإسلامي، هل هذا صحيح يا صاحبي؟ هل المسيحية بأوضاعها الراهنة كالإسلام؟ أم توجد بينهما فروق وأي فروق؟!

قال صاحبي: توجد بين المسيحية والإسلام فروق وأي فروق، وليست الفروق بينهما مجرد فروق في مبادئ التوحيد، وفيما يتعلق بتصور الله تصورا غير مخل بالتوحيد، تصورًا ينزه الله عن التجسيم أو الحلول في جسم أو جسد، بل تمتد هذه الفروق إلى صميم الحياة، وإلى كل أوجه الحضارة التي تظل جميع أرجاء حياة البشر، وإذا كان لدى الكنيسة المتمرسة بالسياسة منذ القرن الثالث للميلاد، عندما لجأت إلى أحضان الرومان واستعانت برماحهم وتحالفت مع صاحب التاج الروماني، إذا كان لدى الكنيسة المتمرسة بالسياسة من المرونة ما مكّنها من الانحناء لعواصف ثورة الشعوب الآرية في مطلع عصر النهضة، فإننا نجد أن مبادئ الدين الإسلامي لا تقبل مساومة، ولا ترضى بأنصاف الحلول إنقاذًا لأي اعتبار من الاعتبارات الدنيوية، وإنني لأتذكر أنك قد أشرتَ إلى الفارق في الحوار بين حوار فيما يتعلق بشئون الدين، يقبل بتفاعل الفكرة مع الفكرة، والمبدأ مع المبدأ، والمصلحة مع المصلحة، وبين حوار فيما يتعلق بالدين لا يقبل إلا الحكم بصواب وجهة نظر طرف واحد من أطراف الحوار. أحد أمرين: إما أن يعود سيدنا شعيب مثلاً إلى ملة قومه الخاطئة، أو يخرجونه من قريتهم، ولقد رفض سيدنا شعيب العودة إلى ملتهم، وأعلن أن ليس من حق قومه أن يكرهوه على البقاء في ملتهم، أو الخروج من قريتهم، وهو ما عبَّر عنه قول الحق ﷻ: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَـٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَـٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [الأعراف: ٨٨ – ٨٩]

ولقد سبق لك أن أشرتَ بحق إلى أن حقائق الدين الصحيح لا تقبل بأي حال أنصاف الحلول. أحد أمرين بالنسبة لأهل مدين: إما أن يعود شعيب إلى ملتهم أو يخرجونه من قريتهم، وكان رد شعيب حاسمًا لا يقبل مساومة؛ إذ قال لهم: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ﴾ هذه أمور دين مردها إلى الله، وليست أمور دينا تقبل الأخذ والعطاء وتلتقي فيها الحلول قريبًا أو بعيدًا من أنصافها من حيث إن البشر أدري

بشئون دنياهم، لا مجال في شئون الدين الحق لما يسميه الفلاسفة ما يتركب من الفكرة ونقيضها، ولكن هذا المركب من الفكرة ونقيضها جائز في أمور الدنيا، وإغفال «دنكان ماكدونالد» لهذه الفروق الجوهرية بين الإسلام والمسيحية يقوض دعواه من أساسها دون ريب.

قلتُ: لقد أصبت بسهولة كبد الحقيقة يا صاحبي، والآن تعال يا صاحبي لنستعرض بإيجاز تاريخ الممارسات الديمقراطية في الواقع الفعلي للتاريخ الإنساني، اصطلاح الديمقراطية بمعنى حكم الشعب بالشعب للشعب اصطلاح يوناني قديم، يرجع إلى ما قبل ميلاد السيد المسيح ﷺ بقرون عديد، ولقد كانت هذه الممارسة للديمقراطية بهذا المعنى الحرفي ممكنة عندما كانت المدينة اليونانية مثل أثينا مملكة أو دولة؛ إذ كان الشعب، جمهور الشعب، يستطيع أن يتجمع في أحد ميادين المدينة لمناقشة شأن من شئونها العامة، ولكن هذه الإمكانية سرعان ما تلاشت واندثرت وانطوت صفحتها عندما اتسعت رقعة الدولة لتغذو إمبراطورية كالإمبراطورية الرومانية مثلاً، أين كان الشعب الروماني مثلاً، ناهيك عن شعوب المستعمرات الرومانية من مناورات الأباطرة الرومان أمثال كومودوس وسيفيروس وأنطونيوس وكاراكالا ومكسيموس؟

تعال يا صاحبي نقرأ صفحة واحدة من كتاب الأمير لمكيافيلي من الفصل التاسع عشر المعنون بعنوان: «تجنب المقت والكراهية Avid Bing Des Pisde and Hated» حيث يقول: «مدركًا كسل وفتور همة الإمبراطور جوليانوس، أقنع سيفيروس الذي كان قائد الجيش العامل في إقليم سلافونيا جنوده أن يصحبوه إلى روما ليثأر لمقتل الإمبراطور برتيناكس الذي ذبحه الحرس البرايتورياني، فوصل سيفيروس مع جنوده إلى إيطاليا بهذا الادعاء دون اكتشاف تحركه إليها، وعند وصوله مع جنوده المدججين بالسلاح إلى روما انتخبه مجلس الشيوخ بها إمبراطورًا خوفًا من بطش جنوده بأعضاء المجلس وبشعب روما على حد سواء، وعمد سيفيروس إلى قتل الإمبراطور جوليانوس، وبقيت لدى سيفيروس مشكلتان كي يستتب له حكم الإمبراطورية الرومانية، وكانت المشكلة الأولى هي مشكلة نيجرينوس «Nigrinus»

قائد جيوش آسيا الذي كان قد أعلن نفسه إمبراطورًا هو الآخر، وكانت المشكلة الثانية هي مشكلة ألبينوس «Albinus» في غرب الإمبراطورية الرومانية الذي كان يتطلع هو الآخر إلى الوثوب على العرش، وكان لدى كل من هذين القائدين قوات كثيرة وجيوش جرارة، وإذ قدر الإمبراطور سيفيروس أن من الخطأ والخطر معاداة زميليه في وقت واحد، فلقد قرر أن يهاجم نيجرينوس وأن يخدع ألبينْوس، كتب إلى الأخير يقول له: إنه وقد انتخبه مجلس الشيوخ الروماني إمبراطورًا، فإنه قد قرر من تلقاء نفسه أن يشركه في هذا الفخار، وخلع عليه هو الآخر لقب قيصر «Caesar» وانتزع له بالفعل موافقة مجلس الشيوخ على قرار بأنه زميله وشريكه في عرش الإمبراطورية الرومانية، مما جعل ألبينوس يتقبل هذا وذاك بصدق، وعندما تمكن سيفيروس من هزيمة وقتل نيجرينوس، وهدأت الجبهة الشرقية من الإمبراطورية، عاد سيفيروس إلى روما ليحاكم زميله ألبينوس أمام مجلس الشيوخ بتهمة التآمر عليه ومحاولة اغتياله رغم إحسانه إليه، وتكريمه له بمشاركته في العرش واللقب، وانتزع من مجلس الشيوخ حكمًا بإدانته، وذهب إليه على رأس جيش كبير إلى فرنسا التي كان يعتصم فيها ألبينوس ليسلبه رتبته وحياته في آن واحد».

ويستطرد ميكافيلي قائلاً: «ومَن يتفحص تفاصيل تصرفات الإمبراطور سيفيروس سيجده أسدًا هصورًا وثعلبًا ماكرًا في آن واحد، وسيجد أنه كان مرهوب الجانب، وكان محترم المكانة في نفس الوقت» اهـ.

أين كان الشعب الروماني؟ وأين كانت شعوب آسيا وأوربا وإفريقيا الخاضعة للحكم الروماني من مناورات ومؤامرات وحروب أباطرة الرومان تلك يا صاحبي؟ أكان الشعب الروماني والشعوب الخاضعة له تحكم بالشعب للشعب؟

قال صاحبي: من الواضح أن اصطلاح الديمقراطية لم يكد ينبت له معنى في بلاد اليونان قبل ميلاد المسيح بعديد القرون، حتى ماتت معانيه عندما اندمجت المدن في دولة داخل إمبراطورية قبل ميلاد المسيح أيضًا، وعندما نتأمل الممارسات الفعلية في سياسة الدول ونظم حكمها اليوم، هل نجد أن الديمقراطية بمعناها اليوناني الذي ولدت به موجودة يا صاحبي؟

قال صاحبي: كلا، إننا نجد أن بدلاً أوربيًّا واحدًا مثل ألمانيا كان خاضعًا لنظامين من نظم الحكم، كما أن بلادًا أوربية مثل روسيا وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا كانت تحت نظم حكم شمولية.

قلتُ: هل يوجد ارتباط يا صاحبي بين نظام حكم ديمقراطي وبين المسيحية أو البوذية؛ أو بين نظام حكم ديمقراطي وبين جنس معين من الأجناس كالجنس الآري؟

قال صاحبي: كلا، لا يوجد مثل هذا الارتباط، فما هي حقيقة الأمر فيما يتعلق بالديمقراطية؟

قلتُ: حقيقة أمر الديمقراطية -فيما أرى يا صاحبي- هو مجموعة من القيم النظرية يحلم البشر بتحقيقها، مثل: أن يتمكن الناس في الدولة من اختيار من يحكمهم ويسوس أمورهم، بحيث لا يحكمهم حاكم يكرهونه ولا يرغبون في استمرار حكمه لهم، وبحيث تكون محاسبة الحاكم ممكنة، وبحيث يتمكن الشعب من عزل الحاكم إذا أخطأ أو اتضح سوء نتائج سياسته، وتعني الديمقراطية أيضًا أن يكون للشعب الحق في تقرير النظم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تلتزم حكومته بالعمل في إطارها، بحيث لا يساق الشعب إلى الحياة وفق نظم لا تحقق منفعته أو راحته أو سعادته رغمًا عن إرادته، هذا من الناحية النظرية بطبيعة الحال يا صاحبي، ومن الناحية العملية اجتهدت الشعوب في صياغة أساليب يتحقق من خلال ممارستها الوصول على أكبر نسبة من القيم النظرية التي أشرنا إليها مثل مبدأ المساواة بين الناس، ومبدأ الفصل بين السلطات السياسية والقضائية والتنفيذية، ومبدأ الانتخاب الحر المباشر، ومبدأ السماح بتعدد الأحزاب، ومبدأ حرية الفكرة والقول والاجتماع لعقد ندوات أو مؤتمرات، وحرية الانتقال من مكان إلى مكان، وغير ذلك من مبادئ عملية.

ونجاح الدول في تطبيق هذه المبادئ في الواقع الفعلي نسبي دون ريب؛ إذ أن الديمقراطية بمعناها النظري المثالي كما ينبغي أن تكون مستحيلة المنال، وخذ على سبيل المثال لا الحصر يا صاحبي المبدأ الديمقراطي القائل بتعدد الأحزاب، إلى أي

حد تتعدد الأحزاب السياسية في دولة من الدول؟ حزبان؟ ثلاثة أحزاب؟ عشرة؟ مائة؟ مسألة فيها نظر، وينبغي للمصلحة أن تكون لها ضوابط نابعة من قيم معقولة مفيدة للمجتمع، تكون محل اتفاق غالبية أبنائه على الأقل، خذ مبدأ الفصل بين السلطات مثلاً: منذ متى شاع استخدام هذا المبدأ وتمت صياغته فعلاً؟ وإلى حد يطبق؟ هل يستطيع قاض أو وزير عدل أن يرفض إصدار حكم تبعًا لهوى السلطة الحاكمة؟ وإلى أي حد يمكن ذلك؟ مسائل فيها نظر، وهي نسبية بطبيعة الحال يا صاحبي.

قال صاحبي: إذا كانت الديمقراطية مجرد مجموعة من المبادئ النظرية، والمثل العليا المتصلة بنظام حكم الشعب، والقيم التي يحاول الناس التعلق بها وتطبيقها إلى أكبر حد ممكن، فما هو موقف الإسلام من هذه المبادئ والمثل والقيم؟

قلتُ: جاء الإسلام بكل القيم والمثل والمبادئ الديمقراطية، وأضاف إليها التطبيق العملي في الواقع الفعلي. خذ مثلاً قول الحق تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات: ١٣] ألا تتضمن هذه الآية من آيات القرآن الكريم مبدأ المساواة يا صاحبي؟

قال صاحبي: تتضمن هذه الآية الكريمة دون ريب مبدأ المساواة بين الناس بأقوى صيغة من صيغ الكلام؛ إذ تؤسس المساواة على التساوي في الآدمية مساواة الأخ لأخيه الشقيق ابن أمه أبيه، وتتضمن تنفيذ المساواة في الواقع الفعلي تأسيسًا على تقوى الله، وعلى أن الله عليم خبير مطلع على سر البشر وعلنهم، والسؤال هو: كيف ابتعد المسلمون عن القيم الديمقراطية إلى حد أن يتهمهم أبناء أمم أخرى بافتقادهم إلى نظم حكم ديمقراطية سليمة وبين أيديهم مثل هذه الآية الكريمة؟

قلتُ: لا يخفى عليك يا صاحبي أن سلوك البشر يتذبذب على الدوام بين التمسك بالقيم السليمة وبين شهوات الحياة الدنيا، وأولها هو حب السيطرة، وثانيها هو حب المال والبنين والأتباع والأشياع، وثالثها هو حب الناس وامتلاك العقارات وغير ذلك، والمسلمون بشر كغيرهم من الناس. ولئن كانت الديمقراطية قد تحققت جميع معانيها ومبادئها وقيمها في صدر الإسلام في حياة الرسول والخلفاء

الأربعة الراشدين، إلا أننا نجد أنه في عهد الخليفة الثالث بدأت الفتنة تتسلل إلى نفس كثير من المسلمين، مما أفضى إلى ما عرف بالفتنة الكبرى، حيث لم ينصع معاوية بن أبي سفيان لخلافة الإمام علي بن أبي طالب، وتعلل في ذلك بالمطالبة بإقامة الحد على قتلة ثالث الخلفاء الراشدين، مما أدى إلى معركة صفين، وفيها أشار عمرو بن العاص على معاوية أن يأمر الجنود برفع المصاحف على أسنة الرماح طلبًا لتحكيم كتاب الله، وكانت هذه دون ريب حيلة مكيافيلية أو قولة حق يراد بها باطل، وكان ما كان من تحول الخلافة إلى ملك أموي عضود، كانت فرصته في رفع المصاحف على أسنة الرماح ليجد سبيله إلى الوجود، معتمدًا على قوة السلاح والأموال والجنود بنفس الأسلوب الذي كان سائدًا في الإمبراطورية الرومانية، وأصبحت أساليب حكام المسلمين هي ذات أساليب الإمبراطور سفيروس التي أطلعتك على طرف منها.

ومن هنا ندرك يا صاحبي أن أعظم أسباب ضياع القيم الديمقراطية، إنما يكون حيث يضع جنود الطاغية المستبد أقدامهم لتمكين طغيان المستبد الطاغية المتعطش إلى السلطة، وبطانة السوء، والجند الذين لا يبالون بأية قيمة من القيم سوى طاعة وتنفيذ أوامر الطاغية هم الركائز الأساسية لسيادة الطغيان.

ولقد عرض القرآن الكريم صورًا لمقت الله ﷻ لركائز الطغيان، هذه في مثل قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾﴾ [غافر ٢٣ - ٢٤] ولا ريب أن فرعون كان حاكمًا طاغية مستبدًا متعطشًا إلى السلطة متألهًا لا يريد أن يعرف إلى التواضع سبيلاً، وكان هامان يمثل بطانة السوء الذي يزين الظلم والطغيان لفرعون، وكان قارون يمثل الجشع وحب جمع المال وحبسه وكنزه حتى لا ينتفع به الناس.

ويولي القرآن الكريم أهمية كبيرة لدور الجنود في التمكين للطغيان؛ إذ يشير إليهم دامغًا إياهم بالفساد متوعدًا لهم بأشد العذاب في مثل قوله ﷻ: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص: ٨] ويقول الله ﷻ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ

فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِي ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [القصص: ٣٨ -٤٠] وهأنت ذا يا صاحبي ترى أن الجنود المدججين بالسلاح؛ إذ يؤازرون الطغيان بسلاحهم لقاء أجورهم ورواتبهم يشكلون في الواقع الفعلي أكبر ركائز الطغيان سواء بالنسبة لفرعون، أو الإمبراطور سيفيروس، أو معاوية بن أبي سفيان، أو يزيد ابن معاوية، أو غيرهم من الطغاة منذ فجر التاريخ حتى يرث الله الأرض ومَن عليها.

ومن الواضح يا صاحبي أن جوهر ما يسمى بالديمقراطية موجود بحذافيره في الدين الإسلامي الحنيف، ولا فرق بين مبادئ الإسلام فيما يتعلق بالحكم والحكام والمحكومين وبين الديمقراطية سوى التسمية، ولو أخذنا مجموعة المبادئ والقيم الموجودة في الإسلام وأطلقنا عليها اسم «الشوريتاريا» أو «الشوراقراطية» ولو أثرنا إلى دور الجنود أو العسكر في توطيد دعائم الطغيان، وأطلقنا على الجنود اسم «العسكريتاريا» وهو ما حدث بالفعل، هل يغير اختلاف الألفاظ شيئًا من جوهر الأمور؟ ولم يقدم الإسلام مجرد قيم ومبادئ لما يسمى بالديمقراطية فحسب، بل قدم الإسلام صورًا باهرة من التطبيق الناجح في حياة الرسول ﷺ، وهي صور من التطبيق أبرزت دور التقوى، تقوى الله في الحفاظ على الممارسة الديمقراطية السليمة، وأبرزت وعي الشعب المؤمن بقيم ومبادئ الحياة السليمة في الرقابة على سلامة الحكم ونزاهته وديمقراطيته، ما دام اصطلاح الديمقراطية قد أصبح هو الغالب على الأذهان والأفواه والأقلام. ولقد نعى القرآن الكريم على الشعوب عدم مقاومة الطغيان في مثل قول الله ﷻ مشيرًا إلى قوم فرعون: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾. [الزخرف]

ولقد قارن القرآن الكريم بين مجتمع المؤمنين بالله ورسله وآياته وكتبه ومجتمع الكافرين الفاسقين، الذين يشيع بينهم البغي والطغيان، وامتدح الله ﷻ مجتمع المؤمنين، وأوضح الله طريقة توزيع الأموال بينهم في مثل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ

وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٦- ٩]

هـذا، بينمـا يـصور الله ﷻ العلاقـات الاجتماعيـة المترديـة في مجمـع الطغـاة والاستبداد والـضلال بقولـه ﷻ: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الحشر: ١٤]

يلعب الجنود، ويلعب السلاح بيد الجنـود دورًا مـؤثرًا مـع الطغيـان أو ضـده، ولقد نهى الإسلام عن أن يستحل المسلم دم المسلم بغير حق؛ إذ يقـول رسـول الله ﷺ: «إذا التقى المسلمان بسيفهما، فالقاتل والمقتول في النار» قيل: يا رسول الله، هذا هو القاتل، فما بال المقتول؟ قال: «إنه كان حريصا على قتل صاحبه» أو كمـا قـال ﷺ، ومعني ذلك يا صاحبي أن الإسلام ينهى عن مجرد حمل المسلم السلاح وتوجيهه إلى أخيه المسلم.

إن وظيفة السلاح هي حماية أبناء الأمة الواحـدة مـن العـدوان الخـارجي ضـد أبنائها، وليست وظيفة السلاح هي توجيهه بغير حق إلى أبنائها، وهذه المسألة تعتمد أكثر ما تعتمد على تقدم الوعي وتقدم الحـضارة في الأمـم المختلفـة، وهـي تعتمـد على وعي الحكام كما تعتمـد علـى وعـي الـشعوب، الـشعوب الواعيـة كمـا هـو ملاحظ في الدول المتقدمة تحدد للجنود دورًا في الدولـة لا يتعدونـه ولا يتخطونـه، وعندما يكون من الممكن أن يتواثب الجنـد وقـادة الجنـد علـى مقاليـد الـسلطة في المجتمع للاستيلاء على الحكم، يكون نظـام الحكـم معـتلاً، لقـد اسـتطاع عمـر بـن الخطاب عزل خالد بن الوليد، وعجز عبد الناصر عن عزل المشير.

وهذه المسائل والاعتبارات يا صاحبي نسبية غير مطلقة الاكتمال في أي أمة من الأمم، ولم يتحقق لها الاكتمال في تاريخ العالم كله إلا في صـدر الإسـلام، في حيـاة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، وفي حياة مَن جاء بعده من الخلفاء الراشـدين، ولم يكـن

عجبًا أن يقول عبد الله بن رواحه معتزًا مُشيدًا بوجود رسول الله ﷺ بين المسلمين في صدر أمة الإسلام عندما أنشد قائلاً:

وفينا رسول الله يتلو كتابه ... إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ... به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه ... إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

ودعني أسأل يا صاحبي: هل ما زال رسول الله فينا يُتْلَى كتابه؟ أم أنه قد انطوت صفحات حياة رسول الله ﷺ، واندثرت -لا قدر الله- صفحات كتابه؟

قال صاحبي: كتاب الله وسنة رسول الله المطهرة باقيان في الأمة الإسلامية، ولقد اتضح بما لا يدع مجالاً للشك أن الديمقراطية ليست سوى اسم لمجموعة من المبادئ والقيم لضمان صلاح نظام الحكم في الدول، وأن هذه المبادئ والقيم لضمان صلاح نظام الحكم في الدول، وأن هذه المبادئ وتلك القيم موجودة في تراث الإسلام؛ ولقد تحققت هذه المبادئ وتلك القيم بالفعل في صدر الدولة الإسلامية إبان حياة الرسول ﷺ، وفي نظام وطريقة حكم الخلفاء الراشدين حسب اجتهادهم المخلص للتلاؤم بين ظروف حياتهم وبين ما كان يستجد فيها؛ بينما تطبيقات الديمقراطية فيما عدا ذلك، إنما هي مسألة نسبية لا ترتبط إطلاقًا بدين سابق على الإسلام، أو بجنس من أجناس البشر، كما يحاول أعداء الإسلام أن يوهموا المسلمين بذلك، وتبقى أسئلة؟

قلتُ: أمَا للأسئلة من نهاية يا صاحبي؟ سأضطر آسفًا إلى رفض الإجابة عن أي سؤال لا علاقة له بموضوعنا المتصل بمنهج العلامة ديدات في الدعوة إلى الله، أو سأضطر آسفًا إلى إحالتك إلى كتب فيها إجابة سؤالك غير المتعلق بموضوعنا.

قال صاحبي: لا بأس في ذلك، ولعلك تلاحظ أن جميع الأسئلة التي أوردتها في حوارنا تتصل بموضوعنا اتصالاً وثيقًا.

قلتُ: ما صلة أسئلتك عن الديمقراطية مثلا بموضوعنا؟

قال: أنت أولى الناس بملاحظة أن كثيرًا من الغمز واللمز في مناظرات العلامة ديدات مع مناظريه قد اتجه إلى الديمقراطية، وإلى اتهام الدول الإسلامية بالافتقار إلى نظم حكم سليمة، سنجد أن القس الأمريكي جيمي سويجارت -مثلاً- يسأل

العلامة ديدات فجأة وعلى حين غرة: هل أستطيع أن أدخل مدينة مكة بالمملكة السعودية كما تدخل أنت أي مدينة أمريكية؟ وعلى الرغم من أن المسيحية لا علاقة لها من قريب ولا من بعيد بالديمقراطية، واصطلاح الديمقراطية كان موجودًا قبل ميلاد السيد المسيح بقرون عديدة، إلا أننا نجد محاولة التجريح ومحاولة الافتراء على الإسلام بالباطل واضحة في ملاحظة القس جيمي سوريجارت، إنه ببساطة ووضوح يريد القول بأن المسيحية هي صنو الديمقراطية والحرية بكافة مظاهرها، وبأن الإسلام يحد من حرية الانتقال للبشر[1] هل هذا صحيح والقرآن الكريم يقول بالنسبة للأرض كلها: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ۝﴾ [الملك: ١٥]

ونجد أن باستر إستانلي شوبيرج كبير قساوسة السويد في مناظرته مع العلامة ديدات أيضًا يتشدق بما يدعيه من وجود حرية القول والتعبير عن الرأي، عندما يقول دون مناسبة بأن القاعدة التي يجري فيها حوار المناظرة قد شهدت أعنف المناقشات السياسية بين قادة وزعماء السويد، وظل الود موجودًا، وظلت الصداقة قائمة بين أطراف الحوار.

كما تشدق إستانلي شوبيرج أيضًا بأن السويد إنما هي بنظرة ملجأ للمسلمين الفارين إلى جنة السويد وديمقراطيتها من جحيم تطبيق قوانين الشرعية الإسلامية بأقطار إسلامية، ومن هنا كان إصراري على الاستفسار عن الديمقراطية في الإسلام، وأنت تعرف كم يحاول خصوم الإسلام الشوشرة عليه فيما يتعلق بما يسمونه الديمقراطية، ولكم سعدت عندما اتضح لي أن الديمقراطية ليست سوى اسم لمسمى نظري لم يصادف تحققه في الواقع الفعلي إلا في التطبيق الإسلامي لمفهوم ومضمون الديمقراطية دون الاهتمام باسمها، وكان ذلك في حياة خاتم الأنبياء والمرسلين وفي مضامين القرآن الكريم، وفي السنة النبوية المطهرة وفي ممارسات الخلفاء الراشدين، وهي -الديمقراطية- ممكنة التحقق في حاضر المسلمين

---

(١) في واقع الأمر لا يستطيع كل الناس الدخول إلى الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً دون اتباع إجراءات معينة، ودون استيفاء شروط معينة، وكذلك الشأن بالنسبة للتحرك بين الولايات المتحدة الأمريكية.

لو خلصت لديهم النوايا؛ لأن الأعمال في الإسلام بالنيات، ولكل امرئ ما نوى، ولأن لكل إمرئ جواني وبراني، فمن أصلح جوانيه أصلح الله برانيه، ومن أفسد جوانيه أفسد الله برانيه.

ولقد ورد بالسنة النبوية المطهرة أيضًا حديث شريف من شأنه أن يقضي على الفساد في المجتمعات، وأن يفضي إلى تحقيق جوهر الديمقراطية لو شاع تطبيقه بين الناس؛ إذ يقول ﷺ: «إذا رأيتَ هوى مطاعًا وشحًّا متبعًا، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخويصة نفسك» أو كما قال ﷺ، واهتمام الإنسان بخويصة نفسه، يعني دون ريب عدم مشاركة الفرد في الفساد السائد في مجتمعه، بحيث لا يكون الفساد تعلة لإفساد، ولو تمكن كل فرد من التوقف عن الإفساد لتوقف الفساد، وماذا عساه أن يكون نظام الحكم في الدولة؟! إن نظام الحكم في أي دولة ليس هو الحاكم فقط، وهل يجدي صلاح الحاكم نفعًا ولو كان جميع أو معظم العاملين معه فاسدين؟ وهل يجدي صلاح نظام الحكم نفعًا لو كان القائمون على تنفيذ النظام -وما أكثرهم- فاسدين؟

من البديهي أن نظام الحكم في الدولة لا يعني الحاكم فقط، إنه يعني جميع العاملين في الحكومة في اتصالهم الحيوي المستمر بالمحكومين، وصلاح الفرد صلاح المجتمع، ولو توقف كل فرد عن الإفساد، لتوقف الفساد، وعم الصلاح، ومن هنا تتجلى عظمة الإسلام في تأكيده مبدأ المساواة بين الناس مع التشديد على ضرورة التقوى، تقوى الله في السر والعلن، وهي أساس التمايز بين البشر عند الله وعند الناس فيما ينبغي على الناس، كما يتجلى ذلك في قوله الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝﴾ [الحجرات: ١٣] التقوى، تقوى الله في السر والعلن، التي أمر بها الله عباده هي أساس الديمقراطية وجوهرها، ما داموا يطلقون على مجموعة القيم والمبادئ المتعلقة بصلاح الحكم اسم الديمقراطية، كما تحلو لهم التسمية، وخلاصة الرأي بشأن هذه الديمقراطية هي تقوى الله في السر والعلن، ولا فضل لعربي على أعجمة إلا بالتقوى.

قلتُ: ولم تذهب جهودنا سدى.

قال صاحبي: وتبقى أسئلة!

قلتُ: هات واحدًا!

حوار محتدم بشأن النساء

قال صاحبي: النساء؟! والمرأة في الإسلام؟!

قلتُ: فلنبدأ بذكر الحقائق العلمية والاحصائية والبديهية في هذا الموضوع يا صاحبي، الحقيقة الأولى هي أن المرأة هي الأم، وهي الزوجة، وهي الأخت، وهي الابنة؛ ناهيك عن العمة، والخالة، والحماة، وزوجة الأب، وزوجة العم، وزوجة الخال، وزوجة الأخ، وزوجة الإبن. وبهذه المواقع الحيوية الهامة في حياة البشر التي تحتلها المرأة يعني ضياع المرأة أو بلبلتها أو زعزعة إيمانها ضياع المجتمع أو بلبلته أو زعزعة إيمانه.

والحقيقة الثانية يا صاحبي هي أن المرأة تمثل أكثر من نصف المجتمع، وزيادة عدد النساء عن عدد الرجال حقيقة علمية تدعمها الإحصاءات الدقيقة التي تم إجراؤها في كثير من الدول، وتصل زيادة عدد النساء عن عدد الرجال في إنجلترا إلى أربعة ملايين امرأة.

وتصل هذه الزيادة في ألمانيا إلى خمسة ملايين من النساء، وتصل الزيادة في أمريكا إلى سبعة ملايين وثمانية أعشار المليون من النساء، ولو تمت زراعة عدد من فسائل النخل مثلاً، لوجدنا أن عدد النخل المذكر أقل بكثير من عدد النخل المؤنث، وعندما تتعرض دولة لحرب من الحروب تؤدي الحرب إلى نقص ظاهر في عدد الرجال عن عدد النساء بأكثر مما هو معتاد بشأن هذه الزيادة في عدد النساء عن عدد الرجال في الظروف العادية للمجتمعات.

وعندما نضع في اعتبارنا هاتين الحقيقتين الرئيسيتين يا صاحبي نستطيع أن ندرك السبب في تهافت أعداء الإسلام في محاولاتهم المستمرة لتركيز الهجوم على المرأة في الإسلام.

وتَهَجُّمُ خصوم الإسلام على المرأة المسلمة بوجه عام، وعلى زوجات النبي ﷺ بوجه خاص، ليس وليد اليوم، ولكنه قديم منذ فجر الإسلام، وما حديث الإفك يا صاحبي إلا مؤشر يشير إلى اتجاه هجوم أعداء الإسلام من جهة النساء في الإسلام منذ فجر الإسلام إلى اليوم.

وتعبيرًا عن هذه الحقيقة يقول الأستاذ عباس محمود العقاد: يندر أن يطرق خصوم الإسلام موضوع الزواج دون أن يعرجوا منه إلى زواج النبي، ودون أن يتذرعوا به إلى القدح في شخصه الكريم وإلى التشكيك، من ثَمَّ في دعوته المباركة ودينه القويم.

وللإسلام خصوم محترفون، وخصوم ينكرونه على قدر جهلهم به وبسيرة نبيه ﷺ، ولا خفاء بخصومة المحترفين، فهم جماعة المبشرين الذين اتخذوا القدح في الإسلام صناعة يتفرغون لها ويعيشون منها، وصناعتهم هذه لا تصطنع عملاً لها أهم وأخطر من عملها في تبشير المسلمين أو تبشير الوثنين؛ لكيلا يتحولوا من الوثنية إلى الإسلام، فلا غنى لأصحاب هذه الخصومة -أو هذه الحرفة- من اختلاق المآخذ وتصيد التهم التي تجري بها أرزاقهم وتتصل بها أعمالهم، سواء عرفوا الحقيقة من وراء هذه المآخذ، وهذه التهم أو جهلوها، وأعرضوا عن البحث فيها؛ لأنهم يريدون الاتهام، ولا يستريحون إلى تهدم كل ما عملوه مما يصرفهم عن كل ما ألفوه وعقدوا النية عليه.

أما خصوصم الإسلام من غير زمرة المبشرين فأكثرهم يخاصمونه على السماع، ولا يعنيهم أن يبحثوه، ولا أن يبحثوا دينا من الأديان، حتى الدين الذي آمنوا به وشبوا من حجور أمهاتهم عليه، وقليل من أولئك الخصوم غير المحترفين من يتلفق الدراسات الإسلامية تلفقًا لا يفيد الدارس الذي لا يبتغي منه، إلا أن يعلم ما تعلمه لطائفة من التلاميذ يكفيهم منه أنه يعرف من أخبار الإسلام ما لم يعرفوه، وبعض هؤلاء الدارسين المدرسين حسن النية، لا يأبي أن يعترف بالحقيقة إذا استمع إليها، وبعضهم سيء النية؛ لأنه مسخر في خدمة الاستعمار، وما إليها من الدعايات الدولية، فلا يعنيه من المعرفة إلا ما يملي له في عمله ويمهد لدعايته.

وما اتفق خصوم الإسلام عن سوء نية على شيء، كما اتفقوا على خطة التبشير في موضوع الزواج على الخصوص، فكلهم يحسب أن المقتل الذي يصاب منه الإسلام في هذا الموضوع هو تشويه سمعه النبي ﷺ، وتمثيله لأتباعه في صورة معينة لا تلائم شرف النبوة، ولا يتصف صاحبها بفضيلة الصدق في طلب الإصلاح، وأي صورة تغنيهم في هذا الغرض الأثيم كما تغنيهم صورة الرجل الشهوان الغارق في لذات الجسد، العازف في معيشته البيتية ورسالته العامة عن عفاف القلب والروح؟

وإنهم لعلى صواب في الخطة التي تخيروها لإصابة الإسلام في مقتل من هذا الطريق الوجيز، وإنهم لعلى أشد الخطأ في اختيارهم هذه الخطة بعينها؛ إذ أن جلاء الحقيقة في هذا الموضوع إنما هو أهون شيء على المسلم العارف بدينه المطلع على سيرة نبيه، فإذا بمقتلهم المظنون حجة يكتفي بها المسلم، ولا يحتاج إلى حجة غيرها لتعظيم نبيه وتبرئة دينه من قالة السوء الذي يفتري عليه.

فلا حجة للمسلم على صدق محمد ﷺ في رسالته أصدق من سيرته في زواجه وفي اختيار زوجاته، وليس للنبوة من آية أشرف من آيتها في معيشة نبي الإسلام من مطلع حياته إلى يوم وفاته، ما الذي يفعله الرجل الشهوان الغارق في لذات الجسد إذا بلغ من المكانة والسلطان ما بلغه محمد بين قومه؟ لم يكن عسيرًا عليه أن يجمع إليه أجمل بنات العرب، وأفتن جواري الفرس والروم على تخوم الجزيرة العربية، ولم يكن عسيرًا عليه أن يوفر لنفسه وأهله من الطعام والكساء والزينة ما لم يتوفر لسيد من سادات الجزيرة في زمانه، فهل فعل محمد ذلك بعد نجاحه؟ هل فعل محمد ذلك في مطلع حياته؟ كلا: لم يفعله قط، بل فعل نقيضه، وكاد أن يفقد زوجاته لشكايتهن من شظف العيش[1] في داره!

ونكتفي يا صاحبي بهذا القدر الذي اقتبسناه مما كتبه المرحوم الأستاذ عباس محمود العقاد؛ ليصور بدء الهجوم على المرأة المسلمة بدءًا بنساء النبي ﷺ، وإذا كان الاقتباس قد طال بنا، فإننا لم نكن لنستطيع أن نجتزئ من الصورة شيئًا دون إخلال

(١) الأستاذ المرحوم عباس محمود العقاد «حقائق الإسلام وأباطيل خصومه» ص ١٨٩- ١٩١. ط المكتبة العصرية - صيدا - بيروت.

بها، وإقلال من بهائها، بل إن الصورة حافلة بتفاصيل كثيرة أغفلها الأستاذ العقاد مكتفيًا بالخطوط العامة، وحديث الإفك وحده حكاية مليئة بالعبر والعظات توضح اتجاه هجوم خصوم الإسلام من جهة النساء، وتوضح لنا كيف نواجه مثل هذا البلاء.

تجمل النبي ﷺ بالصبر، ولاذ بالصمت حتى زالت الغمة وظهرت الحقيقة قرآنا يتلى، وبقيت العبرة مثالاً يحتذى، وكان إعلان عفة السيدة عائشة ﵂ إعلانًا عن عفاف المرأة المسلمة التي رفعها الإسلام بوجه عام فوق مزالق الشهوات وفوق مواطن الشبهات، ولعلك يا صاحبي قد لاحظت أنني أيضًا لم أعرض لتفاصيل قصة حديث الإفك، فهي مبسوطة في كتب السيرة النبوية الشريفة لمن يشاء، يُتوِّجها قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النور: ١١]

ونجد أن القرآن الكريم قد أشاد بالمؤمنين والمؤمنات، الذين لم يعصف بإيمانهم مثل هذا الإفك والافتراء؛ إذ قال الله ﷻ: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ [النور: ١٢]

ولا يقف البيان الإلهي عند هذا الحد، بل يتقرر شرع الله فيما يتعلق بما ينبغي اتخاذه بشأن رمي المحصنات؛ إذ قال الله ﷻ: ﴿لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [النور: ١٣] وتمضي آيات الله البينات مؤنبة مَن خاض في حديث الإفك دون أن يدقق ويحقق ويطلب الدليل والبرهان، ومنذرة أولئك الذين يحبون أن تشيع الفاحشة بين المؤمنين بالعذاب الشديد في الدنيا والآخرة؛ إذ يقول الله ﷻ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[النور: ١٤-١٩]

في حديث الإفك وحده يا صاحبي كل هذه المعاني والدروس والعبر والآيات البينات، وفي عفاف نبي الإسلام وطهراته، حتى زواجه من أم المؤمنين السيدة خديجة أولى زوجات النبي ﷺ، واكتفائه ﷺ بهذه الزيجة وحدها طوال مدة بقائها على قيد الحياة، وفي الظروف الإنسانية والسياسية والاجتماعيةالتي واكبت تعدد زوجات النبي ﷺ، في هذا وذاك، وكل ذلك يرفع النبي ﷺ فوق كل موطن من مواطن الشبهات، بل يرفع سيرته ﷺ فوق سيرة البشر جميعًا من حيث السمو الخلقي، والعلو بالنفس البشرية فوق سلطان الشهوات.

وتتضح الصورة أكثر وأكثر، والصورة بالفعل تستحق كل إيضاح ممكن يا صاحبي، يجمل لنا الأستاذ عباس محمود العقاد ظروف وأسباب وملابسات كل زيجة من زيجات النبي ﷺ، بعد أن كان ﷺ مكتفيًا بزوجة واحدة إلى ما بعد الخمسين من عمره، يقول الأستاذ العقاد: «وما بنى ﷺ بواحدة من أمهات المسلمين لما وصفت به عنده من جمال ونضارة، وإنما كانت صلة الرحم والضن بهن على المهانة، هي الباعث الأكبر في نفسه الشريفة على التفكير في الزواج بهن، ومعظمهن كن أرامل مؤيمات فقدته الأزواج أو الأولياء، وليس مَن يتقدم لخطبتهن من الأكفاء إن لم يفكر فيهن رسول الله.

فالسيدة سودة بنت زمعة مات ابن عمها المتزوج بها بعد عودتهما من الهجرة إلى الحبشة، ولا مأوى لها بعد موته، إلا أن تعود إلى أهلها، فيكرهوها على الردة، أو تتزوج بغير كفء لها أو بكفء لها لا يريدها.

والسيدة هند بنت أبي أمية -أم سلمة- مات زوجها عبد الله المخزومي، وكان أيضًا ابن عمها، أصابه جرح في غزوة أحد فقضى عليه، وكانت كهلة مسنة، فاعتذرت إلى الرسول ﷺ بسنها لتعفيه من خطبتها، فواساها قائلاً: «سلي الله أن يؤجرك في مصيبتك، وأن يخلفك خيرًا» فقالت: ومَن يكون خيرًا لي من أبي سلمة؟ وكان الرسول ﷺ يعلم أن أبا بكر وعمر قد خطباها، فاعتذرت بمثل ما اعتذرت به إليه، فطيَّبَ خاطرها وأعاد عليها الخطبة لنفسه عساها أن ترضى حتي قبلتها.

والسيدة رملة بنت أبي سفيان، تركت أباها وهاجرت مع زوجها إلى الحبشة، فتنصر زوجها وفارقها في غربتها بغير عائل يكلفها، فأرسل النبي ﷺ إلى النجاشي يطلبها من هذه الغربة المهلكة، وينقذها من أهلها إذا عادت إليهم راغمة من هجرتها في سبيل دينها، ولعل في الزواج بها سببًا يصل بينه وبين أبي سفيان بوشيحة النسب، فتميل به من جفاء العداوة إلى مودة تخرجه من ظلمات الشرك إلى هداية الإسلام.

والسيدة جويرية بنت الحارث سيد قومه، كانت بين السبايا في غزوة بني المصطلق، فأكرمها النبي ﷺ أن تذل ذلة السباء، فتزوجها وأعتقها، وحصن المسلمين على إعتاق سباياهم، فأسلموا جميعًا وحَسُنَ إسلامهم، وخيرها أبوها بين العودة إليه، والبقاء عند رسول الله، فاختارت البقاء في حرم رسول الله.

والسيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب مات زوجها، فعرضها أبوها على أبي بكر فسكت، وعرضها على عثمان فسكت، وبث عمر أسفه للنبي، فلم يشأ أن يضن على صديقه ووليه بالمصاهرة التي شرف بها أبا بكر قبله، وقال له: يتزوج حفصة مَن هو خير لها من أبي بكر وعثمان.

والسيدة صفية الإسرائيلية بنت سيد بني قريظة، خَيَّرَها النبي بين أن يردها إلى أهلها، أو يعتقها ويتزوجها، فاختارت البقاء عنده على العودة إلى زويها، ولولا الخلق الرفيع الذي جبلت عليه نفسه الشريفة لما علمنا أن السيدة صفية كانت قصيرة القامة يعيبها صواحبها بالقصر، ولكنه ﷺ سمع إحدى صواحبها تعيبها بقصرها، فقال لها ما معناه: «إنك نطقت بكلمة لو ألقيت في البحر لكدرته» فيما لا تخرج الروايات عن معناه، وجبر ﷺ خاطر الأسيرة الغريبة أن تسمع في بيته ما يكدرها ويغض منها.

والسيدة زينب بنت جحش -ابنة عمته- زوجها من مولاه ومتبناه زيد بن حارثة، فنفرت منه، وعَزَّ على زيد أن يروضها على طاعته، فأذن له النبي في طلاقها فتزوجها ﷺ؛ لأنه هو المسئول عن زواجها، وما كان جمالها خافيًا عليه قبل تزويجها بمولاه؛ لأنها كانت بنت عمته يراها من طفولتها ولم تفاجئه بروعة لم يعهدها.

والسيدة زينت بنت خزيمة، مات زوجها عبد الله بن جحش قتيلاً في غزوة أحد، ولم يكن بين المسلمين القلائل في صحبته من تقدم لخطبتها، فتكفل بها ﷺ؛ إذ لا كفيل لها من قومها[١].

هؤلاء يا صاحبي هن نساء النبي أمهات المؤمنين بعد زوجته الأولى السيدة خديجة رضي الله عنها وعنهن جميعًا وأرضاها وأرضاهن جميعًا، وبعد أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها وأرضاهما، وهذه يا صاحبي هي بواعث زواج الرسول ﷺ من كل منهن على حدة، هل هذه بواعث إنسان غارق في الحس، شهوان، أم هي بواعث رسول كريم إنسان؟ سؤال ندعه لتتدبره العقول والأذهان.

وحسبنا يا صاحبي أن نتوج هذه الصورة بقبس من السيرة النبوية الطاهرة، لتزداد الصورة وضوحًا فوق وضوح، ولندع للأستاذ عباس محمود العقاد أن يصور هذه اللمحة من سيرة النبي ﷺ مع نسائه في قلب البيت النبوي الكريم فيقول: «ولقد أقام هؤلاء الزوجات في بيت الرسول ﷺ، لا يجدن فيه من الرغد ما يجده الزوجات في بيوت الكثيرين من الرجال مسلمين كانوا أو مشركين، وعلى هذا الشرف الذي لا يداينه عند المرأة المسلمة شرف الملكات أو الأميرات، شقت عليهن شدة العيش في بيت لا يصبن فيه من الطعام والزينة فوق الكفاف والقناعة بأيسر اليسير، فاتفقن على مفاتحة النبي ﷺ في الأمر، واجتمعن يسألنه المزيد من النفقة، وهي موفورة لديه، لو شاء أن يزيد في حصته من الفيء، فلا يعترضه أحد ولا يحاسبه عليه، إلا أن الرجل المحكم في الأنفس والأموال، سيد الجزيرة العربية، لم يستطع أن يزيدهن على نصيبه ونصيبهن من الطعام والزينة، فأمهلهن شهرًا وخيَّرَهن بعده أن يفارقنه، ولهن منه حق المرأة المفارقة من المتاع الحسن، أو يقبلن ما قبله لنفسه معهن من ذلك العيش الكفاف.

ولو أن هذا الخبر من أخبار بيت النبي كان من حوادث السيرة المحمدية، التي تخفى على غير المطلعين المتوسعين في الاطلاع، لقد كان للمبطلين بعض العذر فيما

---

(١) المرجع السابق ص ١٩٢ - ١٩٣.

يفترونه على نبي الإسلام من كذب وبهتان، إلا أنه خبر يعلمه كل مَن اطلع على القرآن، ووقف على أسباب التنزيل، وليس بينها ما هو أشهر في كتب التفسير من أسباب نزول هذه الآيات من سورة الأحزاب[1] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ۝٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝٢٩﴾.

[الأحزاب: ٢٨ – ٢٩]

وتؤكد لنا كتب السيرة النبوية الطاهرة يا صاحبي، أن طارقًا طرق باب عمر بن الخطاب بشدة، ففزع عمر ليستطلع ما وراء الطارق إذا كانت الأخبار قد تواترت لدى المسلمين باستعداد قبائل غسان للهجوم على المسلمين، فتح سيدنا عمر بن الخطاب الباب، فقال الطارق: لقد حدث أمر عظيم. قال عمر: ما هو؟ أجاءت غسان قال: لا، بل أعظم منه وأطول، طلَّق النبي ﷺ نساءه. كانت المسألة باتفاق نساء النبي على مطلبهن وصلابة وحسم النبي ﷺ إزاء مطلبهن ذاك تبدو لعامة المسلمين بمثابة طلاق، وإن لم يكن الطلاق قد وقع بعد.

وتحدثنا كتب السيرة النبوية المطهرة أن عمر بن الخطاب لدى سماعه النبأ على ذلك النحو، الذي وصفه صاحبه بأنه أعظم وأطول من مداهمة قبائل غسان لحرب المسلمين، قد هرع إلى بيت رسول الله إذا كانت ابنته حفصة واحدة من نساء النبي، وهو ﷺ مَعْنِيٌّ مهتم بطبيعة الحال بكل ما يهم، ويعني النبي ﷺ، فوجد أبا بكر، ووجد الناس جلوسًا لا يتكلمون، حتى تكلم أبو بكر محاولاً التسرية عن النبي فقال: يا رسول الله! لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة لقمت فوجأتُ عنقها. فضحك النبي لدعابة أبي بكر التي كان من شأنها أن تبدد الوجوم الذي كان يسود الموقف، وأن تطيب خاطر النبي، وأن تلين من عريكة زوجات النبي المتشددات في مطالبهن، وهن يشهدن والد واحدة من أعز نساء النبي يعرض عليه أن يجأ عنقها من أجله ﷺ، ضحك النبي لدعابة أبي بكر، ضحك النبي ليحوِّل نخوة أبي بكر من الجد إلى دعابة مصلحة لذات البين، ضحك النبي وأسهم في الدعابة الذكية بقوله:

---

(١) المرجع السابق – ص ١٩٤.

«هن حولي كما ترى يسألنني النفقة» وتبلغ الدعابة الذكية مداها إذا يقول أبو بكر، وقد هب واقفا وقد شحذ أصابع يديه كمن يستعد أن يجأ العنق، وشارك في الدعابة الذكية عمر بن الخطاب، فنهض واقفا وقد شحذ أصابع يديه أيضًا، وقالا قولة رجل واحد: تسألن رسول الله ما ليس عنده؟! ولم يبق سبيل أمام نساء النبي سوى الرجوع إلى الحق، فقلن جميعًا قولة امرأة واحدة: والله لا نسأل رسول الله شيئًا أبدًا ليس عنده. ولم يكن أبو بكر الصديق ليجأ عنق ابنته أم المؤمنين عائشة. ولم يكن عمر بن الخطاب ليجأ عنق ابنته أم المؤمنين حفصة، وما كان النبي ﷺ ليدعهما وهو ﷺ القادر على أن يقعدهما بكلمة بقولها، لكنها حكمة الرجال وحصافة النساء عندما يجتمعان ليتكاملا، فيتم إصلاح ذات البين ما بين الرجال والنساء.

لكن الدعابة الذكية، وإن كانت ناجعة في كفكفة غلواء النساء ليتراجعن عن مطالبهن في المزيد من البحبوحة والرخاء، إلا أن الدعابة ذاتها يستحيل أن تخلو من الصدق لدى خاتم الأنبياء، هجر النبي نساءه شهرًا، وطلب إليهن أن يخترن بعد الروية والمشورة بين البقاء على ما تيسر له ولهن من الرزق، وبين تخلية سبيلهن بمتعة الطلاق، وبدأ ﷺ بالسيدة عائشة قائلاً لها: «إني أريد أن أعرض عليك أمرًا أحب ألا تعجلي فيه حتي تستشيري أبويك» فسألته: وما هو يا رسول الله؟ وعرض عليها الرسول الخيرة التي سبق أن أشرنا إليها، فقالت: أفيك يا رسول الله أستشير قومي؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة. وأجابت أمهات المسلمين بما أجابت به عائشة. وكان جواب نساء النبي -لو يدري المستشرقون والمستغربون وكافة خصوم الإسلام المتهجمون على الإسلام من جهة النساء- إعلانًا واضحًا يفيد أن المرأة المسلمة تفضل ثواب الآخرة على زخارف الدنيا عندما يتمتم الاختيار، ويتوافر لدى المرأة المسلمة الوعي والاستبصار، ولا ريب أن غياب الوعي والاستبصار هو مرتع الفساد وأمل الإفساد لدى خصوم الإسلام، وينبغي أن يكون توفير الوعي والاستبصار ديدن المسلمين والمسلمات لتنغلق أمام المفسدين والشانئين المتربصين بالمسلمين والمسلمات أخطر الثغرات، كان حديث الإفك يا صاحبي مؤشرًا يشير إلى اتجاه هجوم خصوم الإسلام على الإسلام من جهة النساء

في حياة رسول الإسلام ﷺ، ولقد ازداد هجوم خصوم الإسلام على الإسلام من جهة النساء ضراوة في هذه الأيام.

في واحدة من أحدث المناظرات التي جرت وقائعها بين العلامة أحمد ديدات، وبين كبير قساوسة السويد باستر إستانلي شوبيرج، بمدينة استوكهولم في السابع والعشرين من أكتوبر عام ١٩٩١م، يقول دون مناسبة: كيف يبيح رسول الإسلام لنفسه أن يتزوج تسع زوجات، ولا يبيح لأتباعه الزواج بأكثر من أربعة؟ وكيف يتزوج رسول الإسلام من زوجة ابنه بالتبني بعد طلاقها؟ وكيف يأمر القرآن يأمر بضرب كل النساء؟ ويمسك باستر إستانلي بواحدة من مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ليسخر من قول أحد الشيوخ بأن الضرب يجب أن يكون ضربًا خفيفًا، كأن يكون ضربًا بفرشاة أسنان. ويقول باستر إستانلي ساخرًا: إن زوجتي تجلس خلفي، ولو قلت لها إنني سأضرب بها بفرشاة أسنان لهاجت وماجت؛ إذ تعتبر الضرب إهانة بالغة حتى ولو كان بفرشاة الأسنان.

وعندما يقال مثل هذا الكلام لأناس بالسويد لا يعرفون اللغة العربية، ولم يطلعوا على نصوص القرآن الحقيقية، وقد تلاعب مثل هذا القس بمعانيها وحرفها عن مواضعها، أفلا يكون لمستمعيه العذر في وقوعهم فريسة لتضليله، ولقد اكتفينا بأن سألنا باستر إستانلي شوبيرج ما إذا كان يخشى نشوز زوجته؛ إذ أن القرآن الكريم لم يأمر المسلمين بضرب المسلمات بفرشاة أسنان أو بغيرها، كما فهم خطأ وحاول إيهام المستمعين، إن القرآن الكريم قد أمر المسلمين بضرب مَن يخشى المسلمون نشوزهن، ولذلك سألنا: هل تخشى نشوز زوجتك يا باستر استانلي؟ وما دامت زوجة باستر استانلي سيدة فاضلة لا يخشى نشوزها، فإن من العار عليه، بل إنه يكون مخطئا آثمًا مستحقًا للعقاب الدنيوي والأخروي لو هددها مجرد تهديد أن يضربها بفرشاة أسنان وفقًا لمعايير الإسلام، ووفق النصوص الصحيحة للقرآن الكريم، ومن حق زوجته التي أفحمها بنفسه في هذا المجال، من حقها أن تهيج[1] وتموج.

---

(١) انظر كتابنا الذي نقلناه إلى اللغة العربية بعنوان «مناظرتان في استوكهولم» ط دار الفضيلة بالقاهرة.

إن خصوم الإسلام يفردون في الوقت الراهن كتبًا للتهجم على الإسلام من جهة النساء يا صاحبي، ومن هذه الكتب كتاب «الآيات الشيطانية لسلمان رشدي» وسنعرض له شيء من الدراسة عندما نستعرض مؤلفات ومنجزات العلامة ديدات ومن هذه الكتب كتاب صدر في فرنسا للدكتور شاسان آشا بعنوان «النساء، القرآن ضد النساء» هكذا بالفرنسية: «Femmes Le Soran Contre Les Femmes».

ويقول الدكتور شاسان آشا في كتابة ذلك: «يكفي أن تلقي نظرة داخل أي مسجد يصلي به مسلمون لتجد الرجال في الضفوف الأولى، ثم الأطفال في الصفوف التالية، ثم النساء في الصفوف الأخيرة، لتتأكد من ضعة وهوان مكانة المرأة في الإسلام».

ولنتساءل يا صاحبي: لو جعلنا -لمجرد الحوار إظهارا للحق- النساء المسلمات في أول صفوف الصلاة بالمسجد، هل يقبل هذا البرفيسور الإسلام دينًا ويقبل الإيمان بكل العقائد والشرائع الإسلامية لمثل هذا التغيير الشكلي الطفيف، لو أجريناه إرضاء لخاطره، أم أن سيادته سيقر ويعترف أن هذه مسألة طفيفة شكلية لا تقدم ولا تؤخر؟ ولكنهم هكذا يشوشرون يا صاحبي.

مثل هذه الملاحظة الشكلية التافهة عندما يذكرونها طعنًا على الإسلام يقولون: إننا نلجأ إلي التجربة واستقراء الواقع الفعلى «ادخل أي مسجد ... ستجد ...» كلامنا علمي ومنهجنا تجريبي استقرائي، وهم بطبيعة الحال يتجاهلون تفاهة الملاحظة وشكليتها، ويتجاهلون أنه تنطبق عليها العبرة من قصة جحا وولد جحا وحمار جحا «ركب جحا وابنه حمارهما فقال الناس: يا للقسوة! يثقلان ظهر الحمار. نزل الابن وظل جحا راكبًا. فقالوا: يا لقسوة الأب. ركب الابن ومشى جحا. فقالوا: يا لقلة أدب الابن! مشى الأب والابن، فقالوا: لماذا لا يركب أحدهما؟ حملا الحمار، فقالوا: لقد جُنَّ جحا وابنه!» ولو جئنا بالنساء في أول صفوف الصلاة لقالوا: مسألة شكلية لا تقدم ولا تؤخر.

وحقيقة الأمر وخلاصته بشأن الصلاة يا صاحبي، هي أن صلاة المسلمين وشعائرها ونظامها ليست من وضع أحد من البشر، كما هو شأن الصلاة في

الأديان الأخرى، الصلاة وشعائر الصلاة ونظام الصلاة في الإسلام، إنما هي كما أمر الله خاتم الأنبياء والمرسلين أن تكون، ومن ثمَّ قال ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي». ومن المعروف أن الصلاة في الأديان الأخرى إنما هي من اقتراح وابتكار وابتداع البشر، ولو دخلت كنيسة لوجدت كيفية الصلاة فيها مختلفة عن الكنيسة الأخرى باختلاف المذاهب وما أكثرها عندهم.

الصلاة يا صاحبي وكيفية الصلاة عند المسلمين توقيفية كما أمر الله بها رسوله الكريم، وليست من ابتكار واقتراح أحد من البشر، ويستحيل أن يغير فيها المسلمون شيئًا أو يبتدعوا فيها شيئًا نزولاً على رغبة أحد من البشر، والمسلمون والمسلمات يرضون بالصلاة كما أُمر بها رسول الله الصادق المصدوق ﷺ.

ولقد بلغت الجرأة بالدكتور «شاسان آشا» يا صاحبي إلى حد أن يطلب من المسلمين حذف خمس آيات كريمة من آيات القرآن الكريم تتعلق بالنساء؛ لأن بها ظلمًا بالنساء حسب رأيه الفاسد، وأول هذه الآيات التي يطالب شاسان آشا بحذفها هي الآية الرابعة والثلاثون من سورة النساء، حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ﴿٣٤﴾﴾ [النساء: ٣٤]

والآية الكريمة تشمل معنيين رئيسيين: أولهما: هو قوامة الرجال على النساء؛ وثانيهما: هو كيفية علاج نشوز اللائى يخشى المسلمون نشوزهن.

وفيما يتعلق بالمعنى الأول، نسأل: لَمن ينبغي أن تكون القيادة في الأسرة للأب؟ للأم؟ لأحد الأبناء؟ لا قائد بالأسرة ولا مقود؟ من الواضح بطبيعة الحال أن أفضل الأفضل هو أن يكون الأب هو القائد في أسرته، ما لم يَحُل دون قيادته حائل، وهو نادر بين الناس، وكم تشكو المرأة لو أن زوجها كان عاجزًا لسبب أو لآخر عن الاضطلاع بمهام القيادة في أسرته، ولا جدال في أن المرأة تحب وتفضل الرجل القادر على القيادة في أسرته، تلك هي سُنَّة الله في النساء ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ

تَبْدِيلاً ﴿٦٢﴾ [الأحزاب: ٦٢] سل أي امرأة: هل تفضلين أن يكون خطيبك قادرًا على القيادة في أسرته أو غير قادر؟ ستقول على الفور: أريده قادرًا على القيادة في أسرته.

وينتقد الدكتور شاسان آشا على وجه الخصوص إباحة القرآن ضرب من يخشى المسلمون نشوزهن؛ أي نساءهن أولئك اللاتي يتعرضن للضرب؟ إنهن النساء اللاتي يخشى المسلمون نشوزهن! غير الناشزات لا يجوز أن يتعرض لهن أحد بالضرب، وعندما ندقق في فهم المعنى المقصود في الآية الكريمة، نجد ان الناشزات فعلا لا يجوز أن يتعرض لهن أحد بالضرب، لماذا؟ لوجود فرق بين من نخشي نشوزهن وبين الناشزات فعلاً، الناشزات فعلاً لم يجد معهن علاج النصح والإرشاد أو الضرب الخفيف الذي لا يسبب أذى بدنيًا أو الهجر في المضاجع، إن عقاب الناشزات أقسى من ذلك وأشد؛ إذ يصل إلى الطلاق وهو عقوبة أفدح دون ريب من الضرب أو الهجر في الفراش، ولكن الدكتور شاسان آشا يتصور ويصور المسلمين كما لو كانوا جميعًا ممسكين بالعصي والسياط، يضربون النساء مصداقًا لقوله تعالى، وهذا تصور ساذج مضحك ينطوي على المغالطة وصولاً إلى النتيجة الخاطئة التي يحاول أن يوهم الناس بها، وسيادته لم يلاحظ بطبيعة الحال التدرج في معالجة شأن مَن يخشى نشوزهن.

وماذا عسى الناس أن يفعلوا عندما يجدون سائق سيارة سكيرًا تسبب في وقوع حادث بالطريق، ثم نزل من سيارته ليضرب الناس بالشارع؟ ألا يجوز لرجال الشرطة ضرب المخالفين من الرجال، ريثما يتمكنون من السيطرة عليهم لتطبيق القانون عليهم، كما هو معروف في دول العالم المتحضر؟

في عيادة أحد الأطباء، التفت الطبيب نحو الزوج قائلاً له: ما هذا؟ إنك ضربتها! فقال الزوج: كانت تضرب بعصبية ابنتها الصغيرة النائمة. والتفت الطبيب نحو الزوجة قائلاً: ما الذي جعلك تضربين ابنتك الصغيرة وهي نائمة؟ قالت الزوجة: كنت أريد أن أجنبها متاعب الحياة! قال الطبيب: هل تريدين أن تقتلي ابنتك؟ فقالت الزوجة: كنت أريد.

هذه حالة مرضية تطلبت العلاج! إن الضرب، ضرب أي إنسان دون سبب جريمة في شريعة الإسلام، إن الضرب الجائز مشروط بشروط، لا بد أن تكون مقنعة لدى أولى الأمر بين المسلمين.

والقاعدة العامة التي تحكم معاملة النساء بوجه عام في الإسلام، تستطيع أن تجدها بالقرآن الكريم في مواضع كثيرة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم: ٢١] إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون، ولكم يوصي القرآن الكريم بالوالدين إحسانًا، ولكم يخص بالذكر الحكيم الأم في مثل قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان: ١٤]

ويشير البخاري إلى هذه الآية القرآنية الكريمة في بداية «كتاب الأدب» قبل أن يضيف في «باب صلة الرحم» الأحاديث النبوية الشريفة التي توصي المسلم بحسن معاملة الأم، ومنها هذا الحديث النبوي الشريف: حدثنا قتيبه بن سعيد، حدثنا جرير عن عمارة بن القعقاع، عن شبرمة، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله مَن أحق بحسن صحابتي؟ قال: «أمك» قال ثم مَن؟ قال: «أمك» قال: ثم مَن؟ قال: «أمك» قال ثم مَن؟ قال: «ثم أبوك».

يغفلون ذلك كله ولا يذكرون إلا ما من شأنه الزراية والانتقاص من شأن وكرامة المرأة، مثل قولهم: خلقت المرأة من ضلع أعوج. وإذا كانت حواء قد خلقت من ضلع سيدنا آدم، فأي ضلع من ضلوعه كان مستقيمًا ولم يكن أعوج، إن ضلوع الأنسان في قفصه الصدري كلها عوجاء، ولا تقال هذه المقولة سواء إن كانت من الحديث الشريف أو لم تكن، إلا في حالات وجود إعوجاج في مسلك إمرأة من النساء، ولكنهم يجعلون من مثل هذه المقولة القاعدة لا الاستثناء علي سبيل المغالطة والالتواء، ومثله مقولة أن النساء ناقصات عقل ودين، التي لا تقال إلا في حالة اعوجاج مسلك امرأة من النساء، يجعلون أيضًا قاعدة لا الاستثناء، وكأن النساء كلهن في أي مجتمع كاملات العقل والدين منزهات عن الأخطاء، والكمال لله وحده دون مراء، لا يستطيع أن يدعيه بحق الرجال ولا النساء.

ويبقى اعتبار من أهم الاعتبارات في مواجهة خصوم الإسلام، الذين يحاولون النيل من الإسلام من جهة النساء، وهو عدم أهلية أي إنسان على وجه الأرض أن يغير شريعة الله التي شرعها للمسلمين والمسلمات، إننا نقبل الشريعة سواء أدركنا الحكمة في تشريعها أو لم ندركها؛ لأننا نقبل العقيدة، ولا يملك تعديل الشريعة أو تغييرها إلا نبي مرسل، ولقد ختمت رسالات السماء ببعثة محمد بن عبد الله ﷺ، وهل يستطيع رجل مثل الدكتور شاسان آشا أن يزعم أنه نبي مرسل من الله إلى البشر من جديد، آت بشريعة جديدة؟ مستحيل!

ولقد كان تعدد الزوجات معروفًا عند البشر قبل الإسلام وبلا حدود أو قيود، كان الرجل قبل الإسلام يستطيع الزواج بعشرات النساء، وحدده الإسلام بأربعة واشترط العدل، وحذر من صعوبة تحقيق العدل بين النساء، وفي هذا التحذير توصية بالاكتفاء بواحدة، والمشاهد والشائع الأعم بين المسلمين هو اكتفاء المسلم بزوجة واحدة، ووجود رخصة الزواج بأربع زوجات مفيدة في بعض الحالات دون أي ريب أو أي شك، إن وجود مثل هذه الرخصة التي شرعها الله يحل مشكلات المجتمعات التي يزيد فيها عدد النساء عن عدد الرجال، ولقد صدقت المرأة الألمانية التي قالت: أن يكون لزوجي زوجة أخرى أعرفها وأعرف أبناء زوجي منها، خير من أن يكون لزوجي عشيقات ومحظيات لا أعرفهن.

وزواج النبي بتسع زوجات وقد حدد الشارع العظيم للمسلم أربع زوجات فقط لا خطأ ولا حرج فيه، كما يرجف خصوم الإسلام بذلك، يقولون: لماذا أباح محمد لنفسه الزواج بتسع زوجات وحدد لأتباعه أربعة؟ أوليس محمد أولى الناس بتطبيق شرع الله؟ خبثاء ماكرون مغرضون! مَنْ مِن الناس يعرف أن الآية الكريمة التي حددت للمسلم ألا يزيد عدد زوجاته عن أربع زوجات إنما نزلت في أخريات السنة الثامنة للهجرة، وهي الآية الثالثة عشرة من سورة الحجرات، وتقول: ﴿فَانكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ﴾ [الحجرات: ١٣]. ولما كانت نساء النبي لسن كأحد من النساء بنص القرآن الكريم، ويجوز لأي مطلقة أن تتزوج من غير مطلقها بعد استيفاء عدتها،

ولا ينطبق ذلك على نساء النبي التسع أمهات المؤمنين؛ إذ حرم الله على المسلمين الزواج من نساء النبي بموجب أنهن أمهات المؤمنين، وماذا كان خصوم الإسلام يقولون لو طلَّق النبي بعض زوجاته ليتزوج من إحداهن واحد من المسلمين؟ إنهم ما كانوا ليتورعوا عن القول بأن فلانًا المسلم تزوج أمه!

مَن الذي حدد للمسلم ألا يزيد عدد زوجاته عن أربع زوجات؟ إنه الله ﷻ، مَن الذي أمر النبي ﷺ أن يستبقي زوجاته التسع؟ إنه الله ﷻ، فما دخل البشر؟!

وقول خصوم الإسلام: إن الإسلام يمنع المرأة من الخروج للعمل ومخالطة الرجال غير صحيح بالمرة، تخرج المرأة المسلمة للعمل إذ اقتضت ذلك الضرورة والحكمة، ولقد وردت بالقرآن الكريم قصة ابنتي سيدنا شعيب ﷺ، إذ خرجتا لرعي الأغنام؛ لأن أباهما كان شيخًا كبيرًا، وذلك في قوله ﷻ: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القصص: ٢٣]

الرعاة يسقون من البئر، ولم تختلط بهما ابنتا سيدنا شعيب ﷺ، بل وقفتا بماشيتهما بعيدًا حتى ينتهي الرعاة من سقيا ماشيتهم، هكذا وجدهما سيدنا موسى ﷺ، وسقي لهما سيدنا موسى، وطلبت إليه إحداهما أن يأتي إلى والدهما ليأخذ أجر صنيعه، ثم طلبت من أبيها أن يستأجره؛ لأنه قوي أمين. ولا يخفى على كل ذي بصر وبصيرة أن ابنتا سيدنا شعيب ﷺ كانتا مضطرتين إلى الخروج لرعي ماشيتهم، ولقد انتهزتا أول فرصة للتخلص من هذا العمل الذي يتنافى مع طبيعة الأنثى، ولا يخفي على كل ذي بصر وبصيرة أن هنالك أعمالاً تتفق مع طبيعة الأنثى، وأعمالاً لا تتفق مع الطبيعة الأنثوية، وفي ذلك يقول شاعر النيل حافظ إبراهيم:

أنا لا أقول دعوا النساء لواهيا ... بين الرجال يجلن في الأسواق
يدرجن حيث أردن لا من وازع ... يحذرن رقبته ولا من واق
يفعلن أفعال الرجال لواهيا ... عن واجبات نواعس الأحداق
في دورهن شئونهن كثيرة ... كشئون رب السيف والمزراق
فتوسطوا في الحالتين وأنصفوا ... فالشر في التضييق والإرهاق

هنالك في حياة البشر أعمال تتفق مع طبيعة الأنثى، وأعمال لا يمارسها إلا الرجال، وفي الآيات الأولى من سورة الليل ما يشير إلى هذه الحقيقة؛ إذ يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝﴾ [الليل: ١-٤] بل إننا نجد أن كل رجل من الرجال يختار العمل الذي يتناسب مع إمكاناته وقدراته.

وإذا عملت المرأة في القوات المسلحة لأي دولة، فما هي الأعمال التي تناط عادة بالمرأة في مثل هذا المجال في كافة جيوش العالم اليوم؟ إنها بطبيعة الحال أعمال تتصل بالتمريض والخدمات الطبية وما شابه ذلك، ولماذا تخصص أرقى دول العالم سجونًا للرجال وسجونًا للنساء؟ وهل من المعقول أن تفضي دعوى المساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات إلى الجمع بين الجانحين والجانحات في سجن واحد في أي مجتمع من المجتمعات؟

الإسلام لا يدعو بطبيعة الحال إلى تحريم العمل على المرأة، ولكن الإسلام يدعو إلى المعقولية وإلى إبعاد المرأة وصونها عن مواطن الفتنة والشبهات قدر الإمكان، والإسلام يدعو إلى أن يكون العمل مناسبًا لقدرات وإمكانات المرأة، ولكن خصوم الإسلام دائمًا يرجفون.

ومن المعلوم يا صاحبي لكل مسلم ومسلمة، ولكل منصف ومنصفة أن الإسلام هو أرفق وأكرم الشرائع السماوية فيما يتعلق بشأن النساء وبشأن حقوقهن ورعايتهن بدءًا من ميلاد البنت؛ إذ كان الإسلام هو الدين المساوي الوحيد الذي نهى منذ بداية نزول القرآن الكريم في سورة المكية المبكرة عن وأد البنات فور ولادتهن لتترعرع البنت في كنف أبويها وأهلاً على قدم المساواة مع إخوتها الذكور، حتى تتزوج لتكون في رعاية زوجها يعاشرها وتعاشره بالمعروف، أو يكون تسريح بإحسان، فإذا أصبحت المرأة أُمًّا كانت أولى برعاية أبنائها من الأب، والإسلام هو الشريعة السماوية الوحيدة التي تعطي المرأة حقًّا معلومًا محددًا بآيات من القرآن الكريم في الإرث في تركة الوالدين وتركة الزوج، بينما نجد القوانين المعمول بها لدى أصحاب شرائع أخرى، تعطي الثروة كلها أو معظمها للابن البكر من الذكور.

ويطول بنا الحديث يا صاحبي لو تتبعنا أباطيل خصوم الإسلام في محاولاتهم الساذجة الماكرة للنيل من الإسلام من جهة النساء، محاولات ساذجة بالفعل ولكنهم لمكرهم لا يتورعون عن تكرارها وتكرارها بإصرار عجيب، عسى أن ينخدع بها رغم سذاجتها بعض البسطاء من الناس، أو ينخدع بها مَن شغلتهم شواغل الدنيا وزخارفها عن حقائق الآخرة وعواقبها.

هل بقيت لديك أسئلة ترى أنها تتعلق بمنهج العلامة أحمد ديدات في الدعوة إلى الله يا صاحبي؟

قال: أسئلة -لو تفضلت- قليلة.

قلتُ: تخجل تواضعي يا صاحبي، هات سؤالاً.

حوار حول أدلة وجود الله

قال صاحبي: ما الأدلة على وجود الله فلسفية وغير فلسفية؟

قلتُ: العلامة أحمد ديدات في كتبه ومحاضراته ومناظراته، لا يعرض بتاتًا لهذا الموضوع، إنه يحاور ويناظر بافتراض وجود الله، وبافتراض أن الناس يؤمنون بوجود الله، والحوار كل الحوار إنما يتعلق بالتصور الصحيح والعقيدة السليمة كما ينبغي أن يعتقدها المؤمنون بالله، هل تكون وفق الدين اليهودي أم وفق الدين المسيحي أم وفقًا لتعاليم الدين الإسلامي، أنا مضطر يا صاحبي أن أحيلك إلى كتب فلسفية وكتب دينية، تجد فيها الأدلة الفلسفية وغير الفلسفية على وجود الله.

قال صاحبي: أولاً: أنا لا أحب أن تحيلني إلى كتب ومراجع يرهقني الإطلاع عليها، أريد خلاصة ما قرأت بخصوص موضوع سؤالي، ثانيًا: لقد استعارت بعض العقائد الدينية منجزات الفكر الفلسفي في صياغة عقائدها، ولا ريب أن هذه الاستعارة التي عمدت إليها بعض عقائدها، ولا ريب أن هذه الاستعارة التي عمدت إليها بعض الأديان قد أثيرت في أعمال العلامة ديدات، ولهذين السببين أرجو أن توجز لي قدر الإمكان كل ما يتعلق بمطلبي.

قلتُ: تريد يا صاحبي أن تكون كالملك الذي طلب من كبير العلماء أن يطلعه على تاريخ العالم ليستفيد من عبرة التاريخ، وجاءه كبير العلماء بعشرة جمال محملة بالكتب، ولما طلب الملك اختصارها لكثرة مشاغله، جاءه كبير العلماء بعد سنين بخمسة جمال محملة بالكتب، ولما طلب الملك اختصارها جاءه كبير العلماء بعد سنين بجمل واحد محمل بالكتب، ولما طلب الملك مزيدًا من الاختصار جاءه كبير العلماء بمجلد واحد ضخم، وكان الملك يحتضر فطلب من كبير العلماء أن يلخص له تاريخ العالم في كلمات قلائل فقال له كبير العلماء: «يا مولاي الناس ولدوا، وعاشوا، وماتوا» إنك يا صاحبي تريد أن تكون ملكيًا أكثر من الملك، الأرجح أن الملك كان يريد تاريخ العالم العام بما فيه من وقائع وأحداث، وأنت تريد تاريخ الفكر في العالم، ولو أنني يا صاحبي سلمت لك بصحة مطلبك بسبب استعارة بعض العقائد الدينية من أفكار فلسفية قبل الإسلام، فإنني أرجو أن يكون مطلبك

أكثر تواضعًا؛ ليتوقف بنا استعراض تاريخ الفكر في العالم عند القرن السادس الميلادي مثلاً، حيث اكتمل ظهور الأديان الثلاثة الكبرى.

قال صاحبي: لا بأس في ذلك، وإن كنت أرجو أن يمتد بنا البحث إلى العصور الوسطى، حيث تبلورت الأفكار الفلسفية وامتزجت بالعقائد الدينية أكثر وأكثر في العصر الوسيط في محاولات التوفيق بين الفلسفة والدين، مع قبولي بأكبر قدر تراه من الإيجاز.

قلتُ: الإيجاز بحد ذاته صعب يا صاحبي، إن الإيجاز يتطلب بداهة الإلمام بالتفاصيل، ثم القدرة على الإيجاز دون إخلال بالتفاصيل، وهو الأمر الذي يصل أحيانا إلى حدود المستحيل.

قال صاحبي: يرضيني من مطلبي أقل القليل.

قلتُ: تعرف يا صاحبي أنه قد جرى العرف بين مؤرخي العالم منذ أقدم العصور حتى الآن على تقسيم العالم إلى ثلاثة أقسام، يقع البحر المتوسط «Mediterranian Sea» في وسطها أو في قلبها: الشرق الأقصى ويشمل اليابان والصين والهند أساسًا، والشرق الأوسط ويشمل بلاد الرافدين حول دجلة والفرات حتى الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط، أما القسم الثالث فهو إلى الشمال والغرب من البحر المتوسط، ولن نتوقف كثيرًا عند ديانات ومعتقدات الفكر الشرقي القديم في بابل وآشور وآلهتها الثلاثة: إله السماء وإله الأرض وإله البحر، ولن نتوقف عند آشور إله الآشوريين، الذين جعلوا لكل صفة من صفات إلههم آشور إلهًا، فأفسدوا التوحيد بتعدد الآلهة على هذا النحو المشين، كما أفسدوها باتخاذهم الأصنام تجسيمًا للآلهة؛ إذ كان عامة الشعب يصعب عليهم في الغالب الأعم عبادة آلهة لا يرونها بعيونهم ولا يلمسونها بحواسهم، ولن نعرض يا صاحبي للزرادشتية ديانة الفرس التي وضعها «زرادشت» أو «زراتوسترا» التي نادت بوجود إلهين متعارضين هما «أورموزدا» إله الخير ومبدأ الحياة والنور، وهو الذي سلم كتاب الشريعة الشريعة «ڤستا» إلى زرادشت ليعلنه للناس في مقابل «أهريمان» إله الشر والهلاك والظلام فيما يزعمون، ولن نعرض يا صاحبي لديانات الهنود الفادية

«Vedism» وكتبها المقدسة «الفيدا» ولن نعرض لطبقة البراهمة الهنود الذين دعوا إلى ثلاثة آلهة، يمثل كل منها صفة من صفات الإله: فهو «براهما» من حيث هو موجود، وهو «فشنو» من حيث هو حافظ، وهو «سيفا» من حيث هو مهلك، ولن نعرض لما دعت إليه البرهمية من زهد في لذات الحياة، باعتبارها لذات جسدية زائلة وصولاً إلى «الزفانا» التي يضمن مَن يصل إليها ألا يعود إلى الحياة الدنيا بعد الموت ليتألم من جديد، ومن المعروف يا صاحبي أن من زهاد البراهمة «سكياموني» الذي كان أميرًا من الأمراء، رفض الملك وأخذ نفسه بالزهد والتقشف إلى أن طلع على الناس بعقيدة جديدة، ولقب جديد هو «بوذا» وهو لقب يعني الحكيم الزاهد.

وحسبنا أن نشير على بعض الاعتبارات الهامة:

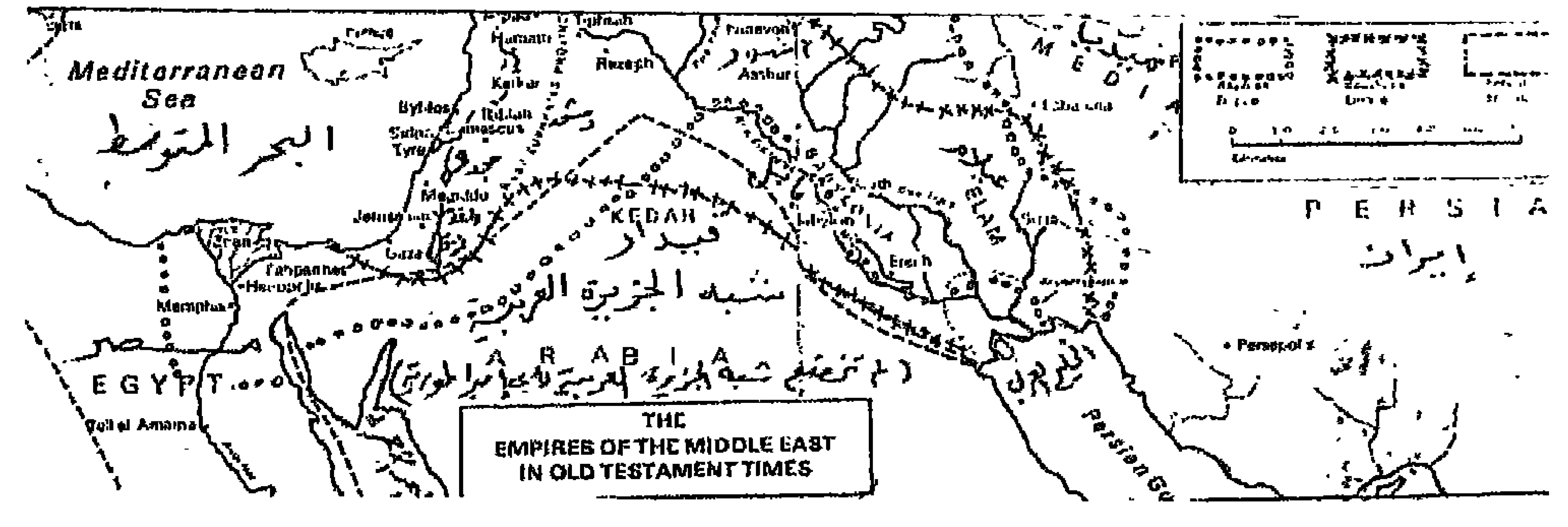
وأولها: وقوع هذه الأديان في الشرك بالله وتعدد الآلهة على نحو أو الآخر، وشيوع وجود أصنام، أو عبادة أشياء محسوسة كالنار أو النجوم أو بعض الحيوانات كالأبقار وغيرها.

والاعتبار الثاني: هو انتقال بعض هذه الأفكار من الشرق القديم إلى كثير من البلاد في الشرق الأوسط وحول البحر المتوسط، ولقد سبق أن أشرنا بالتفصيل إلى تأثر المسيحية بأفكار كثيرة من ديانات الهند ومن الديانة البوذية، تمثلت على وجه الخصوص في التشابه إلى حد التماثل بين المسيح في الأناجيل، وبين كل من بوذا وكرشنا، ومن الباحثين مَن أثار إلي وجود أفكار مشتركة بين رسم الأناجيل لشخصية «المسيح» وبين «بعل» إله البابلين، وذلك نتيجة لانتقال الأفكار بين الشعوب، التي تستحيل معها إمكانية حبس فكرة معينة داخل حدود سياسة أو جغرافية معينة.

والاعتبار الثالث: الذي يجدر بنا الإشارة إليه هو أن الأنبياء والرسل لم يظهر منهم أحد في الشرق الأقصى أو في الغرب شمال المتوسط أو بجنوب أوربا، بل ظهر أنبياء الله ورسله في قلب منطقة الشرق الأوسط؛ إذ كان موطن سيدنا إبراهيم عليه السلام هو بلاد الرافدين، لم يتحرك شرقهما بل تحرك شمالاً وجنوبًا وإلى جهة الغرب حتي وصل إلى فلسطين ومصر.

والاعتبار الرابع: هو أن حركات الغزو الفارسي والأشوري والروماني والفرعوني واليوناني، كانت متبادلة بين شعوب العالم المعمور قبل الميلاد بطريقة تبادلية مستمرة، مما جعل انتشار الأفكار عمومًا والأفكار الدينية خصوصًا واسعة الانتشار، ولكن شبه الجزيرة العربية كان هو الجزء الوحيد الذي لم يدخل ضمن أي إمبراطورية من الإمبراطوريات، التي كانت تضم بلادًا أخرى تحت نفوذها وتحت سلطان احتلالها.

ونود أن نشير أيضًا إلى اعتبار خامس، وهو وجود اتصال وثيق وتعاون قوي بين الملوك والأباطرة والحكام من جهة، وبين الكهنة ورجال الدين من جهة أخري، ولقد كانت طبقة الكهنة ورجال الدين من أذكى الناس الموجودين في مجتمعاتهم، ولم يكن يستطيع الالتحاق بخدمة الكهنوت إلا الأشخاص الذين تلوح عليهم مخايل الذكاء بكل وضوح، وكان الكهنة ورجال الدين يلعبون دورًا هامًا في تثبيت نفوذ الملوك والحكام على الرعية، أو بث الفتنة والثورة ضد الملوك والحكام، لو ساءت العلاقة بين الملوك أو الحكام من جهة وبين الكهنة ورجال الدين من جهة أخرى. وكان الكهنة ورجال الدين يحتكرون لأنفسهم معرفة الأسرار الدينية، أما أبناء الشعب فلا تتعدى واجباتهم الدينية ممارسة طقوس وشعائر حددها الكهنة ورجال الدين، وكان يتعين على أبناء الشعب فقط قبول المعتقدات الدينية على نحو إجمالى خال تمامًا من أية تفاصيل، والتعصب العاطفي للعقيدة التي يدين بها الملوك والحكام، ويتخصص في فهم أسرارها رجال الدين الكهان، الذين كانوا يحتكرون لأنفسهم أيضًا في الغالب الأعم علوم الدنيا كالفلك والتنجيم والهندسة والحساب والكيمياء والطب والسحر بالإضافة إلى أسرار العقيدة والدين.



ويلاحظ أن الديانات القديمة كلها كانت تؤمن بوجود إله، ولكن الضلال والإشراك بوحدانية الله وعبادة الأصنام والتماثيل بأساليب مختلفة كان شائعًا في الشرق القديم وفي الغرب القديم على السواء، وكان الصنم أو التمثال يتخذ بمثابة شعار شعبي للقبيلة أو للدولة أو للإمبراطورية، ويلاحظ أن الارتباط والتعاون والتآزر بين رجال الدين ورجال الحكم والسياسة كان يفرض نوعًا من الضغط على أفراد الشعب، حتى لا ينكر أحد من الرعية علنًا الآلهة التي يؤمن بها الحكام والكهنة، ولقد حوكم سقراط نفسه بتهمة التجديف على الآلهة، أي أنه كان يقول ما لا يليق بالنسبة للأصنام التي كان يعبدها اليونان.

وكثيرًا ما كان رجال الدين يعطون للملك دورًا يتفق مع مكانته وسلطانه، ولقد تطور هذا الدور الملكي من كون الملك هو الإله إلى كونه ابن الإله إلى كونه المثل الشخصي لله، وهي الاعتبارات التي كانت تضفي على خضوع الشعوب لملوكهم وحكامهم نوعًا من الشرعية القوية كانوا بحاجة إليها، وعندما دخل الإسكندر الأكبر مصر تناول القرابين من الكهنة المصريين، باعتبار أنه الإسكندر ابن الإله آمون، ولقد استقر هذا الدور الديني للملك ليأخذ صورة الحق الإلهي المقدس للملوك «The Divine Of Kings» بدول أوربا طوال العصور الوسطى، وفي مطلع العصر الحديث.

وكان ظهور أنبياء الله ورسله بمنطقة الشرق الأوسط فيما بين بلاد الرافدين والبحر المتوسط، هو أهم الاعتبارات في تاريخ العالم دون ريب أو جدال، ولقد كانت رسالة كل رسول من رسل الله قبل الإسلام موجهة إلى قوم بعينهم من الأقوام بما في ذلك رسالة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام رغم تضارب أقوال الإنجيل؛ إذ تصرح بعض الأقوال الواردة فيه باقتصار دعوة المسيح على بني إسرائيل وحدهم، وهي أغلب الأقوال وأصدقها مثل ما ورد بإنجيل متى: «هؤلاء الاثنى عشر أرسلهم يسوع قائلاً إلى طريق أمم، لا تمضوا إلى مدينة للسامريين، لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة» [متى: ١٠- ٦] وشبيه بذلك مؤكد له ما ورد بإنجيل متى: «لم أرسل إلا لخراف بيت إسرائيل الضالة» [متى: ١٥: ٢٤]

ويناقض هذه الحقيقة ما ورد بآخر إنجيل متى؛ إذ يقول بآخِرِ آخِرِ أصحاح من أصحاحاته: «وأما الأحد عشر تلميذًا فانطلقوا إلى الجليل إلى الجبل حيث أمرهم يسوع، ولما رأوه سجدوا له، ولكن بعضهم شكوا، فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً دفع إلى كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيكم به، وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر. آمين» [متى: ٢٨: ١٦-٢٠]

والتناقض بين القولين إنما هو واحد من أكبر تناقضات الإنجيل التي يستحيل القبول بطرفيها، أو التوفيق بينهما: إما أن تكون رسالة المسيح ﷺ موجهة إلى بني إسرائيل، كما تدل على ذلك معظم أقوال الإنجيل بشأن هذه القضية، وإما أن تكون موجهة إلى كافة البشر كما يدعي النصارى، استنادًا إلى أقوال أخرى قليلة بالإنجيل، مثل ذلك النص الذي أشرنا إليه، الموجود بآخر آخر أصحاح من إنجيل متى، وهو ما يناقضه ما ورد بالأصحاح السادس عشر من إنجيل يوحنا إذ يقول: «إن لي أمورًا كثيرة أيضًا لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق؛ لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية» [يوحنا: ١٦: ١٣-١٤] وهو ما يقطع بأن المسيح ﷺ يخبر أتباعه بأنه لم يأتهم بكل ما يتعلق بحقائق العقيدة والشريعة، وهو يخبرهم بمجيء رسول من رسل الله بعده هو الذي سماه «روح الحق» الذي يرشدهم إلى «جميع الحق» لأن لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، وفي ذلك إشارات واضحة إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ.

وكان رسل الله قبل الإسلام يعتمدون على المعجزات التي يجريها الله على أيديهم لإثبات صدق رسالتهم، ولإثبات أن الكتب السماوية المنزلة من الله إلى بعضهم، إنما هي فعلاً من عند الله ﷻ، كمعجزات عصا سيدنا موسى وغيرها، ومعجزات سيدنا عيسى ﷺ.

والمعجزة يا صاحبي يجوز أن تبهر الناس وتدهشهم، ولكنها غير كافية بذاتها في أن تقنع الناس وتهديهم؛ إذ ليس في المعجزة ذاتها -قبل نزول القرآن الكريم- ذات

محتوى الرسالة الإلهية المحددة للعقيدة السليمة، التي يجب أن يؤمن الناس بها، ويجوز أن يؤمن بالمعجزة من شاهدها، فلا تكون المعجزة ملزمة لغير شهودها شهادة العيان المحسوسة، ولو تأملنا قصة سيدنا صالح عليه السلام مع قومه من أهل ثمود -مثلاً- تتضح لنا هذه الحقائق.

لقد وجدت قبيلة ثمود بعد انقضاء عهد قبيلة عاد قبل رسالة سيدنا موسى عليه السلام فيما يرجح المؤرخون، وتذكر ثمود بعد عاد دائمًا في القرآن الكريم، ويؤيد ذلك ما ورد بالقرآن الكريم إذ يُذَكِّرُ نبي الله صالح عليه السلام قومه بقوله: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ [الأعراف: ٤٧]

ولقد أوجد نبي الله صالح عليه السلام إلى قبيلته، قبيلة ثمود، أوجد لهم ناقة مباركة بفضل الله تعالى، وأخبرهم سيدنا صالح عليه السلام أن الناقة إنما هي ناقة الله، كما أخبرهم أن الله يأمرهم أن يتركوا لها ماء البئر التي يستخدمونها يومًا، وأن يستخدموا مياه البئر يومًا آخر، وهكذا فعلوا مدة من الزمان، وكانت الناقة التي كانوا يستطيعون أن يشاهدوها بعيونهم تعطيهم لبنًا يكفيهم جميعًا، ولكن بمضي الوقت، ثار حقدهم على ناقة سيدنا صالح عليه السلام، أنكروا رسالته من الله إليهم، ورفضوا دعوة صالح لهم أن يتركوا عبادة الأصنام ليعبدوا الله وحده لا شريك له، إنهم يرون الأصنام بعيونهم، وقد صنعتها أيديهم، وقد عبدها آباؤهم وأجدادهم، وأصنامهم رموز ملموسة محسوسة للآلهة، وهم يحبون العناد والمخالفة، ويَعُزُّ عليهم ترك دين آبائهم وأجدادهم، وماذا يثبت لهم صدق رسالة سيدنا صالح إليهم، بحيث يحق له أن يدعوهم إلى نبذ الأصنام وعبادة الله وحده لا شريك له؟! إنها الناقة! وسولت لهم أنفسهم الشريرة أنهم يستطيعون أن يحطموا المعجزة لكي يحرموا نبي الله صالح عليه السلام من تلك الآية البينة، التي تثبت صدق رسالته وصحة نبوته! وكانوا في غلالبيتهم يهابون التعرض لناقة الله بأذى، ولكن أكثرهم شقاوة وسوء طوية، وكان يدعي «قدار» أقدم على أن يعقرها وعاقبهم الله جميعًا؛ إذ أخذتهم الصاعقة التي دمدمت عليهم، وسوَّت بيوتهم التي كانوا قد نحتوها في الصخر بالأرض، كما جاء في قوله

ﷺ: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾.

[الشمس: ١١ – ١٥]

بيد أن في طريقة سيدنا إبراهيم أبي الأنبياء عليه وعليهم السلام، في الاستدلال على وجود الله، وفي الجدل والحوار مع المشركين الذين كانوا يعبدون الأصنام في طريقته ﷺ، ما يوجب الالتفات والتأمل، وقد صور لنا القرآن الكريم طريقة سيدنا إبراهيم في الاستدلال علي وجود الله بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٧٦ – ٨٠]

وتسمى هذه الطريقة في الاستدلال على وجود الله بطريقة سيدنا إبراهيم، وهي تتلخص كما هو واضح في أن وراء الظواهر الموجودة في الكون حول الإنسان لو أعمل نظره وفكره قوة فاعلة عاقلة حكيمة مدبرة، وهذا لعمري هو ما يسمونه في تاريخ الفكر الحديث بدليل العلة الفاعلة «Brincible Of Sufficient Reasan» ويعتقد المؤمنون بالله –ولهم كل الحق– أن هذا المبدأ كافٍ بحد ذاته كتفسير للوجود، وكأساس للأخلاق، وكمصدر للقيم المتعلقة بالحق والعدل والخير والجمال. ولقد اعتبر المفكر الألماني لينتز «Leibnitz» (١٦٤٦ – ١٧١٦م) أن مبدأ العلية هذا مبدأ كاف لقيام العلم وثبات اليقين، ووضع صيغته على النحو التالي: «لا واقع يمكن أن يكون حقًّا أو موجودًا لو لم تكن هنالك علة كافية لكونه كذلك لا على خلافه، سواء كانت هذه العلة معروفة لنا أو غير[1] معروفة لم ندركها بوسائلنا حتى الآن، ويجوز أن تصل إليها معارفنا فيما بعد.

(١) ليبنيتز: مبدأ الذرات الروحية ص٣٢. وهو آخر مصنفاته التي أهداها إلى الأمير أيوجين دى سافوا.

ومن الواضح يا صاحبي أن التعبير القرآني أكثر بساطة ووضوحًا وتلقائية وجمالاً، بما لا يدع مجالاً للمقارنة بين الكلام من صياغة الله ﷻ، والكلام من صياغة البشر، بالغًا ما بلغت حكمة وقدرة البشر، فهي حكمة البشر نسبية، كما أن قدرة البشر بطبيعة الحال قدرة محدودة.

وندع جانبًا ومؤقتا بقية الأدلة على وجود الله في تراث الفكر الإسلامي، وهي أكثر بكثير من الأدلة الموجودة في أي تراث آخر، في التراث الغربي لا نكاد نجد أساسًا إلا الدليل المسمى بالدليل الأنطولوجي على وجود الله، والدليل الغائى على وجود الله، بينما توصل مفكرو الإسلام إلى عشرات الأدلة على وجود الله. ولم يسلم الدليلان المعروفان في الفكر الغربي من النقد، بينما بلغت أدلة وجود الله في التراث الإسلامي شأوًا كبيرًا من الدقة والإحكام والإقناع؛ لأن الأدلة على وجود الله في تراث الفكر الإسلامي قد استفادت إلى حد كبير من القرآن الكريم.

وتأمل يا صاحبي كيف استخرج علماء الكلام المسلمون من قول الله ﷻ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] استخرج علماء الكلام المسلمون من صدر هذه الآية القرآنية الكريمة دليلاً من أدلة وجود الله وحدانية الله في آن واحد، وأطلقوا عليه اسم «دليل التمانع» أو دليل «الممانعة» ووضعوه على صورة منطقية معقولة لا يجوز انتقادها بطريقة معقولة؛ إذ قالوا: لو كان في الكون إلهان مثلاً، ولو افترضنا قدرة كل منهما على فعل ما يريده، ولو اتجهت قدرة وإرادة أحدهما إلى فعل شيء على نحو معين، واتجهت قدرة الآخر وإرادته إلى فعل ذلك الشيء على نحو آخر؛ لنشأ عن ذلك ما يبطل ألوهية أحدهما أو كليهما، ولنتج عن ذلك أيضًا انحلال النظام الكوني، فيتعين أن يكون الإله الخالق المدبر للكون واحدًا، هكذا الدين الحق، وهكذا كلام الله الحق، يا صاحبي، يعطي الفكر الفلسفي البشري؛ أما الأديان الزائفة الملفقة، أما كلام البشر المنسوب زورًا إلى الله، فإنه يأخذ من الفلسفة ويستعين بثمار جهود الفلاسفة.

ولو انتقلنا يا صاحبي من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب المعمور قبل ميلاد المسيح عليه السلام بعدة قرون، نجد أن أقدم ما وصل إلينا من التراث اليوناني متمثلاً في

الإلياذة والأوديسة، حيث ترجع الأولى منهما إلى القرن التاسع قبل الميلاد، وأهم ما يلفت النظر في الإلياذة والأوديسة هو كيفية تصوير الآلهة والمبادئ الخلقية، في إطار من الشعر الرائع، الذي تمثلت فيه حكمة اليونان آنذاك في الدين والأخلاق والحرب والسياسة وكافة مظاهر الحياة، ونجد فيهما أن آلهة اليونان تحتل قمم جبال الأولمب، يؤلفون فوقها حكومة ملكية على رأسها كبير الآلهة زيوس الذي يتربع على عرش الآلهة.

ويتخذ كل الآلهة عند الرومان الصورة البشرية، ولذلك نجد تلك الآلهة الرومانية مثل الآلهة اليونانية، يأكلون ويشربون ويتزواوجون، وتتفشى بينهم الخيانة الزوجية والمكر والخداع والغش والسرقات، ويعتور حياتهم كل ما يعتور حياة البشر من شهوات ونقائص، إلا أنهم أقوى جسمًا وأذكى عقلاً.

وآلهة اليونان يسيطرون على البشر كل في مجال اختصاصه، فهنالك إله للحرب وإله للسلام وإله للجمال وإله للحب وإله للانتقام وإله للبحر وإله للنار وإله للخير وإله للشر، ألهة بلا حصر؛ ولكن هذه الآلهة لا تلتزم العدل فيما يسود بينها من علاقات، ولا تلتزم العدل في تصريف أمور البشر في كل المناسبات، غير منصفين في ثواب أو عقاب

وإذا كان الشاعر اليوناني القديم هزيود في القرن الثامن قبل الميلاد قد حاول أن يتدارك شيئًا من هذه الفوضى في ديوانه المعروف باسم «الأعمال والأيام» أو ديوانه الآخر المعروف باسم «أصل الآلهة» إلا أن صورة الآلهة كما رسمها هوميروس ظلت هي المسيطرة.

ويلفت النظر بشدة يا صاحبي، أنه لم يؤثر على الإطلاق ظهور أنبياء الله ورسله بين اليونان القدامى قبل الميلاد أو بعده، ومعنى ذلك أن المعتقدات الدينية لدى اليونان القدامي كانت نابعة من أسفل إلى أعلى، أو من الأرض إلى السماء، ولكن تصورات البشر تلك لله أو بالأحرى للآلهة المتعددة الأسماء عندهم، كانت تدل على فطرية الاعتقاد بوجود الله بتلقائية فطرية، هي التي اعتبرها علماء المسلمين دليلاً آخر من أدلة وجود الله، وهو الدليل الذي أطلقوا عليه اسم «دليل

إجماع الأمم على وجود الله Consemsus Gentium» دون نظر إلى طبيعة تصور أبناء تلك الأمم لطبيعة الله وما يجب أن يتصف به من صفات.

ولكن هذا التصور الهوميروسي للألهة ظل هو السمة الغالبة على الفكر اليوناني القديم، حتى عهد الإمبراطورية الرومانية إلى ما بعد ميلاد المسيح بثلاثة قرون على الأقل، عندما بدأ الآباطرة الرومان يتحولون من الوثنية إلى المسيحية حفاظًا على الإمبراطورية، واسترضاء للرعية التي شاع بين أفرادها اعتناق المسيحية هروبنا من الجبروت الروماني إلى الملكوت المسيحي.

ولا نكاد نجد عند قدامى فلاسفة اليونان الذين اهتموا بتأمل العالم المحسوس كما يتبدى لأنظارهم في مظاهر الطبيعة، وهم الذين عرفوا بأصحاب المدرسة الأيونية أو المدرسة المالطية -نسبة إلى مدينة مالطية-، حيث نشأ بها ثلاثة منهم هم طاليس (٦٢٤ - ٥٤٦ ق.م) وأنكسماندريس (٦١٠ - ٥٤٧ق.م) وأنكسيمانس (٥٥٨ - ٥٢٤ق.م) لا نكاد نجد عندهم اهتمامًا يذكر بمبحث الألوهية، ونشأ رابع أساطير هذه المدرسة، وهو هرقليطس «Heraclitus» (٥٤٠ - ٤٧٥ق.م) بمدينة إفسس «Ebhesus» وهي مدينة تقع على الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط بآسيا الصغرى، وكانت تلتقي فيها مواصلات البر مع مواصلات البحر من وإلى البلاد المعمورة قبل الميلاد، ولذلك اعتبرها الرومان مدينة حرة، وهو اعتبار كانوا يجعلونه على المدن ذات الأهمية المخلصة للنفوذ الروماني، ولذلك كانت تحكم نفسها بنفسها ولا تعسكر بها حاميات رومانية عسكرية، وكانت إفسس مركزًا لعبادة أرطاميس، وهو صنم قديم يعلوه التراب، وتحيط به تماثيل أباطرة الرومان مثل كلوديوس ونيرون وهدريان وسفيروس، وكانت إفسس مركزًا هامًا للسحرة والمشعوذين، وكانت للتعاويذ السحرية الإفسوسية شهرة رائجة لشقاء المرضى والعاقرين، ولتوفير النجاح للتجار والمغامرين، وإذ كانت أفسس مدينة حرة، فلقد كانت تتمتع بميزة عدم القبض على أي مجرم يلوذ بهيكل صنمها أرطاميس، فتجمع حول هذا الصنم كثير من المجرمين والمتطرفين والعاهرات اللائي كن يتنافس في القدرة على إغراء العباد والزهاد بهيكل أرطاميس؛ ولذلك كان لممارسة البغاء في إفسس شهرة ذائعة.

نشأ هرفليطس بمدينة إفسس هذه، وكان لهرقليطس الحق في أن يكون هو حاكم مدينة إفسس، ولكنه تنازل عن الحكم لأخ أصغر حتى يتفرغ للفكر والفلسفة، وكانت له طريقة عجيبة في التعبير عن أفكاره أعلن عنها بنفسه؛ إذ قال: أنا لا أفصح عن الحقائق ولا أخفيها، يكفي أنني ألمح إليها. ولم يبق من كتابات هرقليطس إلا مائة وثلاثون شذرة قام بجمعها وتحقيقها شليرماخر «Schlieremacher» عام ١٨١٧م، وقد عرفت فلسفته بالغموض، ولكنه أشار بطريقته التلميحية تلك إلى بعض المبادئ الفكرية الهامة التي ذاعت وترددت بين الفلاسفة والمفكرين، ولا تزال تتردد بينهم حتى اليوم، قال هرقليطس: إن النار[١]، حرارة النار، هي سر الوجود، ولو خلا العالم من الحرارة خلا من الموجودات.

ونادى هرقليطس بمبدأ ثان هو مبدأ التغير والصيرورة، وعبَّر عن ذلك المبدأ تعبيره الذي اشتهر بعده؛ إذ قال: أنت لا تنزل النهر الواحد مرتين؛ لأن مياها جديدة تجري من حولك دائمًا.

ونادي هرقليطس بمبدأ ثالث في غاية الأهمية، وهو وجود عقل كلي يحكم العالم أطلق عليه اسم اللوجوس «Logos» وسرعان ما انتشرت وشاعت وذاعت هذه الكلمة، وأصبحت تفسيرًا وتعليلاً لوجود نظام ثابت مستقر تجري عليه حياة كل الأحياء وكل الأكوان في عالم الإنسان، إلى حد أن أصبح تفسير أي شيء كمولد الناس وتدرجهم في مراحل العمر المختلفة ثم وفاتهم، أصبح تفسير كل ذلك مثلاً هو وجود عقل في العالم، لوجوس «Logos» وإذا كان الماء يتجمد بالبرودة فيصبح ثلجًا، وإذا كان الثلج يتحول بتوافر الحرارة إلى ماء، وإذا كان الماء يتحول بزيادة الحرارة إلى بخار، يتكاثف إذا انخفضت الحرارة ليصبح ماء، فما ذلك كله إلا نتيجة وجود عقل «Logos» يحكم العالم، وتكمن فيه القوانين التي يسير بموجبها الوجود، وكل ما فيه من ظواهر وأكوان، اشتهرت كلمة العقل الكلي الموجود في العالم أو اللوجوس «Logos» شهرة بالغة بعد هرقليطس، وأصبح يشار إليها بلفظ الكلمة.

---

(١) يخطئ بعض دارسي الفلسفة عندما يعتقدون أن هرقليطس قد نادى بأن النار بصورتها المعروفة الناجمة عن الاشتعال هي أصل الوجود، إن هرقليطس يعنى حرارة النار لا النار ذاتها.

إذا سألت أحد المفكرين: لماذا تشرق الشمس من المشرق وتغرب من المغرب؟ يقول لك: الكلمة. وإذا سألت لماذا ينزل المطر في بلد معين في وقت معين من السنة يقول لك: يوجد لوغوس في العالم، أو يكتفي بأن يقول لك: الكلمة، وهكذا.

قال صاحبي: لماذا الاهتمام بفلسفة هرقليطس وبمدينة إفسس؟

قلتُ: يهمني من فلسفة هرقليطس مناداته بفكرة التغير وتحول مادة من طبيعة إلى طبيعة أخرى، وكذلك مناداته بفكرة وجود عقل هو علة وجود نظام العالم وانتظام ظواهر الكون أطلق عليه اسم اللوجوس «Logos» والأهمية التي علقها المفكرون على هذا الاصطلاح، إلى حد أنهم أصبحوا يكتفون في الإشارة إليه باصطلاح شاع بينهم هو الكلمة.

ولقد انتقل للمعيشة في مدينة أفسس هذه «يوحنا بن زبدي» حواري المسيح، المشهور الذي عاش بعد المسيح حوالى مائة عام، وكان يطلق على هذه المدينة «نور أسيا» وأطلق عليها المؤرخ «استرابو» لقب «سوق آسيا» كما أطلق عليها لقب «سوق أباطيل العام».

ولُقِّبَ هرقليطس بلقب الفيلسوف الباكي، ولما سئل عن سبب بكائه المستمر قال: أبكي بسبب الفساد الموجود بإفسس! ولقد كان تيموتاوس هو أول أسقف لكنيسة إفسس.

كان هرقليطس قد صك مصطلح اللوجوس كما أشرنا من قبل، وأصبح اصطلاح الكلمة إشارة إلى هذا اللوجوس أو العقل الذي يعزى إليه انتظام ظواهر الكون الذي يدركه العقل البشري، أصبح الاصطلاح موجودًا، وأصبحت الكلمة موجودة منذ هرقليطس.

ولقد استغل الفيلسوف الهيودة فيلو «Bhilo» (٢٠ ق.م - ٤٠م) ويضيف العرب حرف النون تلقائيًا بآخر اسمه فينطقون «فيلون» استغل «فيلون» هذا الاصطلاح الهرقليطسي اصطلاح اللوجوس أو الكلمة للتوفيق بين الفلسفة وبين الدين اليهودي الذي كان ينادي بوجود إله واحد في مقابل تعدد الآلهة لدى مفكري اليونان والرومان الوثنيين، وكان منطق فيلون في محاولة التوفيق هذه يجري

كما يلي: أنتم أيها الرومان منذ عهد هرقليطس تؤمنون وتوافقون على أن في الكون عقلاً كليًا واحدًا هو اللوجوس، وهو السبب في جريان الحياة في الكون على نظام دقيق ثابت، قد لاحظتموه بأعينكم ودراساتكم، حسنًا إن الخلاف بيننا نحن معشر اليهود الموحدين المؤمنين بإله واحد وفقًا لما لدينا من توراة، وبينكم أنتم أيها الرومان الوثنيون الذين تؤمنون بتعدد الآلهة، الخلاف بيننا يمكن أن تزيله هذه الكلمة، كلمة اللوغوس التي تعرفونها منذ عهد هرقليطس، إن هذا الذي تسمونه اللوغوس أو الكلمة تسميه التوراة «الإله» الواحد الخالق المدبر للكون بكل ما فيه من بشر وظواهر كونية يعيش في كنفها البشر. ولا ريب يا صاحبي أن محاولة فيلون هذه للتوفيق بين دين يدعو إلى التوحيد، وفلسفة تنادي بتعدد الآلهة، كان محاولة ناجحة، وهي أول محاولة للتوفيق بين الدين والفلسفة.

وإذا كان «أفلاطون» (٤٢٨ - ٣٤٨ ق.م) قد نادى بنظرية المثل المعروفة، وجعل في قمته مثال الخير، فلقد كان من السهل أن يشير فيلون بعد أربعة قرون إلى مثال الخير، هذا باعتبار أنه الله، حيث إن الله في الدين اليهودي كما في سائر أديان التوحيد هو مصدر كل خير في العالم.

وإذ نادى أرسطو (٣٨٤- ٣٢٢ق.م) بالعلة الأولى أو المحرك الأول، فلقد كان من السهل أن يقول فيلون: هذه العلة الأولى أو ذلك المحرك الأول هو الإله في العقيدة اليهودية، والفرق إنما هو في التسمية فحسب، مرجع الخلاف إذا إنما هو الكلمة.

ولا تستهن يا صاحبي بالكلمة، سبق أن أثرنا إلى أن يوحنا بن زبدي حواري المسيح المعروف كان قد انتقل إلى بلدة إفسس ليعيش فيها بعد نهاية شأن المسيح مع قومه، ولقد كانت مدينة أفسس بموقعها المتوسط بين البلاد الآسيوية وبلاد اليونان مركزًا من مراكز التقاء وتفاعل الفكر الآسيوي بالفكر اليوناني القديم، وكانت إفسس هي مسقط رأس هرقليطس، فيلسوف التغير والتحول واللوجوس أو الكلمة، وكانت إفسس تعج بكثير من اليونان الذين يجيدون اللغة اليونانية مقيمين، وتجار وافدين، وجنودًا بالجيش الروماني العتيد، ومن المعروف أن فلسطين حيث

ولد المسيح عليه السلام كانت خاضعة للحكم الروماني، لكن سكان فلسطين الأصليين من بني إسرائيل لم يكونوا يجيدون اللغة اليونانية، كانت اللغة اليونانية هي لغة المستعمر، وكان لأهل البلاد لغتهم العبرة أو الآرامية، ولا ريب أن ألفاظ هذه اللغات قد تداخلت، ولاشك أن بعض السكان الأصليين قد تعلموا شيئا من اللغة اليونانية، لغة الثقافة الحاكمة الغالبة آنذاك.

انتقل يوحنا بن زبدي، حواري المسيح المعروف، ليعيش في مدينة إفسس، وتعرف يا صاحبي أن الإنجيل الرابع عند النصارى هو الإنجيل الذي يطلقون عليه إنجيل يوحنا ويطلقون عليه أيضًا إنجيل إفسس، ولقد عرفنا إفسس فمَن هو يوحنا؟ صاحب الإنجيل الرابع المعروف بإنجيل يوحنا، هل كان يوحنا بن زبدي هو الشخص الوحيد الذي يحمل اسم يوحنا؟

بالطبع يا صاحبي كان هنالك بمدينة إفسس عشرات الرجال، يحمل كل منهم اسم يوحنا، ولهذا السبب ثار الجدل والخلاف بين أصحاب وجهتين من النظر، تدعي أولاهما أن يوحنا بن زبدي حواري المسيح عليه السلام هو صاحب وكاتب إنجيل يوحنا بمدينة إفسس بعد حوالى مائة عام من انتهاء شأن المسيح عليه السلام مع قومه، ويذهب أصحاب وجهة النظر الآخرى إلى أن «يوحنا» آخر غير «يوحنا بن زبدي» هو صاحب وكاتب الإنجيلي الإفسسي المعروف لدى النصارى باسم إنجيل يوحنا أن بشارة يوحنا، وهو الرأي الأرجح والأقرب إلى الصواب؛ لأنه من المعروف أن يوحنا بن زبدي حواري المسيح عليه السلام إنما كان صياد سمك محدود الثقافة، لا يجيد اللغة اليونانية التي كتبت بها أصول الإنجيل الرابع المعروف باسم إنجيل يوحنا، وهو الإنجيل الذي تجمع الآراء على فصاحة لغته اليونانية وخلوها من الأخطاء اللغوية التزامًا بقواعد اللغة اليونانية، ومراعاة لأصول الفصاحة بمعايير الفصاحة والبلاغة المتفق عليها فيما يتعلق باللغة اليونانية، وهو الاعتبار الذي لا جدال في استحالته فيما يتعلق بيوحنا بن زبدي صياد السمك حواري المسيح عليه السلام.

والسبب الثاني في استبعاد أن يكون يوحنا بن زبدي هو صاحب الإنجيل المعروف باسم إنجيل يوحنا، هو وجود واحد من كتب العهد الجديد، يطلق عليه

اسم رؤيا يوحنا اللاهوتي، ويقول: مَن ينسب الإنجيل الإفسسي أو الإنجيل الرابع أن كاتب رؤيا يوحنا اللاهوتي هو يوحنا بن زبدي أيضًا. ولما كان الفرق شاسعًا بين مستوى اللغة التي كتب بها إنجيل يوحنا، الذي بلغ حدًّا رائعًا من الجودة بمقاييس اللغة اليونانية، وبين اللغة الركيكة المليئة بالأخطاء اللغوية التي كتبت بها رؤيا يوحنا اللاهوتي، مما يؤكد استحالة أن يكون كاتب الكتابين واحدًا، وهو يؤكد وجود يوحنا آخر غير يوحنا بن زبدي، كما أن المحتوى الفكري الموجود في إنجيل يوحنا أرقى بكثير من الصور الخرافية العديدة الموجودة في رؤيا يوحنا.

والسبب الثالث في استحالة أن يكون يوحنا بن زبدي هو صاحب الإنجيل المعروف باسم إنجيل يوحنا، هو الطابع الفلسفي الموجود بهذا الإنجيل منذ بدء البداية ومبثوثًا في ثناياه حتى النهاية.

وحسبك يا صاحبي أن تتأمل الجمل الأولى بأول أصحاح من إنجيل يوحنا، حيث يقول: «في البدء كان الكلمة» ولقد أوضحنا فيما سبق يا صاحبي كيف أن اصطلاح «الكلمة» كان مقصودًا به «اللوجوس» أو «العقل الكلي» الذي يعزى إليه ما في العالم من نظام دقيق يسير بمقتضاه العالم، وكيف كان هرقليطس قد صك هذه الكلمة، وكيف استعارها فيلون اليهودي السكندري منذ مطلع القرن الأول الميلادي، في محاولته التوفيق بين الدين اليهودي والفلسفة اليونانية، هل قال المسيح عليه السلام: في البدء كان الكلمة؟ لا، إن هذا التعبير موجود كأول جملة في إنجيل يوحنا، ومن المعروف أن إنجيل يوحنا لم يظهر في عالم المسيحية قبل انقضاء مائة عام من انتهاء شأن المسيح مع قومه، ولم يرد هذا التعبير، ولم يرد تعبير مشابه له بالأناجيل الثلاثة التي سبقته في الظهور من كتب العهد الجديد.

والسبب الرابع في استحالة أن يكون إنجيل يوحنا منسوبًا بحق إلى يوحنا بن زبدي، أن السيرة الذاتية ليوحنا بن زبدي معروفة في خطوطها الرئيسية ومعالمها الأساسية، من المعروف أنه كان صياد سمك، وليس من المعقول أن تبلغ إجادته للغة اليونانية مستوى البلاغة الفعلية الموجودة في الإنجيل، الذي حاول النصارى نسبته إليه، إن أقصى ما يمكن القبول به بالنسبة ليوحنا بن زبدي، هو أنه كان رجلاً

متوسط الثقافة قليل الإلمام باللغة اليونانية، وإذا كانت لغته اليونانية قد تحسنت بعد انتهاء شأن المسيح مع قومه، وخلال أعوام نفيه إلى جزيرة بطمس بالبحر المتوسط، فمن المستحيل أن يبلغ تقدمه في دراسة اللغة اليونانية هذا المستوى البلاغي الراقي بإجماع آراء فقهاء اللغة اليونانية، ولقد وصف القديس «لوقا» كلاً من «بطرس، ويوحنا بن زبدي» بأنهما كانا عاميان عديما العلم، على نحو ما ورد بأعمال الرسل (٤: ١٣) حيث يقول: «فلما رأوا مجاهرة بطرس ويوحنا، ووجدوا أنهما إنسانان عديما العلم وعاميان تعجبوا» ولقد أمكن العثور على مقبرتين بمدينة إفسس يطلق علي كل منهما اسم مقبرة يوحنا، مما يدل على وجود أكثر من يوحنا بمدينة إفسس.

والرأي الأرجح فيما يتعلق بإنجيل يوحنا الذي تمت صياغته باللغة اليونانية البليغة، وغلبت عليه، وشاعت فيه أفكار فلسفية يونانية أن السلطة الرومانية الحاكمة بعد اعترافها بالمسيحية، وبعد اعتناق أباطرة الرومان للديانة المسيحية، قد فوجئت بعد الخلاف المشهور حول طبيعة المسيح: هل هو إنسان رسول من رسل الله كما نادى بذلك آريوس؟ أم أنه إله إبن الإله كما نادى بذلك الأسقف إثناسيوس؟ وفوجئ أصحاب المذهب الملكاني بأنه لا يوجد بالأناجيل الثلاثة الموجودة بأيدي المسيحيين نص واحد يشير إلى ألوهية المسيح، انزعجوا لذلك أشد الانزعاج، وطلبوا إلى يوحنا الذي كان بمدينة إفسس أن يصوغ واحدًا من الأناجيل بحيث يجعل به نصوصًا تشير على ألوهية المسيح، ولما كان يوحنا بن زبدي لا يستطيع أن يقوم بالمهمة، فقد استعان بشخص آخر اسمه يوحنا أيضًا من اليونانيين الملمين بالفلسفة اليونانية، ليصوغ الإنجيل الرابع من أناجيل العهد الجديد صياغة تفي بالمطلوب، ولكن ما هو المطلوب؟ كان المطلوب أمرًا إدًّا! ولم يستطع يوحنا سواء كان ابن زبدي أو لم يكن ابن زبدي أن يصرح بالإنجيل الرابع، الإنجيل المعروف باسم إنجيل يوحنا بما يفيد ألوهية المسيح صراحة وبوضوح، حاول أن يحوم حول هذا المعنى، لكنه لم يجر على لسان المسيح عبارة واحدة قال فيها عيسى عليه السلام: أنا إله. أو عبارة قال فيها عيسى للناس: اعبدوني. ولو قلت لمسيحي هات عبارة من الإنجيل يقول فيها عيسى للناس: أنا إله. أو يقول للناس: اعبدوني.

ستجده يلجأ على الفور إلى إنجيل يوحنا ليقول: أنا والآب واحد. [يوحنا ١١٠-٣٠] أو غير ذلك من عبارات إنجيل يوحنا، وإن كانت عبارة «أنا والآب واحد» هي الأكثر استخدامًا لديهم في هذا المقام.

ومن الواضح يا صاحبي أن المسيح ﷺ لم يقل في هذه العبارة «أنا إله» ولم يقل للناس في هذه العبارة: اعبدوني. سيقولون: يمكن استخلاص معنى الألوهية من هذه العبارة، فيرد عليهم السياق الذي وردت فيه هذه العبارة باستحالة استخلاص معنى أن عيسى ﷺ إله من هذه العبارة أو ما شابهها؛ لأن السياق الذي وردت فيه العبارة بإنجيل يوحنا في الموضع المشار إليه، يبدأ من بداية الجملة الثانية والعشرين من الأصحاح العاشر بإنجيل يوحنا، حيث تبدأ الفقرة هكذا: «وكان عيد التجديد في أورشليم وكان شتاء. وكان يسوع يتمشى في الهيكل في رواق سليمان. فاحتاط به اليهود وقالوا له إلى متى تعلق أنفسنا. إن كنت أنت المسيح قل لنا جهرًا. أجابهم يسوع إني قلت لكم ولستم تؤمنون. الأعمال التي أنا أعملها باسم أبي تشهد لى. ولكنكم لستم تؤمنون لأنكم لستم من خرافي كما قلت لكم. خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها فتتبعني. وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك إلى الأبد ولا يخطفها أحد من يدي. أبي الذي أعطاني إياها هو أعظم من الكل ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي. أنا والآب واحد» [يوحنا ١٠: ٢٢-٣٠]

هذه يا صاحبي هي الفقرة التي ورد بآخرها القول المنسوب إلى المسيح ﷺ، بأنه قال: أنا والآب واحد. وهذا هو السياق الذي ورد فيه ذلك القول توضحه بداية الفقرة وتستمر في إيضاحه حتى النهاية. ماذا يفعل المسيح ﷺ وقد احتاط به حشد من اليهود في رواق سليمان بالهيكل، وطلبوا منه ردًّا صريحًا على سؤال ما إذا كان هو المسيح الذي ينتظرونه أم لا؟ والمسيح أو المسيا الذي ينتظره اليهود له مفهوم خاص عند اليهود، يتضمن أن يصبح المسيح ملكًا، أن يجعل بني إسرائيل حكام العالم، وأن يأتي لهم من الله بالشريعة الكاملة، ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي يحاول فيها حشد من اليهود إحراج المسيح ﷺ، لكنهم هذه المرة كانوا يحيطون به إحاطة السوار بالمعصم، ويبدو أنه كان بمفرده بالهيكل، هيكل سليمان، على نحو

ما يدل عليه تعبير إنجيل يوحنا، فاحتاط به اليهود. لم يقل: فأحاط به اليهود. بل قال: فاحتاط به اليهود. مستخدما صيغة المبالغة في التعبير عن الإحاطة.

ومن الواضح أن رؤساءهم من الزعماء الدينيين اليهود هم الذين كانوا قد دفعوهم إلى سؤاله: إن كنت أنت المسيح فقل لنا جهرة. وأحس المسيح عليه السلام بالخطر، إن كل أسئلة اليهود إلى المسيح عليه السلام إنما هي أسئلة من بين قرني إحراج، هل نعطي الجزية لقيصر أم لا؟ لو قال: أعطوا الجزية لقيصر لكانت هذه الإجابة غير مرضية لجماهير الشعب اليهودي الذين كانوا يقاومون ويكرهون الاحتلال العسكري الروماني لبلادهم، ويتطلعون إلى مخلص يخلصهم، يتطلعون إلى المسيا الذي سيكون تلك العالم، وسيجعلهم حكام العالم، وسيخلصهم من نير الحكم الأجنبي لبلادهم، وسيخلصهم بطبيعة الحال من دفع الجزية لقيصر الرومان، ولو قال المسيح لهم: لا، لا تدفعوا الجزية لقيصر. لكانوا أول مَن يبلغ الحاكم الروماني برأي عيسى عليه السلام في مسألة دفع الجزية لقيصر، ومن الضروري أن يكون لدى المسيح من القوات ما يمكنه من تنفيذ قوله ورأيه، ولم يكن لديه أتباع ولا مال ولا سلاح تخول له إبداء مثل هذا الرأي علنًا، ولذلك أجاب المسيح إجابة غاية في الحكمة والكياسة، إن لم نقل الدبلوماسية، إذ قال لهم: «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله» وما أشبه هذا المأزق داخل الهيكل بذلك الموقف! إن كنت أنت المسيح فقل لنا جهرا. بمعنى: هل أنت المسيح أو المسيا الذي ننتظره نحن اليهود بني إسرائيل؟ إن كنت أنت المسيح فقل ذلك الآن صراحة وعلنًا، لماذا لم يقل لهم السميح عليه السلام أنه هو المسيح؟ لو قال لهم ذلك لكذبوه ولطالبوه بالدليل، وأنّى له بدليل يقنعهم، وهم الكارهون لأي اقتناع بما يقنع! ولماذا لم يقل لهم: لا أنا لست المسيح؟ لو قال لهم ذلك لكان كاذبًا مخالفًا لحقيقة أمره، وحاشا لرسول من رسل الله أن يكذب، ولذلك أجابهم المسيح عليه السلام إجابة في غاية الحكمة الكياسة، إن لم نقل الدبلوماسية، إذ قال لهم: «إني قلت لكم ولستم تؤمنون».

ومن الواضح أن هذه إجابة تحمل أكثر من معنى. «قال لهم» قال لهم ماذا؟ هنا تفاد للإجابة الصريحة، حتى لا يفتكوا به أو على الأقل حتى لا ينقلوا إلى زعماء

اليهود أقوالاً يمكن أن يرجفوا بها ضد المسيح، وشفع المسيح هذه العبارة التي تحمل أكثر من معنى بقوله: «ولستم تؤمنون» أي أن الخطأ إنما هو خطؤهم نتيجة عنادهم وكفرهم وتنكبهم طريق الصلاح والهدى، واستمر المسيح في تقريعهم بما معناه: أنتم الآن تطلبون مني قولاً وتصريحًا علنيًا، الأعمال التي أنا أعملها باسم أبي تشهد لي. ومعناه الواضح هو أن المسيح يقول لهم ما معناه، إذا كنتم قد رأيتم أعمالي والمعجزات التي أجراها الله بقدرته على يدي، فأي جدوى في بضع كلمات تطلبون مني الآن أن أقولها لكم؟ ثم عمد المسيح ﷺ إلى استخدام أسلوب الاستعارة، معللاً كفرهم ورفضهم الإيمان بدعواه الصادقة المعرفة لديهم، حيث كان ينادى بها علنًا أيامًا وشهورًا مضت، فقال لهم: «لأنكم لستم من خرافي كما قلتُ لكم» يقصد أنهم ليسوا أتباعه، ولكنهم أتباع أشياع قيافا، وغيره من زعماء اليهود المناوئين للمسيح ﷺ.

ومن الواضح هنا أن الكلام ها هنا على سبيل المجاز لا الحقيقة، ويتكلم المسيح ﷺ عن أتباعه الذين آمنوا به وصدقوا تعاليمه الهادفة إلى إصلاح ما أفسده بنو إسرائيل من دين موسى ﷺ، فقال لهم عن أتباعه وحوارييه: خرافي تسمع صوتي. أي تطيع تعاليمي وأنا أعرفها. والمقصود أنني لا أعرف مَن يتبعني ويصدقني ومن يكفر بتعاليمي ويكره دعوتي، ولأن خرافي أي أتباعي يسمعون صوتي ويصدقون دعوتي وأنا أعرفها، فتتبعني أي تصدق تعاليمي، ونتيجه لذلك يخبر عن الجزاء الحسن الذي سيلقاه أتباعه في الآخرة بقوله: وأنا أعطيها حياة أبدية، هي حياة الخلود بعد البعث في نعيم الجنة، ولذلك فإن المؤمنين بي وبتعاليمي لن يهلكوا إلى الأبد، بل سيخلدون في نعيم الجنة في الحياة الآخرة، ويخبرهم المسيح أن عناية الله القوي العزيز تحوط تلاميذه وأتباعه وترعاهم؛ إذ يقول: أبي الذي أعطاني أياها. أي الذي شاءت إرادته أن يؤمنوا بتعاليم المسيح، وهذا المعنى جدير بالالتفات؛ إذ أن المسيح ﷺ لا ينسب نعمة تصديق أتباعهه بدعوته إلى نفسه، بل ينسب هذا الفضل إلى الله سبحانه وتعالى، ويقول عنه مشيرًا إلى قدرته غير المحدودة بأنه هو أعظم من الكل، ويؤكد لهم المسيح أنهم لن يستطيعوا أن يضعفوا أو يوقفوا إيمان

أتباعه وحوارييه بتعاليمه الصحيحة؛ إذ يقول أيضًا على سبيل المجاز «ولأي قدر أحد أن يخف من يد أبي» هل لأبيه يد ظاهرة يضع فيها الخراف أو الأتباع وهذه الخراف أو أولئك الأتباع بيد أبيه معرضون للخطف؟ كلا، يستحيل أن يكون هذا الكلام على سبيل الحقيقة، إنه بالقطع وبكل تأكيد على سبيل المجاز، وبعدها مباشرة ترد قوله المسيح: «أنا والآب واحد» [يوحنا ١٠: ٣٠] ومعناها: هدفي وقصدي هو ذات الغاية التي يرضاها الله، ألا وهي هداية الناس إلى الدين الصحيح. «أنا والآب واحد في الهدف والقصد» أي في هداية الناس، لا يزال الكلام على سبيل المجاز لا الحقيقة من أول الفقرة إلى نهايتها، هذا هو السياق، وهو يجعل من المستحيل أن يفهم أحد أن المسيح يجعل نفسه هو الله، أو يجعل الله هو المسيح إن تعبير «أنا والآب واحد» يماثل تمامًا قولك لصاحبك: «أنا وأنت واحد» إذا كان هدفكما ونفعكما واحدًا.

هل نوضح السياق بعد تعبير «أنا والآب واحد» يا صاحبي؟ بعده مباشرة، وبالجملة رقم ٣١ من ذات الأصحاح العاشر بإنجيل يوحنا، نجد قول الإنجيل المذكور «فتتناول اليهود حجارة ليرجموه» لماذا تناول اليهود حجرة ليرجموه يا صاحبي؟

قال صاحبي: صحيح! لماذا تناول اليهود حجارة ليرجموا المسيح بعد أن قال لهم ذلك القول الجميل؟

قلتُ: تناول اليهود حجارة ليرجموه أولاً لأنهم قد اغتاظوا من حكمته أو كياسته إن لم نقل دبلوماسيته إذا أنه لم يجبهم بنعم ولم يجبهم بلا، ولو قال لهم: نعم. لجادلوه واستهزأوا به وطالبوه أن يأتي له بالشريعه الكاملة، ولو قال لهم: لا. لانتهت قضية الخلاف بينه وبينهم كما يشتهون، ولقد سألهم المسيح عليه السلام بنفسه هذا السؤال: «أجابهم يسوع أعمالاً حسنة أريتكم من عند أبي بسبب أي عمل منها ترجمونني؟» [يوحنا ١٠: ٣٢]

وتأمل يا صاحبي إصابة ذات الحشد من اليهود على سؤال المسيح عليه السلام: أجابه اليهود قائلين: «لسنا نرجمك لأجلٍ عمل حسن، بل لأجل تجديف» [يوحنا ١٠: ٣٣]

ومعناه: لا نرجمك بسبب معجزة من المعجزات التي قدمتها لنا، دعنا من هذه المعجزات، دعنا من الأعمال الحسنة، نحن بصدد ما تقوله الآن، تقول أنك والآب واحد، هل تريد أن تجعل نفسك إلهًا؟ قالوا له بالحرف الواحد: «فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهًا» [بقية يوحنا ١٠: ٣٣] اتهام! تهمة اتهم بها اليهود المسيح عليه السلام في مواجهة المسيح عليه السلام، فماذا كان رد المسيح عليه السلام، وماذا كان دفاعه لدرء هذه التهمة عن نفسه؟ قال لهم المسيح، دفع المسيح عن نفسه التهمة الآثمة الخطيرة «أجابهم يسوع أليس مكتوبًا في ناموسكم أنا قلت إنكم آلهة» [يوحنا ١٠: ٣٤]

قال صاحبي: بالله ما معنى رد المسيح هذا؟

قلتُ: معناه واضح كل الوضوح يا صاحبي، إنه يقول لهم: لا تخلطوا بين المجاز والحقيقة، أنا لم أقصد أن أجعل نفسي إلهًا وأنا إنسان كما تتهمونني، ما هو ناموسكم؟ إنه التوراة! أليس مكتوبًا في التوراة: «أنا قلت إنكم آلهة» أي أن المسيح يذكر اليهود الذين يتهمونه زورًا بالألوهية بأن التوراة قد ورد فيها إطلاق وصف الألوهية على البشر.

وإشارة المسيح إنما هي إشارة إلى ما ورد بالتوراة بالجملة السادسة من المزمور الثاني والثمانين، والمزمور المشار إليه يقول: «الله قائم في مجمع الله في وسط الآلهة يقضي، حتى متى تقضون جورًا وترفعون وجوه الأشرار. سلاه. اقضوا للذليل ولليتيم، أنصفوا المسكين والبائس، نجوا المسكين والفقير من يد الأشرار، أنقذوا لا يعلمون ولا يفهمون في الظلمة يتمشون، تزعزع كل أسس الأرض، أنا قلت لكم إنكم آلهة وبنو العلي كلكم» [مزامير ٨٢ : ١-٦]. أي أن الله يا صاحبي يصف علماء بني إسرائيل وقضاتهم بأنهم آلهة وبأنهم بنو العلي كلهم، أفلا يحق للمسيح عليه السلام دون تجديف أو ادعاء ألوهية أن يصف نفسه بأنه من «بني العلى» إنه تواضع من المسيح إن لم يدع نفسه إلها باعتبار، إنه كان أعلم علماء بني إسرائيل، وكان يصحح لهم ما أفسدوه من تعاليم موسى، ولم يدع نفسه إلهًا، بل دعا نفسه ابن الله تواضعًا، وعلى سبيل المجاز، أفلا يجوز ويحق له ذلك دون أن يتهم زورًا بأنه يدعي الألوهية؟ منطق لا يُفَلُّ، وحجة دافعة، ودفاع بارع مفحم يقتضي البراءة الكاملة من تهمة زائفة.

حقيقة الأمر يا صاحبي أن التوراة، ناموس اليهود يشيع فيها حتى الآن استخدام لفظ الآلهة وإطلاقه على أنبياء وحكماء وقضاة بني إسرائيل.

ومن ذلك علي سبيل المثال لا الحصر منعًا للاستطراد الذي نبذل قصارى الجهد لتفاديه، من ذلك ما ورد بسفر الخروج؛ إذ تقول أول جملة من الأصحاح السابع به ما يلي بالحرف الواحد: «فقال الرب لموسى: انظر، انا جعلتك إلهًا لفرعون، وهارون أخوك يكون نبيك» [سفر الخروج ٧: ١] ولايزال لقب رابى «Rabbi» يطلق علي الحاخام اليهودي حتى الآن، وهو قريب كل القرب من لفظ «ربي» أي «إلهي» نفي المسيح عليه السلام اتهام اليهود له بأنه وهو إنسان يدعي الألوهية فورًا، وفي مواجهتهم عندما وجهوا له زورًا هذا الاتهام الزائف بهيكل سليمان بأورشليم.

هذا هو السياق «Context» يوضح ما قبل النص وما بعد النص أن عيسى عليه السلام ليس إلهًا ولم يدع الألوهية، ولا يوجد نص من كتاب إلهي حتى ولو كان كتاب العهد الجديد أو إنجيل النصارى يصرح بهذا المعنى الذي يجعل عيسى عليه السلام إلهًا.

ولقد فطن العلامة أحمد ديدات إلى مسألة ضرورة المطالبة بتوضيح سياق النص لفهم المعنى الحقيقي للنص هذه يا صاحبي، وسنجد في كتبه ومناظراته اهتمامًا بالغًا بها، وهو ما اضطرنا إلى هذا الاستطراء لبيانها حتى لا نحتاج إلى توضيحها هنا وهناك؛ لأنها مبثوثة في كتير من منجزاته.

ولا حاجة بنا للاستطراء أكثر من ذلك يا صاحبي بيانًا لآراء الفلاسفة المختلفة، إن هذه الفترة بالذات السابقة لميلاد السيد المسيح، والمصاحبة لميلاده، والتالية مباشرة لميلاده اضطرتنا لشيء من التفصيل، ولا نحتاج إلى كثير تفاصيل بعد ذلك، ولقد سبق أن أشرنا إلى أن الفلاسفة تتعارض مذاهبهم ووجهات نظرهم على طول الخط، ويهدم فيلسوف قال ما ذهب إليه فيلسوف سابق، وأنت يا صاحبي قد ارتضيت الإيجاز أشد الإيجاز.

وإذا كان أفلاطون قد نادى بوجود عالم المثل وجعل على رأسها واحدًا منها هو إله الخير، فإنه لم يَنْأَ عن الفكر اليوناني المتوارث فيما يتعلق بالآلهة الكثيرين الموجودين بأعلى جبال الأولب وعلى رأسهم زيوس.

وإذا كان أرسطو قد رفض عالم المثل الأفلاطوني، حتى لا يبتعد عن الواقع الذي توجد فيه الموجودات من حوله، فإنه قد وضع في اعتباره ما في الكائنات من حركة منتظمة، كما لو كان لكل شيء في الكون صانعًا ومحركًا ونادى بضرورة افتراض محرك أول أعطى لكل شيء حركته ورسم للأكوان نظامها، ثم ترك العالم منتظم الحركة وانقطعت صلته به.

ولا نكاد نجد عند الرواقيين شيئًا يذكر فيما يتعلق بمبحث الأولوهية، أسس المدرسة الرواقية زينو «Zino» (٣٤٠- ٢٦٥ ق.م) وهو فينيقي استقر بأثينا، وخلفه كليانتس «Cleanthes» ثم كريسيبوس «Chrysibbus» ووصلت راية المدرسة الرواقية في النهاية إلى زينون الطرسوسي «Zinon Of Tarsus» ثم إلى ديوجين اللايرس، ولقد اهتمت المدرسة الرواقية بالأخلاق والمسلك العملي للإنسان في الحياة الدنيا، ودعت إلى الفضيلة ونبذ الشهوات، واللذة الحسية السريعة، والاكتفاء بالمطالب الضرورية للحياة، والعيش على وفاق مع الطبيعة، كما نادى بذلك واحد من أهم شعارات المدرسة الرواقية «Stoicism» ولقد عارضت الرواقية بذلك شعارات المدرسة القلبية التي نادى بها انتستانس، وشعارات المدرسة القورنيائية التي نادى بها أرستبوس، اللذين ناديا بالسعي وراء اللذة الحسية السريعة؛ إذ اعتبر الرواقيون أن اللذة الحقيقية هي التي لا تخلف وراءها ألمًا، بل نادوا بضرورة أن يتحمل الإنسان بعض الألم لتحقيق لذة أطول بقاء، أو في سبيل الفضيلة والمبادئ والأهداف السامية النبيلة، التي تحقق للناس السعادة الأطول بقاء.

وإذا انتقلنا إلى العصر الهلنستي «Htllenistic» نجد أن الفكر في مدرسة الإسكندرية كان قد قطع شوطًا كبيرًا في سبيل التوفيق بين الدين الذي يعتمد على الوحي وبين الفلسفة التي تعتمد على النقل منذ محاولات فيلون اليهودي بهذا الصدد، وهو يهودي عاش بالإسكندرية فيما بين عام (٢٠ ق.م إلى ٤٠م) وحاول التوفيق بين التوراة والفلسفة اليونانية -كما سبق أن أشرنا-، وكانت محاولته تلك هي أول المحاولات التي نسج على منوالها كل مَن حاول التوفيق بين الدين والفلسفة في العصر الوسيط بدءًا من أفلوطين (٢٠٥م - ٢٧٠) الذي كان مصريًا من أسيوط

عاش بالإسكندرية، وتعلم اليونانية وحاول التوفيق بين الفلسفة الأفلاطونية الجديدة وبين العقائد المسيحية التي انتهت إليه، ثم انتقل إلى روما وأسس بها مدرسة على نمط الرواقية والأبيقورية عام ٢٤٤م.

حاول أفلوطين التوفيق بين خلاصة فكر أفلاطون المثالى، وخلاصة فكر أرسطو العلمي الأستقرائي، باعتبار أنهما وجهان لقطعة عملة واحدة هي المعرفة الإنسانية، ولقد دعا أفلوطين بالفعل إلى وجود نوعين من الحقائق: النوع الأول: يتمثل في الحقائق المرئية التي نشاهدها في العالم المرئي «The Visible Universe» ويتمثل النوع الثاني في حقائق العالم المثالى «The Ideal Universe» ودعا أفلوطين إلى نوع ثالث من الحقيقة تتمثل في مبدأ أول «First Principle» وهو مبدأ واحد أطلق عليه أفلوطين بالفعل مبدأ الواحد «The One» أو الجيد الخير «The Good» ووصل الأمر بأفلوطين إلى تسمية هذا المبدأ الأول الواحد الذي يربط العالمين، سماه أفلوطين أحيانا باسم الأب «The Father» تأثرًا بعقائده المسيحية، ومعنى ذلك ببساطة ووضوح أن نظرية أفلاطون في المثل صحيحة، ونظرية أرسطو في وجوب الملاحظة والاستقراء سليمة، والله هو الموفق ونادى أفلوطين أيضًا بنظرية الفيض «Emanation» إذ جعل العالم يفيض عن الأول أو الواحد أو الله كما تفيض المياه من عين من العيون المائية، أو كما تفيض مياه النهر متجددة المياه من منابعه، وتأثير نهر النيل العظيم، تأثير واضح في فكر أفلوطين عمومًا، وفي نظرية الفيض خصوصًا.

والأشياء الموجودة في عالمنا إنما فاضت، أي أخذت صفة الوجود بحدوث فيضان لها عن الأول أو الواحد، وهو بنظر أفلوطين هو الله الخالق، وأول مراتب هذا الفيض عن الأول، إنما هو العقل «Nous» الذي تتصل به نفوس البشر فيشكل العقل جوهرها، وثانية المراتب في الوجود هي المرتبة التي توجد فيها الأجسام التي نشاهدها للمحسوسات، وهي لتعرضها للغناء والزوال بفقدان الحياة، إنما هي مجرد صور «Images» أو مظاهر «Appearances» تغلف العقول والنفوس، وأخيرًا ينحدر الوجود إلى المادة الأولى «Porte hyle» التي هي بمثابة ظل الظل Shaddow of shadow وهكذا تصدر كل الموجودات عن الأول أو الواحد.

ولا ريب أن صدور المخلوقات عن الواحد أو الأول وفقا لنظرية الفيض هذه التي نادى بها أفلوطين، إنما هي محض خيال ساذج غير مقنع للعقل، ولا يستند إلى أي نقل، لتفقد نظرية الفيض هذه احترامها بمعايير الفلسفة وبمقاييس الدين على السواء، لا يستطيع الفلاسفة أن يتقبلوا منهج أفلوطين في نظرية الفيض التي تنظر إلى الوجود، كما لو كان الوجود مجرد إفراز للعسل في خلية نحل، أو تدفق للمياه في نهر، أو إفرازًا لمادة سمعية على جذع شجرة من الأشجار، ولا يدري أحد ما هو موقف الشجرة من المادة الصمغية التي أفرزتها، ولو حاول أفلوطين أن يستعين بنصوص الدين لفقد كل قيمة من الناحية الفكرية، ولا تسعفه نصوص الدين، بل تخذله وتدعه يجتر خياله الفلسفي المستند إلى تصوره العقلي، وهكذا تكون الحلول الوسطى عرضه للهجوم من كلا الطرفين، اللذين يحاول الوسيط أن يوفق بينهما.

قال صاحبي: بودي لو تتبعنا فكرة الألوهية في المراحل المتأخرة من العصر الوسيط لدى القديس أوغسطين والقديس توما الأكويني، ومطلع العصر الحديث لدى ديكارت وبركلي وهيوم وكانط.

قلتُ: وما الجدوى يا صاحبي وأنت ترى أن كل واحد منهم يعارض الآخر، يحبذ القديس أوغسطين مثالية أفلاطون، ويغض من شأن المعارف المكتسبة عن طريق الحواس، فيناقضه القديس توما الأكويني، معتمدًا على استقرائية أرسطو، معولاً وجود المحرك الأول، أو على العلة الفاعلة، أو على دليل الكمال الذي كان أرسطو قد وضع صيغته لأول مرة؛ إذ قال في الكتاب الثاني من «ما وراء الطبيعة» (٩٣٣ ب ٢٧ - ٣٠) «إن ما هو حق على الوجه الأعظم هو علة الحق في الأشياء الأخرى التي هي حق، وللأشياء من الوجود بقدر ما لها من الحق» وكذلك الشأن في كل مراحل تطور الفلسفة حتى يومنا هذا، انتقد كانط ما قرره ديكارت كما انتقد ديفيد هيوم ما ذهب إليه جون لوك.

وعلى كل حال - يا صاحبي لا يستطيع أحد أن يكون أكثر أفلاطونية من أفلاطون، ولا أكثر أرسطية من أرسطو، وأرجو ألا تكون قد نسيت أن خير موقف يتخذه الإنسان حيال مذاهب الفلاسفة وآرائهم هو موقف المتفرج، والأجدر بنا يا

صاحبي، أن تكف عن الاستطراء والجري وراء آراء الفلاسفة، وهي على كل حال مبسوطة في عديد الكتب والمجلدات.

الأجدر بنا يا صاحبي هو أن نحاول تلخيص ما انتهينا إليه بوجه عام مما عرضناه فيما سبق، من أن الألوهية في الشرق الأقصى قديمًا وحتى اليوم، لم تعتمد على وحي السماء، ولم تزعم وجود كتاب أنزله الله إلى البشر عن طريق الوحي الإلهي، فبدت كمحاولة من الإنسان إلى الارتقاء من الأرض إلى السماء، ولو كانت هنالك مسحة من تقديس لأي كتاب يتعلق بموضوع الألوهية لدى البوذيين أو البراهمة أو الزرادشتيين، فإننا نجد أن هذه القدسية تعزى إلى حكمة براهما أو بوذا أو زرادشت، حكمة تصل من العاطفة إلى العاطفة أو قل من القلب إلى القلب.

ولقد اتضح لنا كيف اعتمد اليونان والرومان من بعدهم على جهود العقل في محاولة لفهم الوجود وفهم أنفسهم وفهم مكانهم من الوجود، وجمعت منطقة الشرق الأوسط بين العقل والقلب أو بين إعمال الفكر وسماع صوت العاطفة في الشرق الأوسط، وكان للرسالات السماوية مكانها في الشرق الأوسط، وظهر فيه دون غيره كل أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام، وكان للوحي الإلهي مكان الصدارة لدى البشر فيما يتعلق بالدين والدنيا، فتضافر العقل والنقل على توفير أصح وأرقى معرفة للإنسان بالخالق والخلق، بالدين والدنيا، بالله ﷻ والبشر الذين فتح الله لهم نور الهدى ليهتدوا إلى الطريق المستقيم؛ إذ أوحي إلى خاتم الأنبياء والمرسلين آيات الذكر الحكيم بالقرآن الكريم. وقد ألمحنا فيما سبق يا صاحبي إلى منهج القرآن الكريم في التدليل على وجود الله ووجوب الإيمان به، كما تبدى ذلك في طريقة سيدنا إبراهيم عليه السلام في الاستدلال على وجود الله، ودليل الامتناع الذي عبَّر عنه القرآن الكريم تعبيرًا بسيطًا واضحًا مقنعًا في قول الله ﷻ في جزء من آية من آيات القرآن الكريم؛ إذ يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]

حوار حول الوحي الإلهي

قال صاحبي: صدق الله العظيم حقًا، إن البساطة سمة من سمات الحق، والوضوح دليل على الصدق، وإذ وصلنا إلى الوحي الإلهي، كم أنا مشوق إلى تعريفه تعريفًا دقيقًا، وكم أنا مشوق إلى معرفة كيفية التفرقة بين صحيحه وزائفه، وكم أنا مشوق إلى تمييز صادقه في النسبة إلى الله، وكاذبه في النسبة إليه سبحانه وتعالى، وكم أود أن أعرف ما حدث بالنسبة إلى الكتب السماوية السابقة زمنيًا على الإسلام.

قلتُ: فلنبدأ بالتعرف على المعنى اللغوي للوحي، ثم نثني ببيان المعنى الشرعي للوحي.

الوحي لغة كما عرفه الشيخ محمد رشيد رضا[١]: هو الإعلام الخفي السريع، الخاص بمن يوجه إليه، بحيث يخفى على غيره، ولقد تم تخفيف تضعيف الياء الأخيرة وسكنت الحاء قبلها.

ومنه يتضح أن الوحي لغة هو مطلق الإعلام غير مقيد بمتلقٍّ أو بمرسل، كما أنه غير مقيد[٢] بطريقة معينة من طرق الإعلام؛ فقد يكون الوحي بمعناه اللغوي عن طريق الكلام أو الكتابة أو بأي طريقة أخرى كالرسم أو الرمز أو التعريض أو التلميح أو الإيماء، أو أي إشارة مرئية أو مسموعة، بحيث تصل الرسالة من المرسل إلى المستقبل موحية باعتقاد معين أو باتخاذ تصرف معين، وقد يكون مصدر الوحي بمعناه اللغوي إلهامًا نابعًا من ذات الإنسان صادقًا أو كاذبًا، نافعًا أو ضارًا، وإذا كان الوحي كاذبًا أو ضارًا أو مضللاً سُمِّيَ وسوسة.

ويقر علماء النفس المحدثون بوجو الإلهام Inspiration أو الحدس Intuition أو الإيحاء Suggestion بما في ذلك الإيحاء الذاتي Autosuggestion Or Self - Suggestion ويطلقون على الطريقة التي يحصل بها الإنسان على هذا النوع من المعرفة طريقة الاستبطان Introspection أو التأمل الذاتي.

---

(١) الشيخ محمد رشيد رضا: الوحى المحمدى، ص ٧، ط ٧ الزهراء لإعلام العربي بالقاهرة.

(٢) انظر: فتح البارى لابن حجر ١/ ٩.

ومن الضروري أن نقدم بعض الأمثلة لمعنى الوحي في الاستخدام اللغوي لكلمة الوحي، فلو أن التاجر (أ) طلب من صديق له أن يذكر للتاجر (ب) أنه سيدخل في مزاد معين لكان التاجر (أ) يقصد بذلك أن يوحي إلى التاجر (ب) إيحاءً معينًا ليدفق قدر الإمكان إلى سلوك معين، يهدف إليه التاجر (أ) حسب توقعاته من رد فعل التاجر (ب) لدى وصول معلومة معينة إليه، قد يهدف التاجر (أ) إلى دفع التاجر (ب) إلى دخول المزاد لرفع السعر عليه، وقد يهدف إلى إبعاده عن المزاد تجنبًا للتحدي والمزايدة.

ومن الأمثلة التي توضح الوحي الصادر من شخص إلى غيره من الناس، ذلك المثال الواضح الذي أشار إليه القرآن الكريم موضحًا لنا ما جرى بين سيدنا زكريا وقومه كما ورد في قول الله ﷻ: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾ [مريم: ١١]

هذا، وبعض عناوين الكتب المعروفة تستخدم كلمة الوحي مثل كتاب «وحي القلم» للرافعي أو «وحي الرسالة» للزيات، دون أن يزعم أصحابها أية مزاعم دينية، إنهم يستخدمون كلمة الوحي بمعناها اللغوي الواسع الذي ألمحنا إليه فيما سلف، وهو يختلف تمامًا عن الوحي بمعناه الشرعي، إن كلمة الوحة بالمعنى اللغوي الواسع كانت ولا تزال مستخدمة في النثر الأدبي، كما أنها كانت ولا تزال مستخدمة في الشعر العربي، ومن ذلك قول الشاعر:

نظرت إليها نظرة فتحيرت ... دقائق فكري في بديع صفاتها
فأوحى إليها الطرف أني أحبها ... فأثر ذاك الوحي في وجناتها

ومنه يتضح يا صاحبي أن الوحي بمعناه اللغوي قد يكون إلهامًا نابعًا من الذات، أو صادرًا من الآخر أو إليه إذا كان نافعًا خيرًا، وهو وسوسة إذا كان شريرًا فاسدًا.

قال صاحبي: فما هو الوحي بمعناه الشرعي؟

قلتُ: يشترط في الوحي بمعناه الشرعي، أن يكون صادرًا عن الله ﷻ إلى من اختارهم الله من البشر، ذوي النفوس التي فطرها الله وخلقها قادرة مهيأة، أن

تستقبل هذا الوحي الإلهي، كما يتجلى ذلك في الوحي الإلهي إلى أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام، كما أن الله ﷻ قد أنبأنا في القرآن الكريم عن قدرته ﷻ علي إزجاء الوحي إلى غير الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، كما يتبدى ذلك في قوله ﷻ: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ [القصص: ٧]

قال صاحبي: صدق الله العظيم، هنالك إجماع على صدق ذلك الوحي الإلهي الذي أزجاه الله ﷻ إلى أم موسى، ولا جدال في أن أم موسى قد صدقت الوحي، وألقت وليدها في النهر، وأن امرأة فرعون وكانت عاقرًا، قد التقطته من النهر، وأدخلته القصر -قصر فرعون- ليتربى فيه سيدنا موسى، هذه حقائق يجمع على صحتها البشر، ويرتاب بعضهم في الوحي الإلهي! كيف بالله ينكر بعض السفهاء وجود الوحي الإلهي؟ ما الذي جعل أم موسى تلقيه في اليم؟

قلتُ: لا تبتئس يا صاحبي، لقد وصفت أنت نفسك منكري الوحي الإلهي بأنهم السفهاء من الناس، وفي ذلك يقول الله ﷻ: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾.

[البقرة: ١٣٠]

وقد يكون الوحي الإلهي من الله ﷻ إلى غير العاقل بمعنى الإلهام الغريزي كما في قول الله ﷻ: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [النحل: ٦٨]. ونرى النحل يا صاحبي يتخذ من الجبال بيوتًا ومن الشجر ومما نعرش، والوحي الإلهي كما أنبأنا الله ﷻ في القرآن الكريم واضح لا سبيل إلى إنكاره بأي حال من الأحوال، وقد يكون الوحي الإلهي صادرًا من الله إلى الملائكة، كما في قول الله ﷻ: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال: ١٢]

وفي المقابل لذلك، قد يوحي الشياطين بعضهم إلى بعض، وقد يوحي الشياطين إلى بعض أوليائهم، مبعدين لهم عن طريق الهداية والخير، مزينين لهم طريق الغواية

والضلال والشر كما يتبدى ذلك في قول الله ﷻ: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡ﴾ [الأنعام: ١٢١] وهو ما يتضح أيضًا في قول الله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗا﴾ [الأنعام: ١١٢]

ولكن الوحي الإلهي الشرعي الجلي يا صاحبي لا يمكن تصوره إلا إذا كان ذلك الوحي الإلهي الشرعي الجلي صادرًا عن الله ﷻ إلى واحد من الأنبياء المرسلين، وغالبًا يتخذ ذلك الوحي الإلهي الشرعي الجلي صورة كلام الله في كتاب انزله الله إلى ذلك النبي المرسل برسالة إلهية، ويطلق اصطلاح الوحي الشرعي الإلهي الجلي بوجه خاص على القرآن الكريم، باعتبار أنه آخر وأتم وأصح صور وحي الله ﷻ إلى خاتم الأنبياء والمرسلين، وعندما يقال الوحي الإلهي دون أي تحديد له يقصد به القرآن الكريم، ويطلق اصطلاح الوحي أيضًا على الطريقة التي نزل بها القرآن الكريم، كما يطلق أيضًا على الملك الذي نزل بالوحي على سيدنا محمد ﷺ، وهو جبريل عليه السلام.

أنبياء الله ورسله عليهم السلام

قال صاحبي: ما الفرق بين قولنا: نبي من أنبياء الله. وقولنا: رسول من رسل الله.

قلتُ: الأصل في النبوة لدى الأنبياء والرسالة لدى رسل الله واحد، هو الاختيار الإلهي، والاصطفاء الإلهي الاختيار، والاصطفاء هو عصب نظرية النبوة وأساسها، بمعنى أن الله قد اختار واصطفى أفرادًا من الناس خلقهم وفطرهم، وهو ﷻ الخلاق العليم الحكيم، بحيث يكونون أهلاً للنبوة أو لتلقي الرسالات الإلهية إلى البشر، ولا ريب أن مثل أولئك الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام يخطون بفطرة سليمة، وبتكوين نفسي سليم، ويمنحهم الله -وهو ﷻ الوهاب- عقولاً سليمه، ويلهمهم الله ﷻ الصواب فيما يعتقدون وفيما يقولون وفيما يفعلون، مهما ضل الناس من حولهم، وزاغت قلوبهم وتحيرت عقولهم، النبي من أنبياء الله دائمًا يهتدي بفطرته إلى الصواب، ويلزم الصراط المستقيم، تلك هي الفكرة التي

فطر الله عليها عقول وقلوب ونفوس أنبياء الله، ليوجد بين البشر دائمًا من يهتدي بفطرته وسليقته إلى الله ليقتدي به غيره لو أرادوا، وليس من الضروري أن يكلف الله نبيًّا من الأنبياء عليهم السلام برسالة من الله تبارك وتعالى على قومه، فإذا كلف الله تبارك وتعالى واحدًا من الأنبياء برسالة إلى قومه سُمِّيَ هذا النبي من أنبياء الله بأنه نبي رسول أو نبي مرسل؛ ولذلك يقال: كل رسل الله أنبياء، وليس كل أنبياء الله رسلاً من رسل الله، وتاريخ البشر حافل بذكر كثير من أنبياء الله، كسيدنا شعيب وسيدنا زكريا وسيدنا يحيى عليهم السلام.

وقد ذكر لنا القرآن الكريم مآثر أولئك الأنبياء وأثبت صحة بنوتهم، بما لا يدع مجالاً لشك، أو ريب في قلب أي مسلم، ولقد كانت رسالة كل رسول من رسل الله قبل الإسلام موجهة إلى قومه الذين نشأ بينهم، وأيدهم الله بمعجزات ذكرها لنا القرآن الكريم تثبت صحة رسالة كل منهم إلى قومه، وتثبت صحة نسبة كلام الله المنزل إليه؛ حتى جاءت الرسالة الخاتمة، رسالة الإسلام إلى الناس كافة وإلى البشر عامة، وذلك بنص القرآن الكريم؛ إذ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وكان القرآن الكريم هو معجزة خاتم الأنبياء والمرسلين، وهو معجزة المعجزات لأسباب سنوضحها فيما بعد بإذن الله تبارك وتعالى، ولم يعد ثمة مجال لكي يدعي أي إنسان بعد سيدنا محمد ﷺ أنه نبي من أنبياء الله، أو أنه رسول من رسل الله.

بدء الوحي

قال صاحبي: كيف كان بدء نزول الوحي بالقرآن الكريم على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ؟

قلتُ: اقتضت حكمة الله ومشيئته أن ينزل القرآن الكريم منجمًا على خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ وحده دون غيره من البشر؛ ولذلك يستحيل وصف كيفية نزول القرآن الكريم إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله ﷺ ما لم يكن عليه السلام قد وصف لنا ذلك بنفسه.

وقد ذكر الإمام البخاري في باب «كيف كان بدء الوحي» إلى رسول الله ﷺ في صحيح البخاري، وذلك ضمن الحديث النبوي الشريف الذي يوضح في لغة تدركها الأفهام، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ قال: حدثنا عبد الله بن يوسف قال: أخبرنا مالك عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده فيفصم عني، وقد وعيتُ عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني، فأعي ما يقولُ». قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقًا[١].

ولو تأملنا هذا الحديث النبوي الشريف، لوجدنا فيه أول ما نجد النبي ﷺ صاحب تجربة تلقي الوحي القرآني الكريم بنفسه، يصف لنا كيفية نزول الوحي القرآني عليه، وقد شبهه ﷺ أنه أحيانًا كان يأتيه مثل صلصلة الجرس، ولا ريب أن صلصلة الجرس شأن يقرع السمع ويلفت الانتباه واتصال النبي ﷺ بجناب الله لتلقي شيء من كلام الله يقتضي، ويستلزم التفات الانتباه كل الانتباه، إنه ﷺ لن يتلقى كلامًا من بشر، بل إنه سيتلقى كلامًا من الله تبارك وتعالى في نطاق القرآن الكريم، معجزة المعجزات كما شاءت ذلك إرادة الخلاق العليم الحكيم، وهكذا تكون صلصلة جرس دون جرس إشارة إلهية لتنبه خير البرية أن سيتلقى من ربه رسالة قرآنية.

---

(١) صحيح البخارى ١/٦ ، ط إحياء الكتب العربية.

وتصور هذا الشأن على غير هذا النحو إنما هو تصور أخرق، ألا ترى إلى وسائل الإعلام تنبه مقدمًا أن سيصدر إعلان مهم لتوقظ انتباه الناس قبل صدور ذلك الإعلان المهم، وتنبيه مدارك النبي ﷺ أن سيتلقى من ربه قرآنًا كريمًا أمر ضروري وحيوي ولازم؛ إذ كانت تشغل النبي دون ريب مشاغل حياة البشر، وتفريغ فؤاده وقلبه وكل مشاعره وكل قواه وكل مداركه، لتلقي بعض وحي القرآن الكريم ضرورة لا ريب فيها، وينبغي أن تكون إشارة التنبيه في مثل هذه الحالة إشارة قوية واضحة، ولا ريب أن إشارة التنبيه إلى بدء نزول دفعة من الوحي القرآني على هذا النحو كانت تتم بإرادة الله ﷻ عندما كانت خواطر النبي ومداركه مشغوله بشيء من شئون الدنيا، فاقتضت إرادة الله أن يطرح النبي ﷺ عن نفسه جانبًا شواغل الدنيا ليفرغ قواه ومداركه لتلقي شيء من القرآن الكريم.

ونلاحظ أن النبي ﷺ قد بدأ حديثه في هذا الصدد بقوله: «أحيانا» أي أن صلصلة الجرس لم تكن هي وسيلة الإيقاظ والتنبيه الوحيدة، ونلاحظ أن النبي ﷺ قد قال عن تلك الوسيلة من وسائل الإيقاظ والتنبيه إلى نزول الوحي القرآني إنها كانت مقدمة لأشد المعاناة في تلقي تلك الدفعة من الوحي القرآني؛ إذ قال ﷺ: «وهو أشده على».

وقد علل ابن خلدون تلك المعاناة النبوية عند تلقي الوحي القرآن بأن سببها يرجع إلى الإنسلاخ من البشرية الجسمانية والاتصال بالملائكية الروحانية، وهو اجتهاد في التفسير والتعليل تزيده أبحاث الجهد والطاقة وإمكانات التشغيل في مجالات علم الفيزياء الحديثة وضوحًا على وضوح؛ إذ من المعروف أن أي سلك معدني موصل لكهرباء له جهد معين، ويستطيع أن يتحمل مرور تيار كهربي ذي شدة معينة، ولو زادت شدة التيار الكهربي عن حد معين يتمزق ذلك السلك المعدني، ويقول النبي ﷺ «فيفصم عني» أي تزول عني هذه الشدة التي ألمت بي في أعقاب الصلصلة «وقد وعيت عنه ما قال» واستعمال صيغة الماضي للفعل الدال على تحقق الوعي بما قيل وحيًا إلهيًا عقب استعمال صيغة الحاضر للفعل الدال على انفصام الشدة عنه، يدل على تحقق الوعي بما قيل للنبي ﷺ وحيًا قرآنيًا كريمًا.

ثم ذكر النبي ﷺ طريقة أخرى كان ﷺ يتلقى بها الوحي القرآني الكريم؛ إذ كان يتمثل له ﷺ الملك المخصص للوحي القرآني الكريم، وهو جبريل ﷺ رجلا، فيكلم النبي ﷺ فيعي عن جبريل ما يقول من القرآن الكريم.

وحديث عائشة ؓ، وكانت زوجة للنبي ﷺ، تلاحظه مرارًا قبل وأثناء وبعد نزول الوحي القرآني الكريم عليه ﷺ، إنما هو شهادة شاهد عيان؛ إذ قالت: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، وإن جبينه ليتفصد عرقا. وهو يدل أيضًا على أن استقبال النبي ﷺ للوحة القرآني الكريم كان يجهده ﷺ إجهادًا شديدًا.

وهنالك قرائن أخرى تدل على شدة معاناه النبي ﷺ أثناء نزول الوحي الإلهي القرآني الكريم على قلبه ﷺ، ومن ذلك ما أورده ابن القيم في زاد المعاد من أن راحلة النبي ﷺ كانت تبرك به على الأرض، إذا كان راكبها عند نزول شيء من الوحي القرآن الكريم، ولقد جاءه الوحي مرة وفخذه على فخذ زيد بن ثابت، فثقلت عليه حتى كادت ترضها.

هذه كلها دلائل حق وشواهد صدق على أن اتصال الوحي القرآني الكريم بالقوى المدركة لدى النبي الكريم، كان يجهد قوى النبي ﷺ، وهو الاعتبار الذي يقبله العقل السليم إزاء هذا الحدث الإلهي الذي تستحيل تجربته من قبل أي نفس بشرية فيما عدا خاتم الأنبياء والمرسلين.

لم يتنزل شيء من القرآن الكريم على كائن بشري آخر غير محمد ﷺ؛ ولذلك يستحيل معرفة كيفية نزول الوحي القرآني الكريم على غيره كتجربة ذاتية، أما المظاهر الخارجية المصاحبة لتلك الظاهرة التي تفرد بها، واختص بها نبي الإسلام ﷺ، فإنها كانت متاحة لبعض من لازمه من زوجاته رضي الله عنهن مثل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرضاها ومثل زيد بن ثابت رضي الله عنه وأرضاه.

ولقد كانت محاولة غط ملك الوحي جبريل ﷺ له ﷺ بضع مرات عند نزوله عليه، وهو يتحنث بغار حراء أول نزول الوحي القرآني عليه، محاولة لتثبيت جناته وقواه، ليستطيع ﷺ أن يتلقى كلام الله في إطار القرآن الكريم، ماذا تفعل الأم

عندما يرتاع ابنها لسبب من أسباب الروع؟ تأخذه إلى حضنها وتضغطه إلى صدرها مرة إثر أخرى، وتنجح غطات الأم الحانية في الغالب الأعم في تهدئة روع ابنها ليعود إلى حالة السواء الوجداني، فما بالنا إذا كانت إرادة الله وقدرته قد تكفلتا بخلق جنان النبي وتكوينه النفسي على أفضل وأتم نحو من بين الخلق جميعًا؛ ليكون أهلا لتلقي الوحي القرآني الكريم؟ وما بالنا إذا كان ذلك الذي يغط النبي بضع مرات لتهدئة روع نفسه هو الروح الأمين، جبريل ﷺ، صادعًا بأمر الله، منفذًا لمشيئة الله، مكلوءًا بعناية الله، مشمولاً بإرادة الله ليثبت جنان النبي لدى بدء نزول الوحي الإلهي القرآني الكريم عليه ﷺ؟

وتحدثنا كتب السيرة النبوية الشريفة عن كيفية بدء الوحي القرآني الكريم على خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، فتجمع كلها على أن النبي ﷺ كان يتعبد في غار حراء خارج مكة، وفي يوم الإثنين الموافق لليوم السابع عشر من شهر رمضان عام ٦١١ بعد ميلاد المسيح ﷺ، وكان النبي ﷺ قد بلغ الأربعين من عمره، نزل عليه الوحي إذ رأى ﷺ جبريل ﷺ يظهر أمامه، وقال له جبريل ﷺ: اقرأ. قال: ما أنا بقارئ. فضمه حتى بلغ منه الجهد، ثم أرسله وقال له: اقرأ. فقال: ما أنا بقارئ. فضمه مرة ثانية وثالثة وقال له: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝﴾.

[العلق: ١-٥]

أُمي لا يعرف القراءة والكتابة، ويخاطبه ملك الوحي جبريل ﷺ أول ما يخاطبه طالبًا منه أن يقرأ.

ويخبر النبي الأمي عليه الصلاة والسلام جبريل أنه لا يعرف القراءة، كما تواضع عليها البشر من قبل، ولكن الروح الأمين، الملك المكلف من قبل الله ﷻ بالنزول إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ يغطه ثم يغطه ثم يغطه، أي أنه كان يضغطه إلى صدره لتثبيت جنانه وللحفاظ على هدوء نفسه واستواء وجدانه، وليستيقن ﷺ من أن ما يجري له من حدث جلل غير مألوف في عالم البشر حقيقة، وليس وهمًا ولا خيالاً، وفي كل مرة كان يكرر عليه الأمر الإلهي ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ لتكون الآيات القرآنية

الخمس من صدر سورة العلق هي أول ما يقرأ خاتم الأنبياء والمرسلين من القرآن الكريم، وليس الحوار التمهيدي الذي جرى بين الروح الأمين جبريل عليه السلام وبين سيدنا محمد قرآنًا، ولكنه سيرة نبوية شريفة؛ إذ بدأ نزول الوحي القرآني الكريم بعد الغطة والإطلاقة الثالثة؛ إذ أن الله تبارك وتعالى قادر دون ريب أن يحكم آيات كتابه العزيز القرآن الكريم.

ومن الضروري ها هنا يا صاحبي وقد سألت عن كيفية بدء نزول الوحي القرآني الكريم على خاتم الأنبياء والمرسلين، من الضروري ها هنا أن نتأمل ونتدبر ثلاثة أمور:

أولها: هو شأن سيدنا محمد ﷺ، وقد بلغ سن الأربعين، ثم نتدبر شأن هذه الآيات الخمس الأولى من القرآن الكريم قدر الإمكان، ثم نتدبر ما صنعه سيدنا محمد ﷺ فور تلقيه هذه الآيات الخمس الأولى من القرآن الكريم.

كان النبي ﷺ وقد بلغ سن الأربعين موجودًا في غار حراء يتعبد، كيف كان يتعبد؟ ما هو الدين الذي كان يتعبد على أساسه؟

من الثابت أن محمدًا ﷺ لم يكن قد صدر عنه أو عرف عنه الإنتماء إلى أي دين من الأديان المعروفة آنذاك، وهي: عبادة الأوثان أو اليهودية أو المسيحية أو المجوسية أو ديانات الهند والشرق القديم، ولو كان عليه السلام قد صرح أو عرف عنه اتباع دين من هذه الأديان، لذاعت هذه الحقيقة وشاعت، وقد جاء بدين جديد لم يكن معهودًا من قبل، أفلا يقول المسيحيون: إن القديس بوليس كان يهوديًا يدعى شاول، وكان من أشد اليهود تحاملاً على النصارى، ثم اعتنق المسيحية؟ أفلم يكن معروفًا أن ورقة بن نوفل، وقس بن ساعدة الإيادي، وأمية ابن أبي الصلت، وغيرهم من العرب قد اجتنبوا عبادة الأصنام، وعرف أولهم النصرانية وعرف ثانيهم بالبراعة في الخطابة، كما كان ثالثهم شاعرًا مجيدًا، ومنهم مَن كان يتطلع إلى أن يكون خاتم الأنبياء والمرسلين، إذ كانت أنباء قرب ظهور نبي خاتم للأنبياء والمرسلين شائعة بين اليهود والعرب قبل بعث محمد ﷺ، ولكن كيف السبيل إلى بلوغ النبوة وتلقي الرسالة من الله إلى الناس؟ كل ذلك كان معروفًا، ولم يكن معروفًا أن نبي الإسلام

عليه الصلاة والسلام كان يتبع دينًا من الأديان قبل بدء نـزول القـرآن، لم يكـن ﷺ يطمئن بفطرته السليمة إلى صحة أي دين من الأديان الموجودة قبـل نـزول القـرآن، ولو كان ﷺ قد أظهر ميلاً أي ميل لأي دين من الأديان الموجودة قبل الإسلام لذاع ذلك الخبر وانتشر أيما انتشار.

حتى سن الأربعين كان محمد ﷺ يُطْلَق عليه لقب الأمين، وكـان ﷺ معروفًا بالأمانة وحسن الخلق وسواء الفطرة وكمال العقل، تنازع أهل مكة عند إعادة بناء الكعبة، مَنْ من أبناء القبائل المعروفة بها يضع الحجر الأسود في مكانه، وشرعوا في اللجوء إلى السلاح لحسم الخلاف، ثم اتفقوا على أن يحكموا فيما شجر بينهم مـن خلاف أول مَن يدخل عليهم الكعبـة، واطمأنـت نفـوس أن كـان أول مَـن دخـل عليهم الكعبة هو محمد بن عبد الله، فقالوا: هو ذا الأمين! كـان الحـل الـذي ارتـآه محمد بن عبد الله حلاً عبقريًا مرضيًا للجميع، يـدل علـى رجاحـة العقـل، وسـداد الفكر، وسلامة النظرة إلى الأمور، بسط عليه الـصلاة والـسلام رداء، ووضـع فيـه الحجر الأسود، ثم دعا من القبائل المتنازعه واحدًا من كل قبيلة، فأخـذوا بـأطراف الرداء لتنال القبائل المتنازعة كلها شرف وضع الحجر الأسود في موضعه من الكعبة المشرفة، حتى إذا رفعوه وبلغوا به مكانة من البناء، تناوله محمـد بـن عبـد الله بيـده الشريفة ليـضعه في مكانـه، ولهـذا الحـدث التـاريخي دلالالتـه الـتي لا ريـب فيهـا، ونضرب صفحًا عن بيانها لظهورها لكل ذي عين.

واختارته من بين رجال مكة كلها الـسيدة خديجـة بنـت خويلـد ليتجـر لهـا في أموالها، وكانت سيدة بالغة الثراء، ولن نتحدث عـن تفاصـيل سـيرته أثنـاء إدارتـه تجارتها؛ إذ أن ذلك مبسوط في كتب السيرة النبوية الشريفة، ولكن اختيـار الـسيدة خديجة بنت خويلد لمحمد بن عبد الله من بين رجال مكة جميعًـا ليـدير لهـا تجارتهـا، اختيار لا يخلو من معنى ودلالة، زادهما اختيارها له زوجًا من بين رجال مكة جميعًا دلالة فوق دلالة.

وحسبنا هنا أن نشير إلى الخطبة الوجيزة التي ألقاهـا عمـه أبـو طالـب، مـشيدًا بمناقب ابن أخيه محمد بن عبد الله إذا قال عمه أبو طالب حينـذاك، ولم تكـن نبـوة

سيدنا محمد قد حان حينها، ولم يكن قد نزل عليه شيء من الوحي القرآني الكريم، قال عمه أبو طالب حينذاك، وإنها لخطبة فريدة في بابها، ذات دلالة هامة مع إيجازها، تثبت أول ما تثبت اتصال نسب النبي بسيدنا إسماعيل، وبأبي الأنبياء سيدنا إبراهيم الخليل. قال عمه أبو طالب حينذاك مبينًا مناقب ابن أخيه، قال: «الحمد لله الذي جعلنا ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل، وجعل لنا بيتًا محجوجًا وبلدًا حرامًا وجعلنا الحكام على الناس، ثم إن محمدًا بن عبد الله، ابن أخي، هو مَن لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح ابن أخي عليه برًا وفضلاً وكرمًا وعقلاً ومجدًا ونبلاً، وله في خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك، وما أحببتم من الصداق، فعليَّ».

أمثل هذا الرجل، محمد بن عبد الله يتهم في قواه النفسية بعد نزول القرآن الكريم عليه يا صاحبي؟ ألا فليخسأ المفترون، لم يكن أهل مكة قد جربوا عليه ﷺ كذبًا قط كما أقروا بذلك، واعترفوا بألسنتهم عندما صعد ﷺ جبل الصفا بعد نزول سورة المدثر وآيتي سورة الشعراء [٢١٤ و ٢١٥] نزولاً على أمر ربه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝﴾ [الشعراء] فصعد ﷺ جبل الصفا ونادى أهله وعشيرته وقال لهم: «أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم تصدقوني؟» قالوا: نعم، ما جربنا عليك كذبًا قط. وهكذا انتزع ﷺ من بين شفاه قومه الذين اجتمعوا إليه اعترافًا صريحًا بأنه الصادق الأمين، الذي لم يجرب عليه كذب قط، وهذا تمهيد عاقل حكيم ومدخل سليم لما سيخبرهم به؛ إذ قال لهم عليه الصلاة والسلام: «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» ولننظر جواب المكذبين؛ إذ انبرى له عمه أبو لهب فقال له: تبا له! ألهذا جمعتنا؟

ولننظر إيجاز ووضوح خاتم الأنبياء والمرسلين في دعوة قومه إلى الدين الذي أمره الله أمرًا مباشرًا صريحًا، أن يدعو إليه عشيرته الأقربين، إذ انتقل ﷺ من الترهيب إلى الترغيب، فقال ﷺ: «ما أعلم إنسانًا في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، فقد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني ربي أن أدعوكم إليه» وبقية

الحديث والحدث معروفة، ولم يشأ الله أن يكون رد فعل قومه عليه سلبيًا كله؛ إذ انبرى على بن أبي طالب ﷺ ليكون جوابه على دعوة النبي إلى الدين الجديد جوابًا ايجابيًا مؤيدًا؛ إذ قال على بن أبي طالب: «أنا يا رسول الله عُدَّتُكَ، أنا حرب على مَن حاربت» وتتكامل جوانب الموقف منذرة بصراع رهيب بين من كذب وعصى، وبين من آمن واهتدى؛ إذ يتحول أبو لهب إلى على بن أبي طالب ليقول له: تبًا لك ولم اتبعت! وكأنما كان على بن أبي طالب يحس إحساسًا قويًا بأن دعوة ابن عمه محمد ﷺ، دون تبليغًا وبلوغها حروب وكروب، وقد نذر الإمام على بن أبي طالب نفسه لتلك الحروب منذ بدء بداية الدعوة المحمدية.

وتتكامل الصورة أكثر وأكثر لتبلغ غاية الاكتمال بنزول الوحي القرآني الكريم تأييدًا لخاتم الأنبياء والمرسلين، ودحضًا لموقف أبي لهب المكذب المنكر لرسالة النبي الصادق الأمين عليه الصلاة والسلام إذ نزل قول الحق تبارك وتعالى في سورة المسد ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ [المسد: ١-٥]

ومن الجدير بالذكر ها هنا يا صاحبي أن أذكر لك واقعة طريفة جديرة بالتأمل والاعتبار، لقد وقع بيدي كتاب باللغة الإنجليزية عنوانه:

«English Proverbs Exblained By Ronald Redout and Cliford Witting»

أي: «الأمثال الإنجليزية وشرحها» من تأليف رونالد ريدوت، وكليفورد ويتنج. وتحت رقم ٣٢٧ بصفحة ٩٢ من الكتاب المذكور، أورد المؤلفان المثل الإنجليزي التالي:

If the mountain will not come to Mohamet.Mohamet must go to the mountain

وترجمته كما لا يخفى هي: «إذا لم يأت الجبل إلى محمد، فليذهب محمد إلى الجبل» والأعجب من المثل هو شرح المثل كما أورده المؤلفان، وهو كما يلي: «إن محمدًا لم ينحن أمام المستحيل، لقد انتزع النصر بين براثن الهزيمة، إن العرب كانوا يحاذرون أن يؤمنوا بتعاليم محمد حتى يأتيهم بمعجزة، فأمر محمد جبل الصفا الموجود خارج مدينة مكة المكرمة أن يأتي إليه، وعندما لم يأت الجبل، قال محمد: إن

الله رحيم. لو كان الجبل قد أطاعني لكان قد انهار علينا وحطمنا، وبناء عليه، سأذهب أنا إلى الجبل وأشكر الله أن كان رحيمًا بنا» اهـ.

محاولة ساذجة من جانب المسيحيين في الغرب لتصوير نبي الإسلام ﷺ كمجرد مخادع بارع Witty Person، جازت أكاذيبة وخدعه على شعب ساذج، ويصوغون أكاذيبهم هذه أمثالاً Proverbs ليخدعوا شعوبهم ولا يصدوهم عن تقبل دعوة الإسلام الصادقة، إنهم يروجون بين شعوبهم مثل هذه الأكاذيب، ويجرون أكاذيبهم تلك مجرى الأمثال، إيغالاً منهم في التضليل والضلال، لقد شهد جبل الصفا اعترافًا صريحًا من أهل مكة أن محمدًا ﷺ لم يجرب عليه أحد كذبًا قط، وما أورده المؤلفان شرحًا لهذا المثل الذي قاما بتأليفه، أو قام بتأليفه غيرهما هو الكذب بعينه، وهو ما لا يستطيعان أو يستطيع غيرهما أو يبرهن على صحته بأي حال، وشأنهما دون ريب شأن أبي لهب، لا يغني عنهما مالهما وما كسبا، سيصليان نارا ذات لهب، كما سيصلى النار ذات اللهب كل مَن يصدِّق أكاذيبهما على نبي الإسلام ﷺ دون أي سند أو دليل حقيقي.

ونعود يا صاحبي إلى كيفية بدء نزول الوحي القرآن الكريم على خاتم الأنبياء والمرسلين، وقد اتضح لنا بما لا يدع مجالاً للشك أنه ﷺ كان حتى بلوغ سن الأربعين معروفًا بأنه هو الصادق الأمين، ماذا فعل ﷺ فور أن تلقَّى بداية الوحي القرآني الكريم خمس آيات بصدر سورة العلق؟ لقد وعت ذاكرته وانطبع في قلبه كلام الله بإرادة الله ومشيئته: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾.

[العلق: ١-٥]

لم يكد جبريل ﷺ ينصرف عن رسول الله ﷺ حتى أسرع رسول الله عائدًا إلى بيته وقال لزوجته فور دخوله المنزل: «زملوني، زملوني» ومن الطبيعي أن تسارع زوجته الوفيه إلى تقديم الغطاء له لتلفه به، ليذهب عنه ما ألَمَّ به وجعله يطلب أن يلفوه بالغطاء، وبعد أن هدأت نفسه قصَّ ﷺ ما حدث له بغار حراء، وهو حدث لم يحدث لغيره من العرب قط، ماذا قالت له زوجته أم المؤمنين خديجة بنت خويلد

فور أن قصَّ عليها قصة ما حدث له بغار حراء، وأخبرها أنه يعجب من شأن هذا الحدث الفريد الذي لم يحدث لأحد من قبل، قالت قولة حق، تعبر بصدق عن كل حقائق هذا الموقف الفريد الذي لم يجربه أحد من قبل، ولن يخبره أحد من بعد، قالت: والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الدهر» إيمان بالله وبصدق رسول الله فيما أوحاه إليه الله. وبيان لخصال رسول الله الحميدة الرشيدة، ولكن الرغبة في التمحيص والاستئناس برأي الغير كانت ضرورية وشديدة دون أن يكون فيها حرج أو ريب، ولكنها طلب لمزيد من اليقين واطمئنان القلوب، مثلهما في ذلك مثل سيدنا إبراهيم عليه السلام كما أورده الله تعالى في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ [البقرة: ٢٦٠]

وانطلقت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد ومعها رسول الله ﷺ إلى ابن عمها ورقه بن نوفل، ليستفتياه في هذا الحدث الفريد، حدث نزول وحي من الله، كلامًا رائعًا راقيًا، جميلاً صافيًا على قلب محمد ﷺ، يقول فيه الله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: ١-٥]. من عساه أن يكون ورقه بن نوفل هذا؟ وماذا سيقول لهما إزاء هذا الحدث الفريد المنقطع النظير؟

كان ورقه بن نوفل ابن عم السيدة خديجة بنت خويلد زوجة النبي ﷺ، وعندما ذهبا إليه، كان ورقه بن نوفل شيخًا ضريرًا، وكان قد اتصل بالنصرانية واطلع على التوراة، وكان ورقة بن نوفل يعيش خارج مكة التي كان أهلها يفضلون عبادة الأصنام؛ إذ كانت الأصنام لدى العرب الجاهليين أقرب إلى القلوب لأفهام مما تنادي به المسيحية، وما تتطلبه من تصور إله مكون من ثلاثة أقانيم، وكان ورقة بن نوفل ابن عم السيدة خديجة واحدًا من أولئك العرب القلائل الذين أظهروا ميلاً وتقبلاً لتعاليم المسيحية، وكان يعيش خارج مكة لعدم استطاعته أن يعيش بعقيدته المسيحية بين العرب الوثنيين ووثنية الجاهلية، ولو أخذنا في اعتبارنا أن التوراة أو

العهد القديم والإنجيل أو العهد الجديد كما أنزلا بصدق من الله ﷻ، وكان يوجد بكل منهما ما يدل على صدق رسالة نبي الإسلام ﷺ، كما سنوضحه فيما بعد بإذن الله، نستطيع أن ندرك مدى صدق جواب ورقة بن نوفل عندما ذهب إليه كل من السيدة خديجة بنت خويلد وزوجها محمد ﷺ، يستفتيانه في ذلك الحدث الفريد المنقطع النظير، ولا ريب أن ورقة بن نوفل قد استمع من محمد ﷺ ما أوحاه إليه ربه: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: ١-٥]

وكان جواب ورقة بن نوفل، وهو الشيخ الطاعن في السن، وقد كُفَّ بصره، وهو ابن عم السيدة خديجة، وهو النصراني الذي ألم بالتوراة والإنجيل، وعرف ببشارة مجيء خاتم الأنبياء والمرسلين عربيًّا من نسل سيدنا إسماعيل، كان جواب ورقة بن نوفل، أن قال: «والذي نفس ورقة بيده إن هذا هو الناموس الأكبر الذي أنزله الله على موسى، ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك» قال له رسول الله: «أو مخرجي هم؟» قال ورقة: «لم يأت رجل بمثل ما أتيت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا موزرا».

قال صاحبي: لماذا قال ورقة بن نوفل: هذا هو الناموس الذي أنزله الله على موسى، ولم يقل وهو النصراني: هذا هو الناموس الذي أنزله الله على عيسى؟

قلتُ: لقد وردت البشارة بمجيء سيدنا محمد، نبي الإسلام وخاتم الأنبياء والمرسلين بكل من التوراة والإنجيل كليهما مصداقا لقول الله ﷻ، ردًّا على دعاء سيدنا موسى بعد أن كان قد اختار سبعين رجلاً من نبي إسرائيل لميقات الله، فزاغ بعضهم وكفر بآيات الله، فاستغفر سيدنا موسى ربه، وهو ما يصوره أبلغ تصوير قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ۝١٥٥ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم

بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾.

[الأعراف: ١٥٥-١٥٧]

ولقد كانت الآية السابعة والخمسون بعد المائة كافية للتدليل على صحة ما أوردناه، من أن التوراة والإنجيل كليهما يصرحان بمجيء رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام، ولكننا آثرنا ذكر الآيتين السابقتين أيضًا حيث إنهما تظهران لنا -ونحن بين يدي محاولة التعرف على كيفية بدء الوحي المحمدي- روعة جلال الله عندما تتبدى روعة جلاله للبشر، مات سبعون رجلاً من خيار بني إسرائيل الذين كان سيدنا موسى قد اختارهم ممَن لم يعبدوا العجل ليستغفروا الله لقومهم، فطلب الرجال السبعون من سيدنا موسى أن يريهم الله جهرة، فأخذتهم الصاعقة جميعًا وماتوا، وأصبح سيدنا موسى عليه السلام في موقف حرج: كيف يرجع إلى بني إسرائيل وليس معه من الرجال السبعين الذين خرجوا معه رجل واحد على قيد الحياة؟ وناجى سيدنا موسى ربه قائلاً: ﴿رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾.

البشارة بمجيء رسول الإسلام عليه السلام موجودة بالتوراة والإنجيل بموجب النص القرآني الكريم بالآية السابعة والخمسين بعد المائة من سورة الأعراف كما أسلفنا، ولا ريب عندنا نحن المسلمين في أن اليهود والنصارى قد بدَّلوا وحذفوا وأضافوا في كلام الله الموجود بالتوراة، وافتقد اليهود التوراة مرارًا، وضاع إنجيل عيسى ضياعًا كاملاً؛ ولذلك كان طبيعيًّا أن يرد في جواب ورقة بن نوفل ذكر الناموس الذي أنزله الله على موسى، ولم يرد على لسانه ذكر الناموس الذي أنزله الله على عيسى.

ويضاف إلى ذلك أن اليهود ليس عندهم صيغ مختلفة من التوراة، بينما تتعدد روايات الإنجيل بين رواية متي إلي رواية مرقس ورواية لوقا ورواية يوحنا

وغيرهم، ويضاف إلي ذلك يا صاحبي أن التوراة التي أنزلها الله إلى سيدنا موسى كانت تحوي شريعة كاملة، بينما لم يأت الإنجيل بشريعة جديدة، بل اعترف المسيح نفسه بأنه لم يأت لينقض الناموس بل ليتممه، وتتمة الناموس تطبيق شريعته دون مراء، لقد نطق ورقة بن نوفل صوابًا عندما قال: «والذي نفس ورقة بيده إن هذا هو الناموس الأكبر الذي أنزله الله على موسى» ولم يقل: والذي نفس ورقة بيده إن هذا هو الناموس الأكبر الذي أنزله الله على عيسى.

استخدم ورقة بن نوفل نفس الكلمة التي استخدمها المسيح عليه السلام إشارة إلى التوراة، كلام الله، المنزل إلى سيدنا موسى عليه السلام، ولقد عرف ورقة أن قوم سيدنا محمد ﷺ سيخرجونه من مكة، وهو ما حدث فعلاً بعد ذلك، ولقد وعد ورقة أن ينصر النبي عليه السلام نصرًا مؤزرًا لو امتد به العمر حتى يجئ ذلك اليوم، وهو ما يدل على إحساس ورقة بقرب انتهاء عمره، ولم يلبث ورقة بن نوفل أن مات بعدها بقليل.

اطمأن النبي عليه السلام واطمأنت معه زوجة السيدة خديجةرضي الله عنها وأرضاها إلى صدق الوحي الإلهي الذي تلقاه محمد ﷺ، واستمرت أكاذيب ومفتريات تتردد في العصر الحديث حتى وقتنا الراهن، تستند إلى هذه الواقعة المحددة المعالم، لنجد في واحدة من مناظرات العلامة ديدات من يتهم خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ زورًا وبهتانا في عام ١٩٩١م، بأنه قد أخذ معالم دينه الإسلامي الحنيف من ورقة بن نوفل، الذي كان نصرانيًا، وكان ابن عم زوجته أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها وأرضاها. ولو افترضنا أن ورقة بن نوفل كان نصرانيًا، فهل يمكن أن نعرف على أي مذهب من مذاهب النصرانية كان ورقة يعتنق المسيحية؟ ومن المستحيل معرفة ذلك، وكيف يكون الإسلام مأخوذًا عن النصرانية وهو يناقضها نقضًا، ويهدم أسسها من جذورها، وينفي ألوهية المسيح عيسى ابن مريم نفيًا صريحًا قاطعًا؟

والقرآن الكريم يتهم النصارى بتحريف كلام الله، كما سبق أن حرفه اليهود من قبل، لقد عرفنا تفاصيل الخلاف بين مذاهب المسيحية، ولم نعرف منها مذهبًا اقتلع جذورها وهدم عقائدها كما فعل الإسلام ذلك، وكما تجلى ذلك في نصوص

القرآن الكريم، ولكن أصحاب هذه المزاعم الكاذبة لا يريدون الكف عن ترديدها، منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، في محاولات يائسة لزعزعة عقائد الإسلام، ولبلبة المسلمين فيما يعتقدون.

ولنتأمل ولنتدبر تلك الآيات البينات التي وردت بصدر سورة العلق، وكانت أول الوحي القرآني الإلهي المنزل إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝﴾ [العلق: ١- ٥] إن أول كلمة بأول آية هي كلمة ﴿ٱقْرَأْ﴾ وهي أمر بالقراءة صادر من الله سبحانه وتعالى إلى أمي لا دراية له بالقراءة والكتابة كما تعارف عليهما الناس منذ عرف الناس القراءة والكتابة حروفًا في كلمات يخطها من يعرف بالكتابة لَمن يعرف القراءة، ويستحيل على مَن لم يتعلم القراءة على ذلك النحو المألوف أن يقرأ، ولو كان محمد ﷺ قد اختلف إلى معلم علمه القراءة والكتابة، لعرفت هذه الحقيقة بعد أن كلفه الله بالرسالة، وأصبح أشهر إنسان على وجه البسيطة منذ بدء الرسالة وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، كيف يقرأ أمي لا يعرف القراءة والكتابة؟ إنه ﷺ لن يقرأ حروف كلمات خطها البشر بأقلامهم، ولكنه سيقرأ قرآنا لم يقرأه أحد قبله ولم يكتبه إنسان بقلمه، بل سيقرأ كلام الله مباشرة يتنزل إليه وحيًا من الله، فما حاجته إلى معرفة القراءة والكتابة كما تعارف عليهما البشر؟ بل إن عدم معرفته القراءة والكتابة أبلغ في الاعجاز وأدل على الصدق من معرفته بهما دون ريب، إذ أن عدم معرفته بالقراءة والكتابة ناف نفيًا قاطعًا أن يكون قرآنه المنزل إليه من الله ﷻ من كتابته أو من كتابة غيره من البشر، إنه ﷺ سيقرأ قرآنه باسم ربه الذي خلق، خلق الإنسان من علق، ومن ذا الذي يستطيع بسهولة أن يتصور أن هذا الإنسان[1] الذي علمه الله؛ إذ علم آدم الأسماء كلها، وأتاح له إمكانية معرفة القراءة والكتابة من دون المخلوقات كلها، إنما خلق

(١) كلمة الإنسان هنا تعنى الإنسان كنوع يضم كل أجناس البشر، وهو المعنى الذي ورد بالآية الكريمة ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ وبالآية الكريمة الأخرى بذات السياق ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ أليس غريبًا حقًا أن تتحدث الآيات الأولى عن الإنسان عمومًا على هذا النحو؟!

مَن مني يمني، فهو في حقيقة أمره، كما أثبتت العلوم الحديثة باستخدام آلات الإبصار ذات القدرة العالية على التكبير، إنما نشأ وخلق بإرادة الله ﷻ وبقدرته من حيوان منوي صغير، وبدون هذا الحيوان المنوي الصغير يستحيل خلق كائن بشري استحالة تامة، كما أثبت العلم ذلك بعد أن تقدمت بالإنسان علوم العصر الحديث.

والخطاب القرآني الكريم خطاب لمفرد أوحد يقول له الحق ﷻ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ وأول صفة لربه سبحانه وتعالى هي أنه ﷻ هو الذي خلق. ومع أن الله هو خالق الكائنات كلها، إلا أن الله قد أفرد الإنسان بنعمة الخلق في الآية الثانية، ولا يمنع ذلك بداهة أن الله سبحانه وتعالى هو رب العالمين، وهو سبحانه وتعالى خالق المخلوقات جميعها.

وذكر الله ﷻ للإنسان بعد قوله، ما يفيد أنه ﷻ هو الخالق، إنما هو تكريم للإنسان، أشرف المخلوقات وأكرمها وأرقاها، وها هي ذي آية وجيزة تتضمن كل هذه المعاني الدقيقة، وتتضمن دون ريب معاني أكثر وأكثر، ثم يتكرر الأمر بالقراءة في الآية الثالثة من سورة العلق مشفوعًا بالتنوية بكرم الله على عباده، باستخدام صيغة المبالغة في الكرم؛ إذ يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ وتأتي الآية الرابعة من سورة القلم مؤكدة لذلك الكرم الإلهي عندما يذكرنا الله ﷻ بأنه هو ﴿ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾ وتؤكد الآية الخامسة أن الله ﷻ قد علَّم الإنسان ما لم يعلم.

قال القرطبي في تفسيره: «نبه الله تعالى على فضل علم الكتابة، لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إنسان، ولولاها ما دونت العلوم ولا قيدت الحكم، ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم، ولولاها ما كتبت كتب الله المنزلة، ولولاها ما استقامت أمور الدين والدنيا.

وقال ابن كثير في تفسيره للقرآن العظيم عن هذه الآية الخمس إجمالاً ما يلي: «أول شيء نزل من القرآن هو هذه الآيات الخمس المباركات، وهن أول رحمة رحم الله بها العباد، وأول نعمه أنعم بها الله عليهم، وفيها التنبيه علي ابتداء خلق الإنسان من علقة، وأن من كرمه تعالى أن علم الإنسان ما لم يعلم، فشرفه وكرمه بالعلم، وهو القدر الذي امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة» اهـ.

والتناغم بين فعل الأمر «اقرأ» في أول آية، ثم الجملة الاخبارية بعدها في الآية الثانية، وتكرار ذلك في الآيات التالية تناغم يوضح تمايز المخاطب بين بني الإنسان بتوجيه الخطاب في صيغة الأمر إليه، ثم ادماج له في بني الإنسان في الجمل الإخبارية، فتضمنت الآيات الكريمة رفع شأن المخاطب خصوصًا، وإعلاء شأن الإنسان عمومًا، بطريقة فذة غاية في جمال الكلام، تبلغ منه حد الإعجاز، والإعجاز البلاغي سِمة من سمات القرآن الكريم، ومعجزة خالدة تثبت إعجازه منذ بدء البداية حتى النهاية.

وإذ أزجيت بين يديك يا صاحبي بعض معاني ودلالات الآيات الخمس الكريمة التي تواردت إلى خاطري، واستعنت ببعض ما دار بخلد كل من المفسرين العظيمين: القرطبي وابن كثير، فإن المعاني التي دارت بخاطري وبخاطر غيري، إنما هي بعض المعاني وليست كل المعاني التي يمكن استخلاصها من هذه الآيات الخمس، التي بدأ الله إنزالها إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، وهي قبل كل شيء، وهي بعد كل شيء، آيات بينات لم يزد عددها عن خمس آيات.

أمر إلهي بالقراءة لإنسان أمي لا يعرف القراءة، كما تعارف عليها البشر، إنه ﷺ لن يقرأ شيئًا كتبه أحد البشر، من ذا الذي كتب ذلك الكلام، الذي أمر ذلك الإنسان العربي الأمي أن يقرأه؟ سؤال لا بد أن يقذف إلى الأذهان! وماذا بعد هذه الآيات الخمس؟ سؤال لا بد أن يدور بخلد كل إنسان! ما هذا؟ وماذا بعد؟

أما سؤال: ما هذا؟ فلقد دار السؤال بخلد محمد ذاته ﷺ، وكان طبيعيًا أن يدور بخلده السؤال، ومن غير المعقول ألا يدور السؤال بخلد إنسان سوى يتمتع بكامل قواه العقلية وبكامل صحته النفسية.

وفور عودته إلى منزله قال ﷺ: «زملوني، زملوني» وبعد أن استراح ﷺ واسترد عافيته، قص على زوجته ما حدث له، إن محمدًا ﷺ نفسه يعجب ويتساءل، وتجمع كتب السيرة على أنه كان يخشى على نفسه من ذلك الذي ألم به بغار حراء، لقد كان وحده بالغار، ونزل أمامه جبريل ﷺ، وقال له جبريل ﷺ بصوت كان مسموعًا واضحًا دون ريب: ﴿ٱقْرَأْ﴾ هل كان ذلك الذي رآه محمد ﷺ إنسانًا

يتكلم؟ أم أنه كان ملاكًا من الملائكة؟ وأنّى له ﷺ أن يعرف على وجه اليقين؟ لكنه ﷺ شاهد بعينيه جبريل، وسمع بأذنيه كلمة ﴿ٱقْرَأْ﴾ حسنًا، لقد أجمع السمع والبصر لديه على صحة ما رأى وصحة ما سمع، ولكنه ﷺ لا يعرف القراءة، فما بال ذلك الوافد فجأة يطلب منه أن يقرأ؟ وماذا يقرأ؟ لم تكن هنالك ورقة مبسوطة ليقرأ منها ما بها! ويغطه الملك مرة، إثر مرة، وفي كل مرة يقول له: ﴿ٱقْرَأْ﴾ والغط ضغط بالذراعين إلى الصدر، وضغط الصدر إلى الصدر باستخدام الذراعين شيء محسوس ومألوف وملموس، والغرض منه ثم بيت القلب والجنان، واسترداد الحواس واستجماع الوجدان، أفي ذلك ريب؟ وإذ بدأ الملك يقرئه وعي عنه ﷺ ما أقرأه، فإذا هو قرآن ذو معان، إنه ليس بهلوسة، إنه ليس بهذيان، بل إن معانيه في سموها واتصالها بالحقائق تفوق أجمل كلام، وتتفوق على أي بيان يمكن أن يصوغه أي إنسان.

وأفضى محمد ﷺ لزوجته خديجة بأنه يخشى على نفسه ألا يكون كما ينبغي أن يكون الرجل السوي، وطمأنته، وأفضيا بخبرهما إلى ورقة بن نوفل فطمأنهما، فماذا بعد؟

القرآن الذي قرأه محمد ﷺ جميل جميل، يتحدث عن القراءة، وعن الله الخالق للإنسان من علق، ويتحدث عن أن الله هو أكرم الأكرمين، وعن أن الله ﷻ هو الذي كرم الإنسان بالعلم والتعليم، خمس آيات، أهذه هي كل ما هناك؟ ماذا بعد؟

إن ورقة بن نوفل، ذلك الشيخ الذي كان قد اتصل بالتوراة والإنجيل، وكان قد بلغ أرذل العمر وكف بصره، وكان يعرف بشارة التوراة والإنجيل بمجيء خاتم الأنبياء والمرسلين قد طمأنه ﷺ أن ذلك القرآن الذي أقرئه هو الناموس الأكبر، كذلك الناموس الذي أنزله الله على سيدنا موسى ﷺ، ويستحيل أن تكون هذه الآيات الخمس مع كل جمالها وكل جلالها، هي كل الناموس الأكبر.

وكان طبيعيًّا أن تشتاق نفس محمد ﷺ إلى المزيد، وتحدثنا كتب السيرة النبوية الشريفة أنه ﷺ كان يتردد على غار حراء، التماسًا لمزيد من الوحي الإلهي ليقرأ ويقرأ، ما حاجته ﷺ إلى معرفة الكتابة وحروف الكلمات، والقرآن الجميل الجليل

قد جاءه مباشرة من الله ﷻ الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، إنه ﷺ يجد نفسه بالفعل يقرا ويقرأ، يقرأ مرة تلو مرة: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ياالجمال ما يقرأ! ويالجلال ما يقرأ! ويالروعة ومعقولية معاني ما يقرأ! ولقد قرأ الآيات الخمس المباركة على زوجته، فطمأنته إذ اطمأنت.

ولقد قرأ الآيات الخمس المباركة على زوجته فطمأنته إذا اطمأنت، ولقد قرأ الايات الخمس المباركة على ورقة بن نوفل، فأقسم أن هذه الآيات الخمس المباركة هي بداية نزول الناموس الإلهي، وتمنى أن يمتد به العمر ليرى يوم يخرجه قومه، وطمأن ورقة بن نوفل محمدًا ﷺ إذ إطمأن إلى أن القرآن الذي قرأه محمد ﷺ هو كلام الله حقًا وصدقًا.

وتجمع كتب السيرة على أن رسول الله ﷺ كان يتردد على غار حراء، التماسًا لمزيد من الوحي الإلهي ليقرأ ويقرأ، فلقد أحب ﷺ القرآن الكريم الذي قرأ رغم كل ما كان قد عاناه من الجهد والمشقة، لقد اطمأنت نفسه أن لم يكن واهمًا، واطمأن قلبه أن لم يكن مخدوعًا، واطمأن عقله أنه كان سليمًا معافى واعيًا، فما بال الوحي لا يعاود النزول إليه؟ وها هو ذا يلم بغار حراء ويتردد عليه مرات أكثر وأطول ما كان يلم به من قبل، انتظارًا لمعاودة لقاء ملك الوحي، عسى أن يقرئه المزيد من هذا القرآن الجميل الجليل.

وتجمع كتب السيرة النبوية الشريفة على أن الوحي الإلهي بعد هذه الآيات الخمس المباركة، لم يعاود النزول على سيدنا محمد ﷺ فترة من الزمان!

يقول ابن كثير ﷺ: «ثم لم يلبث ورقة أن توفي، وفتر الوحي فترة، حتى حزن رسول الله ﷺ فيما بلغنا حزنًا، غدا منه مرارًا كي يتردى من رءوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل، فقال: يا محمد إنك رسول الله حقًا فيسكن بذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع». ويقول ابن كثير: «وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من حديث الزهري» اهـ.

هذا موقف جدير بالتامل، خمس آيات مباركة، وفتر الوحي فترة، ماذا يقول محمد ﷺ للناس؟ هل يقول: أنزل الله إلى هذه الآيات الخمس فقط لا غير؟ وليس

في الآيات الخمس المباركة إعلام برسالة ولا نبوة، ولم يطلب الله منه خلالها أن يدعو إلى دين أو عقيدة أو شريعة، ولقد قرأها ﷺ إلى زوجته فاطمأنت وطمأنته. وقرأها ﷺ إلى ورقة بن نوفل فاطمأن وطمأنه، أيقرأها على غيرهما من الناس؟ ماذا يقول للناس؟ إن حالته هذه في حرجها إنما تشبه حالة سيدنا موسى إذ اختار سبعين شيخًا من أفضل رجال بني إسرائيل مِمَن لم يعبدوا العجل، ليعتذروا إلى الله من عبادة قومهم العجل، فطلب الشيوخ السبعون من سيدنا موسى أن يريهم الله لتطمئن قلوبهم لجاجًا منهم، جريًا على عادة بني إسرائيل في اللجاج، فأماتهم الله بالصاعقة جميعًا، وشعر سيدنا موسى بالحرج، إذ كيف سيعود إلى قومه بدون الشيوخ السبعين؟ لا ريب أن فتور الوحي عن سيدنا محمد فترة بعد الآيات الخمس المباركة التي أنزلها إليه الله ﷻ، قد سببت له حرجًا أي حرج، فضلاً عما كان يجده رغم الجهد والمشقة من الشوق إلى المزيد من قراءة ذلك القرآن، الذي قرأه واستعاد قراءته مئات المرات مستشعرًا حلاوته في كل مرة مشوقًا إلى المزيد، فكيف السبيل إلى المزيد؟

هذه اللَقْطَةُ جديرة بالتأمل! لو كان القرآن من عند محمد ﷺ لكان من السهل عليه أن ينشئ كلامًا من عنده ليزعم أنه تتمة ما أوحي إليه وتحل المشكلة، ولكن حاشا لله أن يكذب رسول الله علي الله، وهو ﷺ الذي لم يجرب عليه كذب قط.

ولقطة أخرى تَجْدُرُ بالتأمل يا صاحبي! لقد ثبت في السنة الصحيحة أنه ﷺ لما فتر الوحي فترة حزن حزنًا، غدا منه مرارًا كي يتردى من شواهق الجبال، لقد اتصلت روحه بالقرآن لا تطيب له الحياة دون أن يأتيه الوحي ويقرئه القرآن، ألم يقل سيدنا موسى ﷺ من قبل لله ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ﴾ [الأعراف: ١٥٥] وكان ذلك تجنبًا للحرج؟ وأي حرج أكبر من أن ينزل الله إلى نبي من أنبيائه ﷺ خمس آيات مباركة فقط بالغًا ما بلغ جمالها وجلالها؟

اجتمع الشوق إلى المزيد من القرآن الجميل الجليل الكريم الذي يقرأه ﷺ ويعيد قراءته ويزيد دون معرفة بالقراءة والكتابة، اجتمع ذلك الشوق إلى المزيد بذلك الحرج الشديد لفتور الوحي المجيد، فماذا يفعل الرسول الكريم، وكيف تستقيم له الحياة؟ وكيف يطيب له العيش وقد فتر عنه الوحي؟ أيلقي نفسه من ذروة الجبل

الشاهق ليستريح من الشوق والحرج كليهما؟ تؤكد لنا السنة النبوية الشريفة أنه قد هم بذلك أكثر من مرة، كما تمنى سيدنا موسى من ربه لو كان قد أهلكه مع شيوخ بني إسرائيل السبعين. وفي كل مرة كان الروح الأمين جبريل يظهر لـه، ويقـول لـه: «يا محمد إنك رسول الله حقا» ولقد تكرر ذلك أكثر من مرة.

ما هذا الشأن العجيب يا صاحبي؟! جبريل يظهر لمحمد ﷺ أكثر من مرة في فترة فتور الوحي الإلهي عنه، وشدة حرجه، وشدة شوقه إلى المزيد من الوحي دون أن يقرئه شيئًا من القرآن، ولا يزعم محمد ﷺ كذبًا أنه قد أقرأه شيئًا؟ أليس هذا يا صاحبي التزامًا بالصدق أتم وأكمل ما يكون الالتزام؟ أليس هذا دليلاً واضحا على أن محمدًا ﷺ كان يميز بقدرة الله بين ما يوحى إليه قرآنًا ينزل به إليه جبريل عليه السلام وبين ما يقوله جبريل عليه السلام مما لا يعد قرآنًا؟ وهل يستقيم أمر القرآن لو خالطه أي كلام مما ليس بقرآن، حتى لو كان ذلك الكلام صادرًا عن الروح الأمين جبريل إلى الرسول الأمين محمد ﷺ؟ أوليس القرآن الكريم كتاب الله كما أراده الله؟ أيعجز الله تبارك وتعالى أن يحفظ القرآن الكريم من أن يختلط به كلام مخالط لا يريده الله ضمن كلمات قرآنه الكريم؟ حاشا لله، إنه تبارك وتعالى القادر العليم الحكيم وسع كل شيء رحمة وعلمًا، وهو تبارك وتعالى القائل بخصوص القرآن الكريم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩] ولقد أورد الله تبارك وتعالى هذه الآية الكريمة المباركة ضمن سياق قرآني محكم يقول: ﴿وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۝٦ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝٧ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ۝٨ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٠ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝١١ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝١٢ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝١٤ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ۝١٥﴾ [الحجر: ٦ – ١٥]

ولقد أنزل الله الوحي الإلهي بواسطة جبريل عليه السلام إلى محمد ﷺ بعد تلك الفترة التي أعقبت الآيات الأولى الخمس سلسلاً من سلسل منجمًا ليثبت الله فؤاد النبي، وليعلم الإنسان ما لم يكن يعلم، وليعطي الإنسان أكمل عقيدة وأتم شريعة، وليظهر

الحق ويدحض الباطل كما يتبدى ذلك في قول الله ﷻ: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنبياء: ١٨]

ومنه يتضح يا صاحبي أن الوحي القرآني مصون مميز عن أي كلام آخر، ولو كان ذلك الكلام الآخر صادرًا عن جبريل نفسه إذا كان جبريل عليه السلام يوضح للنبي ما هو قرآن، وما هو حديث قدسي، وما هو أمر إلهي يتعلق بأي شأن من شئون الدنيا أو الدين، ومنه يتضح يا صاحبي أن بدء نزول الوحي كان بدء ظهور معجزة المعجزات، ومنه يتضح يا صاحبي أن نزول القرآن الكريم على محمد ﷺ كان ولا يزال، وسيظل ظاهرة فريدة في نوعها وطبيعتها، لم يشاركه في تلقي القرآن مشارك، ولم ينازعه منازع، فهو ﷺ وحده هو الصادق المصدوق الأمين المؤتمن، اختاره الله واصطفاه بعد أن خلقه وهيأه وفطره، بحيث يستطيع أن يتلقى الوحي الإلهي ويؤدي الرسالة الإلهية بصدق وأمانة، وشواهد صدق النبي في تبليغ القرآن الكريم شواهد وبراهين يستحيل في حالة السواء والاستقامة في النظر إلى الأمور، أن يتطرق إليها شك بأي حال، انظر وتأمل وتدبر يا صاحبي كيف نزل جبريل بصورة رجل يسأل النبي أمام الناس الموجودين حوله، كما أورده الإمام البخاري في صحيحه قال[1]: حدثنا مسدد قال حدثنا إسماعيل بن إبراهيم أخبرنا أبو حبان التيمي عن أبي زرعة، عن أبي هريرة قال: كان النبي ﷺ بارزًا يومًا للناس فأتاه جبريل، فقال: «ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث. قال: ما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان. قال: ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: متى الساعة؟ قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل» إلى آخر الحديث الشريف الذي أورده البخاري في صحيحه بالوضع المشار إليه وعندما شرع الرجل الذي كان يوجه تلك الأسئلة للنبي في الإدبار قال النبي: «ردوه» فلم يروا شيئًا، فقال ﷺ: «هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم» أتعرف يا صاحبي أن أسانيد الأحاديث النبوية الشريفة، وتمحيصها من خلال هذه «العنعنات» وتتبعها

---

(١) صحيح البخارى ١/ ١٨، ط إحياء الكتب العربية.

لمعرفة القوة والضعف فيها تمحيص لوقائع وأحداث وأحاديث الديانة الإسلامية منقطع النظير، لم يسبق له مثال في تاريخ ووقائع وأحداث وأحاديث الديانات السابقة زمنيًا للإسلام؟ وإذ رأى صحابة النبي ذلك الرجل الذي سأل النبي تلك الأسئلة المتصلة بالإسلام وبالإيمان وبالإحسان، ثم اختفى من أمام أنظارهم، وإذ قال خاتم الأنبياء والمرسلين «هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم» وذلك من خلال أسئلة جبريل ﷺ وأجوبة محمد ﷺ، فإن هذه الصورة من صورة الوحي ثابتة لا ريب فيها، ولكن التمييز كان واضحًا دقيقًا محددًا بقدرة الله العليم الحكيم بين ما هو قرآن كريم يضمه المصحف الشريف بين دفتيه، وما هو حديث قدسي وليس بقرآن، ولكنه توضيح لجوانب العقيدة الإسلامية وبيان لآدابها، وما هو حديث نبوي شريف من إنشاء محمد ﷺ لشأن من شئون الدين أو الدنيا، هل أطلت عليك يا صاحبي بيان كيفية بدء نزول الوحي على خاتم الأنبياء والمرسلين؟

القرآن الكريم والكتب السماوية الأخرى

قال صاحبي: لا ريب أن نزول القرآن الكريم على خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ هو أهم أحداث الدين والدنيا، وهو حافل بالتفاصيل، ولقد جمعت فيما أزجيته إليَّ بين التفصيل غير الممل والإيجاز غير المخل، مما يغريني بمزيد من الأسئلة التي أجدني بحاجة ملحة إلى الوقوف على أجوبتها.

قلتُ: هات سؤالاً.

قال صاحبي: القرآن الكريم والكتب السماوية السابقة زمنيًا على الإسلام، والأنبياء والرسل السابقين زمنيًا لخاتم الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.

قلتُ: يعترف الإسلام ويعترف القرآن الكريم بنبوة جميع الأنبياء، وبرسالة جميع الرسل الصادقين السابقين زمنيًا لخاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، ويثبت القرآن الكريم للأنبياء نبواتهم، وينوه بفضائلهم وبكل مظاهر هداهم وكراماتهم.

ويثبت القرآن الكريم لرسل الله عليهم السلام دعوتهم الصحيحة إلى عبادة الله، وتوحيده وعدم الإشراك به، ويثبت لهم معجزاتهم التي أمدهم الله بها، ويثبت نزول الكتب السماوية على بعضهم في مواضع عديدة من القرآن الكريم، وعلى

سبيل المثال لا الحصر يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [البقرة: ١٣٦]

أليس عجيبًا يا صاحبي أن تجد الإسلام يعترف لأصحاب الأديان السابقة زمنيًا بمَن لديهم من رسل وأنبياء صادقين، وبما لديهم من كتب كانت منزلة بحق وصدق، ويرفضون بعناد أحمق أن يصدقوا خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ ويكفرون بوحي الله إليه، وهو القرآن الكريم الذي لا ريب فيه؟

قال صاحبي: ما السبب في هذا الموقف الشاذ العجيب فيما ترى؟

قلتُ: هنالك أسباب كثيرة قوية بالمعايير الدنيوية لهذا الموقف الشاذ العجيب، لقد أوضح القرآن الكريم بطريقة واضحة حاسمة حقائق الأديان السابقة، وأوضح بالتالي ما حرَّفه وبدله قادة وزعماء هذه الأديان في الكتب المقدسة مثل التوراة والإنجيل، إن للأديان السابقة زمنيًّا على الإسلام قيادات وزعامات بطبيعة الحال، ولهذه القيادات ولتلك الزعامات مصالح ومطامع دنيوية وأهواء ومنافع دنيوية واتصالات وتحالفات سياسية، عبَّر عنها أصدق تعبير منذ فجر الإسلام أبو حارثة، وكان من أكبر علماء المسيحية باليمن، وكان يجيد العربية ولغات أخرى، إذ كان أخًا لبكر بن وائل، وكان أحد ثلاثة يرأسون وفد نصارى نجران الذي حرَّكه إمبراطور الرومان لمناظرة النبي مناظرة تقضي على دعوة الإسلام في مهدها فيما كان يرجو إمبرطور الرومان، وبعد انتهاء المناظرة أدلى أبو حارثة إلى خادمه باقتناعه بما يقول محمد ﷺ، وبأنه مقتنع بصدق دعوة الإسلام وبصدق معجزة القرآن، فلما سأله خادمه عما يمنعه من إعلان إسلامه وهو يعلم ذلك، قال: يمنعني ما صنع بنا هؤلاء القوم، شرَّفونا، وموَّلونا، وأكرمونا، وقد أبوا إلا خلافه، فلو أسلمتُ نزعوا منا كل ما ترى. وهو ما سبق أن أشرنا إلى تفاصيله.

ولم يستطع خصوم الإسلام أن يجدوا فيه خطأ بحق، فعمدوا إلى اختلاق الأكاذيب والشبهات في محاولة دائبة لتشكيك الناس في صحة عقائد الإسلام، وأبوا الاعتراف بنزول وحي الله على محمد ﷺ وكفروا بالإسلام وبالقرآن.

لقد عرض الإسلام -وهذا طبيعي جدًّا- للأديان السابقة زمنيًّا في القرآن الكريم بالحق، ولا يستطيع أصحاب أي دين سابق زمنيًّا للإسلام أن ينكروا بحق وصفًا وصف به القرآن الكريم عقائدهم، وتعرضوا هم للإسلام بالباطل.

هاجموا كل شيء في الإسلام بالأباطيل والأوهام حتى النبي المرسل والوحي المنزل، ووصل بهم البغي والضلال والتضليل إلى حد إنكار الوحي الإلهي، وكأنما لم يكن ثمة وحي إلهي أنزله الله إلى إنسي قبل محمد من أجل أن يكفروا وينكروا نزول وحي إلهي على محمد!

قال صاحبي: أريد أن أسأل عن شيئين.

قلتُ: يستحيل أن أتحدث عن شيئين في وقت واحد، هات واحدًا واحدًا.

قال صاحبي: حقًّا، من الأصوب عن نتحدث عن شيء واحد في الوقت الواحد، ما مطاعنهم بالنسبة لشخص خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ؟

قلتُ: بوجه عام، قالوا: ساحر. قالوا: شاعر. قالوا: يفرق بين ذوي العصبة من الأقارب. وقالوا: لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم. وقالوا: يمشي في الأسواق ويأكل الطعام. وقالوا: لماذا لم ينزل الله ملكًا رسولاً؟ ولماذا لم يأت محمد ﷺ بآية من ربه، أي لماذا لم يأت بمعجزة نراها بأعيننا ونلمسها بأيدينا ونحسها بكل جوارحنا وحواسنا، كما أجرى الله المعجزات على أيدي الأنبياء والرسل السابقين؟ وكأن المعجزات التي أن الله بها أنبياءه ورسله السابقين قد أفلحت في دحض عناء الكفار المعاندين! وقالوا لماذا لا يحول لنا الجبل ذهبًا خالصًا، أو يحيل هذه الرمال الجرداء حدائق وبساتين مزهرة مثمرة؟ لم يقنعوا بالقرآن الكريم سِجِلٍّ المعجزات التي حشدها الله ذخيرة إيمان لَمن يتقبل الهدى والإيمان، ولم يقنعوا بما يبهر ويرضي ويقنع العقل، فطلبوا ما بين الحس والخيال دون اهتمام بمطالب العقل، فكفروا بما يرضي العقل مثلما كانوا قد كفروا من قبل بالمعجزات الكبرى السابقة التي كانت تبهر الحس، كفروا بالعقل وكفروا بالحس، وتحدثوا حديث الإفك والغرانيق، غمزًا في المرأة المسلمة، وتشكيكًا وتجريحًا لصاحب الرسالة الخاتمة، وتفاصيل مفترياتهم وأكاذيبهم معروفة، والردود الحاسمة عليها مبسوطة في

كثير من الكتب قديمًا وحديثًا، ولكن خصوم الإسلام لا يملون ترديدها وتكرارها في محاولة دائبة للنيل من الإسلام بالإفك والأكاذيب والبهتان.

وخصوم الإسلام اليوم يرددون بوقاحة منعدمة النظير، ذات التهم القديمة الباطلة للإسلام ولنبي الإسلام عليه الصلاة والسلام، ملفوفة في ثياب تبدو جديدة، ولكنها ذات البضاعة القديمة، وإن كان خصوم الإسلام في أوربا أكثر قِحَة، إلى حد وصل بهم إلى حد رمي خاتم الأنبياء والمرسلين بأبشع التهم والأكاذيب دون أدب أو حياء أو خجل، ودون مراعاة لضمير أو أخلاق، ودون مراعاة لأي قيمة من قيم الحق والخير والجمال، قالوا: مجنون أصابه مرض الصرع! قالوا: زير نساء استبد به الشبق! قالوا: سارق نياق وقاطع طريق! قالوا: كاردنيال مسيحي، كان يطمع في كرسي البابوية، وإذ لم ينله انبرى لهدم المسيحية! قالوا: لقد قام بتأليف القرآن من التوراة والإنجيل، ولم يأت القرآن بشيء آخر جديدًا أو مفيدًا.

ومنذ أكثر من أربعين عامًا يا صاحبي قرأت كتابًا عجيبًا للمرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق بعنوان «تمهيد للفلسفة الإسلامية» لم يعد هذا الكتاب في حوزتي، ولا أظنه قد أعيد طبعه، وربما بل من الضروري أن بضع نسخات منه موجودة بدار الكتب والوثائق المصرية.

ولقد عجبتُ ولازلتُ أعجب يا صاحبي لشان هذا الكتاب العجيب، الكتاب فيما أذكر يقع في حوالى ثلاث مائه صفحة من القطع المتوسط، والكتاب كله نصوص مترجمة لكبار كتاب ومفكري المسيحية، يشتمون سيدنا محمد ﷺ، ولا يحوي الكتاب شيئًا آخر سوى شتائمهم، مترجمة ترجمة رصيفة بقلم المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق، ولقد عجبتُ ولازلتُ أعجب: لماذا جعل شيخ الإسلام الأسبق عنوان ذلك الكتاب هو: تمهيد لدراسة الفلسفة الإسلامية؟ لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟ وأرجح الآن يا صاحبي أن شيخ الإسلام الأسبق[١] المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق كان يريد بكتابه ذاك أن يلفت نظر المسلمين وأن ينهبهم، وأن يقول

---

(١) تولى فضيلة المرحوم الشيخ مصطفى عبد الرازق مشيخة الازهر عام ٣٦٤ هـ - ١٩٤٥م خلفًا للشيخ المراغى رحمه الله حتى عام ١٣٦٦ هـ - ١٩٤٧م، وتولاها بعده المرحوم الشيخ مأمون الشناوى.

لهم: يا أيها المسلمون، إذا كنتم تريدون أن تفكروا في دينكم وأن تتدبروه، هاكم ما يقوله المسيحيون في أوربا عنه وعن نبيه الكريم ورسوله العظيم ﷺ، ضعوا ذلك في حسبانكم!

والقرآن الكريم يا صاحبي ناهيك عن جهود مفكري الإسلام العظام قديمًا وحديثًا، كالرافعي والعقاد في كتبه الكثيرة، وأبرزها في هذا الصدد كتاب «حقائق الإسلام وأباطيل خصومه» الذي كتب له تمهيدًا لائقًا الرئيس الأسبق محمد أنور السادات، يرد على هذه الأكاذيب والمفتريات أكذوبة أكذوبة وفرية وفرية، ولقد قرأتُ عليك من قبل يا صاحبي بضع آيات كريمة من سورة الحجر؛ إذ يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ۝٦﴾ [الحجر: ٦] إن موقفهم في افترائهم هذا متناقض تناقضًا داخليًا، كما أشار إلى ذلك بحق فضيلة الإمام الشيخ محمد متولي الشعراوي أطال الله بقاءه.

قالوا: يا أيها الذي نزل عليه الذكر، والذكر هو القرآن الكريم كلام الله ﷻ، ويصفون ذلك الرسول الصادق الأمين الذي نزل عليه كلام الله بأنه مجنون، وكأن استلام كلام الله وحيًا إلهيًا صادقًا من علامات الجنون! هل هذا هو تعريف الجنون عند أولئك المفترين؟ هل يستلم المجنون كلام الله؟ هل يقول المجنون كلامًا يصلح عقيدة وشريعة ويعجز عن الإتيان بمثله أو بثلاث آيات منه البشر؟ ويقولون كان رسول الإسلام فيما يزعمون كذبًا وبهتانًا مصابًا بالصرع، فليأتوا بواحد، أي واحد من مرضى الصرع وليستكبوه، أو فليستقرئوه قرآنًا مثل القرآن المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، وليسجلوا لنا قرآن ذلك المصروع لنتفرج عليه ونعرف أنهم صادقون فيما يفترون على رسول الإسلام الصادق الأمين وعلى القرآن الكريم!

من الواضح يا صاحبي أنهم لا يفقهون معنى ما يقولون، ولا يدركون أن قولهم: يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون . قول يناقض بعضه بعضه الآخر: تلك هي قرية الجنون، وحضها الله ﷻ بمجرد عرض فريتهم عرضًا يبرز ما فيها من تناقض كان ينبغي عليهم أن يدركوه، لو لم يكن المفترون قد أصابهم هم أنفسهم جنون الكفر والعصيان.

وتمضي آيات القرآن الكريم التالية لهذه الآية لتدحض فرية أخرى تمثلت في طلب الكفار المعاندين، أن يأتيهم محمد ﷺ بالملائكة شهودًا على صدق رسالته، وتدمغ أولئك الكفار المنكرين المكذبين للحق الواضح، بأن ذلك شأنهم بالنسبة لِمَن سبق من رسل الله عليهم السلام وليس في كفرهم جديد، أو لم يرتب طائفة من البشر ويشكوا في كل شيء، حتى أن بعضهم ارتاب وشك في أنه يرتاب ويشك؟ وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى معرضًا بموقف أولئك الكفار المكذبين، المتمادين في كفرهم وعنادهم وشكهم وارتيابهم دون مسوغ معقول للكفر والعناد والشك والارتياب؛ إذ يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجر: ٧ – ١٥]

وخذ أيضًا يا صاحبي على سبيل المثال لا الحصر قول خصوم الإسلام المكذبين لرسول الله: إنه كان كردنيالاً فرَّ إلى الصحراء العربية، أو أنه تلقى تعاليم الدين الإسلامي من ورقة بن نوفل الذي كان شيخًا طاعنًا في السن عندما بدأ نزول القرآن على سيدنا محمد ﷺ، ولم يلبث أن توفي مباشرة بعد نزول الآيات الخمس المباركة الأولى من سورة العلق، ماذا لديهم من دليل على صدق ادعائهم مع عظيم خطره وفاحش جرمه؟ لا شيء البته! ولماذا لا ينسب أي صاحب دين ما ابتكره من عقيدة أو شريعة إلى نفسه؟ إن الناس ليدافعون عن حقهم في الابتكار بكل شراسة وإصرار، وعندما ثار لوثر على الدين المسيحي وابتدع المذهب البروتستانتي، لم يقل لوثر: إن ثورته دين جديد، ولم يطلق على ثورته اسم الإسلام. لقد ثار لوثر على المسيحية الكاثوليكية وعلى المسيحية الأورثوذكسية، وعدل وبدل ما شاءت له ثورته الجامحة، أن يعدل وأن يبدل دون أن يقول للمسيحين دعوا المسيحية وتعالوا إلى الإسلام، لقد قال لوثر بصريح العبارة: إنه مسيحي يرغب في إصلاح المسيحية.

ونصل يا صاحبي إلى دليل دافع على زيف هذه الفرية، التي تحاول أن تجعل الإسلام مجرد تقليد وإعادة صياغة للأديان السابقة كاليهودية والمسيحية على وجه الخصوص، وتتهافت على الزعم الكاذب بأن محمدًا ﷺ قد تلقى تعليمًا على يد يهودي أو نصراني متمثلاً في اللغة، فلنتأمل يا صاحبي لغة التوراة ولغة الإنجيل ولغة رسول الله ﷺ ولغة القرآن الكريم، أي لغة كان يتكلمها أولئك الذين فروا من الاضطهاد إلى صدر الجزيرة العربية من اليهود أو النصارى؟ كانت لغتهم الأصلية هي العبرية أو الأرامية أو اليونانية القديمة، ما مدى إلمامهم باللغة العربية وإجادتهم لها؟ لا ريب في قلة إلمامهم باللغة العربية وضآلة إجادتهم لها، وكيف يكون التقليد أفضل من الأصل بما لا يدع مجالاً لأي شك؟ وكيف يناقض التقليد الأصل؟ انظر وتأمل وتدبر يا صاحبي عظمة بلاغة القرآن الكريم المعجزة، وهو يعرض هذه الاعتبارات كلها ويدحضها دحضًا تامًا في مثل قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠٣]

قال صاحبي: فيما ينكر خصوم الإسلام الوحي الإلهي في حين أنهم يزعمون أن لديهم كتبًا مقدسة كالتوراة والإنجيل؟ وما مصدر قدسية التوراة والإنجيل عند مَن يقدسونهما؟

قلتُ: شأن خصوم الإسلام في هذا الصدد متناقض كما يبدو لك، ولكل إنسان منصف لا يعميه الكفر والعناء والتعصب والانقياد لرئاسات وزعامات تخشي على مكانتها ومكاسبها وشهواتها الدنيوية.

إن شأن خصوم الإسلام في هذه المسألة عجيب عجيب، إنهم ينكرون الوحي الإلهي عمومًا، لكي يتنكروا وينكروا القرآن الكريم خصوصًا، إنهم ينكرون الوحي الإلهي، مضطرين إلى ذلك اضطرارًا، مبعثه إصرارهم على إنكارهم لصدق القرآن الكريم؛ لأن قبولهم للوحي الإلهي، وإمكانية أن يوحي الله كلامه العزيز إلى من يختاره الله ﷻ ويصطفيه من البشر يستدعي سؤالاً بديهيًا فوريًا هو: لماذا تستبعدون يا خصوم الإسلام وأنتم تؤمنون بإمكانية نزول الوحي الإلهي على مَن يختاره الله

ويصطفيه من البشر، أن يختار الله ويصطفي النبي العربي محمدًا بن عبد الله ليوحي إليه القرآن الكريم؟ ليس هنالك ما يمنع من حيث المبدأ إمكانية ذلك! ولذلك ينكرون المبدأ نفسه، ويقولون: ليس هنالك شيء اسمه الوحي الإلهي، ولا فكاك لهم من إنكار الوحي الإلهي ما داموا يريدون إنكار نبوة سيدنا محمد ﷺ، وإن كانوا لا يحبون إظهار هذا الإنكار للوحي الإلهي إلا في مجال إنكارهم لنبوة خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ.

وتصور يا صاحبي ما يمكن أن يحدث في العالم لو صدق خصوم الإسلام بإمكانية الوحي الإلهي، وصدق نزول القرآن الكريم وحيًا إلهيًّا صادقًا إلى محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين! ماذا يمكن أن يصير إليه حال حاخامات اليهود وكرادلة وقساوسة النصرانية بالمقاييس والمعايير الدنيوية؟ لا سبيل أمامهم لتجنب هذا المصير الذي يصحبون معه أناسًا عاديين عليهم أن يكسبوا عيشهم بعرق جبينهم، سوى أن ينكروا الوحي الإلهي جملة وتفصيلاً، وليكن بعد ذلك ما يكون! ولقد صدق أبو حارثة الرئيس الثقافي لوفد نصارى نجران الذي كان قد أوكل إليه إمبراطور الرومان مناظرة نبي الإسلام ﷺ في عقر داره بالمدينة المنورة في العام العاشر للهجرة، صدق أبو حارثة إذا قال لصاحبه عندما سأله: فما يمنعك من الإسلام وأنت تعلم منه أنه الحق؟ فكان جواب أبي حارثة هو قوله: يمنعني ما صنع بنا هؤلاء القوم[1]، شرَّفونا وموَّلُونا وأكرمُونا وقد أبوا إلا خلافه، فلو فعلتُ نزعوا منا كل ما ترى.

ولنفحص ولندقق ولنتأمل يا صاحبي أسباب رفض النصارى لنزول الوحي الإلهي على محمد ﷺ أكثر وأكثر، إن عقيدة التثليث المسيحية التي ابتدعها النصارى هي المسئولة عن هذا الرفض، وذلك الإنكار للوحي المحمدي، إنهم يؤمنون -وهم أحرار فيما يعتقدون بطبيعة الحال- أن الله ﷻ مكون حسب اعتقادهم من ثلاثة أقانيم الأب والابن والروح القدس، ويزعمون أن الأقانيم الثلاثة إله واحد، ولا

---

(١) يعنى الرومان، إذ كان أباطرة الرومان قد تحولوا من الوثنية وعبادة العديد من الآلهة الذين كانوا يعتبرونهم على صورة البشر إلى المسيحية بعد تحريفها وتطويعها.

يهم استحالة أن يكون الثلاثة واحدًا، إنهم يضعون تصورهم لله تصورًا ثلاثي الأقانيم هكذا، وعلى الناس أن يتفهموه ليفهموه، فإن لم يفهموه فليقبلوه دون فهم؛ إذ أن الفهم البشري قاصر عن إدراك الله فيما يزعمون، بل إنك لتجد يا صاحبي أن تعريفهم للأقنوم إنما هو تعريف يفضح تناقض التثليث المسيحي؛ إذ يعرفون الأقنوم بأنه: ما يقوم بنفسه دون حاجة إلى غيره. ذلك هو التثليث المسيحي «Christion Trinity» وهو من أهم أسباب رفضهم لنزول الوحي الإلهي على محمد ﷺ قرآنًا عربيًا معجزًا، هو بحق معجزة المعجزات.

القرآن الكريم ينفي بصريح العبارة أن يكون الله هو ثالث ثلاثة، وينفي القرآن الكريم أن يكون عيسي ابن مريم إلهًا، ويؤكد القرآن الكريم أن المسيح عيسى ابن مريم رسول من رسل الله المكرمين في مثل قول الله ﷻ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [المائدة]

القرآن الكريم يهدم عقيدة التثليث المسيحي هدمًا تامًا، فالقرآن الكريم ينفي ألوهية المسيح عيسي ابن مريم نفيًا قاطعًا، ولهذين السببين الهامين يا صاحبي يستحيل أن يقبل المسيحي بصحة القرآن الكريم، ما لم ينبذ مسيحيته نبذًا تامًا.

قال صاحبي: هل يرفض المسيحيون نزول الوحي الإلهي إلى أي كائن بشري؟ وإذا كان المسيحيون ينكرون نزول الوحي الإلهي إلى أي كائن بشري،فما هو أساس تقديسهم لما يسمونه الكتاب المقدس The Bible وهو يحوي التوراة The Torah أو العهد القديم The Old Testament ويحوي الإنجيل The Evangel or The Gospel، أو بالأصح الأناجيل Gospels التي يضمها العهد الجديد The New Testament؟

قلتُ: إن سؤالك يا صاحبي إنما هو صياغة دقيقة لواحد من أكبر التناقضات المسيحية العديدة! وكبار أساتذة اللاهوت المسيحي يدأبون على التفنن في محاولات معقدة مبهمة لإزالة هذا التناقض، ينكرون الوحي الإلهي إلى أي كائن بشري عندما

يكونون بصدد إنكارهم للقرآن الكريم، إنهم يقولون بجرأة منقطعة النظير: لا يوجد شيء اسمه الوحي الإلهي إلى أي كائن بشري، إن هذا الوحي الإلهي إلى أي كائن بشري إنما هو محض توهم وخيال مريض.

إنه كذب وافتراء على الله في نظرهم، ونبي الإسلام محمد بن عبد الله، عربي كذاب، لم يوح إليه الله شيئًا، وما يزعم محمد بن عبد الله أنه قرآن موحى إليه من الله إنما هو من تأليفه هو، وهم يمنعون أي شخص يحاورهم أو يجادلهم بالتي هي أحسن، من أن يستدل على أي وجهة نظر له بآيات من القرآن الكريم؛ إذ يقاطعونه على الفور قائلين: نحن المسيحيين لا نؤمن بالقرآن. إنني لا أفتري على المسيحيين شيئًا هم أبرياء منه، وإلا فليعلنوا إيمانهم بالقرآن الكريم، وليعلنوا تصديقهم له، فلا تكون ثمة مشكلة، ولا يبقى ثمة مجال لحوار أو نقاش؛ إذ يترتب على تصديقهم بصحة القرآن الكريم قبولهم عقيدة الإسلام ونبذهم عقائد المسيحية، إنهم يا صاحبي ينكرون القرآن، وينكرون صحة وجود الوحي الإلهي، ليتسنى لهم تكذيب الصادق الأمين المؤتمن المختار المصطفى خاتم الأنبياء والمرسلين، وليتسنى لهم التمسك بعقائدهم المسيحية ورفض عقيدة الإسلام، ثم يتحايلون بعد ذلك لإثبات صحة الوحي الإلهي ونزوله إلى بعض البشر حسب أهوائهم، وأدع لك يا صاحبي، وأدع لكل ذي عقل وقدرة على الفهم إدراك ما إذا كان موقفهم هذا يتضمن تناقضًا أم أنه غير متناقض!

قال صاحبي: يغدو السؤال أكثر تحديدًا وأكثر إلحاحًا، على أي أساس -وقد أنكروا إمكانية الوحي الإلهي- يقدسون ما يسمونه بالكتاب المقدس عندهم؟

قلتُ: ينكرون الوحي الإلهي الذي يهدم عقيدة التثليث المسيحي، ويعترفون بنوع آخر من الوحي الإلهي ينبثق من خلال التثليث المسيحي.

قال صاحبي: ماذا يعني ذلك الوحي الإلهي الذي ينبثق من خلال التثليث المسيحي؟

قلتُ: لا بد أن يكون الوحي الإلهي الذي يصدقونه غير صادر عن الله، بل عما يسمونه روح القدس، وهو الأقنوم الثالث من أقانيم التثليث المسيحي كما

تعرف، وهكذا يا صاحبي بعد أن أنكروا الوحي الإلهي الذي يهدم التثليث المسيحي، يعودون على أعقابهم ليقبلوا بالوحي الإلهي، ولكن بحيث لا ينهار التثليث المسيحي، لقد أصبح الوحي الإلهي الذي يقبلون به نابعًا من صميم التثليث المسيحي، غير هادم له بطبيعة الحال، إنه نابع عندهم من الروح القدس، ثالث الأقانيم الثلاثة!

قال صاحبي: ما دليلك على أن المسيحيين يعترفون بوحي إلهي أنزله الله على من اختارهم واصطفاهم وأعد طبائعهم ونفوسهم، بحيث يتلقون الوحي الإلهي الصادر عن الروح القدس فيما يزعم المسيحيون؟

قلتُ: لن أستدل على ذلك يا صاحبي بآية من آيات القرآن الكريم، إنهم يرفضونه طالما يصرون على التمسك بعقائدهم المسيحية، إنهم بطبيعة الحال أحرار في ذلك، وعندما دحر خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ وفد نصارى نجران، لم يستدل ﷺ في مناظرته لهم بشيء من القرآن الكريم؛ لأنه ﷺ أدرك بحكمته النبوية الشريفة عدم إيمانهم بالقرآن الكريم وكفرهم به، جادلهم النبي ﷺ معتمدًا على الحقائق البسيطة البديهية التي لا سبيل إلى إنكارها البتة كما سبق أن أوضحنا، إنني يا صاحبي أستدل على أنهم يعترفون بوحي إلهي أنزله الله على مَن اختاره الله واصطفناه من البشر بجملة وردت بكتابهم المقدس لديهم بحالته الراهنة، وأناقش تصورهم ذلك اعتمادًا علي الحقائق البديهية التي لا ينكرها العقل السليم بأي حال لبساطتها ووضوحها بحيث لا تحتاج إلى ذكاء، والعقل السليم هو أعدل الأشياء قسمة بين الناس؛ وهو العقل السليم، يقبل الأفكار البسيطة الواضحة عندما تتوافر في هذه الأفكار البساطة ويتحقق فيها الوضوح.

قال صاحبي: هات لي أولاً من كتابهم المقدس الموجود بين أيدهم بحالته الراهنة ما يؤكد أنهم يعترفون بوحي إلهي أنزله الله على مَن اختارهم واصطفاهم من البشر.

قلتُ:ورد بآخر الإصحاح الأول من رسالة بطرس الثانية ما يلي بالحرف الواحد وهو: «عالمين هذا أولاً؛ لأن كل نبوة الكتاب ليست من تفسير خاص؛ لأنه

لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان، بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس» [٢ بطرس ١: ٢٠-٢١]. وهكذا تراهم قد قسموا الله ثلاثة أقانيم، وجعلوا ثلثه موحيًا بوحي إلهي إلى أناس الله يقبلون به، والثلثان الآخران غير موحيين، ولك أن تقبل هذا التصور ولك أن ترفضه يا صاحبي.

قال صاحبي: مَن هم أناس الله القديسون المسوقون من الروح القدس؟

قلتُ: سلهم يا صاحبي، سل المسيحيين ولا تسلني، وسلهم: كيف يمكن التعرف على أناس الله هؤلاء المسوقين من الروح القدس؟ وسلهم أيضًا: كيف يمكن التمييز بين أناس الله وبين الناس من غير أناس الله؟

ذات يوم يا صاحبي كنتُ أزور صديقا مسلمًا، وحضر شيخ مسيحي، واستأذن صاحب البيت ليعد لنا مشروبًا، وتحدث إلى ذلك الشيخ المسيحي قائلا: إن الله يتحدث على لساني. فقلتُ له: ١' يتحدث الله على لسانك أنت وحدك أم أن الله يتحدث على لسان أناس آخرين؟ فلم يزد الشيخ المسيحي على أن كرر مقولته قائلا: إن الله يتحدث على لساني. فقلتُ له: لعلك مسوق بروح القدس. وكف الشيخ المسيحي عن الكلام!

إنني لا أتقول على المسيحيين بما لا يقولنه يا صاحبي، إنهم لا يقبلون الوحي الإلهي إلى مَن يختاره ويصطفيه الله من البشر، إنهم يرفضون القرآن الكريم، وينكرون صحة نزوله على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، ولا يستطيع المسيحيون بداهة أن يقولوا ويعلنوا غير ذلك، وإلا كانوا مضطرين إلى نبذ عقائدهم المسيحية والتخلي عنها، وها هو ذا باستر إستانلي شوبيرج في مناظرة أجريت بينه وبين الداعية المسلم الشيخ أحمد ديدات بمدينة استوكهولم عاصمة السويد، يوم ٢٧/ ١٠/ ١٩٩١م حول مسألة: هل الإنجيل كلام الله؟ ها هو ذا باستر استانل شوبيرج[١] يقول في بداية حديثه بهذه المناظرة كما هو مسجل بالصوت والصورة على شريط فيديو، يقول بالإنجليزية ما يلي: منكرًا للوحي الإلهي مثبتًا للوحي الإلهي، يقول بالحرف الواحد بالإنجليزية ما يلي:

---

(١) باستر: لقب كبير قساوسة السويد.

We don't believe in a verbal dictation. We don't believe in inspiration that is written exactly as God said it. We believe in a complete total inspiration. God is very great. God did not intend to talk into the ears. God could talk directly to the hearts of the people. Forty men individuals From different backgrounds during a time of sixteen hundred years gave us the Bible!

وترجمته كما لا يخفى يا صاحبي هي: إننا لا نؤمن بوحي على شكل إملاء شفوي مباشر، إننا لا نؤمن بالوحي الإلهي الذي تتم كتابته بالضبط كما قاله الله، إننا نؤمن بإلهام كلي متكامل، إن الله عظيم جدًّا، إن الله لم يرد أن يتكلم في الآذان، لقد استطاع الله أن يتكلم مباشرة في قلوب الناس، إن أربعين رجلاً لكل منهم صفته الفردية، لهم خلفياتهم الثقافية المختلفة على مدار ألف وستمائة سنة، قد أعطونا الإنجيل. اهـ.

تأمل يا صاحبي ما قاله واحد من أكبر علماء المسيحية لا يزال حيًّا يرزق عن الوحي الإلهي، وحاول أن تفهم الوحي الإلهي الذي ينكره، وحاول أن تفهم الوحي الإلهي الذي يقبله، والذنب ذنبك إن لم تستطع أن تفهم، إنه لا يؤمن بالوحي الإلهي كما يتبدى في القرآن الكريم كما أنزله الله إلى سيدنا محمد ﷺ. وهو يصفه بأنه على شكل إملاء شفوي مباشر، إنه يريد كتابًا مكتمل الصياغة، يكتبه إنسان أو مجموعة من الناس في الخفاء، ثم يطلعون عليه قائلين: هذا الكتاب من عند الله، شريطة أن يكونوا قديسين مملوءين بالروح القدس، كما فعل ذلك كُتَّاب أسفار التوراة من بني إسرائيل، أما أن يأتي الوحي الإلهي قرآنًا عربيًّا منجمًا، تلقاه وحيًا إلهيًّا رجل واحد هو محمد بن عبد الله، فإنه ينكر هذا النوع من الوحي الإلهي دون تردد.

ما هو الوحي الإلهي الذي يقبل به سيادته؟ يقول: إننا نؤمن بإلهام كلي متكامل، ما الذي يمكن أن يفهمه أذكى الناس على وجه الأرض من الإلهام الكلي المتكامل، الذي يدعى كبير قساوسة السويد أنه يؤمن به؟ إلهام كلي متكامل! هل هنالك إلهام كلي متكامل وإلهام جزئى غير متكامل؟ أين هو ذلك الإلهام الجزئى

غير المتكامل ليكون في مقابل إلهامه الكلي المتكامل؟ الإلهام أو الوحي الإلهي هو الوحي الإلهي؛ ولا يمكن، بل يستحيل تمام الاستحالة وصف الوحي الإلهي بأنه كلي أو جزئى، متكامل أو غير متكامل! إما أن يكون الوحي إلهيًا أي صادرًا عن الله، وإما ألا يكون الوحي المزعوم إلهيًا، أي غير صادر عن الله، وإذا كان الوحي صادرًا عن الله، فلا مجال لوصفه بالكلية أو بالجزئية، ولا مجال لوصفه بالتكامل أو بقلة أو بانعدام التكامل، ولكن عبارة وحي كلي متكامل عبارة فخمة دون ريب.

ويقول: إن الله عظيم جدًا، ومَن من المؤمنين بالله لا يعتقد بأن الله عظيم جدًا، لا بأس في ذكر بعض المقدمات الصحيحة من الناحية المنطقية! ثم يقول: إن الله لم يرد أن يتكلم في الآذان. وفي مقولته هذه تعريض سخيف بالوحي الإلهي كما أنزله الله ﷻ إلى سيدنا محمد ﷺ، وكأنما يتصور باستر إستانلي شوبيرج أن كلمات القرآن الكريم نزلت على أذني سيدنا محمد ﷺ، ولم تتجاوز الأذنين إلى القلب، ويؤكد فهمه السقيم ذاك قوله: لقد استطاع الله أن يتكلم مباشرة في قلوب الناس. وكأن باستر إستانلي شوبيرج يتصور دون أي مبرر أن الوحي الإلهي في القرآن الكريم مر على الآذان فما استقام، ومر على الشفاه فما أقام، أما وحيه الكلي المتكامل، فإنه لا يمر بأي أذن لأي إنسان، ولكنه يستقر في القلوب مباشرة ويعشعش في الوجدان! أفلا يكون له الحق في ضوء هذه التصورات الشاذة في أن ينكر الوحي الإلهي في القرآن ليؤمن بوحي إلهي آخر طلع عليه به رجاله الأربعون المنتخبون المملوءون من الروح القدس من مختلف الثقافات فيما يدعى عبَّر ألف وستماية عام، ولاشك أن باستر إستانلي شوبيرج يقصد بالرجال الأربعين كتاب أسفار التوراة أو العهد القديم وكتاب الأناجيل أو العهد الجديد.

أرأيت يا صاحبي مماحكاتهم خلال محاولتهم إزالة التناقض بين إنكارهم الوحي الإلهي عندما نكون بصدد القرآن الكريم، وقبولهم الوحي الإلهي عندما يكونون بصدد التوراة والإنجيل، وهي محاولة ساذجة فاشلة، وليس شرطًا بطبيعة الحال أن تنجح في محاولة إزالة التناقض، محاولة إزالة التناقض شيء، والنجاح في إزالته فعلاً شيء آخر، وما أضعف وأعجف محاولتهم هذه وهي تقوم أساسًا على

أن الوحي الإلهي في القرآن الكريم يمر بالأذن ولا يقيم بالقلب، هل شقوا قلوب المسلمين فلم يجدوا القرآن الكريم؟ فلندعهم ليفترضوا ما يشتهون، ولنذرهم ولنتركهم في غيهم يعمهون، القرآن الكريم في أعمق أعماق قلوب المسلمين يؤمنون به بكل حواسهم وجوارحهم وقلوبهم، بالرغم من كل أباطيل خصوم الإسلام والمسلمين.

إن افتراضهم العجيب القائل بأن أناس الله القديسين قد تكلموا مسوقين من الروح القدس، قد فتح طريق الهرطقة أمام الناس ليقولوا أي شيء، ويزعمون أنهم مسوقون من الروح القدس، ويعقد المسيحيون المجامع المسكونية -نسبة إلى الأرض المسكونة- ليقرر البشر الذين يعلم الله وحده ما إذا كانوا مسوقين من الروح القدس أم غير مسوقين، ولكنهم على أي حال في المجامع المسيحية المسكونية يقررون ما إذا كان من المناسب أن يعتبروا هذا الكتاب مقدسًا أم أنه لا يصح أن يعتبروه من الكتب المقدسة.

وهكذا يتحكم أعضاء المجامع المسكونية فيما هو مقدس من الكتب وما هو غير مقدس، ولقد رأس الإمبراطور الروماني قسطنطين أول مجمع مسكوني للمسيحية، وهو المجمع المعروف بمجمع نيقية الأول الذي انعقد بأمر هذا الإمبراطور، وصدرت قراراته وفق هواه عام ٣٢٥م.

ومن الواضح يا صاحبي -وأنت صاحب السؤال عن أساس الوحي الإلهي لدى النصارى مع رفضهم للوحي المحمدي- أننا لا نهدف إلى التجريح، بل نطلب الإيضاح والتوضيح في مقارنة علمية بين الوحي المحمدي الذي يعتمد على مطلق اختيار الله اختيارًا لا تتدخل فيه إرادة البشر، وبين الوحي الإلهي الذي تستحيل بدونه قدسية أي كتاب مقدس لدى غير المسلمين، والرأي الذي يمكن أن نخلص إليه هو أنه إما الاعتراف بإمكانية الوحي الإلهي، فيصبح من الممكن تصور إمكانية وجود كتاب مقدس[(١)] وإما إنكار إمكانية الوحي الإلهي، فتستحيل إمكانية تصور

---

(١) المجمع المسكونة الذي انعقد في نيقيه عام ٣٢٥ بعد ميلاد المسيح، يعتبر أول المجامع المسكونية بمعنى الكلمة، حيث إن مجمع أورشليم الذي انعقد بعد اثنتين وعشرين عامًا من انقضاء شأن المسيح مع قومه، يعتبر مجمعًا محليًا وليس مجمعًا مسكونيًا.

وجود كتاب مقدس لدى أصحاب أي دين من الأديان، وتصور إمكانية إنكار الوحي الإلهي ريثما يتم إنكار كتاب من كتب الله، ثم النكوص إلى الاعتراف بإمكانية الوحي الإلهي لتقديس كتب أخرى، إنما هو ضرب من التناقض والعبث الذي يستحيل تبريره بأي حال.

قال صاحبي: فما هو الفيصل بين كتاب سماوي أوحاه الله إلى أحد أنبيائه المرسلين عليهم السلام بحق، وبين كتاب يزعم له أحد الكاذبين بأنه من عند الله بغير حق، وأنت تعلم أن بعض الناس قد ادعوا النبوة بغير حق؟

قلتُ: مسألة إمكانية الوحي الإلهي قضية مستقلة تمام الاستقلال عن صدق رسول من رسل الله، أو كذب أي مدع للنبوة، هل الوحي الإلهي ممكن أم أنه مستحيل؟ هذه قضية قائمة بذاتها من الناحية العلمية، هل النبي الذي يدعي نزول وحي إلهي إليه صادق فيما يدعي أم أنه كاذب؟ هذه قضية أخرى، ومن المغالطة الخلط بين القضيتين، هل الدوران حول الكرة الأرضية ممكن أم مستحيل؟ هذه قضية، هل دار زيد من الناس حول الأرض أم لم يدر؟ هذه قضية أخرى.

ولسؤالك وجاهته ولزومه دون ريب يا صاحبي، وجواب سؤالك يا صاحبي إنما هو كلمة واحدة يحتاج شرحها بابًا مستقلاً من أبواب كتاب على الأقل، جواب سؤالك كلمة واحدة هي المحتوى يا صاحبي، محتوى الكتاب الذي يزعم مَن يزعم أن محتواه وحي إلهي من عند الله، ونؤجل تفاصيل ذلك إلى مكان آخر من حوارنا، لكي نلم بأسباب رفض بعض اليهود التصديق بالقرآن الكريم وبرسالة سيدنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين.

البشارة بسيدنا محمد ﷺ في التوراة والإنجيل

قال صاحبي: حقًا، لماذا رفض بعض اليهود التصديق بالقرآن الكريم ولم يدخلوا في الإسلام؟ هل صحيح أن اليهود والنصارى لا يجدون ذكرًا لسيدنا محمد ﷺ بأعتبار أنه خاتم المرسلين في التوراة والإنجيل؟

قلتُ: نبدأ بالشق الثاني من سؤالك، عندما استغفر سيدنا موسى عليه السلام ربه لعناد بني إسرائيل وشدة لجاجهم، ورد في استغفار سيدنا موسى وطلبه الرحمة من الله سبحانه وتعالي: ﴿۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[1]. [الأعراف: ١٥٦- ١٥٧]

وإذ يخبرنا الله ﷻ أن اليهود يجدون النبي الأمي مكتوبًا عندهم في التوراة، وأن النصارى يجدونه مكتوبًا عندهم في الإنجيل، فمن واجبنا نحن المسلمين أن نفحص التوراة والإنجيل لاستجلاء وجه الحق في هذا الشأن، ولا يحول إيمان المسلم بمصداقية القرآن كله دون إجراء هذا الفحص ليطمئن قلبه عندما يتوافق العقل مع النقل، والمسلم مطالب أن يعمل عقله وأن يتفكر ويتدبر، ولا يحول دون إجراء هذا الفحص حقيقة أن اليهود والنصارى قد غيروا وبدلوا في كلام الله، كما يؤكد لنا القرآن الكريم ذلك في مثل قوله ﷻ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ

(١) كان ذلك في مقام طلب الرحمة من الله سبحانه وتعالى، قال الله سبحانه وتعالى لسيدنا موسى عليه السلام.

أَخَذْنَا مِيثَـٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾[1]. [المائدة: ١٣- ١٤]

لا يمنع تحريفهم الكلم عن مواضعه يا صاحبي أن نفحص ما لديهم من كتب بحالتها الراهنة عندهم، كما أن تغيير مجرم لمفردات مسرح جريمته، لا يمنع سلطات التحقيق من دراسة وفحص مسرح الجريمة، المجرم لا يستطيع في الغالب الأعم أن يخفى كل أدلة جريمته، وبالغًا ما بلغت مهارته تظل بعض الأدلة موجودة يستطيع المحقق المدقق أن يجدها، ومع تسليم الإنسان المسلم أن أهل الكتاب قد غَيَّروا وبَدَّلوا في كلام الله، وأن أولى المواضع بالتغيير والتبديل وفقًا لمصالحهم الدنيوية هي تلك المواضع التي تتعلق بصدق رسالة خاتم الأنبياء والمرسلين، النبي العربي محمد ﷺ، إلا أن هذه الحقيقة لا ينبغي أن تحول دون فحص كتب أهل الكتاب بحالتها الراهنة، لعل وعسى أن يكون أولئك الذين غَيَّروا وبدَّلوا في كلام الله قد فاتهم شيء لم يبدلوه ويغيروه غفلة منهم أو إساءة، فهم له أو خطأ تأويل لدلالته؛ يظنون أنه لا يدل، ويستطيع المحقق المدقق فيه أن يستدل.

وقبل أن نبحث عن وجود البشارة بمجيء سيدنا محمد ﷺ خاتمًا للأنبياء والمرسلين عليهم السلام بالتوراة والإنجيل، تعال يا صاحبي نتدبر السبب في محاولة أهل الكتاب إزالة ما يدل بنظرهم على وجود هذه البشارة بالتوراة والإنجيل.

قال صاحبي: حقًا، ما السبب في ذلك؟ وما دافعهم إلى هذا الجرم الكبير؟ وما دليلك على وجود هذا الدافع لديهم؟ أنت تعرف أن وجود الدافع إلى جرم معين ينبغي أن يكون قائمًا على أساس واضح لا يمكن إنكاره، ولا يكفي الزعم بوجود دافع على جريمة دون دليل يؤكد وجود الدافع ذاته، ويأتي البحث عن أدلة ارتكاب المجرم لجريمته في مرتبة تالية، وجود دافع لدى المجرم، لكي يرتكب جريمة ما يحتاج دليلاً أو أدلة، وقيام المجرم فعلاً بارتكاب جريمة يحتاج دليلاً أو أدلة.

قلتُ: الدافع موجود وواضح وثابت بالدليل القاطع يا صاحبي، الدافع هو التمييز العنصري لدى بني إسرائيل يا صاحبي، إن بني إسرائيل يعتقدون أنهم هم

---

(١) الآية الكريمة قبلها تتحدث عن بنى إسرائيل: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

شعب الله المختار، وأنهم أفضل البشر، ولقد وصل بهم الغرور والصلف إلى حد قولهم: إن الله لم يختر بني إسرائيل، ولكن بني إسرائيل هم الذين اختاروا الله. إن هذه العبارة الدالة على أبشع صورة الغرور الإسرائيلي موجودة بكتاب «جولدا مائير»[١] الذي يضم مذاكراتها أو ذكرياتها على حد تسميتها لهذه المذكرات أو الذكريات، هذا التميز العنصري الذي زيَّنه الشيطان لبني إسرائيل، جعلهم يصرون إصرارًا عجيبًا على أن أي نبي أو رسول من أنبياء الله، ينبغي بل يلزم أن يكون من بني إسرائيل دون سواهم، بنو إسرائيل فيما يعتقدون هم الذين يعطون للناس كل الناس دينهم وتعاليم عبادتهم لله، متخذين لأنفسهم موقعًا قياديًا حاكمًا من هذا المنطلق الديني، رفضوا دعوة المسيح عليه السلام؛ لأنه لم يقل لهم إنه خاتم الأنبياء والمرسلين، ولو قالها لهم لاتبعوه؛ إذ كان سيصل بهم إلى حكم العالم فيما يطمعون، ولكن المسيح عليه السلام لم يقلها لهم؛ لأنه لم يكن ليكذب على الله سبحانه وتعالى، وقبل المسيح عليه السلام كانوا يرجون أن يكون يوحنا المعمدان، وهو سيدنا يحيي عليه السلام هو خاتم الأنبياء والمرسلين، ولكن سيدنا يحيي عليه السلام لم يقلها لهم؛ لأنه عليه السلام لم يكن ليكذب على الله سبحانه وتعالى.

ولقد كان اليهود الذين فرُّوا إلى شبه الجزيرة العربية من دراء اضطهاد الرومان لهم بعد تحول إمبراطور الرومان إلى المسيحية، كانوا ينتظرون ظهور خاتم الأنبياء والمرسلين، ومن الخطأ الظن بأنهم كانوا ينتظرونه نبيًا رسولاً عربيًا، لقد كان الأمل في حقيقة الأمر يحدوهم أن يظهر من بين نبي إسرائيل الموجودين في شبه الجزيرة العربية، ذلك النبي الذي يكون خاتم الأنبياء والمرسلين، فيمكن لهم من خلال رسالته أن يسودوا العالم كله، وأن يكونوا ملوكه وحكامه، وهو حلم بني إسرائيل الأكبر، لقد أوجدتهم المقادير حول جبل «فاران» الموجود بشبه الجزيرة العربية، وهم يعلمون أن ظهور النبي الذي يجعله الله خاتم الأنبياء والمرسلين سيكون بهذا المكان، وازداد أملهم، ومن المعروف أن اليهود بيثرب كانوا يقولون للعرب سيظهر

---

(١) كانت جولدا مائير قبل وفاتها رئيسة وزراء إسرائيل أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣، وقد توفيت متأثرة بمرض سرطان الدم، والتعبير المنسوب إليها ورد في مذكراتها التي نشرت في كتاب بعنوان حياتيMy life.

نبي هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وسنتبعه نحن اليهود، وسنقطعكم به تقطيع عاد وثمود، وخاب أملهم عندما جاء خاتم الأنبياء والمرسلين نبيًّا رسولاً عربيًّا من بني إسماعيل، وليس من بني إسرائيل، فكفر أكثرهم به.

والدليل على وجود التمييز العنصري لدى بني إسرائيل موجود كتبوه بأيديهم دون ريب في التوراة، إذ لا يعقل إطلاقًا أن يكرس الله ﷻ مبادئ التمييز العنصري في كتاب من الكتب المقدسة التي أنزلها الله بحق إلى رسول من رسله الكرام، ويقول الله ﷻ بشأن ما كتبه بنو إسرائيل بأيديهم وزعموه من عند الله، يقول الله ﷻ بهذا الشأن: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة: ٧٩]

قال صاحبي: صدق الله العظيم، ولكن بني إسرائيل سينكرون بطبيعة الحال أن يكونوا قد كتبوا في التوراة شيئًا، كيف لنا أن نثبت أنهم قد أضافوا كلامًا من عندهم إلى كلام الله بالتوراة، أو حذفوا شيئًا من كلام الله؟

قلتُ: من الممكن العثور على ما أضافوه، ومن الممكن إثبات أن ما أضافوه إنما هو كلام بشر موغل في الخطأ، ويستحيل أن يكون كلام الله ﷻ الذي يلزم تنزيهه عن الخطأ والنسيان، إن بني إسرائيل لم يكونوا يعتقدون أن سيفضحهم القرآن الكريم.

تعالَ معي يا صاحبي لنتأمل قول الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣] ألا يدل محكم قول الله ﷻ في هذه الآية الكريمة من القرآن الكريم على المساواة بين البشر؛ إذ يرجع الله ﷻ أصل البشر إلى ذكر وأنثى مما يجعل البشر جميعًا إخوة مهما تعددت شعوبهم وقبائلهم، وحري بالبشر جميعًا أن يتعارفوا، وأن يحرصوا على تقوى الله-فيما بينهم؟ هكذا ينبغي في نظر أي إنسان عاقل سوي التفكير أن يكون كلام الله ﷻ، فما بالنا يا صاحبي نجد بالتوراة بحالتها الراهنة بأيدي اليهود والنصارى كلامًا ينسبونه إلى الله ﷻ بحكم إثباتهم له وكتابتهم له بأيديهم في التوراة ليقولوا: «فوجدها[1] ملاك الرب على عين ماء في

(١) فوجدها: أي أنه وجد هاجر، أم سيدنا إسماعيل عليه السلام.

البرية، وقال لها ملاك الرب: ها أنت حبلى فتلدين ابنًا وتدعين اسمه إسماعيل؛ لأن الرب قد سمع لمذلتك، وأنه سيكون إنسانا وحشيًّا يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه، وأمام جميع إخوته يسكن» [التكوين ١٦: ٧ – ١٢]

ولقد حاولت الترجمة العربية للتوراة أن تلطف بالعرب الذين يقرأون هذا النص المزعوم، باعتبار أنه كلام الله بالتوراة؛ إذ قال مترجم هذا النص: «وأنه سيكون إنسانًا وحشيًّا» على حين نجد أن الترجمة الإنجليزية تقول: وأنه سيكون حمارًا وحشيًّا wild donkey إسماعيل عليه السلام الذي قال لأبيه سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ تصوره الترجمة العربية كإنسان وحشي، وبصورة الترجمة الإنجليزية حمارًا وحشيًّا! وجزى الله مترجم التوراة إلى العربية خيرًا لمحاولته الواضحة الترفق بمشاعر العرب الذي يعتبر سيدنا إسماعيل جدهم الأعلى؛ إذ غيَّر وبدل كلام الله المزعوم أنه من التوراة ليجعل سيدنا إسماعيل إنسانًا وحشيًّا وليس حمارًا وحشيًّا كما تنص على ذلك الترجمة الإنجليزية للتوراة! ولقد تلطف مترجم التوراة إلى العربية أكثر وأكثر؛ إذ قال: «يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه» في مقابل التعبير الموجود بالترجمة الإنجليزية الذي يقول: «He will be against him» أي: وسيكون الله ضده. ولماذا يكون الله ضد سيدنا إسماعيل على حد تعبير مترجم التوراة إلى الإنجليزية؟ ولماذا تكون يد سيدنا إسماعيل على كل واحد، ويد كل واحد عليه، على حد تعبير مترجم التوراة إلى اللغة العربية؟ أي ذنب جناه سيدنا إسماعيل بنظر بني إسرائيل حتى يكون شأنه هكذا بالتوراة؟ هل يكون الله ضد سيدنا إسماعيل ويد سيدنا إسماعيل على كل واحد، ويد كل واحد على سيدنا إسماعيل؛ لأن سيدنا إسماعيل هو ابن سيدنا إبراهيم من هاجر وليس من سارة؟ ولو كان ذلك كذلك، فما هو ذنب سيدنا إسماعيل في ذلك؟ أليست هذه هي بذور وجذور التمييز العنصري والتميز الديني بأبشع صورهما يا صاحبي؟ أليس هذا دليلاً ماديًّا واضح الدلالة، بل حاسم الدلالة على وجود الدافع لدى بني إسرائيل على إنكارهم، وكفر كثير منهم بالقرآن الكريم وبرسالة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ؛ لأنه من بني إسماعيل وليس من بني إسرائيل؟

قال صاحبي: هذا دليل لا ريب فيه على وجود الدافع لديهم على إنكار الوحي المحمدي والكفر برسالة خاتم الأنبياء والمرسلين، وهو أيضًا دليل على أنهم قد بدّلوا وغيّروا في التوراة، وأضافوا إليها كلامًا من عند أنفسهم كتبوه بأيديهم، المساواة بين الناس الذين خلقهم الله من ذكر وأنثى، وجعلهم شعوبًا وقبائل ليتعارفوا، هو الاعتبار اللائق أن يصدر عن الله ﷻ، أما هذا الكلام الذي يكرس التفرقة العنصرية والدينية، فلا يعقل أحد أن يصدر عن الله ﷻ، وإذا كانوا قد أضافوه، فلا يستبعد أحد أن يكونوا قد حذفوا من كلام الله ﷻ ما يدل على نبوة ورسالة سيدنا محمد ﷺ ولم يعلنوه للناس، ولم يتبع أكثرهم النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل، وصدق الله العظيم، ولقد فهمت من كلامك أنهم رغم محاولتهم حجب هذه الحقيقة الكبري من حقائق دين الله الصحيح، إلا أنه لا يزال في كتبهم كلام يدل على البشارة بمجئ سيدنا محمد ﷺ خاتمًا للأنبياء والمرسلين عليهم السلام ، فما هو؟

قلتُ: نعم يا صاحبي، لا يزال بكتابهم الذي يزعمون أنه من عند الله بصورته الراهنة، ما يدل على البشارة بمجيء محمد ﷺ خاتمًا لأنبياء الله ورسله، إنه ﷺ لم يأت من بني إسماعيل فحسب، بل إنه ﷺ قد أغلق باب النبوات والرسالات السماوية بعده، ولقد أزالوا قدر استطاعتهم ما يدل على هذه الحقيقة، ولكن بقيت بالعهد القديم أو التوراة إشارات متعددة تبشر بمجيء محمد ﷺ، وتدل على أنه نبي الله ورسوله، وسأكتفي بمثال واحد من التوراة يا صاحبي متجنبًا الاستطراد وراء الإشارات الكثيرة التي تنبئ عن رسالة سيدنا محمد ﷺ بالتوراة، تتجلى البشارة بنبوة ورسالة سيدنا محمد ﷺ بالتوراة فيما يلي:

يخاطب الله سيدنا موسى عليه السلام في التوراة قائلاً لسيدنا موسى عليه السلام ما يلي بالحرف الواحد: «أقيم لهم نبيًا من وسط إخواتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به» [سفر التثنية ١٨: ١٨]

لقد غفلت عيون بني إسرائيل القدامى عن هذا النص الهام الوارد بسفر التثنية بالجملة الثامنة عشر من الأصحاح الثامن عشر، فلم يحذفوها، وربما -بل الأرجح

أنهم- أخطأوا فهمها، من الواضح أنهم ظنوا أن هذه الجملة التي أشرنا إليها وذكرنا نصها، تبشرهم بأن الله يعد سيدنا موسى عليه السلام أنه تعالى، سيقيم لبني إسرائيل نبيًا غيره يأتي بعده، والأرجح يا صاحبي أنهم استبشروا خيرًا، ليس سيدنا موسى إذن هو النبي الأخير إليهم، سيقيم الله نبيًا بعده، ولقد كانت علاقة بني إسرائيل بسيدنا موسى علاقة يغلب عليها التوتر نتيجة طبيعتهم المتردة، ولقد وصفهم الإنجيل بحق بأنهم غلاظ الرقاب، فرح بنو إسرائيل أن سيقيم الله نبيًا بعد سيدنا موسى، وانفتحت شهية كل واحد من زعماء أو علماء بني إسرائيل، أن يكون هو نفسه ذلك النبي، أو أن يكون أحد أبنائه أو أحد أحفاده أو أحد أقاربه، إنهم لم يتعمقوا فهم النص، وعندما جاءهم نبي الله يحيى عليه السلام أرادوا أن يستوثقوا منه ما إذا كان هو النبي الذي يشير إليه ذلك النص، وأنه سيكلمهم بكل ما يوصي الله به، ولكن سيدنا يحيى عليه السلام نفى ذلك، فانصرفوا عنه وأهملوا شأنه ودبروا قتله، كان بنو إسرائيل قد سألوا سيدنا يحيى عليه السلام: هل أنت المسيح؟ قال: لا. سألوه: هل أنت النبي؟ قال: لا. قالوا له: لماذا تعمد والتعميد عندنا من أعمال الأنبياء؟ فقال لهم: أنا صوت صارخ في البرية، هيئوا طريق الرب وافعلوا سبله مستقية.

وفي رواية إنجيل متى تصوير لهذا الموقف يقول: «قال لهم يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي، فاصنعوا أثمارًا تليق بالتوبة، ولا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا إبراهيم أبًا؛ لأني أقول لكم: إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادًا لإبراهيم، والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر، فكل شجرة لا تصنع ثمرًا جيدًا تقطع وتلقى في النار، أنا أعمدكم بماء للتوبة، ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني الذي، لست أهلاً أن أحمل حذاءه، هو سيعمدكم بالروح القدس ونار، الذي رفشه في يده وسينقي بيدره ويجمع قمحه إلى المخزن، وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ» [إنجيل متى ٣: ٧-١٢]

كان بنو إسرائيل يغترون كثيرًا ببنوتهم لسيدنا إبراهيم، أي شعب من شعوب الأرض غير شعب إسرائيل، ينحدر من صلب أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، الذي حطم الأصنام وعبد إلهًا واحدًا وأقام الدين لله وحده حنيفًا ولم يكن من المشركين،

وبلغ الغرور ببني إسرائيل أن تصوروا أنهم هم وحدهم أبناء سيدنا إبراهيم، وليس أبناء سيدنا إسماعيل بنظرهم المريض ممَن يحق لهم أن يعتبروا أنفسهم أبناء سيدنا إبراهيم، وإذا كان الرب سيقيم نبيًا بعد موسى، فمن الضروري حسب فهمهم السقيم أن سيكون ذلك النبي الذي وعدهم الرب بإقامته من بني إسرائيل، ولم يَدُر بخلدهم آنذاك أن الله يمكن أن يقيم نبيًا من أبناء إسماعيل! هل يستطيع بنو إسرائيل أن يفرضوا على الله حظرا ألا يختار نبيًا بعد موسى من أبناء إسماعيل، وليس من أبناء إسرائيل؟ شأنهم عجيب يا صاحبي، إنهم لا يزالون ينتظرون ذلك النبي الذي يقيمه الله بعد سيدنا موسى ويتمكنون بواسطته أن يحكموا العالم كله!

وعندما جاءهم المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام سألوه نفس السؤال: هل أنت المسيح أو النبي الذي ننتظره بعد موسى عليه السلام؟ ومعنى المسيح الذي ينتظرونه إنما هو معنى محدد في مخيلتهم بطبيعة الحال: نبي، مسيح، مسيا، هو خاتم الأنبياء، ويستطيعون من خلاله أن يحكموا العالم؛ لأن الشريعة الكاملة لم يأت بها موسى عليه السلام، بدليل أن موسى قد قال لهم: أن الله سيقيم نبيًا، فيكلمهم بكل ما يوصيه به. وكان المسيح عليه السلام يعرف ما يقصدونه بسؤالهم ذاك، فأجابهم بالنفي طبعًا، لم يكن المسيح عليه السلام هو خاتم الأنبياء والمرسلين، ولم يعجب رد المسيح بالنفي على سؤال بني إسرائيل بني إسرائيل، إنهم يريدونه خاتمًا للأنبياء والمرسلين، ولم يكن المسيح عليه السلام خاتم الأنبياء والمرسلين.

عَمَّ غفل بنو إسرائيل في النص المذكور يا صاحبي؟

لقد غفل بنو إسرائيل عما نبههم إليه سيدنا يحيى عليه السلام، أو يوحنا المعمدان John the Baptist لو صحت رواية متى في ذلك النص الذي أشرنا إليه آنفًا: [متى ٣: ٧-١٢] ظنوا خطأ أنهم -بني إسرائيل- وحدهم أبناء سيدنا إبراهيم عليه السلام، ألم يقل لهم سيدنا يحيى -حسب رواية متى-: «ولا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا إبراهيم أبًا؟» ألم يقل لهم أيضًا بذات السياق: «لأني أقول لكم: إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أبناء لإبراهيم».

الإشارة إلى غلطتهم في فهم النص الوارد في [١٨: ١٨ تث] واضحة كل الوضوح يا صاحبي، ظنوا النبي الخاتم للأنبياء والرسل منهم لا محالة، ولم يخطر ببالهم أن يأتي

من بني إسماعيل! لو كان يوحنا المعمدان لقبلوا؛ لأنه من بني إسرائيل، ولقد نفى يوحنا المعمدان نفسه أنه خاتم الأنبياء والمرسلين، وأخبرهم أن خاتم الأنبياء والمرسلين آت بعده، وأنه ليس أهلاً أن يحمل حذاءه، وأعطاهم إشارات واضحة عن علاماته، تنطبق تمام الانطباق على نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام، وتأمل النصين جيدًا، ليس فهم كلام الله حكرًا على أحد يا صاحبي.

ولو كان عيسى ابن مريم ﷺ قد قال لهم إنه خاتم الأنبياء والمرسلين الذي بشرهم بمجيئه سيدنا موسى لقبلوا به، ولكن سيدنا عيسى ﷺ نفى كونه خاتم الأنبياء والمرسلين، وأعطاهم إشارات وعلامات تنطبق تمام الانطباق على سيدنا محمد ﷺ، لا داعي لذكرها ها هنا تجنبًا للاستطراد، وكي لا تتزاحم النصوص.

ظنَّ اليهود خطأ أن النبي الذي بشرهم به سيدنا موسى ﷺ، سيكون من بني إسرائيل، ولما تأكدوا أنه ليس هو يحيى ﷺ أو يوحنا المعمدان، ولما تأكدوا أنه ليس عيسى ابن مريم ﷺ، فإنهم -في غالبيتهم إلا مَن اهتدى وهم قليل- لا يزالوان ينتظرون أن يأتي إليهم النبي الذي يضع الله كلامه في فمه فيكلمهم بكل ما يوصيه الله به، أي يتم لهم شريعة الله، ويمكنهم -وهو الأهم بنظرهم- من أن يحكموا العالم، ولا يزال بنو إسرائيل؛ إذ كذب معظمهم برسالة سيدنا محمد ينتظرون المسيح أو «المسيا» الذي بشرهم به سيدنا موسى في سفر التثنية ١٨: ١٨.

وظن النصارى خطأ أيضًا أن المسيح عيسى ابن مريم ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، بل بالغوا، واعتبره بولس -اعتبر سيدنا عيسى ﷺ- ابن الله، ثم اعتبره الله، واعتبر بولس نفسه رسول هذا الإله؛ لأنه من غير المعقول أن يكون ثمة رسول لرسول، أراد بولس أن يكون نبيًا رسولاً، ولم يختره الله للنبوة، فجعل عيسى ابن مريم إلهًا، وزعم أنه -عيسى ابن مريم باعتبار أنه قد أصبح بزعمه إلهًا- قد اختاره واصطفاه للنبوه، وكلفه أن يكون رسولاً للبشر، وإذا كان سيدنا إبراهيم قد شرع الختان، فإنه كنبي رسول من قبل سيدنا عيسى الذي جعل اسمه هو يسوع، إنه -أي بولس- بصفته نبي رسول قد أجاز عدم الختان.

وإذا كان الرومان وهم أعظم قوة عسكرية في العالم يريدون الإله إنسانًا له صورة البشر مثل كل آلهة الرومان، فالمسألة لدى بولس بسيطة، لقد حوَّل لهم

عيسى ابن مريم ﷺ من نبي رسول من رسل الله إلى إله إنسان، كلَّف بولس أن يكون نبيًا رسولاً، وحول لهم معجزات سيدنا عيسى ﷺ من دلائل صدق رسالة وحقيقة نبوة إلى أدلة ألوهية! وإذا كانت الخمر محرمة، فليجعلها بولس حلالاً؛ إذ يجعل أول معجزات المسيح ﷺ هي تحويله الماء إلى خمر في عرس كان مقامًا بمكان اسمه «قانا الجليل» بفلسطين، زعموا أن المسيح كان قد قال لإخوته: إنه لن يذهب إليه. ثم غير رأيه فجأة وذهب إليه وحول الماء فيه إلى خمر، أفلا تكون الخمر حلالاً؟! وإذا كان الرومان يحبون أكل لحم الخنزير ويقبلون عليه، فليجعل بولس أكل لحم الخنزير حلالاً؛ إذ لا يهم في زعمه ما يدخل بين الشفتين، بل المهم هو ما يخرج من بين الشفتين، وإذا كان الناس يميلون إلى ممارسة الزنا، فلينفرد أحد الأناجيل الأربعة بعرض شأن زانية متلبسة بالزنا بذات المرة ليجعل رد المسيح على هذا الاستفتاء المحرج هو قول المسيح: «مَن كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر» ولا ريب أن في هذا الرد الذي زعم واحد من الإناجيل الأربعة أنه جواب السيد المسيح على ذلك السؤال يجعل الزنا بلا عقاب، إذا انصرفت الزانية، ولم يرجمها أحد بحجر.

وإذا لم يكن بالأناجيل الثلاثة ما يفيد ألوهية المسيح، فليتضمن الإنجيل الرابع، إنجيل يوحنا عبارات توشك أن تصرح، وإن لم تستطع التصريح بألوهية المسيح، كل ذلك بتأثير بولس المباشر أو غير المباشر، ولذلك استحق بولس الذي كان يهوديًا اسمه شاول، استحق أن يعتبره الناس المؤسس الحقيقي للمسيحية، لقد حول بولس بشارة التوراة بنبي بعد سيدنا موسى إلى الادعاء بمجيء إله بعد سيدنا موسى هو المسيح عيسى ابن مريم ﷺ فيما يزعمون، ولم يكن بالنصارى حاجة إلى مجيء المسيا بالمعنى اليهودي، لقد جاءهم المسيح عيسى ابن مريم فاعتبروه إلهًا، وحاولوا تطبيق نبوءات التوراة والإنجيل عليه.

قال صاحبي: إذا كان اليهود لا يزالون ينتظرون نبيًا أو مسيحًا أو مسيًا بعد سيدنا موسى يحكمون العالم من خلاله، ولذلك كذب معظمهم دعوة سيدنا محمد ﷺ؛ لأنهم يريدون أن يكون خاتم الأنبياء والمرسلين من بني إسرائيل، وليس من بني

إسماعيل، فلماذا تعتبر أنهم مخطئون في فهم النبوءة الواردة في ١٨: ١٨ من سفر التثنية، ولماذا أخطأ النصارى أيضًا فهمها؟

قلتُ: تأمل يا صاحبي النص الذي ورد في ١٨: ١٨ من سفر التثنية جيدًا، إنه يقول «أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك» يخاطب الله سيدنا موسى حسب رواية التوراة بالموضع المشار إليه ويقول له: «أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك» تأمل النص لفظًا لفظًا وجزءًا جزءًا «من وسط إخوتهم» من هم إخوة بني إسرائيل من هو أخو إسرائيل ذاته؟ إن أخا إسرائيل الذي كان يكبره بأربعة عشر عامًا هو سيدنا إسماعيل ﷺ، ويترتب على ذلك نتيجة خطيرة هامة. إن تعبير «من وسط إخوتهم» يعني: بني إسماعيل. ولو كان الله يريد أن يبشر بني إسرائيل على لسان سيدنا موسى ﷺ بالتوراة أنه سيقيم نبيًا من بني إسرائيل، لكان الله ﷻ قد قال لسيدنا موسى ﷺ: أقيم لهم نبيًا من وسطهم. أي من وسط بني إسرائيل، ولكن التوراة تقول: إن الله قال لسيدنا موسى ﷺ: «أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم» وليس من وسطهم، وإخوة بني إسرائيل هم بنو إسماعيل ترتيبًا على أن إسماعيل هو أخو إسرائيل، وهكذا تكون البشارة متعلقة بنبي سيأتي بعد سيدنا موسى من أبناء سيدنا إسماعيل ابن سيدنا إبراهيم عليهما السلام.

وتأمل الملحوظة التالية يا صاحبي: النص العربي يقول: «من بين إخوتهم» والنصوص الانجليزية القديمة تقول: «From among their brothern» والنصوص الإنجليزية الحديثة تقول: «From among their own people»

أي أن القائمين على شأن الترجمة الإنجليزية للتوراة حديثًا قد فطنوا إلى حقيقة معنى قول الله لسيدنا موسى: «أقيم لهم نبيًا من بين إخوتهم» وأن هذا التعبير يجعل هذه النبوءة التوراتية بشارة بقدوم نبي يأتي بعد سيدنا موسى هو خاتم الأنبياء المرسلين، كما تشير إلى ذلك خاتمة ذات الجملة المشار إليها من بني إسماعيل، وليس من بني إسرائيل كما سبق أن أوضحناه، ولذلك عمد القائمون على شأن الترجمة الإنجليزية للكتاب المقدس، وهم في العادة أساتذة كبار مخضرمون، عمدوا إلى تغيير كلام الله المكتوب في التوراة تحت ستار تحديث لغة الإنجيل، فجعلوا تعبير «من بين

إخوتهم» الذي كان يقابله تعبير From among their brothern في اللغة الإنجليزية القديمة ليصبح تحت ستار تحديث إنجليزية الإنجيل هو From among their own people.

وهو ما فعلته طبعة كولينز «Fount / Collins» تحت إشراف جمعيات الإنجيل The Bible Societies، وهي بعنوان Good New Bible وتحتها عبارة: لغة إنجليزية حديثة Today's English Version. من الذي قال يا صاحبي: إن تحديث عبارة: «من بين إخوتهم From among their brothern» تصبح: «من بين شعبة الخاص به From among their own people» نفهم ونقبل أن يكون تحديث كلمة brothern هو brothers. هل تحديث كلمة brothern هو «own people» أم أنه هو brothers؟ ليس هذا تحديثًا للغة الإنجليزية بأي حال، ولكنه تحريف وتبديل للكلام الذي يزعمون أنه كلام الله، ولا يزال التحريف والتبديل مستمرًا.

وللتحقق من هذا التغيير والتبديل الذي لا يزالوان يمارسونه حتى اليوم يا صاحبي راجع الطبعة العربية للعهد القديم من الإنجيل، إنها لا تزال تقول «أقيم لهم نبيًّا من وسط إخوتهم» في النص [١٨: ١٨ من سفر التثنية] وراجع طبعة لم تستخدم اللغة الإنجليزية الحديثة لتجدها تقول ترجمة لذات النص المذكور:

«I will raise them up a prophet from among their brothern »

وراجع نفس النص [١٨: ١٨ من التثنية] الموجود على صفحة ١٨٩ طبعة كولينز لتجده هكذا:

« I will send them a prophet like you from among their own people »

إن تغيير عبارة Raise them up بعبارة send them غير مهم، ولا يحدث تغييرًا في المعنى، إنه شبيه بالفرق بين سأبعث وسأرسل.

ولكن تغيير تعبير From among their brothers إلى تعبير From among their own people تغيير هام وخطير في المعنى؛ إذ أنه يجعل النبي الذي تبشر نبوءة التوراة بقدومه بعد سيدنا موسى ﷺ من بني إسرائيل، بعد أن كان في العبارة الأصلية قبل التغيير والتبديل من بني إسماعيل!

قال صاحبي: هذا واضح لكل ذي عيان في خطأ بني إسرائيل فيما يتعلق بفهم وتأويل النص الوارد في الجملة الثامنة عشر من الأصحاح الثامن عشر من سفر

التثنية بالتوراة أو العهد القديم، هل أصاب النصارى أم أخطأوا فهم هـذا الـنص؟ وماذا يثبت خطأهم لو كانوا قد أخطأوا فهم هذا النص وتأويله؟

قلتُ: إذ يفهم النصارى أن النص المشار إليه بشارة توراتية علـى لـسان سـيدنا موسى عليه السلام تبشر بمجيء المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، فإن خطأهم أظهر مـن خطـأ بني إسرائيل لأسباب قوية أهمها ما يلي:

أولاً: يقول النص المشار إليه أول ما يقول: «أقيم لهم نبيًّا» وإذ يزعم النـصارى أن هذا النص بشارة بمجيء المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، فـإنهم يقعـون في تنـاقض داخلي غاية في الوضوح، إنهم يزعمون ويتشبثون أن عيسى ابن مريم عليه السلام إله ابـن إله بزعمهم، والنص المشار إليه يقول: «سأقيم لهم نبيًّا» فليقولوا للعالم أولا قبـل أن يعتبروا هذا النص بشارة بمجيء المسيح عليه السلام، فليقولوا للعالم أولا وقبل كل شيء، ما إذا كانوا يعتـبرون المـسيح عليه السلام نبيًّـا رسـولاً، أم يعتبرونـه إلهًـا ابـن إلـه؟ إنهـم لا يستطيعون أن ينكروا أنهم يعتبرون المسيح إلهًا ابن إله، وإلا انهارت المسيحية فـوق عنادهم.

من الواضح يا صاحبي أنه يستحيل عليهم أن يزعموا بحق، وإن كـانوا بالفعـل يزعمون بالباطل أن النص المشار إليه بشارة بمجـيء المـسيح عليه السلام، يقولـون: ألم تقـل التوراة بسفر التثنية ١٨: ١٨ أنه سيجيء؟ لقد جاء المسيح آمنـوا. ولم يلحظـوا أنهـم يتعين عليهم أولاً أن يؤمنوا هم أنفسهم أن المسيح نبي رسول مـن رسـل الله عليهم السلام قبل أن نفحص معهم بقية القـرائن الموجـودة بـالنص الـذي يحـاولون أن يعتـبرون بشارة بالمسيح عليه السلام، وتدل كل القـرائن الموجـودة بـالنص، علـى أنـه لـيس بـشارة بالمسيح عليه السلام، ولكنه في حقيقة الأمر، وبموجب أدلة صـحيحة، بـشارة بمجـيء خـاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم رسول الإسلام الكريم، العظيم، الصادق، الأمين، عليـه أفضل الصلاة وأتم السلام.

ثانيًا: لقد سبق يا صاحبي أن شرحنا تعبير«من وسط إخـوتهم» وأوضـحنا أنـه يدل دلالة قاطعة على أن النبي الذي يبشر بمجيئه النص المشار إليه، إنما سيكون من بني إسماعيل، وليس من بني إسرائيل، ولو كانت البشارة تتعلق بنبي سيأتي من بـني

إسرائيل لتعين أن يقول الله ﷻ لسيدنا موسى عليه السلام: «أقيم لهم نبيًا من وسطهم» وهو ما لم يحدث بموجب التوراة الموجودة بأيديهم اليوم؛ إذ أن نص البشارة الوارد بها يقول: «أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم» وهذا يدل دلالة قاطعة على أن البشارة بنبي سيأتي بعد سيدنا موسى عليه السلام، لا تتعلق بسيدنا عيسى الذي كان يهوديًا من بني إسرائيل، لم يأت ليهدم الناموس أي التوراة، وإنما جاء ليتممه، وتتمة الناموس سلامة تطبيق شرائعه التي كان بنو إسرائيل قد أساءوا تطبيقها.

ثالثًا: يقول النص المشار إليه: «أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك» ولأسباب عديدة، ليس سيدنا عيسى عليه السلام مثل سيدنا موسى عليه السلام، ولكن سيدنا محمد بن عبد الله ولأسباب عديدة، يعتبر مثل سيدنا موسى عليه السلام:

(أ) ولد سيدنا موسى عليه السلام لأب وأم، وولد سيدنا محمد ﷺ لأب وأم، وفي ذلك يتحقق التماثل بين سيدنا موسى عليه السلام وسيدنا محمد ﷺ، ولا يتحقق التماثل بين سيدنا موسى عليه السلام وسيدنا عيسى عليه السلام؛ إذ أن سيدنا عيسى عليه السلام ولد لأم من غير أب، كمعجزة من المعجزات حقَّقها الله بقدرته، لتكون دليلاً على صدق نبوته ورسالته.

(ب) أوتي سيدنا موسى عليه السلام شريعة إلهية، وأوتي سيدنا محمد ﷺ شريعة إلهية، وفي ذلك يتماثل سيدنا موسى عليه السلام وسيدنا محمد ﷺ، حيث إن كلاً منهما تلقى من ربه شريعة إلهية كانت شريعة سيدنا موسى عليه السلام خاصة ببني إسرائيل، وجاءت شريعة سيدنا محمد ﷺ عامة للبشر جميعًا، ولم يؤت سيدنا عيسى عليه السلام شريعة خاصة، بل اعتمد شريعة سيدنا موسى، وكان سيدنا عيسى عليه السلام يقرأ التوراة ويفسرها لبني إسرائيل تفسيرًا صحيحًا، وأعلن عليه السلام صراحة أنه لم يأت لينقض الناموس، بل جاء ليتممه.

(جـ) ترتب علي مجيء كل من سيدنا موسى عليه السلام وسيدنا محمد عليه السلام بشريعة إلهية، أن صار لكل منهما الحكم بسلطان الشريعة الإلهية بين أتباعهم، كانت لكل منهما سلطة الملك الحاكم النافذ الحكم بين أفراد رعيته، وكانت لكل منهما سلطة توقيع العقوبات على المخالف لأحكام الشريعة الإلهية لدى كل منهما، وكان لدى

أتباع كل منهما الإيمان الكافي لمناصرة كل منهما لفرض أحكام الشريعة على المخالفين طواعية أو رغم أنوف المخالفين لأحكام الشريعة، ويتماثل سيدنا محمد ﷺ مع سيدنا موسى عليه السلام أيضًا على هذا الأساس، وليس سيدنا عيسي عليه السلام مثل سيدنا موسى عليه السلام فيما يتعلق بهذا الاعتبار أيضًا.

ولا لزوم يا صاحبي للاستطراد أكثر من ذلك في بيان أوجه مماثلة سيدنا محمد ﷺ لسيدنا موسى عليه السلام وعدم مماثلة سيدنا عيسى عليه السلام لسيدنا موسى عليه السلام، وإذ يقول الله لسيدنا موسى: «أقيم لهم نبيًّا من وسط إخوتهم مثلك» يكون نبي الله المعنى بهذه البشارة هو نبي الإسلام محمد ﷺ، وليس المقصود بها هو عيسى ابن مريم عليه السلام كما يدعي النصارى.

رابعًا: وتقول البشارة التوراتية بمجيئ نبي بعد سيدنا موسى عليه السلام، تقول البشارة: «أقيم لهم نبيًّا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه».

إن تعبير: «وأجعل كلامي في فمه» تعبير واضح الدلالة في الإشارة إلى سيدنا محمد النبي الأمي ﷺ، من المعروف أن سيدنا موسى عليه السلام قد استلم الألواح مكتوبة، ونرجح أن سيدنا موسى عليه السلام كان يجيد القراءة والكتابة، ومن غير المتاح لنا أن نعرف كيف تلقى سيدنا عيسى عليه السلام الإنجيل لعدم وجود الإنجيل الأصلي الذي أنزله الله على سيدنا عيسى عليه السلام، ولانعدام ذكر كيفية نزول الوحي الإلهي على المسيح عليه السلام، سواء بواسطة المسيح نفسه أو بواسطة أي من اتباعه وحوارييه.

أما الوحي الإلهي المحمدي فقد حفظ الله كلامه في القرآن الكريم ولا يزال بفضل الله موجودًا رحمةً ونورًا وهدى للعالمين.

وقد وصف خاتم الأنبياء والمرسلين بنفسه كيفية نزول الوحي الإلهي إليه، ولقد وصف أتباعه المقربون كيفية نزول الوحي الإلهي عليه ﷺ من حيث الأعراض الظاهرية المصاحبة لذلك، ولقد سبق أن أوضحنا عدم حاجة خاتم الأنبياء والمرسلين لمعرفة الكتابة والقراءة كما تواضع عليهما البشر حروفا تتكون منها الكلمات المكتوبة لتكون من ثم مقروءة، إن الله ﷻ قد وضع كلامه في فمه ﷺ دون حاجة إلى معرفة بالقراءة والكتابة، كما تواضع عليهما البشر، ووضع كلام الله ﷻ

في فم النبي الذي بشَّرت به توراة موسى عليه السلام في النص المشار إليه، يشير إشارة مؤكدة الدلالة على أن النبي المقصود بها هو محمد ﷺ، وينطبق تمام الانطباق على كيفية نزول الوحي المحمدي إلى محمد ﷺ.

خامسًا: وتقول البشارة التورانية بمجئ نبي بعد سيدنا موسى عليه السلام، تقول: «أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به».

[تث ١٨: ١٨]

يأالله! ألم يكن الله تبارك وتعالى قد كلَّم الأنبياء عليهم السلام بما فيهم سيدنا موسى عليه السلام بكل ما يريد تبارك وتعالى أن يوصي به؟

من الواضح يا صاحبي أن الله تبارك وتعالى لم يكن قد كلم الأنبياء بما فيهم سيدنا موسى عليه السلام بكل ما يريد أن يوصي به، ولو كان الله تبارك وتعالى قد كلمهم بكل ما يريد أن يوصي به لما كانت ثمة حاجة تبقى لدى الناس، حتى يعدهم الله تبارك وتعالى في صميم نصوص التوراة بمجئ نبي بعد سيدنا موسى، يضع تبارك وتعالى كلامه في فمه، فيكلمهم ذلك النبي بكل ما يوصيه الله تبارك وتعالى به، إن هذا النص التوراتي الواضح الدلالات، يدل على أن شريعة سيدنا موسى عليه السلام لم تكن هي الشريعة الخاتمة، ولم تكن للناس كافة، بل كانت شريعة لبني إسرائيل خاصة.

ويتفق هذا الاعتبار تمام الاتفاق مع مبادئ العقيدة الإسلامية التي تعتبر أن رسالات الأنبياء المرسلين السابقين للإسلام كما أنزلها الله إليهم، كانت رسالات إلهية صحيحة صادقة تدعوا كلها إلى الإيمان بالله الواحد القهار، وتنزه الله تبارك وتعالى عن الشرك ومماثلة الأغيار، داعية كلها إلى وجوب طاعة الله استعدادًا للحساب يوم الحساب عندما يبعث الناس ليوم الحساب، وكان كل رسول من رسل الله عليهم السلام يؤدي هذه الرسالة بذاتها بكل صدق وأمانة إلى قومه، ولم تكن البشرية قد ارتقت مداركها بعد لتكون مهيأة لتلقي الرسالة الخاتمة، رسالة الإسلام، دين الشريعة الإسلامية والعقيدة الإسلامية، التي شاءت إرادة الله العليم الحكيم أن تكون في مجال الشريعة والعقيدة غاية الكمال والتمام.

نعم يا صاحبي، لم تكن وسائل الانتقال والاتصال بين البشر على سبيل المثال قد اكتملت إلى أي مدى بالنظر إلى نِطاق التحركات الممكنة للبشر فوق سطح

الأرض، كانت قدرة قوم سيدنا نوح أو قوم سيدنا صالح تستطيع لتحرك والانطلاق؟ كان أهل ثمود، وهم قوم سيدنا صالح عليه السلام على سبيل المثال يعيشون في واد صخري، وتستطيع أن تتخيل ضآلة قدرتهم على الحركة والانتقال إلى أماكن أخرى من العالم، واللغة، لغة البشر يا صاحبي، ترجمان الفكر، ووسيلة التفاهم، والقنطرة اللازمة للانتقال من محاولة الإقناع إلى حصول الاقتناع، لقد كانت إمكانات تعلم البشر لغة أخرى غير لغتهم الأم إمكانات معدومة أو شبه معدومة.

ولهذه الاسباب كان يتعين على البشرية يا صاحبي أن تنتظر حتى تتوافر إمكانات تحقق سهولة التفاهم بين البشر، وكانت رسالات السماء إلى المرسلين من الأنبياء قبل الإسلام لا تكلفهم المستحيل، ولا تطلب من أي منهم أن يبلغ رسالة ربه إلى كل الأنام، وهو ما شهدناه في خصوصيته رسالة كل رسول من رسل الله قبل الإسلام إلى قوم من الأقوام، وعندما جاء الإسلام وضع الله سبحانه كلامه، وهو القرآن الكريم في فم خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ ليكلم الناس كافة بكل ما يوصيه به، ليكمل ﷻ للناس دينهم ويتم عليهم نعمته؛ إذ جعل لهم الإسلام دينًا.

قال صاحبي: قام الدليل الواضح، بما لا يدع مجالاً لأي ريب، على أنه يوجد بالعهد القديم أو التوراة نصوص تتنبأ بمجيء سيدنا محمد ﷺ، ولا جدوى على وجه الإطلاق من إنكار أصحاب التوراة لهذه الحقيقة الثابتة؛ إذ أن نصوص التوراة تدحض إنكارهم الحقيقة، وتثبت رغم أنوفهم صدق القرآن الكريم عندما يؤكد القرآن الكريم أن اليهود والنصارى يجدونه، النبي الأمي محمدًا ﷺ في التوراة والإنجيل مصداقًا لقول الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: ١٥٧]

وعندما يسأل اليهود بهذا الشأن يقولون: كلا لم يرد شيء يبشر بمجيء رسول الإسلام محمد ﷺ بالتوراة، ها هي ذي التوراة، ليس فيها شيء من ذلك، ولقد

أثبت وجود نص قاطع الدلالة على أنهم يجدونه ﷺ مكتوبًا عندهم في التوراة، فأثبت على كل مَن يقف موقفهم الكفر والغفلة في آن واحد، ماذا عن بشارة الإنجيل بمجيء سيدنا محمد ﷺ؟

قلتُ: النصارى -أولاً وقبل كل شيء- يعتبرون التوراة كتابًا مقدسا لديهم، أخذوه بحالته الموجودة بأيدي اليهود، وأطلقوا عليه اسمًا آخر هو «العهد القديم. يتمسك اليهود بأن ما أنزله الله على سيدنا موسى عليه السلام اسمه التوراة، ويطيب للنصارى أن يطلقوا عليه اسم العهد القديم، وكأن المسألة مسألة تغيير الاسم، ولقد ظل النصارى سنوات عديدة يعتمدون على التوراة وحدها ككتاب مقدس.

ويحكي كتاب أعمال الرسل وهو أحد كتب الإنجيل أو العهد الجديد المعتمدة لدى النصارى: كيف هاج اليهود واعترضوا على القديس بولس عندما عاد إلى أورشليم، واتهموه وهو اليهودي بنظرهم، وباعترافه بين أيديهم بأنه يهودي فريسي من غلاة اليهود في تطبيق شريعة موسى، اتهموه بأنه يخرب الناموس وينقض الشريعة بدعوته الناس إلى عدم الختان، والختان من دعائم الشريعة، وأحد مقومات العهد الذي عاهد الله بني إسرائيل عليه منذ عهد سيدنا إبراهيم عليه السلام، وطالب اليهود الحاكم الروماني بتسليمه لهم ليفتكوا به، فاحتكم القديس بولس إلى إمبراطور الرومان، واضطر الحاكم الروماني إلى إرساله إلى روما ليرى فيه إمبراطور الرومان الوثني رأيه.

خلاصة القول هي أن التوراة مقدسة لدى النصارى، بل إنها هي الكتاب المقدس الأول لديهم، أخذها النصارى بحالتها الموجودة بأيدي اليهود على علاتها، ولا ريب عندي أن اليهود يضحكون في أكمامهم من استعارة النصارى لكتاب اليهود المقدس عندهم ليقدسوه هم أيضًا، ريثما يتوالى ظهور أناجيل العهد الجديد بعد عشرات السنين من انتهاء شأن المسيح عليه السلام مع قومه من بني إسرائيل.

ومن المعروف المتفق عليه أن الإنجيل الإفسسي، إنجيل يوحنا، الإنجيل الرابع، الذي أنشأه ذلك اليوناني المدعو يوحنا باللغة اليونانية المشوبة بنكهة فلسفية، وهي لغة لم تكن لغة يوحنا بن زبدي -حواري المسيح- الأصلية، لم يظهر هذا الإنجيل

الإفسسي الرابع المعروف باسم إنجيل يوحنا، إلا بعد مائة سنة من انتهاء شأن المسيح مع قومه باتفاق معظم الدارسين المحققين.

وخلاصة القول أيضًا يا صاحبي هي أن النصارى الذين قبلوا التوراة باعتبار أنها كتاب مقدس لديهم، هم أيضًا منذ عهد المسيح عليه السلام إلى اليوم يلزمهم الالتزام بما تقضي به نصوص التوراة فيما يتعلق بالعقائد على الأقل، لو افترضنا إمكانية نسخ شريعة لاحقة لشريعة سابقة، وهو ما ينكره النصارى، ولكن النصارى يلزمهم من ناحية العقيدة على الأقل الرضوخ لما ورد في التوراة، وإلا فما هو معنى قبولهم بها بحالتها الموجودة بين أيدي اليهود؟ وما هو معنى تقديسهم لها؟

والنص المشار إليه آنفا في [١٨ – ١٨ من سفر التثنية] بالتوراة يلزم النصارى الحجة على البشارة بمجيء محمد ﷺ نبيًا يُكمِل للناس دينهم، ويتم عليهم نعمة الله عليهم، بأن يكون الإسلام للناس دينًا كما ألزم النص ذاته اليهود بذلك.

ويضاف إلى ذلك يا صاحبي أنه قد وردت بالعهد الجديد نصوص تبشر بمجيء سيدنا محمد أيضًا، منها النصوص التالية:

تقول رسالة يوحنا الأولى: «لا تصدقوا كل روح، بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله؛ لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم، بهذا تعرفون روح الله، كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو من الله» [١ يو ٤: ٢-٣]

ولو ضربنا صفحًا عن أن يوحنا يطلق على المسيح اسم يسوغ بدلاً من عيسي، حيث إن تغيير حروف أسماء الأعلام بين لغة وأخرى كان معروفا ومألوفا: عيسي بالعربية هو يسوع باليونانية، أو عند تعريب اليونانية، وهو جيزوس بالإنجليزية والفرنسية.

لو ضربنا صفحًا عن أن يوحنا يطلق على المسيح إسم يسوع بدلاً من عيسي، لوجدنا أن يوحنا في هذا النص الذي اقتبسناه قد وضع معيارًا لصدق النبوات الصادقة، يميزها عن النبوات المدعاة الكاذبة، والمعيار أو المقياس الذي وضعه يوحنا في النص المشار إليه، مؤداه هو أن كل روح يعترف بيسوع المسيح أنه قد جاء في الجسد فهو من الله، ولو اختبرنا الدعوة المحمدية بهذا المعيار، يتضح لنا صدقها

وصدق نبوة صاحبها تمام الوضوح، أفلا يقول نبي الإسلام مؤيدًا بوحي ربه في أكثر من موضع بالقرآن الكريم: إن عيسى ابن مريم هو المسيح عليه السلام؟ في صميم نصوص القرآن الكريم، في أكثر من موضع نجد تأكيد هذه الحقيقة الهامة التي جعلها يوحنا دليلاً على صدق النبوة، إن وصف عيسى ابن مريم بأنه المسيح قد تكرر ذكره في القرآن الكريم منذ مولد عيسى عليه السلام بطريقة إعجازية حتى نهاية شأنه مع قومه من بني إسرائيل، وتأكيدًا لذلك يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [آل عمران: ٤٥-٤٦]

وهكذا، بدءًا من بشارة الملائكة لمريم العذراء، يؤكد القرآن الكريم أن عيسى ابن مريم هو المسيح، وينسب إليه معجزات كبرى، تدل على صدق نبوته وصدق رسالته، معجزات حققها الله بقدرته تبارك وتعالى له قبل[1] وعند مولده لم تتحقق لنبي قبله، ووصفه القرآن الكريم بالوجاهة التي تتنافى مع نقائض البشر، وأنّى لمَن يوصم بنقيصه من نقائص البشر أن يكون وجيهًا في الدنيا أو في الأخرة؟ ووصفه القرآن الكريم بأنه من الصالحين، هكذا يصرح القرآن الكريم الذي أوحاه الله إلى خاتم الأنبياء والمرسلين بتحقق معجزات كبرى للمسيح عيسى ابن مريم، بينما تجعل الأناجيل أول معجزاته عليه السلام هي تحويله الخمر إلى ماء بعرس في قانا الجليل، بل إن القرآن الكريم يتحدث عن عيسى ابن مريم عليه السلام لا باسمه، ولكن بصفته باعتبار أنه المسيح في كثير من المواضع مثل قوله الله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة:٧٢]

وهكذا، يا صاحبي، بينما أنكر معظم بني إسرائيل أن عيسى ابن مريم عليه السلام ليس هو المسيح، وأنكروا نبوته وألوهيته على حد سواء، بل ورموه ورموا أمه مريم العذراء بكل النقائص، وحاولوا قتله صلبًا، بينما كان ذلك هو موقف معظم بني

---

(١) كان مولد سيدنا يحيى عليه السلام (يوحنا المعمدان) بعد أن كان سيدنا زكريا عليه السلام قد بلغ من العمر عتيًا، وكان مولد مريم ابنة عمران إرهاصًا بمعجزة مولد المسيح دون أب كمألوف ميلاد البشر.

إسرائيل من سيدنا عيسى ابـن مـريم عليه السلام، نجـد أن نـبي الإسـلام عليه السلام مـن خـلال القرآن الكريم يصرح أنه المسيح عليه السلام، ويصفه بخـير أوصـاف الاحـترام والتكـريم، التي يمكن أن يوصف بها نبي صادق في تبليغ رسالة رب العـالمين العظـيم إلى قومـه الذين كلفه الله تعالى بتبليغ رسالته إليهم، فبلَّغ الرسالة وأدى الأمانة، وكـان وجيهًـا في الدنيا والآخرة ومن المقربين.

وجدير بالذكر يا صاحبي أن محمدًا بن عبد الله، النبي الأمي ﷺ لم يكن قد شهد البشارة بولد المسيح عليه السلام، ولم يكن قد شهد بنفسه مولده، ولا شهد معجزتي مولده من غير أب مع قدرته على الكلام في المهد، ولا شهد الـنبي الأمـي ﷺ مـا إذا كـان المسيح عيسى ابن مريم قد مسح كنبي من أنبياء بـني إسـرائيل أم لم يمـسح، ولكنـه الوحي الإلهي الـصادق، ولكنـه القـرآن الكـريم، أوحـاه الله تعالى إلى خـاتم الأنبيـاء والمرسلين فأنبأه الله تعالى بكل تلك الأنباء الصادقة، والله خير الشاهدين.

وهكذا يا صاحبي لو طبقنـا ذلـك المعيـار أو المقيـاس الـذي وضـعه يوحنـا في رسالته الأولى بالموضع المشار إليه، لأثبت ذلك المقياس أو المعيار صدق نبـوة خـاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ.

ولقد ورد بإنجيل يوحنا يا صاحبي الـنص الآتـي: «إن كنـتم تحبـونني فـاحفظوا وصاياي، أنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيًا آخر ليمكـث معكـم إلى الأبـد، روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله؛ لأنه يراه ولا يعرفه أما أنـتم فتعرفونـه؛ لأنـه معكم ويكون فيكم» [يوحنا ١٤: ١٥-١٨]

مَن هو المعزي الآخر، روح الحق الذي يمكث معهم إلى الأبد؟ إنه خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، والقرآن الكريم خالد بعده إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها باعتبار أن القرآن الكريم هو آخر صور وحي الله إلى الناس.

ولقد جاء بإنجيل يوحنا أيضًا: «بهذا كلمتكم وأنا عندكم، وأما المعـزي الـروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي، فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم» [يوحنا ١٤: ٢٥-٢٦]

المعزي، الروح القدس، الذي أرسله الله مصرحًا باسم السيد المسيح عيسى ابن مريم، ومصرحًا بصفته، موضحًا رسالته، ومثبتًا لمعجزاته، ومكملاً للناس دينهم؛ إذ

أنه ﷺ قد علم البشرية كل شيء يتعلق بالعقيدة، ويتعلق بشريعة الله، كما ارتضاها الله للبشر.

وهكذا تنبأ العهد الجديد، كما كان قد تنبأ العهد القديم، بمجيء خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ يا صاحبي.

وهكذا يتضح ولا ريب صدق قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: ١٥٧]

ورغم وضوح دلالة هذه النصوص المؤكدة لتنبوء التوراة والإنجيل بمجيء الرسول النبي الأمي، الذي يجده اليهود والنصارى مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل، إلا أن خصوم الإسلام يسيئون تأويل هذه النصوص إساءة بالغة، وقد سبق أن أوضحنا بكل هدوء ووضوح أسباب فساد تفسيرهم وتأويلهم لها وفق أهوائهم، بل سبق أن أوضحنا استحالة صحة تفسيرهم لهذه النبوءات، بما يصرفها عن التنبوء بمجيء خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ في زعمهم.

وأبرز محاولاتهم في التضليل لصرف النبوءات التي أشرنا إليها عن سيدنا محمد وتحويلها إلى نبي لم يأت بعد حتى يومنا هذا، بزعم اليهود الذين لا يزالون ينتظرون مجيئه، هو قول اليهود: إن هذا النبي يلزم من وجهة نظرهم أن يكون مسيا. وللمسيح في نظر اليهود مفهوم، ولمسحه طقوس كهنوتية في عرفهم، يريدون أن يلزموا بها الله ﷻ، ليكون خاتم الأنبياء والمرسلين من بين ظهرانيهم بالضرورة، مراعاة من الله ﷻ بطقوس مسح اليهود للمسيح، وكأنما يلزم بالضرورة من وجهة نظر اليهود العقيمة، أن يلتزم الله سبحانه وتعالى في اختياره لخاتم الأنبياء والمرسلين بهذه الطقوس اليهودية المتعلقة بمسح المسيح ليكون مسيحًا.

وزيف هذا الادعاء اليهودي واضح غاية الوضوح؛ إذ تقضي البداهة أن البشر يلزم أن يتأدبوا، ولا يليق بالبشر، يهودًا وغير يهود، أن يفرضوا على الله ﷻ أية

طقوس كهنوتية، مما تواضع عليه البشر في ممارساتهم الدينية، كما أنه لا يجوز من ضرورة وتأدبًا أن يحد مطلق اختيار الله واصطفائه لَمن يشاء للرسالة والنبوة حدود أو قيود، يحاول البشر بغير حق فرضها على مطلق اختيار الله واصطفائه لرسله وأنبيائه، ومن المعروف أيضًا يا صاحبي أن اليهود كانوا يريدون أن يكون خاتم الأنبياء والمرسلين من بني إسرائيل، وليس من بني إسماعيل، وكأن اليهود يريدون أن يفرضوا رغبتهم هذه فرضًا على الله ﷻ، وهو ما لا يليق ولا يجوز بداهة.

ولقد حاول النصارى يا صاحبي أن يصرفوا نبوءات التوراة بمجيء محمد ﷺ خاتمًا للأنبياء والمرسلين عليهم السلام إلى المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، كما حاولوا تأويل النبوءات المتعلقة بهذا الشأن بالعهد الجديد، تأويلاً يحول دون دلالتها على مجيء محمد ﷺ، وتبلغ الجرأة على ذلك بالنصارى إلى حد قولهم: إنهم ليسوا ملزمين بتصديق ما يذكره القرآن الكريم، ويقرره بهذا الخصوص، وتبلغ بهم الجرأة حدًّا أبعد من ذلك؛ إذ يتهمون القرآن الكريم بالكذب فيما يدعو إليه القرآن الكريم بهذا الخصوص، ويشيرون إلى قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٦﴾ [الصف: ٦]

يقولون على سبيل المغالطة الساذجة الفجة أملاً في أن تجوز مغالطتهم على مَن لا دراية لهم من الناس، يقولون: هاكم الإنجيل بعهديه القديم والجديد، ليس فيه أحمد! وليس فيه محمد! وليس فيه محمودًا.

ولو تمكنوا كما يأملون -أمل إبليس في الجنة- أن يشككوا أحدًا من الناس في صدق ما ذكر الله في الآية الكريمة السادسة من سورة الصف، لنجحوا في التشكيك في كل ما يذكره القرآن الكريم، ولكن هيهات!

إن المسلم العادي الثقافة والقدرة على التفكير السليم يرد على هذه المحاولة الساذجة العقيمة بقوله: لقد أخبرنا القرآن الكريم ذاته أن اليهود والنصارى قد حرفوا كلام الله عن مواضعه، وحذفوا منه وأضافوا إليه في الكتب السماوية المنزلة من الله على سيدنا موسى وسيدنا عيسى عليهما السلام، وهذا الرد الفوري البديهي الذي

يرد به المسلم العادي الثقافة، والقدرة على التفكير السليم صحيح تمامًا، كما سنوضح فيما بعد.

بيد أن مغالطة أهل الكتاب في محاولتهم تحدي الإنسان المسلم بقولهم: هاك الإنجيل بعهديه القديم والجديد، وليس فيه اسم «أحمد» مغالطة مفضوحة لسبب آخر يتلخص في أن مغالطتهم مغالطة زائفة، ونستطيع يا صاحبي ها هنا أن نوضح السبب كما يلي.

فلنأخذ على سبيل المثال لا الحصر واحدة من نبوءات الإنجيل المبشرة بقدوم خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، ألا وهي تلك النبوءة التي تقول: «وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي، فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم» [إنجيل يوحنا ١٤ - ٢٦]

سبحان الله يا صاحبي، إنجيل يوحنا الذي أرادوا به إنشاء إنجيل تصرح بعض نصوصه بألوهية المسيح؛ إذ كان قد راعهم خلو الأناجيل الثلاثة السابقة له [متى ومرقص ولوقا] من وجود جملة واحدة بأي منها تصرح بألوهية المسيح، فأوعزوا إلى يوحنا بإنشاء إنجيل تصرح بعض الجمل به بألوهية المسيح، وعلى الرغم من أن يوحنا قد استعان بكثير من أقول المسيح الحقيقية وأدمجها في الإنجيل الرابع الذي أنشأه، إلا أنه لم يستطع أن يصرح صراحة بألوهية المسيح، حام حولها ولم يستطع ولوجها، وبدلاً من ذلك أفلتت منه بعض العبارات التي ذكرها على لسان المسيح، تنبئ وتبشر بمجيء خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ، ويكاد ينفرد إنجيل يوحنا بهذه الخاصية الفريدة، وياللعجب! طلبوا من يوحنا إنشاء إنجيل يصرح بألوهية المسيح، فأخفق يوحنا رغم إمداده بالمادة العلمية والتاريخية بغزارة في أن يصرح في إنجيله بألوهية المسيح، وصرح بدلاً من ذلك وتنبأ وبشر بقدوم ومجيء محمد ﷺ خاتمًا للأنبياء والمرسلين، ليكمل للناس دينهم عقيدة وشريعة، كما يتمثل ذلك في أقوال المسيح التي ذكرها يوحنا منسوبة إلى المسيح ؑ، والعهدة عليه في نسبتها إليه، كما هو حاصل في النص الذي اقتبسناه هاهنا. [يوحنا ١٤: ٢٦]

بأية لغة يا صاحبي كتب يوحنا إنجيله الإفسسي الفلسفي الرابع؟ دونما خوض في تفاصيل أدلة وقرائن يطول الخوض فيها، نسأل فحسب يا صاحبي عن اللغة التي

كتب يوحنا بها الإنجيل الرابع المنسوب إليه، سواء كان كاتب هذا الإنجيل هو يوحنا ابن زبدي، حواري المسيح المعروف، كما يحاول النصارى التشبث بهذا الوهم، رغم أن يوحنا بن زبدي حواري المسيح كان صياد سمك محدود الثقافة، وكان عاميًا على حد وصف القديس لوقا له في أعمال الرسل، ولم تكن اللغة اليونانية هي اللغة الأم الأصلية بالنسبة ليوحنا بن زبدي حواري المسيح، سواء كان كاتب هذا الإنجيل هو يوحنا بن زبدي حواري المسيح، أو يوحنا آخر يوناني الجنسية، يوناني الثقافة، متجر في الفلسفة، متمكن من اللغة اليونانية الفصحى الراقية ليقع عليه اختيار القوم لإنشاء إنجيل رابع تصرح واحدة من عباراته بألوهية المسيح، أم لم يكن، فإننا نسأل فحسب يا صاحبي: ما هي اللغة التي كتب بها يوحنا الإنجيل الرابع المنسوب إليه؟

لا جدال يا صاحبي في أن اللغة التي كتب بها يوحنا الإنجيل المنسوب إليه هي اللغة اليونانية القديمة.

كيف بالله يا صاحبي يريد النصارى أن يجدوا كلمة «أحمد» العربية الحروف: ألف مهموزة، وحاء، وميم، ودال، في إنجيل كتبه يوحنا محاولاً أن يومئ أو يصرح بألوهية المسيح في لغة يونانية بليغة بكل مقاييس بلاغة اللغة اليونانية؟ إنهم يكلفون الأشياء ضد طباعها.

ويطلبون ماء جذوة نار؛ لأن المجيء بجذوة نار في الماء قد أصبح سهل المنال في عصرنا الحديث، أما تحويل الماء نفسه إلى نار، فإنه لا يزال في حدود المستحيل، كيف يريد النصارى أن يجدوا اسم أحمد في إنجيل يوحنا مكتوب باللغة اليونانية الفصحى؟!

ومع كل سخف مطلبهم بسبب الاستحالة، وبسبب تعمدهم المغالطة والتشكيك فيما لا ينبغي الشك فيه، إلا أن الحقائق المتعلقة بشبهتهم السخيفة تلك لا تخدم غرضهم في المغالطة والتشكيك، ولنستحضر النص المشار إليه في أذهاننا، بل فلنضعه تحت إصبعنا وأمام أبصارنا، حيث إنه نص قصير يقول «وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي، فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم» [يوحنا ١٤: ٢٦]

هل كلمة «المعزي» ككلمة عربية موجودة أصل إنجيل يوحنا المكتوب باليونانية؟ كلا يا صاحبي! تقضي البداهة أن كلمة «المعزي» ككلمة عربية ليست موجودة في إنجيل يوحنا المكتوب باللغة اليونانية، وإنما يوجد ما يقابلها في اللغة اليونانية؛ لأن إنجيل يوحنا مكتوب أصلاً باللغة اليونانية، وقد تمت ترجمته إلى اللغة العربية ضمن لغات أخرى، سواء كانت الترجمة إلى اللغة العربية عن اليونانية مباشرة، أو عن لغات أخرى كالإنجليزية أو الفرنسية أو عن أكثر من لغة.

ما هي الكلمة اليونانية الأصلية التي ترجمت إلى كلمة «المعزي» العربية؟ إنها كلمة تنطق بالعربية كما يلي «الباراقليط» تعريبًا للكلمة الإنجليزية المصورة لنطق الكلمة اليونانية: «Parakleros» وهي الكلمة التي تمت ترجمتها إلى اللغة الإنجليزية بكلمة Comforter أي «المغزي» الذي يريح غيره من آلامه ومتاعبه النفسية التي ألمت به لسبب من الأسباب، وقد ترجمها، ترجم كلمة «باراقليط» اليونانية بعض الإنجليز بكلمة «Advocate» التي تعني المحامي الذي يدافع عن حقوق الغير ليستخلصها لهم، وهو المعنى الذي يعبر عنه القرآن الكريم أدق تعبير؛ إذ يقول الله ﷻ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨]

أوليس الرسول الذي يعز عليه أن يتعرض المؤمنون بالله المهتدون بهديه لأي عنت محاميا عن أولئك المؤمنين المهتدين إلى الصراط المستقيم؟

وهنالك احتمال أن تكون كلمة المعزي الواردة في النص المشار إليه ترجمة عربية للكلمة التي تنطق باليونانية نطقًا يشبه كثيرًا، ويغاير قليلاً كلمة باراقليط اليونانية، عندما تكون كلمة المعزي ترجمة لكلمة يونانية تصور حروف كلمة بيروقليطس Peroklytos نطقها في اليونانية، وهذه الكلمة اليونانية الأخرى تعني The Admired أي: الجدير بالإعجاب أو الجدير بالتمجيد والحمد The Florified، وهل بين البشر من هو أجدر بالتمجيد و«أحمد» عند الله وعند الناس من محمد» ﷺ؟!

وهكذا يا صاحبي يصدق بحق وجود كلمة «أحمد» في الإنجيل، لا بحروفها العربية؛ لأن هذا التصور بطبيعة الحال مستحيل، ولكن في معناها المتمثل فيما تعنيه

الكلمة اليونانية التي نطقها هو البيروقليط، ونطقها بالإنجليزية هـو[1] «Peroklytos» وقد حرَّفها بعض العرب أحيانًا إلى «الفرقليط» لشيوع إحلال الفاء بدل الباء علـى ألسنة الناس، وخصوصًا عندما يعتمد بعض الناس على ذاكرتهم في استعادة كلمـة ذات دلالة هامة.

ولقد ظن خصوم الإسلام أن المسلمين سيعجزون عن اكتشاف كلمة «أحمد» في الإنجيل، ولكنها موجودة كمعنى لكلمة «البيروقليط» المستخدمة في الأصل اليوناني للإنجيل، وهو ما كان يخفى عليهم، ولا يخطر ببالهم، ويظنون خطأ أنـه يـستحيل أن يخطر على بال أحد من البشر، وهكذا يا صـاحبي يـسقط تحـدي خـصوم الإسـلام لحقيقة من حقائق القرآن سقوطًا مدويًا، وأنّى ليوحنا أو غير يوحنا ممَن كتبوا كـثيرًا من أقوال المسيح بأناجيلهم ضمن صياغتهم البـشرية لهـذه الأناجيـل، أنّـى لهـم أن يعرفوا أن في أقوال المسيح الـتي أوردوهـا دون أن يفهمـوا كـل معانيهـا، في أقـوال المسيح ما يتضمن البشارة بمجيء محمد ﷺ، أحمد الناس وأجدر البشر بالحمد والثناء؟ وأنّى لهم أن يعرفوا أن سينزل الله القرآن الكريم على هـذا الـنبي الأمـي مـن أبنـاء سيدنا إسماعيل ليكشف كل شيء، ويعلم البشر كل شيء، ويذكر الناس بكـل مـا قاله المسيح عليه السلام لقومه، ويسجل على قومه كل ما قـالوه وصـنعوه بـشأنه، ويـبرئ المسيح عليه السلام من كل نا افتروه عليه حطًّا مـن شـأنه بغـير حـق، أو مبالغـة في تقـدير حقيقة بما يخرجه من إطار الرسل من البشر إلى إطار ألوهية لم يزعمهـا لنفسه، بـل زعمها له مَن بالغوا واحتالوا وناوروا؛ لكي يجعلوا منه إلهًا شبيهًا بآلهة الرومان التي كانت لها صورة البشر، لتقريب مفهوم العقيدة المسيحية إلى أصحاب العقائد الوثنية الرومانية، ولمآرب أخرى.

---

(١) جدير بالذكر أن نطق كلمة في لغتها الأصلية شيء آخر غير معناها، وهو شيء آخر غـير مقابلـها في لغة أخرى.

معيار مصداقية الكتب السماوية

قال صاحبي: لَكَمْ يطيب لي الآن أن أستعيد تلاوة الآية الكريمة السادسة من سورة الصف؛ إذ يقول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝﴾ [الصف: ٦] صدق الله العظيم.

واستطرد صاحبي ليقول: القرآن الكريم يعترف بالتوراة والإنجيل، ويقول أصحاب التوراة كما يقول أصحاب الإنجيل ما معناه: إن محمدًا يعترف بصحة التوراة وبصحة الإنجيل، هل تعرف أنت أيها الإنسان المسلم أكثر من محمد، وهل أنت أصدق من القرآن الكريم الذي يعترف بصحة التوراة وبصحة الإنجيل؟ فما رأيك؟ وكيف نعرف الآن، ونحن في أواخر القرن العشرين ما إذا كان كتابًا من الكتب السماوية السابق زمنيًّا للإسلام صحيح النسبية إلى الله ﷻ، أم أنه غير صحيح؟

قلتُ: أنت مولع يا صاحبي بتوجيه أكثر من سؤال في وقت واحد، مع أنني سبق أن أوضحت أنني أفضل سؤالاً واحدًا، كما أن أسئلتك يا صاحبي بالغة الذكاء يحتاج الواحد منها كتابًا يؤلف للرد عليه، ولقد طال بيننا الحوار يا صاحبي، أمَا لأسئلتك من نهاية؟ مَن تظنني؟ إن معارفي جد متواضعة.

قال صاحبي: الأسئلة تجمعها رابطة واحدة، وهي ليست بعيدة عن موضوعنا، ألم تر كيف قال باستر إستانلي شوبيرج كبير قساوسة السويد للعلاقة ديدات في واحدة من المناظرات التي جرت بينهما بمدينة استوكهولم يوم ٢٧/ ١٠/ ١٩٩١م، قال باستر إستانلي: هل أنت يا ديدات تعرف أكثر من محمد، إن محمدًا يعترف كما يعترف القرآن بصحة التوراة والإنجيل؟ السؤال ليس من اختراعي، ولكنه بالفعل سؤال لا يزال يطرح على المسلمين حتى يومنا هذا، والسؤال الثاني يتطلبه السؤال الأول؛ إذ أن كيفية التعرف عن الصحيح وتمييزه عن الكاذب من الكتب التي يزعم لها بعض الناس القداسة كغدو ضرورة لا مناص منها، وأنت رجل قرأتَ، ففهمتَ، فسُئلتَ.

قلتُ: هذا شرف لا أدعيه وتهمه لا أنفيها، ولكنني يا صاحبي أود أن يصل حوارنا هذا إلى نهاية، أعترف لك يا صاحبي أن طول الحوار قد أرهقني، وأنت يا صاحبي لا تكف عن إثارة الأسئلة، ويعجبني ما تتم عنه أسئلتك من ذكاء، رغم ما تكلفني الإجابة عليها من عناء، ويعجبني أيضًا أنها مرتبطة بمنهج ديدات في الدعوة إلى الإسلام دون مراء، ولكنني يا صاحبي أود أن أستريح من هذا الحوار الذي امتد بيننا واستطال، وأنت تصول فيه بأسئلتك وتحول دون رحمة بي أو شفقة.

قال صاحبي: لا محيص عن إكمال الحوار عملاً برأي شاعر العربية إذ يقول:

ولم أر في عيوب الناس عيبًا   كعجز القادرين على التمام

ومن الضروري أن توضح لي موقف الإسلام من الكتب المقدسة السابقة زمنيًا على ظهور الإسلام، وما هو المعيار أو المقياس الذي يمكن لنا أن نستخدمه للتأكد من صحة محتوى كتاب سماوي؟ وكيف يمكن تطبيق هذا المعيار أو المقياس مع التفضل بذكر أمثلة لهذا التطبيق؟

قلتُ: ياالحلاوة أسئلتك! من السهل أن تسأل عما تريد دون أن تأبه لما أصابني من جهد شديد، الله المستعان يا صاحبي، لقد قبلتُ الحوار معك، وأصبح من حقك أن يستكمل الحوار أبعاده، وأن يستوفي آماده، وأرجو من الله أن يحقق الفائدة منه، الله المستعان على ما تسألون.

القرآن الكريم يا صاحبي يعترف بصحة نزول الكتب السماوية على بعض الأنبياء المرسلين عليهم السلام قبل الإسلام كالتوراة والإنجيل، هذه حقيقة أبرز من أن يشار إليها، ولقد سبق أن ذكرنا نصوص الآيات القرآنية التي تثبت صحة هذه الحقيقة التي لا ينكرها مسلم واحد، بل إن الإيمان بالكتب السماوية وبالرسل السابقين للإسلام شرط من شروط الإسلام، وفقًا للعقيدة الإسلامية التي تفرض على المسلم أن يؤمن بالله ورسله وكتبه وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

ويقول الله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [البقرة: ١٣٦]

ولكن يا صاحبي أية توراة تلك التي يلزم أن نؤمن بها، وأي إنجيل ذلك الذي يلزم أن نؤمن به؟ يلزمنا أن نؤمن بالتوراة كما أنزلها الله على سيدنا موسى عليه السلام، ويعرفنا أن نؤمن بالإنجيل كما أنزله الله على سيدنا عيسى عليه السلام، ولا يلزم المسلم أن يؤمن بالتوراة والإنجيل بحالتهما الراهنة كما هما بأيدي اليهود والنصارى؛ لأن الله قد أنبأنا في القرآن الكريم أنهم قد حرفوا فيهما وبدلوا، وذلك في مثل قوله تبارك وتعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة: ٧٥]

قال صاحبي: يقولون أنهم لم يحرفوا ولم يبدلوا، ويسألون: مَن الذي حرَّف أو بدل؟ ومتى؟ وماذا حرَّف أو بدل؟ وأين؟ ويسألون أيضًا: لماذا نتهم بتحريف التوراة والإنجيل؟ ولماذا الافتراض بأن القرآن لم يلحق به تحريف أو تبديل؟

قلتُ: فلنبدأ بالشق الأخير من سؤالهم: لقد أنبأنا الله تبارك وتعالى أنه قد ائتمن أهل الكتاب على التوراة والإنجيل ليحافظوا على كل منهما، فلم يحفظوهما ولم يحافظوا عليهما، وأنهم قد اشتروا بآيات الله ثمنًا قليلاً، ولقد أنبأنا الله تبارك وتعالى أنه قد تعهد بنفسه بالمحافظة على القرآن الكريم، بحيث لا يلحقه تغيير ولا تبديل؛ إذ قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر:٩] توضح لنا هذه الآية الكريمة وتؤكد لنا أن الله تبارك وتعالى نفسه قد تكفل بالمحافظة على القرآن الكريم، وهذه يا صاحبي ميزة كبرى للقرآن الكريم.

قال صاحبي: ألم يتكفل الله تبارك وتعالى بالمحافظة على الكتب السماوية السابقة للقرآن الكريم؟ ولماذا؟

قلتُ: نسأل عن كل شيء يا صاحبي! لم يتكفل الله تبارك وتعالى بالمحافظة على الكتب السماوية السابقة زمنيًا للإسلام، ومرجعنا في ذلك هو القرآن الكريم نفسه، وقد رأيتُ كيف أكد الله لنا أنه يتولى بنفسه المحافظة على القرآن الكريم، وهو محقق وحاصل في الواقع الفعلى، وتأمل يا صاحبي علامات التوكيد المتعددة في الآية الكريمة، فيما يتعلق بمحافظة الله سبحانه وتعالى على القرآن الكريم: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ وتأمل بناء الفعل للمجهول فيما يتعلق باستحفاظ بني

إسرائيل على التوراة، وائتمان الله لهم بشأن الحفاظ عليها فلم يحفظوها، وذلك في مثل قوله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤]

انظر يا صاحبي كيف أن فعل «استحفظوا» مبني للمجهول في الآية الكريمة، مما يعني أن الله قد استحفظ بني إسرائيل على التوراة؛ أي أنه ﷻ قد أمرهم بالمحافظة عليها، أما القرآن الكريم، فإننا نجد له وضعًا متميزًا، إنه آخر الكتب السماوية المهيمن عليها، وهو معجزة المعجزات، وقد تكفل الله ﷻ نفسه بحفظه، وهو المتحقق الحاصل.

ولقد أردفت سؤالك هذا بسؤال آخر يا صاحبي، وقلتُ: ولماذا؟ تلك هي حكمة الله ومشيئته يا صاحبي، أنزل التوراة على سيدنا موسى عليه السلام إلى بني إسرائيل، وأمرهم بالمحافظة عليها كتجربة واختبار لهم، ونتيجة التجربة والاختبار معروفة، وأنزل الله ﷻ القرآن الكريم على سيدنا محمد ﷺ للناس كافة، وتعهد الله ﷻ بالمحافظة عليه بنفسه، حتى لا يلحق به تحريف أو تبديل، ونقصد بالتحريف والتبديل الإمكانية النظرية التي تصل بالتحريف والتبديل إلى جميع النسخ الموجودة بأيدي الناس من كتاب الله، أما إذا عمد بعض أشرار الناس إلى تحريف بعض كلام الله، وقاموا بطبعها في مصاحف طلعوا بها على الناس، فإننا نجد أن مئات الملايين من المصاحف الشريفة السليمة، وما تحفظه ذاكرة المسلمين من القرآن الكريم تدحض على الفور تزييف المزيفين، وهو الحاصل المتضمن لصدق الله العظيم فيما أخبرنا به عن حفظه ﷻ للقرآن الكريم، لقد أصبحت -والحمد لله- إمكانية تزييف وتحريف كلام الله بالنسبة للقرآن الكريم مستحيلة بالفعل، وذلك بعكس الحاصل في الواقع الفعلي بالنسبة للكتب السماوية السابقة للإسلام؛ إذ أن التحريف والتبديل واضح فيها، بل إن أصحابها يمارسونه بأنفسهم حتى اليوم تحت ستار تنقيح الكتاب المقدس، ويكتبون على غلافه بكل جسارة عبارة «الطبعة المنقحة من الإنجيل» وكأن كلام الله يجوز عليه التنقيح كالكتب من تأليف البشر!

ونعود يا صاحبي إلى السؤال الأصلي المتمثل في إنكار أهل الكتاب وقوع تحريف وتبديل في الكتب السماوية قبل الإسلام، لقد ذكرت لي يا صاحبي أنهم يقولون: مَن الذي حرَّف وبدَّل وغيَّر؟ قل لهم يا صاحبي: لا يهم مَن الذي حرف وبَدَّل وغَيَّر؟ وليس شرطًا يا صاحبي أن يكون الشخص الذي يخاطبك منكرًا التحريف والتبديل والتغيير هو الذي فعل ذلك، وعدم اقترافه شخصيًّا للإثم لا يحول بداهة دون إمكانية وقوع الإثم منذ عشرات أو مئات السنين، نحن لسنا بصدد القبض على جان تفوق جنايته أبشع الجنايات، ولا يهم كذلك زمان أو مكان وقوع جناية تحريف كلام الله عن مواضعه في الكتب السماوية السابقة في زمن معين أو مكان محدد على وجه الأرض.

وقبل أن تسألني: ما هو المهم إذن بهذا الصدد؟

أقول لك يا صاحبي: إن المهم هو بيان وقوع تحريف كلام الله عن مواضعه في الكتب السماوية السابقة على الإسلام من عدم وقوعه، والمهم أيضًا يا صاحبي هو العثور على أمثلة توضح بما لا يدع مجالاً للشك وقوع هذا التحريف، والمهم أيضًا يا صاحبي هو وجود مقياس أو معيار يوضح كيفية تمييز كلام اله الصحيح النسبة إلى الله من الكلام المنسوب زورًا إلى الله ﷻ.

ولما كان معيار ومقياس صحة الكلام المنسوب إلى الله هو وسيلتنا في التعرف على كلام الله الحق وتمييزه عن أي كلام منسوب إلى الله بغير حق، فمن الضروري يا صاحبي أن نجد هذا المعيار أو المقياس، وهو غير بعيد عنا، لقد أمدنا القرآن الكريم نفسه بهذا المعيار أو المقياس، وهو يتمثل في قول الله ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢]

ومعنى ذلك يا صاحبي أن كلام الله بحق لا يعقل أن نجد فيه اختلافًا أو تناقضًا، ولكن كلام البشر الذي يحاول أحد نسبته إلى الله ﷻ، لا يخلو من الاختلاف والتناقض.

قال صاحبي: على رسلك هنا، المسألة هامة للغاية؛ إذ تتعلق بالمقياس أو المعيار الذي نقيس عليه، لا بد أن يكون مضبوطًا لا اعتراض عليه.

قلتُ: وما وجه الاعتراض على المقياس أو المعيار الذي اقترحته؟

قال صاحبي: يقول خصوم الإسلام بأنهم لا يعترفون بالقرآن الكريم، كيف تأتي لهم بالمقياس أو بالمعيار من القرآن الكريم وتطلب منهم أن يوافقوا على استخدامه؟

قلتُ: اعتراضك هذا يستدعي أمثلة مثل: الكلام في كتاب مقدس، أي كتاب مقدس، حجة لِمَن؟ على مَن؟ وإلى أي مدى؟

ومن البديهي يا صاحبي أن كلام أي كتاب مقدس إنما هو حجة على أصحابه الذين يقدسونه، اللهم إلا إذا كانت الحجة فيه تعتمد على العقل والبداهة التي يمكن القبول بها بصرف النظر عن المصدر التي نبعت منه.

ولو افترضنا مجرد افتراض، أن لدى الهندوس مثلاً كتاب مقدس لديهم يقول: إن أكل لحوم الأبقار محرم شرعًا. فإن هذا النص ملزم للهندوس دون غيرهم، وإذا أكل هندوسي لحم البقر، يستطيع أي إنسان أن يعترض عليه، وتكون نتيجة الاعتراض أحد أمرين: إما أن يقر الهندوس بمخالفة نص من نصوص كتابه المقدس لخطأ وتقصير منه، وإما أن يعترف بعدم قدسية كتابه المقدس عنده، وإما أن يكف عن أكل لحم البقر امتثالاً لكتابه المقدس عنده، ولكن هذا أو ذاك غير ملزم لغير الهندوسي.

ولو افترضنا أن لدى الهندوسي في كتاب مقدس لديه نص يقول: يعطي البقر لبنًا، واللبن غذاء كامل. فإننا نجد أن هاتين الحقيقتين يمكن القبول بأي منهما بصرف النظر عن ورودهما في كتاب مقدس لدى الهندوس أو عدم ورودهما به.

ولقد سبق يا صاحبي أن استعرنا مقياسًا ومعيارًا لصدق أو كذب أنبياء الله ورسله من الإنجيل، وبالتحديد من رسالة يوحنا الأولى، متمثلاً في قول يوحنا: «لا تصدقوا كل روح، بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله؛ لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم بهذا تعرفون روح الله، كل روح يعترف بيسوع أنه قد جاء في الجسد فهو من الله» [١ يو ٤: ٢-٣] ولو أخذنا تعبير «جاء في الجسد» بمعناه العام وليس بأي معنى، شاء نجد أن هذا المعيار صالح تمامًا للقياس، ويمكن أن تكون

ضيعته كما يلي: أي نبي يدعي النبوة بعد سيدنا عيسى ﷺ نبوته كاذبه ما لم يعترف بأن المسيح هو عيسى ابن مريم رسول الله ﷺ، ولو طبقنا هذا المعيار أو المقياس لأثبت بما لا يدع مجالاً لأي شك صدق نبوة سيدنا محمد ﷺ؛ إذ أنه ﷺ يعترف أن المسيح هو عيسى ابن مريم ﷺ كما أسلفنا، ولا يعتبر المسلم مسلمًا ما لم يعترف بنبوة سيدنا عيسى ابن مريم، وبأنه كان هو المسيح ﷺ، وبأنه في حقيقة الأمر رسول من رسل الله ﷺ.

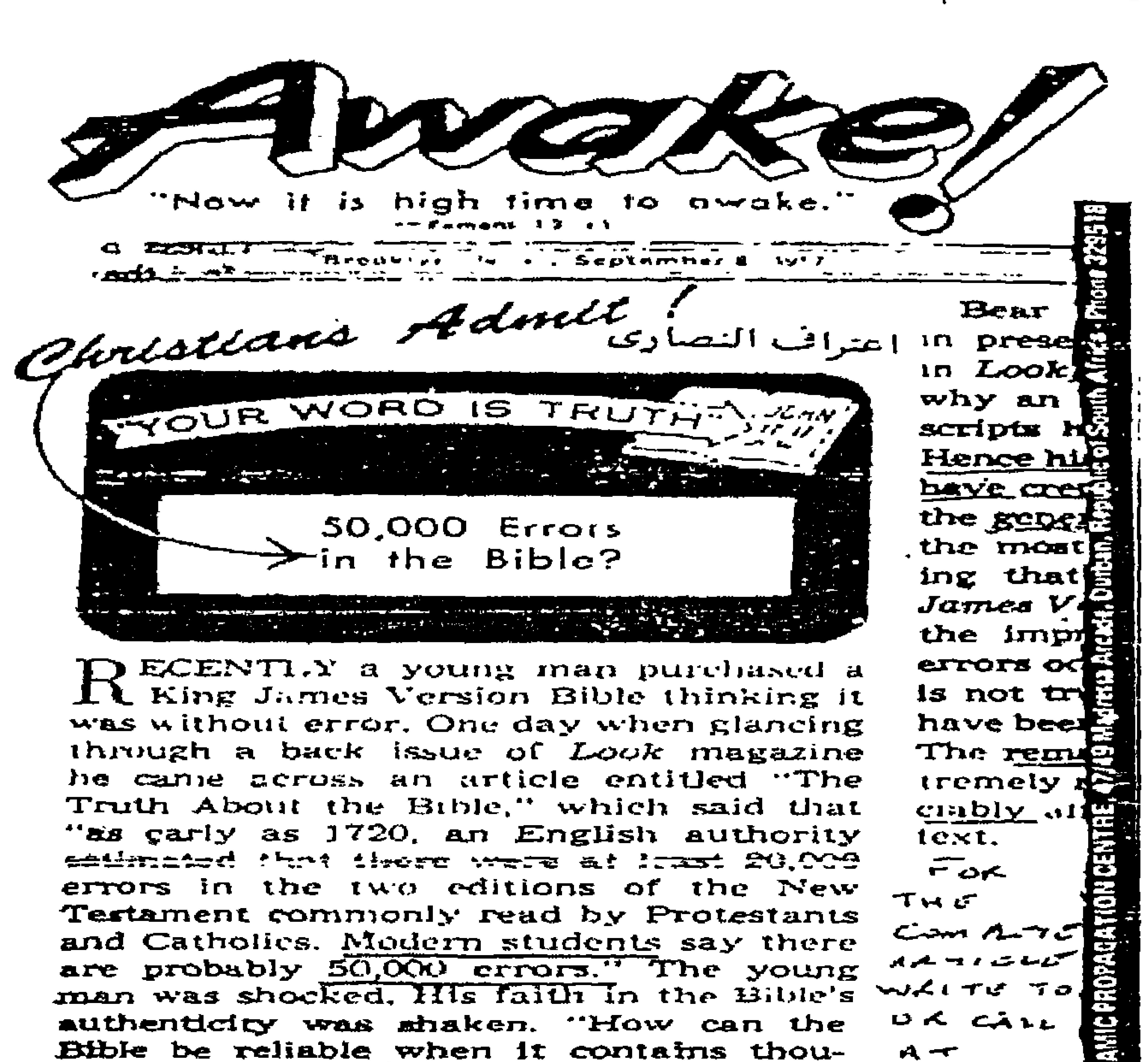
وهكذا يا صاحبي يمكن صياغة المقياس أو المعيار الذي اقترحه لقياس صحة نسبة كلام إلى الله، بأي كتاب مقدس كما يلي: أي كلام منسوب إلى الله ﷻ بحق يلزم ألا يكون به اختلاف أو تناقض، ووجود اختلاف أو تناقض يحول دون اعتبار هذا الكلام منسوبًا بحق إلى الله ﷻ، فما هو الاعتراض الذي يمكن أن يوجه إلى هذا المعيار أو المقياس يا صاحبي؟

قال صاحبي: يستحيل أن يكون ثمة اعتراض معقول على مثل هذا المعيار أو المقياس، ومَن يرفض البداهة لا حاجة بنا إلى الجدل بالتي هي أحسن معه، إننا نتركه ونمضي إلى حال سبيلنا لنطبق هذا المعيار أو المقياس على نصوص الكتب المقدسة لنرى ما نجده من نتائج القياس، فهات أمثلة لتطبيق القياس.

قلتُ: لو طبعنا هذا المقياس على الكتب المقدسة السابقة للإسلام بحالتها الراهنة، لوجدنا بها اختلافًا كثيرًا وتناقضات عديدة، ومن العجيب أن النصارى أنفسهم في غضون مراجع معتبرة لديهم كدائرة المعارف البريطانية مثلاً، يقررون وجود آلاف التناقضات بالإنجيل، وتصرح بهذه الحقيقة أيضًا كثير من المجلات الدينية لديهم؛ إذ كتب مجلة استيقظوا «Awake» تقول ما ترجمته كما يلي: «اشترى شاب نسخة من إنجيل الملك جيمس، معتقدًا أنها بدون أخطاء، وذات يوم بينما كان الشاب يتصفح مجلة لوك «Look» وجد مقالة بعنوان: «الحقيقة بشأن الإنجيل» ولقد جاء بذلك المقال أنه منذ عام ١٧٢٠م أعلنت الهيئات البريطانية أنه يوجد على الأقل عشرون ألف خطأ في الطبعتين الموجودتين بالأسواق آنذاك من الإنجيل الذي يقرأه البروتستانت والكاثوليك، ويقول الدارسون المحدثون أنه يحتمل وجود خمسين ألف خطأ».

انتهى كلام مجلة لوك الذي طالعة الشاب، وتستمر مجلة «استيقظوا» لتقول: «وصُدِمَ الشاب، لقد اهتز إيمانه بقداسة الإنجيل، وقال في نفسه: كيف يمكن الثقة بالإنجيل والاعتماد عليه، بينما هو يحول آلاف الأخطاء والمعلومات غير الصحيحة؟!

وها هي ذي يا صاحبي صورة ضوئية لما نشوته مجلة Awake الصادرة في الثامن من سبتمبر عام ألف وتسعمائه وسبعة وخمسين.



Awake!

"Now it is high time to awake."

September 8, 1957

Christians Admit! اعتراف النصارى

YOUR WORD IS TRUTH —JOHN 17:17

50,000 Errors in the Bible?

RECENTLY a young man purchased a King James Version Bible thinking it was without error. One day when glancing through a back issue of *Look* magazine he came across an article entitled "The Truth About the Bible," which said that "as early as 1720, an English authority estimated that there were at least 20,000 errors in the two editions of the New Testament commonly read by Protestants and Catholics. Modern students say there are probably 50,000 errors." The young man was shocked. His faith in the Bible's authenticity was shaken. "How can the Bible be reliable when it contains thousands of serious discrepancies and inaccuracies?" he asks.

Bear in prese in *Look* why an scripts h Hence hi have cre the gener the most ing that *James V* the impr errors oc is not tr have been The rem tremely ciably text.

FOR THE COMPLETE ARTICLE WRITE TO US OR CALL AT THE →

ISLAMIC PROPAGATION CENTRE, 47/49 Madressa Arcade, Durban, Republic of South Africa. Phone 329518

SEPTEMBER 8, 1957 AWAKE!

وغني عن البيان يا صاحبي أن زعماء المسيحية والمحترفين للوظائف الكنسية، يحاولون استعادة ثقة الناس بالكتاب المقدس أو الإنجيل The Bible بعهديه القديم وهو التوراة، والجديد وهو الإنجيل، أو الإناجيل أو بالأصح البشارات والمواعظ، ولكن وجود آلاف التناقضات والأخطاء بالعهد القديم والعهد الجديد، يجعل

جهودهم بغير طائل؛ إذ أن التناقضات موجودة وتستحيل إزالتها دون مغالطة أو سفسطة، ولا تجدي المغالطة والسفسطة في إزالة التناقضات، إنهم يحاولون، ويؤلفون الكتب التي يحاول مؤلفوها إزالة التناقض وتبرير الأخطاء الموجودة بالإنجيل، ولكن من البديهي يا صاحبي أن محاولة إزالة التناقض شيء، وإزالة التناقض فعلاً شيء آخر؛ لأن المحاولة شيء، ونجاح المحاولة شيء آخر، بالنسبة لكل شيء بما في ذلك محاولة النصارى إزالة التناقضات، وتبرير الأخطاء الموجودة بكثرة غريبة في الإنجيل، وتطلعنا كتب ومناظرات العلامة أحمد ديدات على هذه الحقيقة الهامة، وتوضحها لنا كتابة وبالصوت وبالصورة كل الإيضاح.

وتوجد على مكتبي الآن بعض الكتب التي حاول مؤلفوها ولم يوفقوا أن يزيلوا التناقضات أو أن يبرروا الأخطاء، ومنها على سبيل المثال لا الحصر كتاب: «أصالة الكتاب المقدس» تأليف الدكتور إدوارج يونج، ونقله إلى العربية القس إلياس مقار، وقامت بطبعه ونشره دار الثقافة وهو كتاب يقع في ثلاث مائة صفحة من القطع المتوسط، والنسخة الموجودة على مكتبي تحمل رقم مسلسل هو ١٠١٠٠٠١٢، وأدع للقارئ الكريم التأكد بنفسه مما إذا يستطيع أن يخرج من قراءة ذلك الكتاب بطائل من عدمه.

وتوجد على مكتبي أيضًا نسخة من كتاب «شبهات وهمية حول الكتاب المقدس» إعداد الدكتور القس منيس عبد النور، وقامت بطبعه ونشره كنيسة قصر الدوبارة، ٧ شارع الشيخ ريحان بجاردن سيتي بمصر، ورقم الإيداع الخاصة به هو ٣٦٥٣/ ١٩٩٢ – 5 – 00 – 5302 - I.S.B.N 977 والكتاب يقع في ٤٧٨ صفحة من القطع المتوسط، وميزة هذا الكتاب الكبرى أنه يقدم حصرًا بالأخطاء والتناقضات الموجودة بالإنجيل، ويحاول تبريرها أو إزالتها، وتقف في وجهه بطبيعة الحال حقيقة المحاولة شيء آخر.

ويستحيل بطبيعة الحال يا صاحبي أن تقدم حصرًا بآلاف الأخطاء والتناقضات الموجودة بالعهدين القديم والجديد أو التوراة والإنجيل بحالتهما الراهنة، وتوجد كتب أفردها مؤلفوها لهذا الغرض أشهرها كتاب إظهار الحق لمؤلفه رحمة الله خليل

الرحمن الهندي، وقد قامت بطبعه ونشره مكتبة الثقافة الدينية دون بذل أي جهد في محاولة تنقيمه؛ إذ أن مؤلفه من أصل هندي في لغته العربية شيء من الركاكة، وليت الناشر اهتم بتنقيح هذا الكتاب، والكتاب يقع ٧٢٤ صفحة من القطع المتوسط كما أن كتب ومناظرات العلامة أحمد ديدات تشير إلى أهم الأخطاء والتناقضات الموجودة بالتوراة والإنجيل مع إظهار أوجه التناقض بأسلوب واضح جديد، وبمنهج علمي جديد.

ولذلك نكتفي ها هنا يا صاحبي بعرض نماذج قليلة من الأخطاء والتناقضات الموجودة بالتوراة بحالتها الراهنة وبالإنجيل بحالته الراهنة،مع محاولة تقصي محاولات النصارى في لإزالة التناقض أو تبرير الخطأ توخيًا لأمانة العرض، وتمحيصًا للمحاولة، وللقارئ الكريم وحده أن يقرر صحة وجود الخطأ أو التناقض، وللقارئ الكريم وحده أن يقرر نجاح أو فشل محاولة تبرير الخطأ أو إزالة التناقض.

أولاً: فيما يتعلق بالتوراة أو العهد القديم، نجد على سبيل المثال لا الحصر أنه قد ورد بسفر التثنية ما يلي: «فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب، ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم، وكان موسى ابن مئه وعشرين سنة حين مات، ولم تكل عينه ولا ذهبت نضارته، فبكى بنو إسرائيل في حربات موآب ثلاثين يومًا، فكملت أيام مناحة موسى» [سفر التثنية ٣٤: ٥-٨]

أليس هذا النص من خصوص التوراة بسفر التثنية جميلاً يا صاحبي؟ وأبلغ آيات جماله من وجهة نظري أنه يثبت بما لا يدع مجالاً لشك صحة اتهام القرآن الكريم لبني إسرائيل، أنهم قد حرفوا وبدلوا في كلام الله ﷻ الذي أنزله بالتوراة، وأنهم استحفظوا عليها فلم يحفظوها واشتروا بآيات الله ثمناً قليلا، ومن ذلك قول الله ﷻ: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة: ٧٥]

إن القرآن الكريم يوجه إلى بني إسرائيل في الآية السابقة اتهامًا علنيًا بأنهم يحرفون كلام الله عن عمد وقصد منهم، وليس قصور منهم أو عدم دراية: يحرفونه

من بعد ما عقلوه وهم يعلمون، ولم يستطع بنو إسرائيل أن يحتجوا أو ينكروا هذه التهمة عند نزول مثل هذه الآيات القرآنية الكريمة، ولو لم يكن الاتهام صحيحًا لأنكروه، واحتجوا عليه وأثبتوا بطلانه في حياة رسول الله ﷺ، ولكنهم آنذاك كانوا يضعون وجهوهم في الأرض، ويلوذون بالصمت متذرعين بالعناد، وبأنهم بنو إسرائيل شعب الله المختار، لا يقبلون نبيًّا من غير بني إسرائيل، وكأن لسان حالهم يقول: لنبي كاذب من بني إسرائيل، خير من نبي صادق من بني إسماعيل».

ولكن أهل الكتاب في العصر الحديث قد استبد بهم العناد أكثر وأكثر، واستبد بهم الصلف أكثر وأكثر، وغرهم أن الناس في العصر الحديث لم يعودوا يعيرون أمور العقيدة والشريعة في الغالب الأعم الاهتمام اللائق بهما، فعمدوا إلى المغالطة الصارخة في محاولات عقيمة لإثبات أن التوراة بحالتها الراهنة كتاب سماوي مقدس، ليس فيه تحريف، وليس فيه تبديل للكلم عن مواضعه، ولم يعتوره حذف ولا نقصان، ولم تلحق به زيادة أو إضافة من كلام إنسان، وما يزعمه القرآن في مواضع كثيرة، إنما هو بنظرهم من لغو الكلام!

لم أورد هذا النص من التوراة يا صاحبي لمجرد الزراية على أصحابها، أو بهدف الحط من شأنها أو تجريح عقيدة مَن يقدسونها، ليس هذا هدفي على الإطلاق وليست تلك هي غايتي، هدفي وغايتي هو إثبات صحة قول القرآن في مواضع كثيرة أن بني إسرائيل قد غَيَّروا وبدَّلوا وحذفوا وأضافوا بالنسبة لكلام الله الذي أنزله الله على سيدنا موسى عليه السلام بالتوراة، ويطلع علينا أهل الكتاب في أيامنا الراهنة بأن هذا الذي يتهمهم به القرآن الكريم لم يحدث ويسألون عديد الأسئلة، وأهمها قولهم: ها هي ذي التوراة، أين بها الحذف أو الإضافة؟ ومن الصعب على الإنسان العادي أن يجيب سؤالهم هذا، ولكن الباحث المدقق يعرف ويستطيع أن يضع أصابعهم عليه، وإنهم ليعرفون صحة اتهام القرآن للتوراة بحالتها الراهنة، ولكنهم يظنون أن غيرهم لا يعرفون، ويحاولون استغلال عدم معرفة الغير.

النص الذي سبق أن اقتبسناه من سفر التثنية يا صاحبي يقول: «فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب ودفنه في الجواء في أرض

موآب مقابل بيت فغور، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم، وكان موسى ابن مائة وعشرين سنة حين مات ولم تكل عينه ولا ذهبت نضارته، فبكى بنو إسرائيل في عربات موآب ثلاثين يومًا، فكملت أيام بكاء مناحة موسى» [تث ٣٤: ٥-٨]

فلنطبق يا صاحبي المقياس أو المعيار الذي أمرنا به القرآن الكريم ذاته، متمثلاً في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] ويمكن صياغة هذا المقياس أو المعيار كما سبق أن أشرنا بقولنا: الكلام الذي يوجد به اختلاف وتناقض تستحيل نسبته إلى الله ﷻ.

ولو تأملنا النص السابق الذي اقتبسناه من [سفر التثنية ٣٤: ٥-٨] لوجدنا أنه من المفروض أن الكلام الذي اقتبسناه قد أنزله الله على سيدنا موسى ؛ لأنه قد ورد ضمن الأسفار الخمسة من التوراة التي يقولون إنها أسفار موسى، هل من المعقول أن يقول الله لسيدنا موسى: "فمات هناك موسى عبد الرب؟ المفروض أن سيدنا موسى هو المخاطب، والمفروض أن الله ﷻ هو المتكلم الذي ينزل الكلام إلى سيدنا موسى، ألا يعرف الله ﷻ أن موسى قد مات وهو يخاطبه وينزل إليه الوحي؟ وإذا لم يكن المخاطب هو سيدنا موسى، فمن هو على وجه التحديد؟ أم أن التحديد لا يهم؟ من الواضح يا صاحبي أن هذا الكلام في النص المشار إليه ليس كلام الله، وليس كلام سيدنا موسى ، إنه بالقطع كلام شخص ثالث أضافه إلي التوراة، ونسبه إلى الله ﷻ! أوليست التوراة هي كلام الله؟ أوليس من اللازم أن يكون الكلام المقدس في الكتاب المقدس هو كلام الله؟ وإذا لم يكن الكتاب المقدس يحوي كلام الله، فلماذا يكون الكتاب مقدسًا؟

إن تأمل النص المشار إليه يقطع بأن منشيء النص ليس هو الله ﷻ، ويستحيل أن يكون المخاطب بالنص هو سيدنا موسى، ويستحيل أن يكون الله ﷻ قد أنزل هذا النص على سيدنا موسى.

والنص على إيجازه يحفل بالتناقضات يا صاحبي؛ لأنه من صياغة البشر، وليس كلام الله ﷻ، يقول النص المشار إليه: «فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور» على

مَن يعود الضمير المتصل بالفعل الدال على الدفن ودفنه؟ هل يعود ضمير الفاعل على الله سبحانه تعالى؟ مَن الذي دفن سيدنا موسى عليه السلام في الجواء؟ هل دفنه الله؟ هل قام الله بعمل اللحاد الذي يدفن الموتى؟ أتعرف يا صاحبي ما يتطلبه دفن الميت. من، ومن، ومن؟ هل قام الله تعالى بنفسه بمتطلبات دفن سيدنا موسى عليه السلام؟ هل هذا القول يليق بجلال وعظمة الله؟ أم أن هذا القول فيه من التناقضات ما يحول دون نسبته إلى الله تعالى؟

ويقول النص المشار إليه يا صاحبي: «ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور» ثم يناقض الكلام نفسه؛ إذ يقول: ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم. أي يوم يا صاحبي؟ من الضروري أنه يوم كتابة الكاتب كلامه ذاك، كقول أحدنا: لم يكتشف أحد جثة القتيل إلى هذا اليوم؟ ويكون المقصود دون مراء هو أن أحدًا لم يكتشف جثة القتيل حتى يوم تحرير التقرير.

وإذا كان قبر سيدنا موسى بأرض موآب مقابل بيت فغور، فكيف يستحيل التعرف على مكان قبر سيدنا موسى وهو نبي بني إسرائيل، ولم يكن شخصًا من عامتهم؟ ويزداد الأمر غرابة وتناقضًا عندما يقول منشيء الكلام الذي اقتبسناه من التوراة، أن بني اسرائيل قد بكوا بذات المكان حول القبر طبعًا ثلاثين يومًا، أيبكي بنو إسرائيل بذات المكان بعربات موآب ثلاثين يومًا ثم ينسون مكان دفن سيدنا موسى؟ هل هذا معقول؟ يبكي الناس حول قبر الإنسان العادي يومًا واحدًا أو بعض يوم ولا ينبهم عليهم معرفة مكان دفن موتاهم، فما بال بني إسرائيل، وفقًا لما ذكره منشيء النص المذكور قد بكوا ثلاثين يمًا بعربات موآب، حيث دفن الله بزعمه سيدنا موسى ولم يعرفوا قبره إلى هذا اليوم، سواء كان ذلك اليوم هو يوم تحرير الكاتب لكلامه لكي يلحقه ويثبته ويضيفه إلى التوراة في الموضع المشار إليه ليظل قابعًا فيه، أو كان ذلك اليوم هو يومنا هذا الذي نكتب فيه هذه السطور؟!

وتقتضينا الأمانة العلمية ها هنا يا صاحبي ألا نشير إلى التناقضات الموجودة بواحد من نصوص التوراة، دون أن نشير إلى محاولات مَن يقدسونها بحالتها الراهنة لإزالة التناقضات الموجودة فيها، ومرجعنا في ذلك هو أحدث وأهم كتاب لهم ظهر

هذا العام عام ١٩٩٢م، وهو كتاب «شبهات وهمية حول الكتاب المقدس» وهو من إعداد الدكتور القس منيس عبد النور، ولو ضربنا صفحًا عن أن عنوان كتابه يصف الشبهات بأنها وهمية، فإننا نجده في محاولته إزالة تناقضات هذا النص الذي أشرنا إليه بسفر التثنية [٣٤: ٥ - ٨] يقول: قال المعترض: «قال آدم كلارك إن الأصحاح الأخير [يقصد الأصحاح الرابع والثلاثون كله] ليس من أقوال موسى؛ لأنه لا يمكن أن يذكر الإنسان خبر وفاته ودفنه، فآخر أقوال موسى هو أصحاح ٣٣»[1].

ونحمد الله يا صاحبي أن من علماء المسيحية رجال مثل آدم كلارك لاحظوا كما لاحظنا استحالة أن يكون الكلام الذي اقتبسناه من سفر التثنية من أقوال سيدنا موسى ﷺ، ولننظر الآن كيف سيحاول الدكتور القس منيس عبد النور، أن يزيل التناقض، بل التناقضات التي أشرنا إليها بخصوص هذا النص، سأعرض كلامه بكل أمانة حرفيًا كما دونه في كتابه، وسأضيف بين قوسين (....) بعض الملاحظات بخصوص محاولته إزالة التناقضات.

يقول القس الدكتور منيس عبد النور: وللرد نقول: الروح القدس الذي ألهم يشوع أن يكتب الكتاب التالي وهو سفر يشوع يلهمه طبعًا تدوين ختام سفر التثنية؛ ولذلك يكون تثنية ٣٤ هو الأصحاح الأول من سفر يشوع (ويستعين القس الدكتور منيس عبد النور بعلماء الدين اليهودي، حيث إن التوراة هي كتاب اليهود المقدس استعاره المسيحيون منهم على علاته لنجده يستطرد قائلاً): وقال أحد علماء الدين اليهود: قال أغلب المفسرين: إن عزرا هو الذي كتب الأصحاح الأخير من التثنية. وقال البعض الآخر: إن الذي كتبه هو يشوع. وقال البعض الآخر: إن السبعين شيخًا دونوا ذلك بعد وفاة موسى، فإن كتاب التثنية ينتهي في الأصل بهذه الآية: «طوباك يا إسرائيل، من مثلك يا شعبًا منصورًا بالرب.ترس عونك» وإن الأصحاح الأخير من سفر التثنية كان في الأصل الأصحاح الأول من سفر يشوع، ولكنه نقل من سفر يشوع وجعل في آخر سفر التثنية على سبيل الإتمام

---

(١) انظر «شبهات وهمية حول الكتاب المقدس» ص ١١١– ١١٢، إصدار كنيسة قصر الدوبارة.

(ولتكن لنا هنا وقفة تأمل وتحليل في محاولة مخلصة للتفهم والفهم والتفاهم يا صاحبي: أحد علماء اليهود الذي لم يتفضل القس الدكتور منيس عبد النور بذكر اسمه، رغم أنه ينسب إليه أخطر كلام بشأن كلام الله يقول: على سبيل الإتمام. إتمام ماذا؟ هل كان وحي الله إلى سيدنا موسى كما أورده سيدنا موسى بسفر التثنية ناقصا فأعاره يشوع بعض الكلام ليتممه؟ هل يمكن أن يتصور إنسان سوى. إمكانية نقصان الوحي الإلهي إلى سيدنا موسى ليأتي يشوع أو غيره ليتممه؟ ومن المسئول عن وجود هذا النقص المزعوم؟ هل نسى الله ﷻ أن يتم وحيه إلى سيدنا موسى فأتمه يشوع أو غيره؟ أم أن سيدنا موسى هو المسئول عن وجود هذا النقص؟ أم أن تعبير «على سبيل الإتمام» مقصود منه الإيحاء بأن الحاصل على هذا النحو إنما هو «الإتمام»؟

ويضاف إلى ذلك يا صاحبي أن ما أورده القس الدكتور منيس عبد النور منسوبًا إلى أحد علماء اليهود، إنما هو احتمالات متعددة في مسألة تقتضي الحسم، والحسم وحده بكل معانيه، حيث إنها متعلقة بكلام منسوب إلى الله في غضون كتاب مقدس: مَن ذا الذي أضاف هذا الكلام الذي أشرنا إليه على وجه التحديد؟ هل هو يشوع؟ أم هو عزرا؟ أم هم السبعون شيخًا؟ وكيف أضافه الشيوخ السبعون؟ هل اقترحه واحد منهم وصوت الشيوخ التسعة والستون بالموافقة على اقتراحه بإضافة هذا الكلام؟ إن وحي الله ينبغي أن يكون محدد المصدر، فلا يصدر الوحي الإلهي إلا عن الله ﷻ، ولا يصدر الوحي الإلهي إلا إلى شخص واحد لتحديد المسئولية وللحيلولة دون تمييعها، ولم يزد أحد علماء اليهود على أن زاد الشك ارتيابًا، وعلى كل حال يا صاحبي، نستطيع أن نطمئن تمام الاطمئنان إلى حقيقتين مؤكدتين:

أولاهما: هي أن النص الذي اقتبسناه (٣٤: ٥-٨) إنما هو إضافة في غير موضوعها، وهو ليس من وحي الله، وهو ليس من كلام سيدنا موسى.

وثانيتهما: هي تخبط الدكتور القس منيس عبد النور ذات تخبط أحد علماء اليهود في تبرير وتعليل هذه الإضافة إلى كلام الله الذي أوحاه الله إلى سيدنا موسى عليه السلام وعدم وصولهما إلى رأي حاسم بهذا الشأن، حيث يلزم أن يكون ثمة حسم.

ويستطرد الدكتور القس منيس عبد النور في تزكية رأيه، وفي الحكم على رأيه بنفسه لنفسه إذ يقول): وهذا الرأي هو طبيعي إذا عرفنا أن التقاسيم والفواصل والأصحاحات جاءت بعد تدوين هذه الكتب بمدة طويلة، فإنه في تلك الأزمنة القديمة كانت عدة كتب تتصل ببعضها في الكتابة بدون فواصل، فكان يمكن نقل أول كتاب إلى آخر السابق له، فيعتبر مع تمادي الزمن خاتمة له كما في التثنية، وهذا ما حدث لكاتب سفر التثنية وموته».

(ويقصد الدكتور القس منيس عبد النور أن يقول: «وهذا هو ما حدث لكاتب سفر التثنيه وموته؛ لأن إسقاط هو بعد اسم الإشارة يجعل «ما» أداة نفي ولا تكون اسم موصول كما يقصد سيادته. ولو ضربنا صفحا عن هذه المسألة اللغوية البسيطة، يهمنا منها فحسب مساعدة سيادته على بلوغ المعنى الذي يقصده، إن سيادته يقصد أن يقول: هذا هو الذي حدث لكاتب سفر التثنية وموته، وكأن سيادته شهد ما حدث لكاتب سفر التثنيه وشاهد موته! هل كان كاتب سفر التثنيه اسمه موسى؟ النص الذي يحاول سيادته الدفاع عن صحته يتحدث عن موت ودفن سيدنا موسى ﷺ، والتناقض الذي أشرنا إليه جوهره هو استحالة أن يتحدث الله إلى سيدنا موسى عن موت ودفن سيدنا موسى، فيثبت سيدنا موسى ﷺ ما أوحاه الله بهذا الشأن بالأصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية، بدءًا من الجملة الخامسة حتى الجملة الثامنة.

والتعلل بأن التقاسيم والفواصل والأصحاحات جاءت بعد تدوين هذه الكتب بمدة طويلة، وإقرار سيادته بأن عدة كتب كانت تتصل ببعضها بدون فواصل، يشكك ويبعث على الريب في التوراة كلها، ما هكذا ينبغي أن يكون الشأن بالنسبة لكتاب مقدس يحوي كلام الله! إن سيادته وهو يحاول تبرير تناقض بخصوص أربع جمل وردت بالتوراة يشكل في التوراة كلها؛ إذ ما حاجة الناس إلى كتاب لم يحسن كُتَّابه كتابته باعتراف أصحابه أنفسهم، وسيادته لم يتأمل بداية الأصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية الذي يبدأ هكذا: «وصعد موسى من عربات موآب إلى جبل بنو إلى رأس الفسحة الذي قبالة أريحا، فأراه الرب جميع الأرض من جلعاد إلى

ران» ومعنى ذلك أن سيدنا موسى في بداية الأصحاح الرابع والثلاثين لم يكن قد مات؛ لأن الله استمر يكلمه فيما يلي بذات الأصحاح الرابع والثلاثين: «وقال له الرب: هذه هي الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلاً: لنسلك أعطيها» هذا بينما يبدأ سفر يشوع بداية واضحة غاية الوضوح هكذا: «وكان بعد موت موسى عبد الرب أن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلاً: موسى عبدي قد مات» [يشوع ١: ١-٢] مما يقطع بأن الله كان يعرف ما إذا كان يكلم سيدنا موسى أم يتكلم عن سيدنا موسى إلى يشوع، وهو يقطع أيضًا بأنه في تلك الأزمنة القديمة كان الكتبة يعرفون كيف ينسبون الكلام إلى قائله وإلى متلقيه، بدليل تحديد المتكلم والمتلقي للكلام في بداية الأصحاح الأول من سفر يشوع: «الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلاً: موسى عبدي قد مات» ناهيك يا صاحبي عن عدم التعرض إطلاقًا لمحاولة إزالة التناقضات الضمنية الموجودة داخل محتوى الجمل الأربع المشار إليها مثل عدم لياقة القول بأن الله قد دفن سيدنا موسى، وأن أحدًا لم يعرف قبره إلى ذلك اليوم، أو إلى يومنا الحاضر، مع تحديده تحديدًا كافيًا، ومع نياحة بني إسرائيل بذات مكان دفنه ثلاثين يومًا.

ويستطرد الدكتور القس منيس عبد النور في الإيهام بإزالة التناقض استطرادًا يفتقر إلى المعقولية أكثر وأكثر؛ إذ يقول: وقال أحد المحققين: لا بد أن يشوع توجه مع موسى إلى الجبل، فكما أن إيليا واليشع كانا يسيران ويتكلمان، وإذا مركبة من نار وخيل قد فصلت بينهما، فصعد إيليا في العاصفة إلى السماء [٢ ملوك ٢: ١١] كذلك كان الحال مع موسى ويشوع، فإن يشوع كان ملازمًا لموسى إلى أن أخذه الله منه، فسجل يشوع قصة موت موسى، هل يريدنا الدكتور القس منيس عبد النور أن نعتبر أن مركبة من نار وخيل، قد أخذت كلامًا من سفر يشوع ووضعته في سفر التثنية؟ هذا لو صحت نسبة الكلام بسفر التثنية، وهو من أسفار سيدنا موسى إلى خادمه يشوع، ولكنها بموجب ما أورده سيادته بنفسه من أقوال أحد علماء اليهود مجرد احتمال، الشيء الوحيد المؤكد هو أن سيادته في محاولة التعمية الأخيرة، والتعتيم الأخير قد أضاف تناقضًا داخليًا في مقولته الأخيرة إلى التناقضات التي

أشرنا إليها؛ إذ يزعم سيادته أن يشوع بن نون كان قد توجه مع موسى إلى الجبل، وأنه كان ملازمًا لموسى إلى أن أخذه الله منه، فسجل يشوع قصة موسى، ولم يقل لنا سيادته: أخذ الله سيدنا موسى من يشوع بن نون إلى أين؟ هل دفنه الله حقًا أم لم يدفنه؟ وإذا كان يشوع بن نون ملازمًا لسيدنا موسى إلى أن أخذه الله منه، فكيف لا يعرف يشوع بن نون قبر سيدنا موسى؟ هل تزيل مركبة من نار وخيل هذه التناقضات؟

وندع لك يا صاحبي كما ندع للقارئ الكريم تقرير ما إذا كان الدكتور القس منيس عبد النور قد نجح في الرد على المعترض أم لم ينجح، والرأي عندنا أن المحاولة شيء ونجاح المحاولة شيء آخر.

ثانيًا: فيما يتعلق بالعهد الجديد نكتفي أيضًا بإبراز تناقض واحد كمثال أو كعينة، وننظر هل استطاع المنافحون عن صحة الكتاب المقدس بحالته الراهنة وخلوه من التناقضات في محاولتهم، أم أن المحاولة شيء والنجاح في المحاولة شيء آخر.

ورد بإنجيل متى ما يلي: «لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال»[متى١٢:٤٠].

مَن ذا الذي يتكلم هذا الكلام الذي اقتبسناه من إنجيل متى في الموضع المشار إليه؟ هل هو الله؟ كلا، لا يعقل أن يقول الله كلامًا فيه اختلاف وتناقض! هل هو المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام؟ كلا، يستحيل ذلك لذات السبب ولسبب آخر، ألا وهو أن المسيح يستحيل أن يتحدث عن مدة بقائه ميتًا في قبره، هل هو القديس متى؟ نعم بالطبع، النص المقتبس موجود في إنجيل متى! هل يوجد اختلاف وتناقض بهذا النص بالجملة الأربعين بالأصحاح الثاني عشر من إنجيل متى؟ نعم بالطبع! ما هو بيان ذلك التناقض بذلك النص؟ بيان التناقض بهذا النص كما يلي:

لا يخفى أن النص المشار إليه يتحدث عن مدة بقاء جثمان سيدنا عيسى عليه السلام بالمقبرة، وعندما يتحدث نص مقدس عن مثل هذه المسألة، فمن الضروري ألا يتضمن حديث النص المقدس تناقضًا واضحًا أو خطأً حسابيًا مكشوفًا ظاهرًا؛ إذ

المفروض أن النص المقدس هو كلام الله وفقًا لرواية القديس متى، وعندما نحسب مدة بقاء جثمان المسيح ﷺ بالمقبرة نلمس خطأ حسابيًا ظاهرًا، ومدة بقاء المسيح ﷺ بالمقبرة محددة البداية والنهاية وفقًا لرواية الإنجيل ذاته؛ إذ أن وضع جثمانه بالمقبرة بعد صلبه فيما يزعمون -ونحن بطبيعة الحال- نحسب المدة حسب زعمهم، إنما تبدأ من غروب يوم الجمعة، وعند طلوع فجر يوم الأحد، ذهبت مريم الجدلية إلى المقبرة فوجدتها مفتوحة، ولم تجد جسد المسيح ﷺ بالمقبرة فيما يزعمون أيضًا، فلنحسب مدة بقاء جثمان السيد المسيح بالمقبرة وفق مزاعمهم، ليتضح بما لا يدع مجالاً لشك، إنها لم تكن ثلاثة أيام وثلاث ليال، والجدول يوضح معالم هذه المسألة الحسابية كل التوضيح.

عيد القيامة	مده بقاء جثمان المسيح بالمقبرة	
	أيام	ليال
يوم الجمعه: يزعمون أن جثمان المسيح قد تم وضعه بالمقبرة عند غروب الشمس	-	ليلة واحدة
يوم السبت: جثمان المسيح بالمقبرة	يوم واحد	ليلة واحدة
يوم الاحد: عند الفجر جثمان المسيح غير موجود	-	-
المجموع	يوم واحد	ليلتان

ولقد حاول الدكتور القس منيس عبد النور إزالة هذا التناقض، وتبرير هذا الخطأ؛ إذ أشار سيادته إليه بصفحة ٣١١ من كتابه المذكور، وأحال سيادته[(١)] إلى صفحة ٣٠٩ ضمن توضيح الاعتراض بخصوص ما ورد بإنجيل متى [١٢: ٤] حيث قال سيادته: قال المعترض: يوجد تناقض بين قول المسيح في متى [١٢: ٤] إنه يمكث في القبر ثلاثة أيام وثلاث ليال، وبين الحساب المعمول بين موته وقيامته على أساس الاعتقاد، أنه صلب بعد ظهر يوم الجمعة وأقيم صباح الأحد، فإذا حسبنا

(١) لسنا ندرى ما سبب الإحالة إلى [متى ١٢: ٤] ولا علاقة البتة بين النصين! ولا تبرير لذلك سوى أن سيادته يريد أن يبعد الأنظار عن تأمل النص في [متى ١٢: ٤٠].

مدة بقاء جسد المسيح في القبر على هذا الأساس، نحكم بوجوده في القبر ساعات قليلة من ظهر الجمعة، ثم السبت التالي بليلته ثم جزءًا من يوم الأحد، وهو الكائن بين غروب الشمس يوم السبت وبدء يوم القيامة، وعلى هذا يكون جسد المسيح قد بقي في القبر جزءًا من يوم الجمعة، وكل يوم السبت، وجزءًا من يوم الأحد.

ويلاحظ يا صاحبي أن سيادته يصوغ الاعتراض وفق هواه، فيفترض وجود جزء من يوم الجمعة، مع أنهم يصرون على دفن جسد المسيح قد تم عند غروب شمس الجمعة، ويفترض أن جسد المسيح كان موجودًا بالقبر جزءًا من يوم الأحد، مع أنهم أنفسهم يصرون على أن مريم المجدلية قد ذهبت إلى القبر عند فجر ذات يوم الأحد، ولم تجد جسد المسيح، سنضرب صفحًا عن تحريف الاعتراض في صياغة سيادته له، وإن كان حساب مدة بقاء جسد المسيح في المقبرة يوضحه الجدول الذي عرضناه من قبل، إن سيادته يريد أن يدخل جزءًا من يوم الجمعة وجزءًا من يوم الأحد في حساب أيام بقاء جسد المسيح في القبر، وسنسلم لسيادته بما يشاء؛ لأن لدينا ما يحسم الموضوع بعد قليل، صاغ سيادته الاعتراض كما يشاء وقد نقلناه عن سيادته كما دونه بنفسه، ولننظر محاولة سيادته إزالة التناقض وتبرير الخطأ في الحساب ونأمل ونرجو له التوفيق.

يقول سيادته بذات صفحة ٣٠٩ من كتابة: وللرد على المعترض نقول: كان اليهود كسائر الشرقيين يعتبرون بدء اليوم من غروب الشمس، وكانت عادتهم أن يطلقوا الكل على الجزء، فيطلق اليوم على جزئه.

(وهذه يا صاحبي مغالطة مكشوفة، إذا جاز إطلاق الكل على الجزء على سبيل المجاز، فإنه لا يجوز في عالم الواقع والحقيقة، ولم يكن ذلك معهودًا لدى البشر قديمًا، ولا يجيزه البشر حديثًا في التعامل مع الواقع الفعلي، كما هو الشأن بصدد موضوعنا، إننا نريد أن نحسب، والحساب محاولة معرفة مدة زمنية في الواقع الفعلي، لا ينفع ولا يجدي المجاز عند حساب المحسوسات في الواقع الفعلي للناس قديمًا وحديثًا، ولا يجوز إطلاق اليوم على جزئه، كما أنه لا يجوز إطلاق الجنيه على جزئه عندما يتحاسب الناس في الواقع الفعلي، وعندما ينشدون الدقة في الحساب،

وليس من المعقول قديمًا ولا حديثًا أن يكون شخص مدينًا لآخر بمائة جنيه، وعند سداد الدين يقدم المدين للدائن مائة نصف جنيه وهو يقول له: «نستطيع أن نطلق الجزء على الكل، اعتبر نصف الجنيه جنيها! ولو أن أحد القضاة حكم على أحد الجناة بقضاء ثلاث سنوات بالسجن، كيف تحسب هذه السنوات الثلاث؟ هل يجوز حسابها باعتبار أن جزء السنة، ولو كان شهرًا أو بعض شهر يعتبر عامًا كاملاً؟! هل يتم تنفيذ حكم القاضي لو حبس الجاني المحكوم بثلاث سنوات شهرًا في نهاية العام السابق وشهرًا في نهاية العام اللاحق، أم يكون حكم القاضي قد أهدر عند التنفيذ لغير سبب سوى الخطأ في حساب المدة، حساب المدة فعلاً يستلزم الحقيقة لا المجاز يا صاحبي، ونضرب صفحًا عن ذلك أيضًا؛ لأن لدينا ما يحسم وجود التناقض والخطأ، كما سنرى بعد قليل، وبقية رد سيادته في الموضع المشار إليه لا يخرج عن هذه النظرة المجازية التي تبيح إطلاق الجزء على الكل، يقصد أن جزء اليوم يعتبر يومًا، ومع أن هذا لا يجوز في الواقع الفعلى، إلا أننا سنضرب عن استحالته صفحًا).

التناقض مع كل هذا موجود والخطأ يستحيل تبريره، سنوافق على اعتبار جزء اليوم يومًا، وسنفترض أن جسد المسيح ﷺ بقي في المقبرة جزءًا من يوم الجمعة، ويوم السبت كله وجزءًا من يوم الأحد، ليصح القول بأنه بقي في القبر ثلاثة أيام، فماذا عن حساب الليالى، لدينا ليلة السبت، ولدينا ليلة الأحد، وفجر يوم الأحد لم تجده مريم المجدلية وفق نصوصهم بالقبر، وبذلك تكون لدينا ليلتان، فأين الليلة الثالثة، أو أين أين جزء، ولو ضئيل منها يا صاحبي لتصح النبوءة التي أوردها القديس متى بإنجيله على لسان السيد المسيح ﷺ؛ إذ أن القديس متى جعل المسيح يقول: «لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال» [متى ١٢: ٤٠]؟! إن أمكن لهم إيجاد ثلاثة أيام، يستحيل عليهم إيجاد ثلاث ليال.

والجدول التالي يوضح مدة بقاء المسيح في بطن الأرض، لو استخدمنا نفس تعبيرهم «بطن الأرض» مع تحفظنا على مثل هذا التعبير؛ لأن دفن الإنسان في

مدفن لا يعني بالضرورة بطن الأرض[1]، ولو سلمنا بكل ما يرغبونه في حساب الأيام والليالي التي انقضت على المسيح في بطن الأرض، ولو أطلقنا الجزء على الكل أو الكل على الجزء حسبْ ما يشتهون، ولو اعتبرنا وجود جزء من يوم الجمعة واعتبرنا، يومًا كلامًا، ولو أخذنا في اعتبارنا أيضًا إدخال جزء من يوم الأحد، نجد أن حساب الليالي يخذلهم خذلان كاملاً؛ إذ لا يجدون ليلة ثالثة بأي حال من الأحوال، كما يوضح ذلك الجدول التالي:

(١)	(٢)	(٣)
نهار الجمعة	نهار السبت	نهار الأحد
ليلة السبت	ليلة الأحد	؟

وندع لك يا صاحبي، وندع للقارئ الكريم تقرير ما إذا كان الدكتور القس منيس عبد النور قد نجح في إزالة التناقض وتبرير الخطأ، أم أنه لم ينجح؟ الحقيقة المؤكدة يا صاحبي هي أن المحاولة شيء ونجاح المحاولة شيء آخر.

قال صاحبي: صدقت. المحاولة شيء، ونجاح المحاولة شيء آخر، ولقد أخفق سيادته في محاولته إزالة هذا التناقض بالعهد الجديد، كما أخفق سيادته في محاولته إزالة التناقض بالعهد القديم.

قلتُ: ذلك لأن المحاولة شيء ونجاح المحاولةِ شيء آخر يا صاحبي، هل ترغب في مزيد من الأسئلة يا صاحبي؟

قال صاحبي: حسنا، لقد أشبعت فضولي، ورويت غليل عقلي وقلبي في مواضع كثيرة، كان يحار فيها عقلي ولا يطمئن بصددها قلبي، ولم يبق عندي إلا قليل من الأسئلة تتعلق بالعلامة أحمد ديدات نفسه وبمزايا منهجه الذي تمايز به بين الدعاة المسلمين المعاصرين، مما جعله الداعية الإسلامي الأشهر على المستوى العالمي.

قلتُ: يحسن بنا يا صاحبي أن ننحو هذه الناحية.

---

(١) لا يكون الإنسان «ببطن الأرض» ما لم يكن جثمانه مطمورًا تحت تراب الأرض، ولم يكن هذا هو الحال بالنسبة لجثمان المسيح عليه السلام؛ إذ أنهم وضعوه بالمقبرة فوق أرضيتها.

الداعية الإسلامي العالمي ديدات

من جمهورية جنوب إفريقيا Republic of South Africa (R.S.A) حيث الديانة السائدة هي الديانة المسيحية، واللغة السائدة هي اللغة الإنجليزية، والسياسة السائدة سياسة تعتمد حتى كتابة هذه السطور على التفرقة العنصرية؛ من جمهورية جنوب إفريقيا، وتلك هي الملامح الرئيسية للحياة في جنوب إفريقيا، يرتفع صوت داعية إسلامي عالمي عبقري فذ، ولقد لفت هذا الصوت الأسماع والأبصار والبصائر في جميع أنحاء العالم، معلنًا أن الدين عند الله بحق هو الإسلام، معلنًا أيضًا أن اليهود والنصارى قد تنكبوا الصواب وركنوا إلى الضلال عندما أفضى بهم العناد إلى عدم الانقياد إلى حقائق الإسلام، دين الهداية والصلاح والفلاح لكل الناس والأجناس في كل مكان وكل زمان.

وتكاد تكون حياة هذا الداعية الإسلامي العالمي العقبري الفذ صورة معبرة عن واقع حياة المسلمين في القرن العشرين، بكل باقي حياة مسلمي القرن العشرين من عوامل الضعف والبؤس والفقر والشقاء، فيما يتعلق بالجانب المادي من الحياة، ومن أسباب القوة والغنى والثراء فيما يتعلق بالجانب الروحي من الحياة.

تتشابه مراحل وأطوار حياة الأفراد إلى حد كبير مع مراحل حياة وأطوار الشعوب والأمم، ولقد أشار القرآن الكريم إلى ما يعتور حياة البشر من عوامل الضعف، وإلى ما يثري حياة البشر من أسباب القوة في مثل قول قول الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾ [الروم: ٥٤] ولكم تتشابه مراحل حياة الأمم مع مراحل حياة الإنسان!

وفيما يتعلق بالأرض التي يعيش فوقها البشر، وفيما يتعلق بالسماء التي يعيش تحتها البشر، وفيما يتعلق بالريح والسحب والمطر، يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الروم: ٤٨].

وكثيرًا ما بزغ في تاريخ حياة الأمم نجوم ساطعة من بين أبنائها، الذين يلمع نور عبقريتهم كما يلمع الودق بين غيوم السحاب.

نعم، في وقت ظن فيه الغرب المسيحي أن الأرض قد دانت له بما فيها، وبما عليها وبمن عليها، وفي وقت ظن فيه الغرب المسيحي أن الطريق قد أصبح ممهدًا كل التمهيد لتتقدم جحافل المبشرين بالمسيحية في أعقاب جيوش الإمبراطورية البريطانية، التي لم تكن الشمس تغرب عن مستعمراتها في العقود الأولي من القرن العشرين.

في هذا الوقت العصيب نجد أن مولد طفل مسلم بالهند، يهاجر في صحبة والده المسلم من الهند إلى جنوب إفريقيا، ليتحدث الإنجليزية، وليتفتح وعيه على الحقائق الظالمة البشعة التي تتضمنها التفرقة العنصرية بجنوب إفريقيا، وليهتز كيانه الروحي والفكري والوجداني والعقلي تحت سنابك دعاوى المبشرين النصارى الكاذبة ضد الإسلام.

مولد مثل هذا الطفل المسلم بالهند، وهجرته في صحبة والده إلى جمهورية جنوب إفريقيا، قَلَبَا حسابات المبشرين النصارى رأسًا على عقب، وعصفا بثمار جهودهم عصفًا شديدًا، أفقدها معظم ثمرات الجهود المضنية المتواصلة لمئات الآلاف من المبشرين على امتداد عشرات السنين، وإذ بالمعركة تكاد تنجلي في كل أنحاء العالم، معلنة هزيمة واندحار فلول المبشرين النصارى أمام هذا الداعية الإسلامي العالمي العبقري الفذ، الذي شب وشاب ليصبح داعية مسلمًا عالميًّا عبقريًّا فذًّا اسمه أحمد ديدات، يدعو في جميع أنحاء العالم إلى صحة الإسلام، وفساد كل دين يناقض ويغاير دين الإسلام بمنهج جديد وأسلوب فريد.

ولد أحمد ديات في بلدة تادكيشنار بولاية سوارت بالجانب الغربي من الهند في عام ١٩١٨م، ولا ريب أن الجانب الغربي من الهند كان من أوائل الأقاليم الهندية التي امتدت إليها حركة الفتح الإسلامي المتجه شرقًا نحو الهند.

وعند مولد أحمد ديدات عام ١٩١٨ كانت الهند خاضعة للاستعمار البريطاني، وكانت مدينة بومباي في الجانب الغربي من الهند مقرًّا لإدارة الشركة البريطانية

الشرقية، ولقد كان وجود القوات المسلحة البريطانية بالهند هو الوجه العسكري للاحتلال البريطاني، وكانت الشركة الشرقية البريطانية هي الوجه الاقتصادي للاحتلال البريطاني للهند، ولقد كان الاستعمار البريطاني للهند بوجهيه العسكري والاقتصادي يسعى سعيًا دائبًا لتحقيق نجاح تبشيري بالديانة المسيحية بين الهنود؛ لكي يحكم الاستعمار العسكري والاقتصادي قبضته على الهند، فلا تتاح للهند أي فرصة للإفلات من براثن الاستعمار مهما طال المدى.

ولم يكن وجود الديانة الهندوسية كالبوذية أو ديانة السيخ بالهند لتزعج المستعمرين البريطان ولا المبشرين المسيحين، حيث إن هذه الأديان إنما هي من ديانات الشرق القديم، تغلب عليها سمات الزهد والمجاهدات الروحية دون التعرض للنواحي السياسية أو الاقتصادية، وهي ديانات منغلقة على معتنقيها من العنود يرتد عنها أو يهملها كثير منهم، ولا يقبل الدخول فيها أحد من غير الهنود.

وكان للإسلام والمسلمين شأن آخر في شبه القارة الهندية بل شئون وأي شئون! تتسم العقيدة الإسلامية بالبساطة والوضوح، والبساطة والوضوح سمتان أساسيتان من سمات الحق وآياته البينات: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» شعار العقيدة الإسلامية الأمثل، يعبر بما فيه من نفي واستثناء عن عقيدة التوحيد النقي الخالص من شوائب أي شرك أو إشراك أقوى وأصح وأبلغ تعبير، نفي الألوهية عن كل ما عدا الله وإثبات الألوهية لله وحده لا شريك له، ثم إثبات لرسالة ونبوة نبي الإسلام محمد ﷺ كطريق إلى نفاذ العقيدة الصحيحة والشريعة التامة إلى ذويهما من البشر، وتنطلق العقيدة الإسلامية من هذا المنطلق لتقدم للبشرية شريعة دين ودنيا، كما أرادها الله للناس في كتابه الكريم القرآن العظيم، معجزة المعجزات وسجلها، وهكذا غدا الإسلام عقيدة وشريعة هو دين الله بحق، خاتم أديان التوحيد وأقوى وأتم وأكمل أديان التوحيد، عقيدة وشريعة، دينًا ودنيا.

كان الإسلام بالهند، حجر عثرة في طريق إحكام قبضة الاستعمار العسكري والاقتصادي البريطاني على الهند في مطلع القرن العشرين، كما كان الإسلام أيضًا هو أقوى الأديان مناوءة ومقاومة لجهود المبشرين المسيحيين.

يزداد عدد المسلمين باستمرار لا بسبب التناسل وحده، بل بسبب دخول كثير من أصحاب الأديان الأخرى في الإسلام طواعية واختيارًا، لا قهرًا وإجبارًا.

ويستطيع المبشر المسيحي أن يجد فُرَصًا كبيرة للنجاح في مهمته التبشيرية بمساعدة الاحتلال العسكري، والسيطرة الاقتصادية بالنسبة لأصحاب أديان أخرى غير دين الإسلام، أما الإسلام فقد أثبت الإسلام صلابة معجزة، تحطمت إزاءها جهود المبشرين النصارى في الغالب الأغم.

مبادئ العقيدة الإسلامية، وأسس الشريعة الإسلامية صحيحة بسيطة واضحة، ولقد كفل الإسلام للناس المساواة في أقوى وأوضح صورها، ولقد حفل القرآن الكريم بكثير من الآيات البينات التي تصرح بالمساواة بين البشر في مثل قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [الحجرات: ١٣]

هذا، بينما فشل المستعمرون البريطانيون في إخفاء معالم تمايزهم الفعلي وتعاليهم عن المواطنين الأصليين أصحاب البلاد التي استعمروها بالهند وغيرها، اعتمادًا على البندقية والمدفع والدبابة والطائرة الحربية، ولم يستطع المبشرون النصارى إخفاء معالم التمايز الأوروبي على الأجناس الأخرى، وفضحت ممارساتهم الفعلية كذب ما يدعونه من تواضع ومساواة وعدل بين الناس، كما كشف جشع الأوروبيين ونهمهم ونزوعهم المستعمر إلى اغتراف ثروات البلاد التي وقعت في براثن استعمارهم، والهند واحدة من البلاد التي نكبت بالاستعمار البريطاني، كشف ذلك الجشع الأوروبي ما كان يتظاهر به أولئك المبشرون النصارى من زهد وورع وتقشف؛ إذ أن الأمور بخواتيمها.

ولقد كان من السهل أن يقارن الناس بالهند نتائج الفتح الإسلامي للهند في الأراضي والإمارات الهندية، التي خضعت للحكم الإسلامي مع نتائج الاستعمار البريطاني للهند، لكي يتضح للناس بما لا يدع مجالاً للريب أن الإسلام هو دين التسامح والأخوة والمساواة والعدل بين الناس وسيادة الإحسان بينهم بالفعل، لا بمجرد الشقشقة باللسان.

شاهد الناس ويشاهدون دومًا أن الاستعمار يسيطر على مصادر الثروة في البلاد التي وقعت في براثنه، وينزحها نزحًا إلى موطنه الأصلي، ولقد صدق شيخنا المرحوم مصطفي لطفي المنفلوطي عندما قال فيما أذكره ولا أنساه أبدًا، قال المنفلوطي عن الاستعمار والمستعمرين: إن المستعمرين من عهد آدم إلى اليوم، وإلى أن تتبدل الأرض غير الأرض والسماء غير السماء، لا يفتحون البلاد لنفع البلاد، ولكن لنفع أنفسهم؛ مثلهم في ذلك مثل صاحب الشاه، فهو لا يربيها ويطعمها ويسقيها رأفة بها أو شفقة عليها، ولكنه يربيها ويطعمها ويسقيها لذبحها والانتفاع بلحمها وصوفها وجلدها.

كان الاستعمار البريطاني قد سيطر على بلاد الهند بقوة السلاح، وكانت شركة الهند الشرقية وغيرها من شركات بريطانية، تنزح ثروات الهند وتهيمن على النشاط الاقتصادي بوجه عام، وكانت بعثات التبشير بالديانة المسيحية تتوالى وتتوافد على بلاد الهند، بحيث كان يوجد مبشر في كل حي من أحياء المدينة، وفي كل قرية من قرى الهند، وكانت السياسة الاستعمارية البريطانية توفر لأولئك المبشرين كل التسهيلات التي تمكنهم من بلوغ غايتهم المنشودة لإزالة التناقض بين ديانة المستعمر وديانة الخاضعين لاستعماره من أهل البلاد الأصليين، ولم يستطع أي دين من الأديان غير الكتابية بالهند أن يجادل المبشرين النصارى الذين كانت سلطات الاستعمار تساندهم، وكان الغموض يكتنف دعواهم، وكانوا يزعمون أنهم أهل كتاب سماوي مقدس، وكانوا يستطيعون أن يغدقوا الخير الوفير بالمعايير الدنيوية، من مال وسلطان ووظائف إدارية على مَن يستجيب لدعوتهم التبشيرية، فيتحول إلى النصرانية.

وكان الهنود غير المسلمين يبدون شيئًا من التجاوب مع المبشرين النصارى أحيانًا، أو كانوا يسلكون حيالهم مسلك اللامبالي غير الآبه بأي شأن من شئون الدين، لا يهتم بشيء سوى مطالب الدنيا.

وكان الإسلام وحده من بين الأديان الموجودة في الهند قادرًا على الصمود والتصدي والتحدي، كان لدى المسلمين بالهند كما أنه لدى المسلمين في كل مكان

وزمان، كتاب سماوي صحيح سليم هو القرآن الكريم، خاتم الكتب المساوية المهيمن عليها، المصحح لِمَن سبق من تحريفات وحذف وإضافة بالكتب السماوية السابقة للإسلام.

وكان المسلمون بالهند شأن المسلمين بكل مكان وزمان يملكون أصح وأقوم وأسلم عقيدة، وأوفى وأكمل وأجمل شريعة، وليس في الإسلام كهانة ولا سدانة، وليس فيه غموض ولا تجهيل ولا تعمية، واستحال على المبشرين النصارى اختراق جبهات الدين الإسلامي بالهند، مما أخنق سلطات الاحتلال البريطاني بالهند؛ إذ تبين لهذه السلطات ألا قرار لها بالهند إلا بالقضاء على الإسلام والمسلمين بها، أو إضعافهم بالتدريج حتى يتلاشى كيانهم، وخططوا لذلك وعملوا من أجل تحقيقه في الواقع الفعلى للحياة بالهند في أواخر القرن التاسع عشرة ومطلع القرن العشرين.

وكان من الطبيعي إذن أن يهاجر رجل هندي مسلم من أهالى «بومبا» بغرب الهند يدعى «حسين ديدات» هو والد الداعية الاسلامي العالمي العبقري الفذ «أحمد ديدات» هاجر الرجل الهندي «حسين ديدات» مصطحبًا مع أهل بيته، ومن بينهم ابنه «أحمد ديدات» الذي لم يكن يبلغ من العمر سوى تسع سنوات.

أين هاجر ذلك الرجل الهندي المسلم المدعو حسين ديدات؟

هاجر إلى جمهورية جنوب إفريقيا.

لماذا جمهورية جنوب إفريقيا؟

لقد شَكَّلَ غنى وثراء جمهورية جنوب إفريقيا قوة جذب كبيرة للأيدي العاملة الفقيرة بالهند وجنوب شرق آسيا وجنوب شرق إفريقيا.

حقا، إن الأوربيين البيض يستعمرون جمهورية جنوب إفريقيا استعمارًا استيطانيًا بغيضًا هو أبشع صور الاستعمار، وكان أولئك المستعمرون الأوربيون البيض بجمهورية جنوب إفريقيا يمارسون سياسة التمييز العنصري في أعنف وأقوى وأتم وأكمل وأشمل صورها، ولكنهم كانوا بحاجة ماسة إلى الأيدي العاملة الرخيصة القليلة الأجر للعمل بالمناجم والمصانع والمتاجر والمزارع وكافة مناشط الحياة بجمهورية جنوب إفريقيا.

أعلنت حكومة جنوب إفريقيا سياسة التفرقة العنصرية صـراحة دون مواربـة، وأعملت قوانين التمييز العنصري في الواقع الفعلي في كافة مجالات الحيـاة بجنـوب إفريقيا، مدارس للبيض محظورة على السود، ومستشفيات ونواد وأحياء سـكنية في المدن مخصصة للبيض لا يدخلها أي إنسان أسود إلا بتصريح عمـل رسمـي، حتـى الكنائس كانت للبيض كنائسهم وللسود كنائس أخرى، ومشروعية التملـك كانـت قاصرة على البيض وكذلك المناصب الحكومية والرتب العسكرية بالقوات المسلحة قوات الشرطة، وكان من المحظور أن يتزوج أسود من امـرأة بيـضاء، ولـو رغبـا في ذلك؛ إذ أن القانون بجمهورية جنوب إفريقيا كان يحظر مثل هذا الزواج حظرًا تامًا.

لم تكتف حكومـة جنـوب إفريقيـا باسـتقدام المبـشرين النـصارى مـن أوروبـا وأمريكا وتقديم تسهيلات لهم، بل عمدت حكومة جنوب إفريقيـا إلى بنـاء معاهـد عليا لتخريج المبشرين النصارى، وتدريبهم على كيفية ممارسة التبشير في مختلف أنحاء إفريقيا وغيرها من القارات.

وعلى الرغم من كل ذلك، كانت الحياة في جمهورية جنوب إفريقيا أفضل لكثير من المهاجرين من الهند وجنوب شرق آسيا وشرق إفريقيا؛ إذ كانوا يجـدون المـأوى في الأحيـاء الـسكنية المخصـصة للـسود والملـونين، وكـانوا يجـدون فـرص العمـل والحصول على أجور تكفل لهم توافر المقومـات الأساسـية للحيـاة؛ وكـان البـيض بجمهورية جنوب إفريقيا مشغولين بهمـوم الحيـاة الـدنيا، متكـالبين علـى زخارفهـا وامتلاك الثروات الضخمة بها، وامتلاك مـصادر الانتـاج لتحقيـق أكـبر قـدر مـن الأرباح، وكانوا بحاجة ماسة دائمة إلى وجود سواعد السود والملونين بين ظهرانيهم، لتحقيق ما يشتهون من أهداف دنيوية، والحاجة -كما يقولون- هـي أم الاخـتراع، وظلت جنوب إفريقيا رغم أنها مستعمرة استيطانية تمارس أفظع سياسـة عنـصرية، وترعى تخريج الكوادر التبشيرية، ظلت جنوب إفريقيا رغم ذلك كله منطقة جـذب للمهاجرين من الشرق لوجود فرص العمل مطلوبة بشدة من الطرفين.

وهكذا شاءت إرادة السميع العليم الحكـيم، أن تتفـتح عيـون الـصبي الهنـدي المولد «أحمد ديدات» على النشاط التبشيري المسيحي بالهنـد، وتتفـتح عيونـه أيـضًا

على تضييق المستعمر البريطاني لفرص حياة المسلمين بالهند، مما اضطر أباه إلى الهجرة إلى جمهورية جنوب إفريقيا، لتتكامل الصور الشاذة المفعمة بالدلالة فيما بين احتلال الاستعمار البريطاني للهند، ونشاط المبشرين النصارى بها، وتضييق الخناق على المسلمين فيها، وبين الحياة في جنوب إفريقيا حيث الاستعمار قد غدا استعمارًا استيطانيًا، يدعي ملكية الأرض التي احتلها بالقوة العسكرية، ويريد أن يظل بها إلى الأبد، مع ممارسة فعلية للتمييز العنصري إلى أقصى آماده، وحيث زاد النشاط التبشيري ضراوة؛ إذ لم يكتف بنشاط المبشرين النصاري بين غير المسيحيين، بل حرصت جنوب إفريقيا على تخريج المبشرين المنصرين لتصديرهم إلى مختلف جهات العالم أيضًا، ولكن أي بأس في هذا كله؟ إن هذا وذاك وكله سيكون له أعظم الأثر في إبراز عبقرية داعية إسلامي، يحفزه كل شيء حوله منذ صباه، حتى فتوته، حتى شبابه، حتى رجولته، حتى كهولته، حتى شيخوخته؛ ليكون أعظم الدعاة المسلمين في القرن العشرين دون جدال.

وألحق المهاجر «حسين ديدات» ابنه «أحمد حسين ديدات» بمدرسة ابتدائية ليعرف مبادئ القراءة والكتابة، وكان جميع تلاميذ هذه المدرسة من السود والملونين بطبيعة الحال، كانت مدرسة أقامها المهاجرون المسلمون بجهودهم الذاتية.

وماذا بعد المدرسة الابتدائية من مراحل التعليم يمكن للطالب «أحمد حسين ديدات» أن يلتحق بها ليكمل تعليمه؟ لا شيء، شأنه شأن غيره من السود والملونين! إن الجهود الذاتية لا تقوى على إنشاء مدارس أو معاهد أو كليات تعليمية ليتلقى أبناء السود والملونين تعليمًا أكثر تقدمًا من المرحلة الابتدائية؛ أما البيض، فإن لهم مدارسهم ومعاهدهم وكلياتهم الجامعية، ينتقلون تلقائيًا من مرحلة تعليمية إلى المرحلة التي تليها.

اكتفى والد الطالب «أحمد حسين ديدات» بأن أتم ابنه «أحمد» المرحلة الابتدائية، إن ابنه سيكون قادرًا على أن يقرأ وأن يكتب، مما يجعل إلحاقه بعمل لدى أحد أصحاب الأعمال من البيض أمرًا ممكنًا، إن هذا هو غاية المراد للوالد والولد، ولم يكن الولد لديه الدراية بالتطلع إلى مراحل تعليمية أعلى من المرحلة الابتدائية، ولم

يكن الوالد يجرؤ علي التطلع إلى مثل هذا الترف العلمي الذي لا يقوى على تكاليفه، وهو المهاجر الذي لا يزال يتلمس أسباب الرزق، ولم يكن العنصريون البيض بجمهورية جنوب إفريقيا ليسمحوا لأبناء السود أو الملونين بالحصول على قسط أوفر، مما توفره المرحلة الابتدائية من التعليم، إن هذا القسط الابتدائى من التعليم، كاف تمامًا لتشغيل السود والملونين في أعمال وأشغال البيض المستعمرين، وهذه الأعمال والأشغال تقتضي في الغالب الأعم معرفة القراءة والكتابة والقدرة على تمييز الأرقام الموجودة بالعدد والآلات المستخدمة في الانتاج، ولذلك حرص البيض على أن يتعلم أبناء السود والملونين مبادئ القراءة والكتابة والقدرة على مطالعة الأرقام الحسابية، ليتسنى للبيض استغلال الملونين والسود على أفضل نحو ممكن.

وتقلب اليافع «أحمد ديدات» بين أعمال ووظائف متعددة حتى استقر به مطاف بحثه وبحث والده عن عمل مجز بمكتبة لبيع الكتب، وكانت هذه المكتبة التي عمل بها الفتى «أحمد ديدات» تابعة مباشرة لمطبعة ولمعهد لتخريج المبشرين بالدين المسيحي، أقامها مليونير أمريكي اسمه «وليامز» بجمهورية جنوب إفريقيا.

نعم، مليونير أمريكي مسيحي اسمه «آدم وليامز» تقدمت به السن وربح ملايين الدولارات، ماذا يفعل بكل هذه الملايين؟ وما مصير هذه الملايين هو لم ينجب أولادًا يرثونه؟ ولو كان له ورثة، فإن هذه الملايين تفيض عن حاجتهم، ما العمل؟ وما هي أفضل السبل لإنفاق هذه الملايين؟

لقد روج قساوسة المسيحية لنظرية مدهشة من الناحية الاقتصادية، أذاعوا بين المسيحيين عقيدة أن المسيحي الذي لا يسهم بأي جهد، ولا يضحي بأية أموال، ولا يجتذب إلى صفوف المسيحيين أي أناس من غير المسيحيين لكي يدخلهم في صفوف المسيحية، إنما هو مسيحي ميت، أما المسيحي الحي، فهو ذلك المسيحي الذي يسهم بجهوده وأمواله في سبيل نشر المسيحية، ذلك أنه عندما يسهم في ذلك إسهامًا فعليًا يكون قد ولد من جديد، وأصبح مسيحيًا مولودًا من جديدًا على نحو يرضي الله «New Born» ولم لا يحقق هذا المليونير الأمريكي المسيحي لنفسه ميلادًا جديدًا، بما لديه من ملايين الدولارات؟ ماذا يفعل؟

لقد أقام مشروعًا متكاملاً لنشر المسيحية في العالم بوجه عام، وفي إفريقيا بوجه خاص، ويتكون هذا المشروع من معهد عال لتخريج المبشرين بالدين المسيحي، ومطبعة لطبع ونشر الكتب التي يؤلفها أساتذة هذا المعهد التبشيري، ومكتبة لبيع وتوزيع هذه الكتب الهادفة إلى نشر الدين المسيحي.

وعمل اليافع «أحمد ديدات» بائعًا للكتب في هذه المكتبة الملحقة بالمطبعة الملحقة بمعهد عال لتخريج المبشرين بالمسيحية.

ويذهب أحد طلاب المعهد التبشيري إلى المكتبة ليشتري كتابًا من كتب الدعاية المسيحية المروجة للعقائد المسيحية، فيقول: أحمد، هات لي كتاب كذا، ويعطيه أحمد الكتاب، ويقف طالب المعهد التبشيري أمامه يقلب صفحات الكتاب أو يتأمل الفهرس، ثم يقول: اسمك أحمد؟ هل أنت مسلم؟ الإسلام دين غير صحيح! كان نبي الإسلام محمد أعرابيًا قذرًا وكذابًا! وكان نبي الإسلام سارق نياق! وكان كاردينالاً، يطمع في الوصول إلى كرسي البابوية، وعندما لم يظفر به لوجود من هو أحق به منه، فرَّ إلى الصحراء واخترع دينًا جديدًا هو دين الإسلام! والقرآن الكريم قد اقتبسه ذلك الكاردينال الفار إلى الصحراء، قد اقتبسه من التوراة والإنجيل! الدين الإسلامي دين ملفق، والمسيحية هي الدين الصحيح، دين المحبة!

ويقول طالب الدراسات التبشيرية أيضًا للصبي أحمد ديدات: لقد كان نبي الإسلام زير نساء، أنت تعرف أنه قد تزوج تسع نساء، يتزوج الرجل العادي امرأة واحدة، وأجاز محمد لأتباعة أربع زوجات، وأجاز لنفسه تسع زوجات! كانت الشهوة الجنسية العارمة هي السبب في ذلك!

ولا ريب أن هذه الاتهامات الكاذبة الموجهة إلى الإسلام وإلى نبي الإسلام العظيم عليه الصلاة والسلام، إنما هي اتهامات كاذبة ملفقة باطلة، وحسبنا فحسب أن نشير هنا بإيجاز إلى أن اتهام رسول الإسلام ﷺ كانت تغلب عليه الشهوة الجنسية، وأن هذه الشهوة الجنسية كانت هي السبب في زيجاته التسع، فلقد كان ﷺ مكتفيا بزوجة واحدة هي أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وأرضاها، وكانت لكل زيجة من زيجاته ﷺ بعدها لسبب من الأسباب هو أبعد ما

يكون من الشهوة الجنسية، وهذه الأسباب غير الجنسية مبسوطة في كتب السيرة النبوية الشريفة، ولا حاجة بنا مع حرصنا على الإيجاز إلى ذكرها ها هنا، ولو كان الأمر بشأن زيجات الرسول ﷺ أمر شهوة جنسية، لكان ﷺ يستطيع أن يأخذ لنفسه مئات، بل آلاف النساء، وكان الملوك في عصره يفعلون ذلك دون حسيب أو رقيب أو ناقد ينعي على أحدهم ذلك أو يعيب؛ بل كان أنبياء من أنبياء الله المصطفين المتفق على نبوتهم بين أصحاب الأديان السماوية الثلاث، مثل سيدنا سليمان ﷺ، كانوا قد اتخذوا لأنفسهم بالفعل مئات الزوجات والسراري والمحظيات!

أما ما عدا ذلك من افتراء وكذب، فهو غير جدير بالالتفات لانعدام الدليل على صحته، ما الدليل على أن رسول الإسلام ﷺ كان كاردينالاً مسيحيًا، يطمع في الوصول إلى كرسي البابوية، ولما لم يستطع الوصول إليه فرَّ إلى الصحراء، وأنشأ دينًا جديدًا هو دين الإسلام فيما يزعم خصوم الإسلام؟ لا دليل!

ما الدليل على أن رسول الإسلام ﷺ قد كتب القرآن الكريم من التوراة والإنجيل؟ لا دليل! بل تنهض الأدلة على أصالة القرآن الكريم، وعلى أنه وحي إلهي حكيم أنزله الله على خاتم الأنبياء والمرسلين، هل يكون تقليد عمل أدبي أجمل من الأصل؟ القرآن الكريم أجمل صياغة مما يزعمونه أنه أصل له! هل يكون التقليد مناقضًا للأصل؟ القرآن الكريم يناقض التوراة والإنجيل في تصور الإله، وفي كثير من أساسيات العقيدة الدينية، ويصوب القرآن الكريم ما لحق بهذه الكتب السابقة زمنيًا على الإسلام من تحريف للكلم عن مواضعه.

تقول التورة بعد أن حرَّفها بعض أحبار اليهود إن عزيرًا ابن الله، ويقول النصارى إن المسيح هو ابن الله، ويقول القرآن الكريم بهذا الخصوص ما معناه أن الله لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا في مثل قوله ﷻ: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣﴾ [الجن: ٣]

ويقول الحق ﷻ في القرآن الكريم: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١– ٤]

لكن الصبي «أحمد ديدات» الذي كان يعمل أجيرًا في مكتبة لبيع الكتب ملحقة بدار طباعة، ملحقة بمعهد لتخريج المبشرين بالمسيحية، لم يكن ليستطيع أن يجيب، وكان يلوذ بالصمت الرهيب، وكان الدم يغلي في عروقه؛ لأن معارفه عن الإسلام، وعن نبي الإسلام ﷺ كانت قاصرة، ولم تكن تمكنه آنذاك أن يجيب على مثل هذه الأباطيل والأكاذيب!

في ذلك يقول العلامة ديدات بنفسه في حديث صحفي أجرته معه جريدة الجزيرة السعودية[١]، يقول: «كان رجل أمريكي يدعى «وليامز» قد أقام كلية جامعية بجنوب إفريقيا؛ وكان قد كرس حياته وكل إمكاناته المالية الضخمة لنشر الدعوة المسيحية؛ كان ينظم الدورات الدراسية والتدريبية، لتتولى تعليم وتدريب المبشرين بالمسيحية من أهل جنوب إفريقيا وغيرها، وكان أولئك المتدربون بتلك الكلية المسيحية التبشيرية يأتون عندي بالمكتبة التي كنت أعمل بها وأنا صبي صغير، لكي يمارسوا معي تطبيق ما درسوه نظريًا بمعهدهم؛ كانوا يقولن لى: إن محمدًا عليه الصلاة والسلام له الكثير من الزوجات، فلا أستطيع الرد عليهم. وقالوا لى: إن محمدًا قد نشر دينه بحد السيف، فلم أستطع الرد عليهم. وقالوا لى: إن محمدًا عليه الصلاة والسلام كتب القرآن من اليهودية والسميحية، فلم أرد عليهم، كانت تنقصني المعلومات وكانت تنقصني بالتالي الحجة التي تدحض أكاذيبهم ومفترياتهم.

لم أكن جاهزًا مستعدًا مهيأً للرد عليهم؛ إذ كانت معظم تعاليم الإسلام مبهمة بالنسبة لي آنذاك، كنت أقوم آنذاك بأداء الفروض الإسلامية كما كان يؤديها والدي، كنت أصلي الصلوات الخمس كما كان والدي يصلي، وكنت أصوم أيام شهر رمضان كما كان والدي يصوم، وكنت لا أشرب الخمر ولا أقامر اقتداءً بوالدي وأقاربي.

وإزاء انهمار مفتريات طلاب المعهد التبشيري على الصبي أحمد ديدات كل يوم، طلب أحمد ديدات أن ينتقل من بيع كتب الدين المسيحي بالمكتبة كي يعمل سائقًا لسيارة تعمل لحساب مصنع لصناعة الأثاث تابع لذات بعثة وليامز التبشيرية،

---

(١) جريدة الجزيرة السعودية – العدد (٥٦٧١) – ٨ إبريل ١٩٨٨م.

ثم شغل وظيفة كاتب حسابات بالمصنع ذاته، وتدرج في وظائفه حتى أصبح مديرًا للمصنع، مما يدل على نشاط وحيوية وهمة عالية دون ريب.

وكانت مفتريات طلبة معهد التبشير المسيحي تشغل باله على الدوام، إنه يؤمن إيمانًا راسخًا أن الدين عند الله هو الإسلام، وأن الله لا يمكن أن يكون ثلاثة، وأنه لا يمكن أن يكون لله صاحبة ولا ولد، لقد حفظ في طفولته بالمدرسة الابتدائية، بل قبل الولوج من بابها، حفظ عن ظهر قلب قول الله ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١- ٤]

فما بال أولئك الصبية من غلمان المسيحية، يزعمون أن عيسى Their Jesus هو ابن الله؟ وما بال غلمان المسيحية يتقولون ويتطاولون على الإسلام وعلى نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام، والإسلام هو دين الحق دون ريب، ونبي الإسلام ﷺ هو أعظم العظماء وخاتم المرسلين والأنبياء عليهم السلام؟!

كان والده مسلمًا متمسكًا بعقيدته الإسلامية، وكان والده يحكي له عظمة الممالك الإسلامية في بعض أقاليم الهند، وعدل الحكام المسلمين وحسن سياستهم للناس، استلهامًا لقيم ومبادئ الدين الإسلامي القويم، وكان والده يطلعه على اعتماد الاستعمار الغربي المسيحي على القوة الغاشمة، ويطلعه على اعتماد الاستعمار الغربي المسيحي على القوة الغاشمة، ويطلعه على جشع المستعمرين الاقتصادي، وعلى زيف ما يدعونه من قيم حضارية، وكان والده يطلعه على أن الإسلام هو دين العدل والمساواة ضاربًا له المثل الواقعي الفعلي، المتمثل في ممارسات الاستعمار البريطاني بالهند، وممارسات الحكومة العنصرية بجمهورية جنوب إفريقيا، أين هذه الممارسات المسيحية البغيضة من سماحة الإسلام وعدله ومساواته الحقيقية بين الناس، إذ لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى؟

ولكن ما شهده وعايشه أحمد ديدات من ظروف سياسية واقتصادية ودينية بالهند، ثم بجمهورية جنوب افريقيا، وما شهده وعايشه أحمد ديدات من نشاط تبشيري محموم، يستخدم الأكاذيب وأحط الأساليب لإدخال الناس إلى حظيرة المسيحية، قد أقلقه وأزعجه وشغل باله، وأثار كل اهتمامه دون ريب.

أخذ أحمد ديدات يقرأ ويقرأ، وجعلتُ عظمة وسماحة ومظاهر سواء وصواب وعدالة الإسلام تتبدى له واضحة المعالم كلما قرأ وقرأ.

لم تشف الكتب والمطبوعات الإسلامية التي كانت موجودة بجمهورية جنوب إفريقيا نَهْم أحمد ديدات وولعه بالقراءة عن الإسلام وحقائقه التي تدحض أكاذيب خصومه، في أواخر الأربعينات قرر أحمد ديدات مغادرة جمهورية جنوبْ إفريقيا إلى بلد يحظى بأغلبية من المسلمين، ويتحدث أهله اللغة الإنجليزية التي لم يكن يتفق آنذاك سواها، وقرر أحمد ديدات السفر إلى باكستان، باعتبار أنها بلد إسلامي يتحدث أهله اللغة الإنجليزية على نطاق واسع، وقبل سفره إلى باكستان كان أحمد ديدات قد تعلم هندسة إصلاح أجهزة الراديو، وأسس الهندسة الكهربائية وإصلاح بعض المعدات والأجهزة المنزلية الكهربائية، ليتمكن من كسب عيشه في ذلك البلد الذي أزمع الهجرة إليه باكستان، وإن دل هذا على شيء فهو يدل على همة عالية وبصيرة نافذة ثاقبة، ورحل أحمد ديدات من جمهورية جنوب إفريقيا إلى باكستان عام ١٩٤٩م، وكان قد أتم الحلقة الثالثة من عمره.

ونجح أحمد ديدات في حياته العملية في باكستان نجاحًا كبيرًا، أصبح معه مديرًا لأحد مصانع النسيج بباكستان، وكان ديدات يقرأ ويقرأ.

ولكن أسرته لا تزال تعيش في جمهورية جنوب إفريقيا، ولا يتصل بأهله إلا من خلال الخطابات، ونظرا لأنه لم يكن من مواليد جمهورية جنوب إفريقيا كما سبق أن أشرنا، فلقد كان من الضروري أن يعود إلى جنوب إفريقيا، كي يقيم بها إقامة متصلة، وإلا تعرض لفقدان جنسية جمهورية جنوب إفريقيا وفقًا للقانون المعمول به فيها.

ولقد تزود ديدات خلال سنوات إقامته في باكستان بكثير من المعارف الإسلامية، وكان عقله يعمل بنشاط هائل وبصيرة نافذة، مقارنًا بين حقائق الإسلام وأكاذيب خصومه، وكان مشوقًا كل الشوق أن يرد على أكاذيب ومفتريات طلبة كلية «وليامز» ضد الإسلام، وكان مشوقًا كل الشوق إلى دحض أكاذيب المبشرين النصارى، التي كانوا يروجونها بين أهله وعشيرته من المسلمين.

في بلد إسلامي عربي يتكلم مواطنوه اللغة العربية مثل مصر أو سوريا أو اليمن أو غيرها، من العسير جدًّا إن لم يكن من المستحيل، تحويل شخص عن الإسلام وإدخاله في المسيحية، ولكن في بلاد إفريقية مثل نيجيريا أو ساحل العاج أو غيرها، حتى لو كانت أغلبية السكان من المسلمين، ينجح المنصرون والمبشرون بالمسيحية في تحويل أعداد هائلة إلى المسيحية، اعتمادًا على الأكاذيب والمفتريات ووسائل الإغراء المالية والمساعدات الطبية والغذائية والتعليمية، وغير ذلك من مغريات الحياة الدنيا، ولقد كان أحمد ديدات يريد أن يتصدى، ولقد نجح أحمد ديدات في أن يتصدى.

كيف ذلك؟ كيف يتصدى رجل بمفرده لجهود آلاف المنصرين المبشرين بالمسيحية تساندهم حكومات في إفريقيا وأوربا وأمريكا؟ وينجح في التصدي؟ رجل بمفرده؟ كيف ذلك؟

يقول المثل الإنجليزي ما معناه: عندما تكون عزيمة توجد من ثم وسيلة أو طريقة للنجاح في بلوغ الغاية «When there is a will, there is a way».

عكف أحمد ديدات بدأب ونهم وذكاء فطري حباه الله به، عكف على دراسة حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، وتصادف أن قرأ كتابًا بعنوان «إظهار الحق» من تأليف أحد علماء الهند المسلمين هو رحمة الله الهندي، الذي كان مع إلمامه الجيد بحقائق الإسلام مطلعًا أوسع الاطلاع على كتب النصارى، مدركًا لمواطن وأسباب الزيف فيما يدَّعون، وفيما يَدْعُون الناس إليه.

وأدرك ديدات أن هذه التجربة مفيدة أعظم الفائدة للإسلام والمسلمين، وهي بحاجة إلى تعميم في كل أقطار الدنيا، وهي بحاجة إلى تجديد يضيف إليها.

لقد تقدمت وسائل الطباعة ووسائل الإذاعة المسموعة والمرئية تقدمًا هائلاً، ويفيد منها خصوم الإسلام في الكيد للإسلام والتشنيع عليه بما ليس فيه، ويقلبون مزاياه عيوبًا اعتمادًا على المغالطة والكذب والبهتان، وغدا السؤال هو: لماذا لا يستخدم المسلمون نفس الأساليب لإثبات وتوضيح حقائق الإسلام ولتفنيد أكاذيب خصومه؟

وإذا كان المبشرون المنصرون المرجون للعقائد المسيحية مع زيفها من وجهة النظر الإسلامية يدرسون الدين الإسلامي، ويدرسون القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة والسيرة النبوية العطرة، والتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لكي يجدوا الشبهات التي يثيرونها في وجوه المسلمين، لكي يخلطوا أكاذيبهم ببعض الحقائق، فلماذا لا يهتم المسلمون أيضًا بدراسة اليهودية والمسيحية والتوراة والإنجيل وتاريخ اليهود والنصارى، لكشف العيوب والمثالب الحقيقية الموجودة لدى أصحاب هذه الأديان؟

من الذي يقوم بهذه المهمة الجليلة؟ لا بد من المبادرة الفردية، وشرع العلامة أحمد ديدات في العمل محددًا أهداف العمل في مجالات محددة، هي ضرورة أن يتعمق الإنسان المسلم فهم حقائق الدين الإسلامي عقيدة وشريعة أولاً؛ ليتسنى له دحض أكاذيب المبشرين بالمسيحية، وضرورة أن يعرف الإنسان المسلم ما في بضاعة أولئك المبشرين من مثالب وتحريفات في ذات عقيدتهم التي يدعون الناس إليها ثانيًا، وضرورة استخدام وسائل الاتصال والتواصل مع الناس ثالثًا.

وقرر العلامة أحمد ديدات أن يتخذ من مسجد مدينة ديربان بجنوب إفريقيا مركزًا لنشاطه في الدفاع عن الإسلام ضد غارات المنصرين والمبشرين بالمسيحية، فأعلن على الناس أنه قد اتخذ من مسجد مدينة ديربان مركزًا للدعوة الإسلامية، وشرع في العمل فورًا، بل تفرغ لهذه المهمة الجليلة، ولم يكن يمتلك وقتها سوى ثلاثة جنيهات وبضعة شلنات.

أخذ العلامة أحمد ديدات ينظم ويلقي المحاضرات بين المسلمين بمسجد مدينة «ديربان» بهدف توعية المسلمين بحقائق دينهم وأباطيل المُنصِّرين المبشرين بالمسيحية، وأدرك العلامة أحمد ديدات أن الكلمة المطبوعة في كتاب، إنما هي أوسع انتشارًا وأبقى أثرًا من أي كلام يقال في الهواء ليبتلعه الفضاء، ومن ثم اتجه العلامة أحمد ديدات نحو تأليف كتب صغيرة الحجم في موضوعات «مقارنة الأديان» انتصارًا لعقيدة الإسلام وشريعته، ودحرًا لأكاذيب خصوم الإسلام، وكان الناس جوعى إلى هذا الزاد الروحي، وكان الناس عطشى إلى ما يروي غليلهم الفكري، ويثبت

إيمانهم في وجه أعاصير وعواصف المبشرين بالنصرانية، وراجت كتب ديدات رواجًا منقطع النظير، وتضافرت جهود مسلمي مدينة «ديربان» في سبيل طبعها ونشرها، بحيث تم طبع مئات الألوف من كل كتاب، وأصبح «مركز الدعوة الإسلامي» بمدينة ديربان اسمًا على مسمي، وذاع صيت العلامة أحمد ديدات، وكان من الضروري أن يذيع.

وعندما ذاع صيت العلامة أحمد ديدات وذاعت شهرته في الآفاق، باعتبار أن قد درس وتعمق وفهم حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، كان من الطبيعي أن يتصدى له علماء المسيحية وزعماء المبشرين بالنصرانية، فانفتح بذلك الطريق إلى إقامة مناظرات بين العلامة أحمد ديدات وبين علماء المسيحية، مَن يحملون أعلى الدرجات العلمية كدرجة الدكتوراه في اللاهوت المسيحي، مثل الدكتور أنيس شروس، أو الدكتور كلارك، أو ممَن يشغلون أرفع وأرقى المناصب الكهنوتية في الكنيسة المسيحية، مثل القس الأمريكي جيمي سويجارت، أو رئيس كنيسة السويد باستر إستانلي شوبيرج، وكان انتصار العلامة ديدات فيها جميعًا انتصارًا حاسمًا.

ولقد كان العلامة ديدات من الوعي والذكاء والفطنة والدبلوماسية والكياسة وحسن السياسة، بحيث إن هذه المناظرات كانت تجري بطريقة ودية منظمة، كان يشارك بنفسه في تنظيمها ووضع أسسها وضوابطها من جهة، وكان يقوم بتسجيل هذه المناظرات على شرائط فيديو لتعميم الانتفاع بها في كافة أنحاء العالم، ولتكون وثائق تاريخية خالدة من جهة ثانية، كما أنه كان يناظر ويحاور النصارى في عقائدهم مستخدمًا نصوص التوراة والإنجيل المقدسة لديهم، مما جعل انتصاراته في هذه المناظرات كسبًا من المسيحية دون خسارة إسلامية، ذلك أنه لم يفطن واحد ممَن أجروا معه المناظرة إلى أن يناقش ديدات في أي موضوع إسلامي، وعندما كان ديدات يفوز في المناظرة، كان في حقيقة الأمر يكسب من المسيحية دون أن يخسر أي أرضية إسلامية من جهة ثالثة.

ولقد اتخذ نشاط الداعية الإسلامي العبقري الفذ العلامة أحمد ديدات صورًا أخرى متعددة، على شكل محاضرات ومقابلات صحفية وأحاديث تلفاذية وإذاعية

في إفريقيا ولآسيا وأوروبا وأمريكا، وعنوان آخر كتاب قمت بترجمة عربية له يحوي عملين هامين، أحدهما عبارة عن لقاء إذاعي في جينيف والآخر عبارة عن محاضرة في جزر الملاديف، والكتاب بعنوان: «ديدات في جينيف، ديدات في الملاديف» وهو تحت الطبع لدى دار الفضيلة بالقاهرة. وقد تمت الترجمة المذكورة نقلاً عن شرائط فيديو من إنتاج مركز الدعوة الإسلامية بمدينة «ديربان» بجمهورية جنوب إفريقيا.

The Islamic Propagation Center International

(IPCI)

وعنوانه هو ,45, 47, 49, Madressa arcade:
Durban, R.S.A. –Phone(O31)329518-IPCOI

ويطبع وينشر ويوزع العلامة أحمد ديدات آلاف النسخ من ترجمة معاني القرآن الكريم للعلامة عبد الله يوسف علي، في مجلد ضخم فاخر الطباعة، يوزعه دون تحقيق أي ربح مالي، مقابل سعر التكلفة فقط، مع عمل دعاية مناسبة له في جميع شرائط الفيديو، وجميع الكتب والمناظرات التي ينتج المركز الإسلامي بمدينة ديربان عشرات الألوف منها كل عام.

وهكذا، من جمهورية جنوب إفريقيا، حيث الديانة السائدة هي الديانة المسيحية، واللغة السائدة هي اللغة الإنجليزية، والسياسة السائدة هي التفرقة العنصرية، من جمهورية جنوب إفريقيا يرتفع صوت مسموع في جميع أنحاء العالم يقول: إن الدين عند الله هو الإسلام. يقولها على شكل محاضرات، يقولها على شكل كتيبات عبقرية الإبداع، مذهلة الإيقاع، صادقة المحتوى، مقنعة لكل قارئ مسلم أو غير مسلم، يقولها على شكل مناظرات ينتصر فيها للإسلام انتصارًا حاسمًا مدويًا في أسماع العالم، الذي تقدمت في ربوعه وسائل الإعلام والاتصال، من جمهورية جنوب إفريقيا حيث الديانة السائدة هي المسيحية، وحيث السياسة المطبقة هي التفرقة العنصرية، وحيث اللغة السائدة هي اللغة الإنجليزية، يرتفع صوت الداعية الإسلامي العبقري العالمي الفذ «أحمد ديدات» مناديًا أن الدين عند الله هو الإسلام، يقولها بالإنجليزية، وثلاثة أرباع العالم يتحدثون الإنجليزية، ومن

خلال عرضنا لأبرز وأهم منجزاته، سنحاول التعرف كيف قالها؟ وكيف أثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن الدين عند الله هو الإسلام؟ مما أصاب العالم المسيحي بالذهول، وهو يشهد ضياع جهود المبشرين والمنصرين على مدار عشرات السنين في جميع أرجاء العالم المأهول، وإذا رجل مسلم واحد هو العلامة أحمد ديدات يكاد يعصف بجهودهم ليجعلها كعصف مأكول.

ومن العار والشنار أن يستدعى العلامة أحمد ديدات إلى الولايات المتحدة الأمريكية وإلى إنجلترا وإلى السويد وإلى غيرها من الدول المسيحية الكبرى المتحضرة حيث تعقد معه مناظرات وحيث يلقي محاضرات، وحيث تجري معه مقابلات صحفية وإذاعية وتلفازية، دون أن تهتم بعض الأقطار العربية الإسلامية لقيمة هذا الجهد الجبار، ولعل في تقديمنا موجزًا لأهم منجزات هذا الداعية الإسلامي العالمي العبقري الفذ، لعل في ذلك ما يسد جانبًا من فراغ، كان ينبغي أن تشغله منجزات هذا العلامة الداعية الإسلامي العالمي العبقري الفذ أحمد ديدات، الذي يتردد صوته في جميع أنحاء العالم معلنًا أن الدين عند الله هو الإسلام.

القسم الثاني

موجز المنجزات

كتاب « ما يقوله الإنجيل عن محمد ﷺ »

هذا الكتاب من أوائل الكتب التي قام بتأليفها وطبعها ونشرها العلامة أحمد ديدات، وهو كتاب صغير الحجم، حسن الإخراج، مقبول الشكل، هام المحتوى، وإن لم يزد عدد صفحاته عن اثنتين وثلاثين صفحة فيما أذكر، وقد قمت بترجمته إلى اللغة العربية، وهو تحت الطبع بدار الفضيلة للطبع والنشر بالقاهرة، وعنوان هذا الكتاب بالإنجليزية هو: «What the Bible says about Muhammad (P.B.U.H.)»

ويخطئ بعض المترجمين عندما يترجمون عنوان الكتاب إلى العربية بصيغة الاستفهام، إن المساعد لا يسبق الفاعل، ولا توجد علامة استفهام بآخر العبارة، مما يجعل من المستحيل أن تكون الترجمة الصحيحة للعنوان بصيغة الاستفهام بأي حال من الأحوال.

وليست كلمة What في أول العبارة المستخدمة في عنونة الكتاب كلمة استفهامية إنها أداة ربط Conjunction، والعبارة تابعة لجملة رئيسية محذوفة تقديرها هو: هذا هو. This in أو: سأخبرك ... I shall tell you، والعبارة المستخدمة كعنوان للكتاب إنما هي جملة اسمية تابعة Subordinate Noun Clause في محل رفع خبر المبتدأ على التقدير الأول، أو في محل نصب مفعول به على التقدير الثاني.

وإذ أقدم بكل تواضع هذا الإيضاح، أود أن أشير بكل أخوة وتواضع أيضًا إلى أن الترجمة علم وفن مع ضرورة الإحاطة التامة، والمعرفة المتخصصة بفرع العلم، الذي تتناول الترجمة أحد موضوعاته، وليست الترجمة عمل مَن لا عمل له، الترجمة أمانة، الترجمة رسالة، ولا ينبغي أن يقدم على الترجمة من تلقاء نفسه إلا مَن يتقنها؛ وعلى مَن لا يأنس في نفسه، ولا يأنس فيه غيره القدرة على اتقان الترجمة أن يحجم من تلقاء نفسه عن مزاولتها، ولو زوالها كهواية، لا ينبغي له أن يقدم على طبع ونشر ترجمة عمل ما؛ إذ لم يأنس في نفسه، ويأنس فيه غيره القدرة على إتقان الترجمة، وينبغي أيضًا أن يتحرى السادة الناشرون ذلك بكل دقة وأمانة، إنها مسألة أخلاق في المقام الأول، ولكم تسيء ترجمة عرجاء إلى عمل فكري عملاق، عندما

تنقله من لغته الأصلية كاللغة الإنجليزية إلى لغة أخرى كاللغة العربية ترجمة مشوهة، دون أن يكون الأصل شائهًا، إن ترجمة شائهة تشوه دون ريب أروع الأعمال الفكرية في اللغة الأصلية التي كتب بها الأصل الرفيع المستوى.

ويبدو لي أن محتوى كتاب «ما يقوله الإنجيل عن محمد ﷺ» كان في الأصل محاضرة قام العلامة أحمد ديدات بإلقائها، ثم قرر طباعة محتواها في كتاب، والدليل على ذلك أنه يستهل كلامه في هذا الكتاب فيما أذكر بقوله: «سيدي الرئيس، سيداتي سادتي، إن موضوع حديث الليلة يدور حول ما يقوله الإنجيل عن محمد، ومما لا ريب فيه أن الموضع وهذا هو عنوانه يبدو لكم مثيرًا للدهشة؛ إذ كيف يتحدث رجل مسلم عما يقوله الإنجيل عن محمد، متصديًا لشرح نبوءات من الكتب السماوية اليهودية والمسيحية... إلخ».

ويبدأ العلامة أحمد ديدات في تناول الموضوع فيذكر أنه حضر ذات مرة محاضرة لأحد القساوسة المسيحيين كان يروج فيها لعظمة الكتاب المقدس The Bible بعهديه القديم والجديد، ولفت نظر العلامة أحمد ديدات أن القس المحاضر، الأب هيتن Hiten راح يؤكد لمستمعيه أن الكتاب المقدس قد تنبأ بكل شيء حدث في العالم، ويحدث في العالم، وسيحدث في العالم، زعم القس المحاضر الأب هيتن Hiten في محاضرته تلك، أن الكتاب المقدس تنبأ بظهور الشيوعية في روسيا، وذكر للمستعمين أن الوحش ٦٦٦ الذي ورد ذكره في سفر الرؤيا أو سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي بالأصحاح ١٣ بالجملة ١٨ هو البابا المقيم في الفاتيكان إبان إلقاء محاضرة القس الأب هيتن، وذكر أن البابا سيجعل العالم كله نصرانيًا قبل أن تنقضي مدة بابويته بالوفاة.

وتذكَّر العلامة أحمد ديدات أن محاضرًا مسيحيًا آخر كان قد ذكر أن الوحش ٦٦٦ هو الدكتور هنري كيسنجر H.Kissinger وزير خارجية أمريكا المشهور وذلك اعتماد على افتراض دلالة رقمية لحروف الكلمات يدعي المحاضر المسيحي معرفته بها ودرايته بطلاسمها، مما يلقي في روع مستمعيه أن للكلام بكتاب النصارى المقدس معاني غير معانيه الظاهرة، لا يدركها عامة الناس، بل يعرفها الخواص منهم، وعلى عامة الناس فحسب أن يؤمنوا.

وثار بخاطر العلامة «أحمد ديدات» سؤال مهم انطلاقًا من هذا المنطلق، بدءًا من هذا الافتراض المسيحي، الذي يزعم أن الإنجيل بعهديه القديم والجديد قد تنبأ بكل ما حدث ويحدث وسيحدث في العالم، تساءل العلامة ديدات: ألم يتنبأ كتاب النصارى المقدس بعهديه القديم والجديد عن ظهور نبي الإسلام محمد ﷺ، وبعث الله له بخاتم الرسالات السماوية؟ أم أن نبوة وبعثة رسول الإسلام ﷺ حدث غير مهم في تاريخ العالم، وهو الرسول العظيم الذي يتبع دينه، دين الإسلام، آلاف الملايين من البشر؟ إذا كان الإنجيل قد تنبأ بظهور الشيوعية في روسيا، وتنبأ بظهور وبزوغ نجم وزير خارجية أمريكا الدكتور هنري كيسنجر، فمن الضروري أن يكون الإنجيل قد تنبأ أيضًا بمجيء رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام، والسؤال هو، هل تنبأ الإنجيل فعلاً بظهور رسول الإسلام محمد ﷺ؟

ولم يكن ذلك السؤال مجرد تساؤل عابر ألمّ بخاطر أحد الرجال لحظة ثم مضى، وبطريقته العبقرية الفذة، جعل العلامة أحمد ديدات من هذا السؤال موضوعًا للبحث العلمي والدراسة الموضوعية.

السؤال مهم غاية الأهمية وليس السؤال ساذجًا أو بسيطًا؛ إذ أن القرآن الكريم يؤكد ورود ذكر رسول الإسلام ﷺ بالتوراة والإنجيل، وينكر اليهود والنصارى ورود أي ذكر لرسول الإسلام ﷺ بالتوراة أو بالإنجيل، فما هي حقيقة الأمر يا ترى، ما يذكره القرآن الكريم بهذا الشأن، أم ما يصر عليه اليهود والنصارى؟

يقول اليهود: هاكم التوراة، ليس فيها أي ذكر لمحمد ﷺ كرسول للإسلام، وليس فيها أي ذكر لكونه آخر الأنبياء والمرسلين عليهم السلام.

ويقول اليهود: هاكم كتب العهد الجديد، وليس فيها أي ذكر لمحمد ﷺ[1].

---

(١) عجيب شأن أولئك اليهود والنصارى الذين يكذبون القرآن الكريم بزعمهم أنه لم يرد ذكر لرسول الإسلام عليه السلام بكتابهم المقدس. هل يريدون أن يجدوا اسم محمد أو أحمد بحروفه العربية في كتاب مقدس مكتوب باللغة العبرية أو الآرامية أو اليونانية. رسول ا لإسلام عليه السلام مذكور بالفعل في مواضع كثيرة من العهد القديم ومن العهد الجديد، ولا ي سعنا ونحن نقدم موجزا لكتاب العلامة أحمد ديدات أن نعرض لها ها هنا، وقد عرضناها في كتب أخرى أهمها كتاب المناظرة الأولى الذي تصدره مكتبة التراث الإسلامى بالقاهرة.

ويقول القرآن الكريم على سبيل المثال لا الحصر، يقول الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾.

[الصف: ٦- ٩]

وتنبع قيمة كتاب «ما يقوله الإنجيل عن محمد ﷺ» للعلامة أحمد ديدات من أنه قد عرض لدراسة وتمحيص هذه المسألة بطريقة موضوعية، وبمنهج علمي يعتمد على النصوص المقدسة، ولكن أية نصوص مقدسة؟

إن العلامة أحمد ديدات لا يعتمد على نصوص مقدسة من القرآن الكريم عند مخاطبته عقول النصارى؛ إذ ما أسهل أن يرفضوا ذلك قائلين: نحن النصارى لا نؤمن بالقرآن الكريم[١] اعتمد العلامة أحمد ديدات فحسب على ما تمليه البداهة، وعلى بعض النصوص المقدسة الموجودة في كتب النصارى بحالتها الراهنة؛ لتكون الحجة عليهم من كتابهم المقدس ذاته، فلا يملكون من الاعتراف بالحقيقة -لو أنصفوا- مهربًا.

ويعتمد العلامة ديدات في منهجه أيضًا على الحوار والجدل الهادئ الرصين بالتي هي أحسن، مما يضفي على الموضوعات التي يتناولها بالدراسة حيوية فائقة فياضة، ودلالة ناصعة واضحة لا غموض فيها.

ولدى العلامة ديدات قدرة عبقرية فائقة في العثور على الأشخاص الذين يدير معهم الحوار، وعلى إلزامهم جادة الصواب، بحيث لا تفضي المحاورة أو

---

(١) من الثابت أن النبي ﷺ أبان مناظرته الشهيرة مع وفد نصارى نجران، لم يجادلهم بذكر آية قرآنية واحدة مع نزول عشرات الآيات بصدر سورة آل عمران بشأن المسيح عليه السلام مع قومه، بل اعتمد النبي ﷺ على ما تمليه «البداهة» في حواره مع وفد نصارى نجران. انظر في ذلك الشأن كتابنا المناظرة الأولى، مكتبة التراث الإسلامي بالقاهرة.

المناظرة إلى شجار، بل تمضي المحاورة أو المناظرة إلى غايتها وأهدافها بهدوء وثبات واقتدار.

لم يجد السؤال المهم ببال العلامة أحمد ديدات، ولم يمر السؤال المهم بخاطرة مرور الكرام، بل شرع على الفور في دراسة وتمحيص إجابته بعبقرية فذة، وباقتدار عبقري.

يذكر العلامة أحمد ديدات في كتابه: «ما يقوله الإنجيل عن محمد ﷺ» أنه قد أجرى اثنتى عشر مكالمة هاتفية مع قساوسة ورجال الدين المسيحي بجمهورية جنوب إفريقيا، لتمحيص وحسم إجابة هذا السؤال: هل ورد ذكر لرسول الإسلام ﷺ بالإنجيل أم لم يرد له ﷺ أي ذكر؟ واعتذر القساوسة ورجال الدين المسيحي الاثنى عشر عن مناقشة السؤال مع العلامة ديدات، ولكنه كان محظوظًا -كما ذكر- في المكالمة الهاتفية الثالثة عشر، التي أجراها مع قسيس مقيم بإقليم الترنسفال يدعى «فان هيردن» وشد العلامة أحمد ديدات إليه الرحال في إقليم الترنسفال.

ولدى وصوله رحَّب بقدومه القس «فان هيردن» واستأذن منه أن يحضر حوارهما حمو القس «فان هيردن» وهو رجل مسيحي بلغ الخامسة والسبعين من العمر، ربما ليستعين القس في حواره مع العلامة ديدات بخبرات حميه ومعارفه الدينية، ووافق العلامة ديدات على هذا المطلب فورًا.

وأثار العلامة ديدات السؤال المهم، وبدأ بشأنه الحوار.

قال العلامة ديدات: ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد؟

قال القس فان هيردن: لا شيء.

قال العلامة ديدات: لماذا لا شيء؟ إن الكتاب المقدس كما تقولون قد تنبأ بكل شيء.

قال القس فان هيردن: هذا صحيح، لقد تنبأ كتابنا المقدس بكل شيء، ولكن لم يذكر كتابنا المقدس أي شيء محمد.

قال العلامة ديدات: لماذا لا شيء؟ إن هذا الرجل الذي اسمه محمد قد أحدث تغييرات هامة جدًّا في العالم، ويعتنق دينه الذي جاء به آلاف الملايين من البشر

الذين يؤمنون ببعثه رسولاً نبيًّا، ويؤمنون بمعجزه ولادة المسيح ﷺ، ويؤمنون أن عيسى ابن مريم هو المسيح، ويؤمنون أنه كان يحيي الميت، ويبرئ الأكمة والأبرص بإذن الله وبقدرة الله، إذا كان الكتاب المقدس قد تنبأ بكل شيء كما تقولون، فمن الضروري أن يكون الكتاب المقدس قد تنبأ بهذا الحدث الهام، حدث مجيء وبعث الله لمحمد برسالة الإسلام، ولذلك أكرر السؤال.

وهنا تدخل حمو القس فان هيردن قائلاً: يا بني، لقد قرأت الكتاب المقدس طوال الخمسين سنة الماضية، ولو كان قد ورد ذكر رسول الإسلام بالإنجيل لكنت قد علمته، لم يرد أي ذكر لرسول الإسلام محمد بالإنجيل على الإطلاق.

وهكذا سجل العلامة أحمد ديدات على النصارى موقفهم المتمثل في إنكار ورود أي ذكر أو إشارة إلى مجيء نبي الإسلام محمد ﷺ بالتوراة أو بالإنجيل!

ويستمر العلامة ديدات في الحوار بشأن السؤال المثار، فيقول موجهًا الكلام نحو القس فانْ هيردن: ألا توجد نبوءات بشأن مجيء المسيح في التوراة أو العهد القديم؟

قال القس فان هيردن: بل توجد مئات، بل آلاف النبوءات بهذا الشأن.

قال العلامة ديدات: إننا كمسلمين نؤمن بمجيء المسيح حقًّا لا بالاعتماد على بنوءات التوراة، ولكن آمنَّا أن المسيح قد جاء بالفعل تصديقًا لمحمد وحده، ويوجد في عالمنا اليوم ما لا يقل عن مليار (١٠٠٠٠٠٠٠٠٠) مسلم يحبون ويوقرون ويجلون المسيح عيسى ابن مريم، هل تستطيع أن تتفضل وتعطيني نبوءة معينة بالتوراة ورد بها ذكر «يسوع» بالاسم؟

والسؤال على هذا النحو في غاية الأهمية؛ إذ أن ما يزعم النصارى أنه نبوءات بمجيء المسيح ﷺ بالتوراة لم يرد فيها ذكر لاسم يسوع على الإطلاق، فكيف يهم يغالطون ويزعمون أن لم يرد ذكر لرسول الإسلام «أحمد» كما يقرر ذلك القرآن الكريم بالتوراة والإنجيل؟ هل يريدون أن يجدوا اسم «أحمد» بحروفه العربية: ألف مهموزة وحاء وميم ودال في التوراة المكتوبة بالعبرية أو بالآرامية؟ إنهم يغالطون دون ريب، وها هم أولاء يعترفون أن التوراة قد وردت بها مئات، بل آلاف النبوءات عن مجيء المسيح، دون أن يرد فيها ذكر اسم يسوع صراحة، كما يقرر

ذلك القس فان هيردن؛ إذ يقول دون أن يفطن إلى مغـزى وأهميـة سـؤال العلامـة ديدات؛ إذ قال للقس كان هيردن: هل تتفضل بأن تعطيني نبوءة واحدة فقط وردت بالتوراة، وذكر فيها اسم يسوع وأن أم المسيح اسمها مريم أو ماري Marry وأن أباه على ما يظن هو «يوسف النجار» وأنه سيولد إبان حكم «هيرودس الملك... إلخ؟

وإذ لم يفطن القس فان هيردن الى أهمية ومغزى السؤال رد قائلاً: لا، لا توجد بالتوراة مثل هذه التفاصيل.

وسـأل العلامـة ديـدات: وكيـف تـستنتج إذن أن هـذه النبـوءات الـتي وردت بالتوراة بشأن مجئ المسيح تتعلق بيسوع المسيح؟

قال القس فان هيردن: أنت تدرك أن النبوءة Prophecy إنما هي كلمات تـصور أي شيء سيحدث في المستقبل، اعتمادًا على التلميح دون التصريح، وعندما يحدث هذا الشيء الذي ألمحت إليه النبوءة، ندرك أن النبوءة قد تحققت.

قال العلامة ديدات: النبوءة إذن لا تصرح تصريحًا كاملاً بالحدث الـذي سـيقع في المستقبل، بل يكفي أن تلمح النبوءة إليه، وأنت في حقيقـة الأمـر تـستنتج أن مـا تلمح إليه النبوءة وعندما تجد أنه قد تم إضافة اثنين إلى اثنين، تستنتج أن الناتج هـو أربعة؟

قال القس فان هيردن: نعم، هذا هو الشأن فيما يتعلق بـالنبوءات الـتي وردت بالعهد القديم، مبشرة بمجئ يسوع المسيح.

قال العلامة ديدات: لماذا لا نطبق نفس المنهج فيما يتعلق بموضوع سؤالى الذي طرحته قبل بداية حوارنا عندما سألت: هل ذكر الكتاب المقدس شيئًا عن محمد؟

قال القس فان هيردن: لا مانع بطبيعة الحال، ماذا تريد أن تقول؟

وطلب العلامة أحمد ديدات من القس فان هيردن أن يفتح بنفسه الإنجيل، وأن يقرأ سفر التثنية [١٨ - ١٨] وقرأ فان هيردن ما ترجمته العربية هي ما يلي: «أقيم لهم نبيًّا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به».

[تث ١٨-١٨]

ثم سأل العلامة أحمد ديدات: بمَن تتعلق هذه النبوءة التي وردت بالتوراة بـسفر التثنية بالأصحاح ١٨ بالجملة رقم ١٨؟ من هو النبي الذي يقيمه الله من إخوة بـني

إسرائيل، مثل سيدنا موسى، ويجعل الله كلامه في فمه، فيكلمهم بكل ما يوصيه الله به؟

قال القس فان هيردن دون تردد: يسوع[١] هذه واحدة من أهم النبوءات التوراتية بمجيء يسوع دون ريب.

وقال العلامة ديدات: لماذا يسوع؟ إن اسم يسوع غير موجود بالنبوءة؟ ما الذي يحتم أن تكون هذه النبوءة متعلقة بشخص يسوع؟

قال القس فان هيردن: سبق أن ذكرت لك أن النبوءة تلمح دون أن تصرح بوقوع حدث في المستقبل، وعندما يقع الحدث نستنتج أن النبوءة قد صدقت، وأهم ألفاظ النبوءة الذي يحتم أن المعنى المقصود بها هو يسوع هو لفظ مثلك؛ أي مثل موسى، ويسوع هو الذي يعتبر مثل موسى، كان موسى يهوديًّا، وكان يسوع يهوديًّا[٢]، ومن هنا يتضح أن يسوع مثل موسى، وتتعلق النبوءة دون ريب بيسوع وحده دون غيره، هذه من أهم النبوءات التوراتية بمجيء يسوع المسيح، وقد تحققت النبوءة، وجاءنا يسوع المسيح.

قال العلامة ديدات: هل هناك أوجه تماثل أخرى بين موسى ويسوع؟

قال القس فان هيردن: نعم، كان موسى نبيًّا، وكان يسوع نبيًّا، هذا فحسب هما وجها التماثل بين موسى ويسوع، كان يسوع يهوديا مثل موسى وكان يسوع نبيا مثل موسى، ولهذين السببين تتعلق النبوءة بمجيء يسوع وحدة دون غيره.

قال العلامة ديدات: ألا تلاحظ أن هذين الوجهين اللذين ذكرتهما من أوجه التماثل[٣] بين يسوع وسيدنا موسى عليه السلام، ينطبقان تمام الانطباق على جميع أنبياء بني إسرائيل الذين جاءوا بعد سيدنا موسى عليه السلام، مثل سيدنا سليمان وأشعيا وحزفيال

---

(١) يعتبر النصارى أن اسم المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام هو يسوع.

(٢) هكذا يعترف أحد قساوسة المسيحية أن المسيح كان يهوديًّا، ولو قال له أحد ذلك خارج إطار هذا الحوار لأنكره كما ينكره عامة النصارى.

(٣) الاعتبار الوحيد الذي استند إليه القس فان هيردن في إثبات «المثلية» أو «التماثل» بين يسوع وسيدنا موسى عليه السلام ينحصر في أن سيدنا موسى عليه السلام كان يهوديا وأن يسوع كان يهوديًّا، وسنرى مدى حجية هذا المستند.

ودانيال وهوشع ويوئيل وملاخي وصموئيل ويوحنا المعمدان؟ إن كلاً من أولئك الأنبياء عليهم السلام كان يهوديًا مثل سيدنا موسى، وكان نبيًا! لماذا لا تنطبق النبوءة المذكورة بسفر التثنية [١٨: ١٨] على أحد من أولئك الأنبياء، ولماذا ينطبق على يسوع فقط؟

وسكت القس فان هيردن ولم يحر جوابًا! ثم استطرد العلامة أحمد ديدات قائلاً: دعني أثبت لك بما لا يدع مجالاً للشك حقيقتين:

أولهما: هي أن المسيح عيسى ابن مريم الذي تطلقون عليه اسم يسوع لا يشبه ولا يتماثل مع سيدنا موسى عليه السلام لأسباب جوهرية هامة، ودعني أثبت لك.

ثانيا: أن نبي الإسلام محمد ﷺ هو المعني المقصود بالنبوءة التي وردت بسفر التثنية [١٨: ١٨] عسى أن تدركوا وأن تعترفوا بالحقيقة عندما تدركونها، وهي أن نبي الإسلام عليه السلام تجدونه مكتوبًا في التوراة والإنجيل كما أكد ذلك القرآن الكريم، وأرجو أن تردني إلى الصواب لو ذكرتُ أي دليل على ما أقول لا تعترفون بصحته وتمام حجيته.

واستطرد العلامة ديدات قائلاً: فلنبدأ أولاً بإثبات أن يسوع لا يشابه موسى أولاً، أنتم كنصارى تعتقدون أن يسوع هو الإله مجسدًا، ولم سيدنا موسى عليه السلام هو الإله مجسدًا، هل هذا صحيح؟

قال القس فان هيردن: نعم. هذا صحيح.

قال العلامة ديدات: بناء على ذلك نجد أن يسوع لا يشابه موسى.

وثانيا: بمقتضى عقيدتكم تعتقدون أن يسوع قد مات من أجل خطايا العالم كما ورد ذلك في رسالة بولس إلى أهل رومية بالجملة الثامنة من الأصحاح الخامس، وهي من كتب العهد الجديد المعترف بها بإجماع الآراء عندكم، هل هذا صحيح؟

قال القس فان هيردن: نعم، هذا أيضًا صحيح!

قال العلامة ديدات: ولكن موسى لم يمت من أجل خطايا العالم، هل هذا صحيح؟

قال القس فان هيردن: نعم، هذا أيضًا صحيح!

قال العلامة ديدات: بناءً على ذلك يستحيل أن يشابه يسوع سيدنا عيسى عليه السلام.

وثالثا: بموجب عقيدتكم تقولون إن يسوع ذهب إلى الجحيم لمدة ثلاثة أيام، ولقد حدثنا القديس بولس عن هزيمة يسوع للموت واجتيازه الهاوية بسلام؛ إذ قال: «أين شوكتك يا موت؟ أين غلبتك يا هاوية؟» كما هو مدون بالإنجيل في رسالة بولس إلى أهل كورنثوس الأولى ١٥:٥٥، ولكن موسى لم يذهب إلى الجحيم ولم ينزل إلى الهاوية، هل هذا صحيح؟

قال القس فان هيردن: نعم، هذا صحيح أيضًا.

قال العلامة ديدات: وبناء على ذلك يستحيل أن يشابه يسوع سيدنا موسى عليه السلام، هذه أمور يمكن أن يستوعبها الصبية الصغار، وتعال يا سيدي الفاضل لنناقش ونستنتج حقائق أخرى أكثر أهمية بدون أي صعوبة في متابعتها.

قال القس فان هيردن: يسعدني ذلك، ماذا لديك تريد أن تقوله لي؟

قال العلامة ديدات: ننتقل إلى الجانب الآخر من موضوعنا، لقد اتضح لنا بما لا يدع مجالاً للريب أن يسوع لم يكن مثل موسى، وهكذا نتفق على نتيجة مؤكدة هي أن النبوءة الموجودة بالجملة الثامنة عشر بالأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية بالعهد القديم أو التوراة، لا تتعلق ولا تنطبق ولا تتنبأ بمجيء سيدنا عيسى أو يسوع كما تسمونه، لكنها تنطبق على نبي آخر من أنبياء الله، فمن هو هذا النبي الذي تنطبق عليه وتبشر بمجيئه النبوءة المذكورة؟

إننا بطبيعة الحال لا ننكر مجيء المسيح عليه السلام، ولا ننكر نبوته ولا ننكر رسالته، إننا بصدد هل تتعلق النبوءة المذكورة بالمسيح عليه السلام وتتنبأ بمجيئه أم لا، ولقد اتضح بما لا يدع مجالاً للريب أن النبوءة المذكورة لا تتعلق ولا تتنبأ بمجيء المسيح عليه السلام، ويغدو السؤال هو: من هو النبي المقصود بالنبوءة الذي بشرت النبوءة المذكورة بمجيئه، لقد قلتُ يا صديقي الموقر أن كلمة «مثلك» الموجودة بين ألفاظ النبوءة كلمة هامة حاسمة الدلالة، وأنا أوافق على أهمية هذه الكلمة، ولكن السؤال يغدو: مَن من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام يشبه سيدنا موسى عليه السلام ويعتبر مثله؟

قال القس فان هيردن: مَن من الأنبياء والمرسلين يشبه موسى؟

قال العلامة ديدات: دعنا تندرج في إجابة السؤال، إنني لا أحب أن أتعجل الافتراضات والنتائج، إنني أحب أن أدعك وأدع الناس يستخلصوا ويستنتجوا ما يلزم ويصح استخلاصه.

قال العلامة أحمد ديدات: هذه هي أسباب التماثل والتشابه بين نبي الإسلام ﷺ وبين سيدنا موسى ﷺ:

أولاً: الأب والأم 1- Father and Mother

كان لسيدنا موسى ﷺ أب وأم، وكان لسيدنا محمد ﷺ أب وأم، ولقد ورد بسفر الخروج: «وأخذ عمرام بوكابد عمته زوجة له فولدت له هارون وموسى».

[خروج ٦: ٢٠]

وبناءً عليه نستطيع القول: إن محمدًا مثل موسى، وليس عيسى مثل موسى.

ثانيًا: الميلاد المعجز: 2-Miraculous Birth

ولد سيدنا عيسى ﷺ بطريقة إعجازية خارقة للعادة، ويقول الإنجيل في ذلك: «أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا، لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف النجار قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس» [متى ١: ١٨]

أما سيدنا موسى وسيدنا محمد، فإنهما قد ولدا على نحو طبيعي، وبناء عليه نستطيع القول: إن محمدًا مثل موسى، وليس عيسى مثل موسى.

ثالثًا: علاقة الزوج وآثارها: 3- Marriage Ties

لقد تزوج سيدنا محمد، ولقد تزوج سيدنا موسى، وأنجب كل منهما أولادًا، أما المسيح عيسى ابن مريم فلا خلاف على أنه لم يتزوج ولم ينجب، ولم تقم علاقة زوجية بينه وبين أي امرأة.

وبناءً عليه نستطيع القول بأن محمدًا مثل موسى، وليس عيسى مثل موسى.

رابعًا: رفض قوم سيدنا عيسى دعوته: 4- Jesus Rejected by his People

آمن قوم سيدنا موسى كما آمن قوم سيدنا محمد بكل منهما كنبي رسول من أنبياء الله ورسله بعد لأي[1] وإعنات بطبيعة الحال، ولكن اعترف اليهود بنبوة ورسالة سيدنا موسى.

---

(١) اللَّأى: الإبطاء والاحْتِباس، العَنَتُ: دُخُولُ المَشَقَّةِ على الإنسان.

ولقد ورد بسفر الخروج: «فخلص الرب في ذلك اليوم إسرائيل من يد المصريين، ونظر إسرائيل المصريين أمواتًا على شاطئ البحر، ورأى إسرائيل الفعل العظيم الذي صنعه الرب بالمصريين، فخاف الشعب الرب وآمنوا بالرب وبعبده موسى» [خروج ١٤: ٣٠-٣١]

وهاهم أولاء آلاف الملايين من المسلمين يؤمنون بنبوة ورسالة سيدنا محمد ﷺ، أما سيدنا عيسى ابن مريم فلم يؤمن به إلا عدد محدود من الحواريين، لم يزد على الأرجح عن ثلاثة عشر حواريًا، وفيما عداهم لم يؤمن به قومه من اليهود بني إسرائيل.

وبناءً عليه نستطيع القول: إن محمدًا مثل موسى، وليس عيسى مثل موسى.

خامسًا: مملكة المسيح ليست في هذه الدنيا: 5- Other-Worldly Kingdom

كانت لكل من موسى ومحمد سلطة الحكم على المخالف الذي يرتكب جرمًا من بين أتباعه، وكانت هذه السلطة تصل إلى حد توقيع عقوبة الموت على مَن ارتكب جرمًا، جاء بسفر العدد أن أحد الإسرائيليين اعترف بأن احتطب وجمع حطبًا يوم السبت، وأمر سيدنا موسى برجمه حتى الموت [سفر العدد ١٥: ٣٦] كما أمر سيدنا موسى بإعدام مَن عَبَدَ العجل، كما ورد ذلك بسفر الخروج.

[خروج ٣٢: ٢٦- ٢٧]

وكانت لسيدنا محمد أيضًا سلطة إصدار الأحكام مصداقًا لقول الله ﷻ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]

أما سيدنا عيسى عليه السلام، فإنه لم يدع الملك ولم يمارس إصدار الأحكام على المخالفين ومرتكبي الخطايا من قومه من بني إسرائيل، بل كانت الأحكام تصدر على المجرمين من بني إسرائيل وهم قوم سيدنا موسى من الحاكم الروماني بيلاطس ونوابه حكام الأقاليم من الرومان، وعندما اتهم اليهود المسيح عليه السلام أمام الحاكم الروماني بيلاطس بأن المسيح يريد أن يصبح ملك اليهود، دفع المسيح عليه السلام التهمة ونفاها نفيًا قاطعًا بقوله: «مملكتي ليست من هذا العالم، لو كانت مملكتي من هذا

العالم، لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلم إلى اليهود، ولكن الآن ليست مملكتي من هنا» [يوحنا ١٨: ٣٦]

وبناءً عليه نجد أن محمدًا مثل موسى وليس عيسى مثل موسى.

سادسًا: لم يأت يسوع بشريعة جديدة: 6- No New Laws

جاء موسى إلى قومه بني إسرائيل بشريعة إلهية خاصة ببني إسرائيل، لم تقتصر على الوصايا العشر فحسب، بل جعلت التوراة بغير الوصايا العشر من أحكام طبق الكثير منها موسى قبل وفاته.

وجاء محمد ﷺ بشريعة كاملة إلى البشرية قاطبة وإلى الناس كافة، تغيرت بسببها أحوال العرب من الجاهلية قبل الإسلام إلى أرقى صور الحضارة، وامتد نور الإسلام وامتد نور الحضارة الإسلامية المستمدة من أحكام وقيم الشريعة الإسلامية في جميع أرجاء المنطقة المعروفة الآن باسم العالم العربي، بل تجاوزته شرقًا إلى الهند وشرق وجنوب آسيا، وتجاوزته غربًا حتى بلغت أسبانيا، وتجاوزته شمالاً حتى بلغت شبة جزيرة الأناضول، وحمل الأتراك العثمانيون مشعل الحضارة الإسلامية إلى شرق أوروبا، حتى وصلوا بها إلى أبواب عاصمة النمسا، كما وصل نور الحضارة الإسلامية إلى أقاصي جنوب الكرة الأرضية، وبلغت أنوار الحضارة الإسلامية جُزُرًا في المحيط الهندي وجنوب وجنوب شرق إفريقيا، ويمكن القول بوجه عام، إن أنوار الحضارة الإسلامية المستمدة من قيم الشريعة الإسلامية التي أتى بها رسول الإسلام ﷺ قد امتدت إلى جميع أرجاء العالم، وأثرت فيه أقوى وأفضل تأثير.

ويقول توماس كارلايل «Thomas Carlyle» في كتابة عن البطولة والأبطال: إن محمدًا قد انتشل العرب من وهاد الجاهلية، وجعلهم حاملي مشاعل النور والعلم في العالم، ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة التي أقر بها الفكر الانجليزي توماس كارليل؛ إذ قال الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ١٦٤﴾ [آل عمران: ١٦٤]

أما يسوع المسيح فقد قال عندما اتهمه قومه بالتجديف[١] على الله، والخروج على تعاليم الله وشريعة موسى الموجودة بالتوراة، فقال لهم المسيح: «لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل، فإني الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض: لا يزول حرف واحد أم نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل» [متى ٥: ١٧-١٨]

ومنه يتضح أن يسوع المسيح لم يأت بشريعة جديدة، بينما جاء سيدنا موسى ﷺ بشريعة جديدة، وجاء سيدنا محمد ﷺ بشريعة جديدة للناس كافة.

وبناءً عليه نجد أن محمدًا مثل موسى وليس عيسى مثل موسى.

سابعًا: نهاية شأنهم مع قومهم: 7- How They departed

لقد توفى الله موسى ﷺ ومحمد ﷺ وفاة طبيعية، وحسب العقيدة المسيحية يزعم المسيحيون أن سيدنا عيسى قد قتل على الصليب، ويخالفهم المسلمون فيما يتعلق بنهاية شأن المسيح ﷺ مع قومه؛ إذ يؤمن المسلمون أن الله قد نجَّاه مما كان قد دبره له اليهود بالتنسيق مع الحاكم الروماني بيلاطس، نجَّاه الله مما كانوا قد دبروه له، وتدخلت عناية الله ولم يتم قتل المسيح على الصليب، وحيث إن المسيح ﷺ لم يتم قتله على الصليب يصح القول بأنهم ما قتلوه ولا صلبوه». ولكن وفق العقيدة المسيحية نجد أن نهاية شأن المسيح ﷺ تختلف عن نهاية شأن سيدنا عيسى مع قومه، وتختلف عن نهاية شأن سيدنا محمد ﷺ مع قومه.

وبناءً عليه نجد أن محمدًا مثل موسى وليس عيسى مثل موسى.

ثامنًا: المقام السماوي: 8- Heavenly Abode

يرقد سيدنا موسى ﷺ في قبره الآن، وهذا هو الشأن أيضًا بالنسبة لسيدنا محمد ﷺ، وليس هكذا الشأن وفقًا لعقيدتكم المسيحية ذاتها؛ إذ تصرون على أن يسوع المسيح موجود في السماء يجلس «عن يمين القوة» كما ورد في [إنجيل لوقا ٢٢: ٦٩].

وبناءً عليه نجد أن محمدًا مثل موسى وليس عيسى مثل موسى.

---

(١) التجديف هو قول ما لا يليق بالنسبة إلى الله سبحانه وتعالى.

وبعد أن قدم العلامة أحمد ديدات ثمانية أسباب تبرهن على انتفاء المثلية بين سيدنا عيسى وسيدنا موسى، وتبرهن على وجود التماثل فعلاً بين سيدنا محمد ﷺ وبين سيدنا موسى، لينهار أساس الاعتقاد المسيحي بأن التوراة قد تنبأت بمجيء المسيح عيسى ابن مريم في النبوءة التوراتية بالنص [١٨:١٨] من سفر التثنية التي أشرنا إليها؛ إذ كان القس «فان هيردن» قد أقام ادعاءه بأن هذه النبوءة تتعلق بالبشارة بمجيء المسيح ﷺ اعتمادًا على وجود كلمة «مثلك» ضمن ألفاظ النبوءة، وهو ما ضحده وفنَّده العلامة أحمد ديدات بنصوص من التوراة والإنجيل بحالتهما الراهنة الموجودة بأيدي اليهود والنصارى.

هل يمكن أن تتوافر قدرة على الإقناع أوفر من ذلك؟ لا، ليس هناك دليل للبرهنة على زيف معتقد ديني في أي دين من الأديان أقوى وأكثر إقناعًا من أن تكون نصوص الكتاب المقدس لدى أتباع دين من الأديان تناقض هذا المعتقد، ولطالما أصر النصارى على أن النبوءة الواردة بالجملة [١٨:١٨] من سفر التثنية، إنما هي بشارة بمجيء المسيح ﷺ، بينما هي في حقيقة الأمر كما أثبت ذلك بإقناع منقطع النظير العلامة أحمد ديدات، بشارة بمجيء خاتم الأنبياء والمرسلين نبي الإسلام محمد ﷺ.

ومنه يتضح صحة ما يقرره القرآن الكريم من أن اليهود والنصارى يجدون اسم النبي الأمي محمد ﷺ، أحمد الخلق وأجدرهم بالثناء والحمد، ويجدون صفاته مكتوبة عندهم بالتوراة والإنجيل، ويصر اليهود والنصارى على أن رسول الإسلام ﷺ لم يرد له ذكر بالتوراة والإنجيل في محاولة من جانبهم لتكذيب القرآن الكريم، وهيهات أن يثبتوا مزاعمهم الزائفة بهذا الشأن الهام الخطير، وها هو ذا العلامة أحمد ديدات يثبت زيف زعمهم من نصوص التوراة بحالتها الراهنة؛ إذ اثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن النص ١٨-١٨ من سفر التثنية إنما هو بشارة بمجيء نبي الإسلام ﷺ، وصدق الله العظيم في كتابه الكريم، وسحقًا لأكاذيب اليهود والنصارى، عندما يتضح ويفتضح كذبها بما لا يدع مجالاً للريب.

ولم تقف جهود الداعية الإسلامي العالمي العبقري الفذ أحمد ديدات عند هذا الحد بهذا الكتاب المعنون بعنوان: «ما يقوله الإنجيل عن محمد» إذ لفت نظر القس

«فان هيردن» إلى أن بالنص [١٨-١٨] من سفر التثنية ألفاظ وكلمات أخرى تشير إلى أن النص، إنما هو بشارة بمجيء خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ؛ إذ يقول النص المذكور: «أقيم لهم» أي لبني إسرائيل «نبيا» وليس إلهًا ولا ابن إله «مثلك» مثلك يا موسى، ولقد ثبت أن محمدًا ﷺ هو الذي يشبه موسى، وأن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام لا يشبه موسى، وليس عيسى مثل موسى من ثمانية وجوه ذكرها العلامة أحمد ديدات «من وسط إخوتهم» من هم إخوة بني إسرائيل قوم سيدنا موسى؟ إنهم العرب أبناء سيدنا إسماعيل عليه السلام، حيث إن سيدنا اسماعيل إنما هو باعتراف اليهود والنصارى أخو سيدنا إسحاق الذي ينحدر من صلبه بنو إسرائيل، ويقول النص أيضًا: «وأجعل كلامي في فمه» أي ينزل عليه الوحي الإلهي قرآنًا يتلوه محمد ﷺ، وفي هذه العبارة إشارة واضحة إلى الوحي الإلهي الذي أوحاه الله إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ.

وتقول آخر عبارة بالنص المشار إليه: «فيكلمهم بكل ما أوصيه به» أي أن الله سيوصي هذا النبي الذي تشير إليه وتبشر بمجيئه هذه النبوءة التوراتية، بكل ما يريده الله للبشر في دينهم ودنياهم أي سيوحي الله إليه الشريعة الكاملة.

وبكتاب «ما يقوله الإنجيل عن محمد» أفكار كبيرة هامة أخرى، تتصل بإنكار المسيح عيسى ابن مريم نفسه أن يكون هو خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي سيأتي بالشريعة الكاملة بموجب نصوص من الإنجيل بحالته الراهنة، ونكتفي هنا بما أوجزناه توضيحًا لمنهج ديدات الذي يعتمد على الحوار، ويجعل النصوص المقدسة تتكلم إلى مَن يقدسونها، وإنه لمنهج جديد، وأسلوب فريد في الدعوة إلى الله لإثبات أن الدين عند الله هو الإسلام.

ويستطيع القارئ الكريم أن يجد تفاصيل أخرى بالنص الأصلي لهذا الكتاب البالغ الأهمية المعنون بعنوان: «ما يقوله الإنجيل عن محمد ﷺ» ولقد شرفنا بترجمته إلى العربية مع نشر النص الإنجليزي الأصلي الكامل للكتاب قرين الترجمة العربية، وهو تحت الطبع لدى دار الفضيلة بالقاهرة، نرجو أن يشق طريقه إلى القارئ الكريم في القريب العاجل بإذن الله، والله ولي التوفيق.

كتاب «المسيح في الإسلام Christ in Islam»

يقع هذا الكتاب في ثماني وأربعين صفحة، ويعرض التصور الإسلامي للمسيح عيسى ابن مريم ﷺ، ويقارنه في مواضع هامة كثيرة بتصور النصارى للمسيح ﷺ.

وغني عن البيان أن المسيح في الإسلام هو عيسى ابن مريم ﷺ، ويطلق النصارى على المسيح اسم يسوع، وفي اللغات ذات الأصل اللاتيني أو اليوناني يطلقون على المسيح اسم جيزوس Jesus، والاسم الأقرب إلى اسم عيسى في التوراة العبرية هو «عيساو».

ولم يجد العلامة ديدات عناءً كبيرًا في أن يبرهن على أن المسيح عيسى ابن مريم ﷺ يحظى بمنزلة رفيعة في قلوب المسلمين، ويحظى المسيح ﷺ في نظر المسلمين باحترام كبير، باعتبار أنه ﷺ كان رسولاً من الرسل أولي العزم، ولم يكن نبيًا من أنبياء بني إسرائيل فحسب، بل كان المسيح ﷺ نبيًا رسولاً من الرسل أولي العزم.

هذا الاحترام الذي يبديه جميع المسلمين لنبي الله ورسوله إلى بني إسرائيل، المسيح عيسى ابن مريم ﷺ، يقابله ازدراء واحتقار وتكذيب لنبوة ورسالة نبي الإسلام خاتم الأنبياء والمرسلين من جانب اليهود والنصارى!

ولقد شهد بذلك مع التحفظات الضرورية أحد المشرفين على تقديم برنامج بتلفاز S.A.B.C، ويدعى «بيل شولمرز» في نهاية مناظرة أذاعها برنامجه بين ديدات وأحد القساوسة؛ إذ قال بيل شولمرز: أعتقد أنه يمكن لي القول بناء على ما شهدته في هذه المناظرة، أنه يوجد تقبل أكثر لمؤسسي المسيحية لدى المسلمين، بينما لا يوجد تقبل لدى النصارى لمؤسسي المسيحية لدى المسلمين، بينما لا يوجد تقبل لدى النصارى لمؤسس الإسلام.

وينعي العلامة ديدات على المسلمين تقاعسهم عن توضيح التصور الإسلامي الجميل عن المسيح؛ إذ أن النصارى يعتقدون خطأ أن المسلمين لا يحترمون المسيح ﷺ ويحطون من شأنه كما يفعل ذلك في حقيقة الأمر اليهود، وفي مؤلفات أخرى يقول ديدات للمسلمين: أيها المسلمون، لماذا لا تفتحون أفواهكم لتتكلموا؟!

يقول العلامة ديدات في الفصل الأول من كتابه «المسيح في الإسلام» يقول: إن القرآن الكريم يأمر المسلمين باحترام وتوقير السيد المسيح ﷺ، وليس احترام المسلمين وتوقيرهم للسيد المسيح ﷺ مجرد مجاملة للنصارى، ولكنه في الحقيقة أمر إلهي منصوص عليه في القرآن الكريم.

ويقول العلامة ديدات: نحن المسلمين نؤمن كما أوصانا القرآن الكريم أن المسيح عيسى ابن مريم ﷺ كان واحدًا من أعظم رسل الله ﷺ، وأنه كان هو المسيح حقًا، ولا ينكر المسلمون عليه ذلك كما ينكره اليهود، ونحن المسلمين نؤمن أنه قد ولد دون اتصال رجل بامرأة، ولا نرمي أمه السيدة مريم العذراء بتهمة الزنا كما يرميها بها اليهود، ونؤمن أنه ﷺ قد كان يحيي الميت ويبرئ الأكمه والأبرص بقدرة الله ومشيئة الله وإذن الله، ولا يعتبر المسلم مسلمًا ما لم يؤمن بكل هذه المزايا التي امتاز بها سيدنا عيسى المسيح ﷺ.

ويأسف العلامة أحمد ديدات؛ لأن النصارى لا يدركون ذلك، إن محترفي الاتجار في الدين قد صوروا المسلمين باعتبار أنهم أعداء المسيح، بينما المسلمون في حقيقة، وبموجب نصوص القرآن الكريم يحبون ويحترمون المسيح ﷺ.

ولما كانت الروح العلمية في العصر الحديث تحبذ تأييد الآراء بكل ما يمكن من عمليات الاحصاء، نجد أن العلامة ديدات يذكر لنا أنه قد ورد ذكر المسيح عيسى ابن مريم في القرآن الكريم خمسًا وعشرين مرة، بينما لم يرد ذكر اسم رسول الإسلام في القرآن الكريم إلا خمس مرات فقط، وذلك في مثل قول الله ﷻ:

١ - ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [البقرة:٨٧]

٢- ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [آل عمران: ٤٥-٤٦]

٣- ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ [آل عمران: ١٧١]

وفي مواطن كثيرة يذكر القرآن الكريم المسيح عليه السلام بكل خير، فهو عليه السلام قد أوتي البينات وأيده الله تعالى بروح القدس، وهو وجيه في الدنيا والآخرة ومن المقربين، وقد أثبت القرآن الكريم للمسيح معجزات كبرى لا ريب فيها، ولا ينكرها المسلمون كما ينكرها اليهود من بني إسرائيل، ويُبَرِّئ القرآن الكريم أم المسيح العذراء مريم من تهمة الزنا التي لم يتورع اليهود عن أن يتهموها بها بغيًا منهم وزورًا وبهتانًا، ومع ذلك يتقارب اليهود مع المسيحيين في أيامنا الراهنة ويخطبون ودهم، وينشدون تعاون المسيحيين معهم فيما يتعلق بشئون الحياة الدنيا، ولا يبذل المسلمون أي جهد في توضيح حقيقة احترامهم وتوقيرهم للمسيح، بحيث تركوا الميدان خاليًا في جميع ربوع العالم المسيحي يرتع فيها اليهود، ليوهموا غالبية أفراد الشعوب المسيحية أن المسلمين هم خصوم وأعداء المسيح!!

ولماذا يعادي المسلمون المسيح ولا توجد مذمة واحدة في القرآن الكريم كله يوجهها القرآن الكريم للمسيح عليه السلام؟ يا جميع النصارى في جميع أنحاء العالم، لا يوجد سبب واحد يجعل مسلمًا ينتسب إلى الإسلام بحق يعادي المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، كما لا يوجد سبب واحد يجعل المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام يعادي فردًا واحدًا من المسلمين، وإن وجد سبب لأي عداء بين المسلمين والمسيح، أو بين المسيح والمسلمين، فليتفضل مَن يجده بأن يعلنه على رءوس الأشهاد في جميع أنحاء العالم.

أما فيما يتعلق باعتقاد المسلمين أن عيسى عليه السلام رسول من رسل الله عليهم السلام، بينما يعتقد النصارى أنه إله أو ابن إله أو أحد أقانيم ثلاثة للإله، وهو ما يخيل إلى بعض الناس خطأً أنه سبب كافٍ للعداء بين المسلمين والمسيح عليه السلام، فإن هذا الاعتبار لا يجوز بأي حال أن يكون سببًا لأي عداء، إعمالاً لقاعدة أن الخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية، والإسلام بكل سماحته وتسامحه يترك للناس حرية الاعتقاد الديني، والقرآن الكريم يؤكد حرية الناس بشأن الدين كل التأكيد، إن الله تعالى قد شاءت إرادته واقتضت حكمته أن يعبده الناس طواعية واختيارًا، لا قهرًا وإجبارًا، وهي الحقيقة التي يؤكدها تعالى في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، مثل

قوله ﷻ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٥٦﴾ [البقرة: ٢٥٦]

وينهى القرآن الكريم نبي الإسلام عن إكراه الناس على الإيمان في قول الله ﷻ: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝٩٩﴾ [يونس: ٩٩]

ويؤكد القرآن الكريم حرية الناس في معتقداتهم الدينية إذ يقول الله ﷻ: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ۝٢٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ۝٣٠﴾.

[الكهف: ٢٩-٣٠]

ويؤكد العلامة أحمد ديدات أن القرآن الكريم يذكر السيدة مريم العذراء أم المسيح بكل خير وتكريم في مواضع كثيرة مثل: ﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٤٢ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ۝٤٣﴾ [آل عمران: ٤٢-٤٣]

وتكريم القرآن الكريم للسيدة مريم العذراء أم المسيح على هذا النحو، يدل على أن القرآن الكريم إنما هو من وحي الله فعلاً إلى النبي العربي الأمي محمد ﷺ، من أن عرف نبي الإسلام ﷺ ما كان يدور بذهن السيدة مريم العذراء، وكيف عرف محمد ﷺ ما إذا كانت مريم أم المسيح عليهما السلام كانت عذراء لم تقترف جريمة الزنا؟

إن القرآن الكريم وحي إلهي صادق لا ريب فيه، بل إن القرآن الكريم يذكر من أسرار عائلة آل عمران ما يستحيل أن يعرفه إلا شاهد عيان، ويخفى على شاهد العيان ما كان يدور بالنفوس والقلوب والخواطر والأذهان لدى بعض أفراد أسرة آل عمران، ولم يخف على الله من ذلك شيء، وهو العليم الحكيم، كيف يستطيع إنسان على وجه الأرض أن يعرف ما كان يدور بذهن سيدنا زكريا عندما وجد أن سيدنا عمران قد أنجب بنتًا جميلة هي مريم، فاشتهى في قرارة نفسه الولد، فبشره الله أنه سينجب غلامًا اسمه يحيى؟

خواطر دارت بذهن سيدنا زكريا، يستحيل أن يطلع عليها أو يعلمها أو يذكرها إنسان، ولكنها لم تكن لتخفى على الرحمن الرحيم الذي وسع كل شيء رحمة وعلما.

ولكن سيدنا زكريا عندما بشَّره الله بغلام اسمه يحيى، وكانت امرأته عاقرًا، وكان قد بلغ من الكبر عتيًّا، ارتاب في تلك البشرى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ۝٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ۝٩ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ۝١٠ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ۝١١﴾ [مريم: ٨ – ١١]

ومن عجيب الأسرار الإلهية التي تشهد بمصداقية القرآن الكريم دون ريب، أن سيدنا زكريا قد تحققت له آية بالغة الدلالة، أطلعنا القرآن الكريم على سرِّها ألا وهو أن سيدنا زكريا عليه السلام عندما كان يسبح الله كان لسانه ينطلق بالكلام الدال على تسبيح الله، أما عندما كان يريد أن يخاطب أحد من الناس في شأن من شئون الحياة الدينا، فلقد كان يعجز لسانه عن الكلام، وكان ذلك لمدة ثلاث ليال سويًا، ومنها عرف سيدنا زكريا، وعرفنا نحن المسلمين في القرن العشرين كما عرف رسول الإسلام عليه السلام في القرن السابع الميلادي أن قد صدقت الآية الإلهية الدالة على صدق وعد الله لسيدنا زكريا أن سيهبه رغم أن زوجته كانت عاقرًا، ورغم أنه هو نفسه كان قد بلغ من الكبر عتيا، رغم هذا وذلك صدق وعد الله أنه تبارك وتعالى كان سيهبه غلامًا اسمه يحيى لم يتسم باسمه طفل من قبل.

أسرار مضت عليها قرون، ومنها ما أسرته خواطر بشر منذ مئات السنين، كيف لنبي الإسلام عليه السلام أن يعرفها: إن لم يكن قد أخبره به الله تبارك وتعالى وحيًا إلهيًّا صادقًا لا ريب فيه.

ولعل في مولد العذراء مريم ذاتها بعد أن كانت قد تقدمت السن بأبويها دون إنجاب، ولعل في مولد سيدنا يحيى عليه السلام بعد أن كان سيدنا زكريا قد بلغ في الكبر عتيا، وكانت امرأته عاقرًا، لعل في هذا وذاك إرهاصًا بمعجزة مولد المسيح عليه السلام دون اتصال رجل بامرأة، وعلى نحو إعجازي قصدت إليه قصدًا إرادة الله تبارك وتعالى!

ويسوق العلامة أحمد ديدات دليلاً آخر على مصداقية القرآن الكريم، كما أوحاه الله ﷻ إلى خاتم الأنبياء والمرسلين عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام؛ إذ يلاحظ أن القرآن الكريم قد خصَّ العذراء مريم وهي من نبات بني إسرائيل، بأن الله ﷻ قد اصطفاها على نساء العالمين وطهرها، وفي الآية الكريمة الدالة على هذه الحقيقة يكرر المولى جل شأنه الفعل الدال على الاصطفاء؛ إذ يقول عز من قائل:
﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾
[آل عمران: ٤٢]

ويتساءل العلامة أحمد ديدات قائلاً: لو كان القرآن من تأليف محمد ﷺ كما يزعم ذلك اليهود والنصارى، ألم يكن الأحرى به أن يخص أمه آمنه بنت وهب التي كان يحبها، أو زوجته خديجة التي كان يجلها ويحترمها أو واحدة من بناته باصطفاء الله لها وتفضيلها على نساء العالمين، بدل أن يقرر ويثبت الاصطفاء الإلهي وتفضيل الله لواحدة من بنات بني إسرائيل على نساء العالمين؟ إن دَلَّت هذه الحقيقة على شيء، فإنها تدل على صدق الوحي القرآني الذي أنزله الله على خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ.

وليست هذه النتيجة وحدها مع بالغ أهميتها هي كل ما يمكن استخلاصه من هذه الملاحظة الذكية التي أصابت كبد الحقيقة، وأكدت مصداقية القرآن الكريم، ولكن مصداقية القرآن الكريم يترتب عليها نتيجة هامة لا محيص عن التسليم بها، وهي أن التصور والتصوير الإسلامي للمسيح عيسى ابن مريم هو التصور الإلهي الحقيقي الذي لا زيف فيه ولا أباطيل تعتريه.

ويمضي العلامة أحمد ديدات قدمًا في تزكية التصور الإسلامي للمسيح عليه السلام مستخدمًا منهجه المفضل في الحوار، مع من يأنس لديه القدرة على الحوار والرغبة فيه من النصارى، فيذكر لنا أن مدير مكتبة لبيع كتب الدين المسيحي استضافه بمكتبة ليتحدث إليه ويحاوره، بعد إذ عرف اشتغال العلامة أحمد ديدات بمقارنة الأديان، وبعد أن أطلع العلامة ديدات مدير المكتبة المسيحي على التصور القرآني للعذراء مريم، وكيف أنها قد حملت وولدت المسيح عليه السلام على نحو إعجازي

اقتضته مشيئة الله، رغم أنها كانت عذراء لم يمسسها بشر، وسأله العلامه ديدات سؤالاً مباشرًا هو: ماذا ترتضي لابنتك لو كانت في مكان العذراء مريم أم المسيح؟ هل ترتضي لها التصور الإسلامي الذي يجعل ولادتها المسيح على نحو اعجازي اقتضته مشيئة الله؟ أم التصور المسيح الذي يزعم أنها حملت نتيجة اتصال جنسي تم بين الله وبين السيدة مريم؟ ومن ثم يعتبر النصارى أن المسيح عليه السلام هو ابن الله؟

وأجاب مدير المكتبة النصراني أنه يفضل التصور الإسلامي.

ويكرس العلامة أحمد ديدات الجزء الأخير من كتاب المسيح للإسلام لبحث مسألة ما إذا كان المسيح رسول من رسل الله أم إله، ويثبت على النصارى تلاعبهم بحروف الأبجدية عند كتابة اسم الجلالة، ذلك أن المقابل الإنجليزي لاسم الجلالة كما تعرف جميعًا هو كلمة مكونة من ثلاثة حروف هي كلمة God، وهي تكتب بحيث يكون أول حرف منها وهو حرف «G» من الحروف الكبيرة، عندما نقصد الإشارة إلى اسم الجلالة المعبود بحق، أما عندما يكون المقصود هو الإشارة إلى إله غير جدير بالعبادة كآلهة اليونان القدامى أو إله الحرب عند الرومان أو آلهة قدماء المصريين أو عندما يشار إلى علماء بني إسرائيل باعتبار أنهم آلهة، فلا بد أن يكتب أول حرف من المقابل الإنجليزي للفظ الجلالة بحيث يكون g صغيرة، ومثال ذلك أن القواعد الصحيحة للغة الإنجليزية تجعلك تقول:

(١) نحن نعبد الله — 1) We worship God

في مثل هذه الجملة نقصد الله الجدير بالعبارة فاستخدمنا G.

(٢) عبد قدماء اليونان آلهة كثيرة، تكتب بالانجليزية هكذا:

2) The Ancient Greeks worshipped many gods.

كتبت g صغيرة في كلمة gods بمعنى آلهة غير جديرة بالعبادة.

ولقد تلاعب النصارى -أي بعض أشرارهم- عندما خلطوا بين استعمال كلمة God هكذا، وبين استعمالها باعتبار أنها god، لكي يضفوا الألوهية على المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام.

ويفند العلامة أحمد ديدات تصور النصارى الخاطئ؛ إذ يعتبرون المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام إلهًا تفنيدًا قويًا، وذلك أنه يتحدى أن يكون المسيح عليه السلام قد ذكر في

الإنجيل بصورته الراهنة الموجودة بأيدي المسيحيين اليوم أنه إله، ويقول لهم: هاتوا لي نصًا واحدًا من الإنجيل، يقول فيه المسيح عيسى ابن مريم بشفتيه «أنا إله» أو يقول للناس «اعبدوني» والحقيقة أنه لا يوجد بالإنجيل بحالته الراهنة مثل هذا النص الصريح الذي يقول فيه المسيح عيسى ابن مريم بشفتيه للناس: «أنا إله» أو يقول: «اعبدوني».

وفي حوار أجراه العلامة ديدات مع أحد أساتذة اللاهوت يدعى الدكتور «موريس» زعم الدكتور موريس وجود نص بالإنجيل يفيد ألوهية المسيح ﷺ. وسأله العلامة ديدات: ما هو؟ فقال الدكتور موريس: لقد قال المسيح: «أنا والآب واحد»! وسأله العلامة ديدات عن السياق الذي ورد فيه هذا التعبير، فتلعثم الدكتور موريس، وقال : ماذا تقصد؟ ألا تعرف السياق؟

والسياق Context في حقيقة الأمر مهم في إدراك معنى أي تعبير، يلزم فهم التعبير ضمن السياق الذي ورد فيه التعبير.

إن تعبير «أنا والآب واحد» مكانه في إنجيل يوحنا بالأصحاح العاشر بالجملة الثلاثين [يو ١٠: ٣٠] والفقرة التي ورد فيها هذه المقولة يتحدث فيها المسيح على نحو مجازي، والفرق واضح بين المعاني المجازية والمعاني الحقيقية، السياق الذي وردت فيه هذه المقولة يقول فيه المسيح لليهود الذين احتاطوا به وتهجموا عليه وهو يتمشى بمفرده في هيكل سليمان، فقال لهم المسيح بالحرف الواحد: «ولكنكم لستم تؤمنون لأنكم لستم خرافي كما قلت لكم خرافي تسمع صوتي، وأنا أعرفها، فتتبعني وأنا أعطيها حياة أبدية، ولن تهلك إلى الأبد ولا يخطفها أحد من يدي أبي الذي أعطاني إياها، هو أعظم من الكل ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي، أنا والآب واحد». [يوحنا ١٠: ٢٢ – ٣٠]

يتضح من السياق، وهنا نحن أولاء أوردناه أن المسيح كان يتكلم على سبيل المجاز لا الحقيقة، يقول المسيح لمعارضيه: «لستم خرافي» ويتكلم عن أتباعه وحوارييه الذي صدقوه وآمنوا بدعوته إلى الله بقوله: «خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها فتتبعني ... ولا يخطفها أحد من يدي».

هل كانت بيد المسيح خراف؟ كلا، كلام المسيح في هذه الفقرة إنما هو على سبيل المجاز لا الحقيقة، وقول المسيح في نهاية ذات هذه الفقرة «أنا والآب واحد» إنما هو -كما يظهر السياق الذي ورد فيه- على سبيل المجاز لا الحقيقة.

يقصد المسيح عليه السلام أن يقول: الله يريد أن يهتدي الناس إلى عبادته، وأنا أريد أن أهدي الناس إلى عبادة الله، قصدي وقصد الله واحد، الوحدة وحدة الغرض والهدف وهو عبادة الله وحده دون غيره.

وعندما تقول لصاحبك: أنا وأنت واحد. فأنت تقصد أنكما واحد في الهدف والقصد، ولا تعني أنكما قد اندمجتما في شخص واحد.

ولما كان هذا النص [يوحنا ١٠: ٣٠] من أقوى النصوص التي يحاول النصارى أن يجعلوها دالة على ألوهية المسيح عليه السلام، ولما كان العلامة ديدات قد أظهر أنه لا يدل على ألوهية المسيح عليه السلام، بأي حال على النحو الذي أشرنا إليه يتضح بما لا يدع مجالاً للريب، أنه لا يوجد نص بالإنجيل يفيد أن المسيح عيسى ابن مريم إله أو أنه قد قال للناس «اعبدوني».

وهكذا ينتصر العلامة أحمد ديدات للتصور الإسلامي للمسيح عليه انتصارًا حاسمًا واضحًا.

وصدق الله العظيم إذ يقول تبارك وتعالى في القرآن الكريم: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [النساء: ١٧١]

كتاب « مسألة صلب المسيح

«CRUCIFIXION OR CRUCIFICTION?»

هذا الكتاب المعنون بالعنوان المذكور أعلاه بالعربية والإنجليزية من أهم وأخطر وأقيم وأمتع وأنفع وأضخم كتب العلامة أحمد ديدات، ويبلغ عدد صفحاته في الأصل الإنجليزي ثماني وثمانين صفحة، ولذلك -أي بسبب كثرة صفحاته نسبيًا- يكاد هذا الكتاب يجل ويسمو فوق أي محاولة للإيجاز، والإيجاز Summarization شيء آخر مغاير للترجمة Translation، ولذلك نوصي القارئ الكريم أن يقرأ هذا الكتاب لو شاء معرفة التفاصيل الدقيقة لمسألة صلب المسيح ﷺ، وهل صُلِبَ حقًا كما يدعي النصارى، أم أنه لم يصلب كما يؤمن بذلك المسلمون، مصداقًا لقول الله ﷻ في القرآن الكريم: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾﴾ [النساء: ١٥٧]

وعلى الرغم من أن مسألة نهاية شأن المسيح ﷺ مع قومه، كما أحب أن أسميها مسألة قليلة الأهمية لدى المسلمين؛ إذ يكفي أن يؤمن المسلم أن المسيح عيسى ابن مريم ﷺ إنما هو رسول من رسل الله ﷺ، وأن يؤمن بما ينسبه القرآن الكريم إليه من معجزات ومن أخبار سيرته مع قومه؛ إذ دعاهم إلى عبادة الله فأبى أكثرهم إلا كفورًا، وثار عليه غالبية قومه وهموا بقتله صلبًا، ونجّاه الله من مكرهم، يكفي ذلك ليصح إسلام المسلم، ولكن مسألة صلب المسيح مسألة بالغة الخطورة لدى المسيحيين ولديهم حساسية بالغة إزاء كل مَن ينكر أن المسيح قد مات على الصليب ليفدي البشرية، ويكفر عن خطايا البشر عمومًا، وعن خطيئة آدم ﷺ؛ إذ أكل من الشجرة المحرمة، وهي ما يطلقون عليه اسم الخطيئة الأصلية، خصوصًا الصلب، صلب المسيح وموته على الصليب ليفدي خطايا البشر بدمه، هو محور العقيدة المسيحية بأسرها، بحيث يمكن القول: إن نفي الصلب هدم تام للعقيدة المسيحية دون أي مبالغة، ويؤكد هذه الحقيقة كل النصارى عامة وخاصة.

وفي ذلك يقول البروفيسور جورجن مولتمان في كتابه «عن الإلـه المـصلوب[1] The Crucified God» يقول: إن وفاة عيسى على الصليب هي عصب كل العقيدة المسيحية، إن كل النظريات المسيحية عن الله، وعن الخليقـة، وعـن الخطيئـة، وعـن الموت تستمد محورها من المسيح المصلوب، وجميع النظريات المسيحية عن التـاريخ، وعن الكنيسة، وعن الإيمان، وعن التطهر، وعن المستقبل، وعن الأمل إنما ينبع مـن المسيح المصلوب.

ويوجز العلامة أحمد ديدات بنفسه محتوى كتابه عـن مـسألة صـلب المـسيح بالفصل الثامن عشر تحت عنوان مثير هو: «ليس الناس عميانـا None So Blind» فيقول بالصفحة الثامنة والسبعين من الأصل الإنجليزي لكتابه المـثير، تحـت عنـوان فرعي «تزودوا الحقيقة تسطع في الآفاق Take Stock. The Truth Shines Through» يقول: دعني -أيها القارئ الكريم- أقـدم بـين يـديك مـوجزًا سـريعًا للنقـاط الـتي ناقشناها حتى الآن بما في ذلك أن عيسى «يسوع» المـسيح ﷺ لم يقتـل ولم يـصلب كما زعم المسيحيون واليهود، ولكنه كان حيًّا يرزق في ذات الوقت الذي زعموا فيه موته، وتتلخص النقاط التي ناقشناها وقدمنا عليها الأدلة الدامغة والبراهين القاطعة فيما سبق، تتلخص هذه النقاط فيما يلي:

(١) كان عيسى ﷺ حريصًا ألا يموت!

وكان قد اتخذ ترتيبات للدفاع عن نفسه لـدحر اليهـود الـذي كـان يتوقـع أن يهاجموه بالحديقة التي كان يقبع فيها، ولكن اليهود جاءوا معهم بجند الرومان الذين لا قبل له ولا لحوارييه المحدودي العدد بهم، مما أفشل ترتيباته الدفاعية التي إن دلت على شيء، فإنما تدل على أن المسيح ﷺ كان يريد أن يبقى حيًّا.

(٢) وتضرع عيسى ﷺ إلى الله كي ينقذه:

نعـم: من الثابت وفق نصوصهـم المقدسة، أنه ﷺ كان قد تضرع إلى الله العلـي القدير أن يحفظ حياته ليبقى حيًّا.

---

(١) أليس تصور إله مصلوب تصورًا غير معقول؟ كيف يكون المسيح إلـهًا بحـق، ويـتمكن أعـداؤه مـن صلبه؟ شأنهم في تعبيراتهم غريب؛ إذ يتحدثون المعقولية والمنطق بكل جسارة، ولكـن لهـم ديـنهم ولنـا دين، ولا إكراه في الدين، فمَن شاء فليؤمن ومَن شاء فليكفر.

(٣) ولقد سمع الله دعاءه:

وهو يعني أن الله قد استجاب لدعائه أن يظل حيًّا.

(٤) نزل إليه أحد الملائكة ليشد أزره:

ولقد كان ذلك بطبيعة الحال لإعطائه الأمل واليقين بأن الله سينقذه ليبقى حيًّا.

(٥) يجده الحاكم الروماني بيلاطس غير مذنب:

وهو سبب قوي لإبقائه حيًّا، ولم يكن يضير الحاكم الروماني أي شيء، ما دام المسيح قد صرح بأنه يجب علي اليهود أن يعطوا ما لله لله وما لقيصر لقيصر، ولم يكن يضير الحاكم الروماني شيء بعد أن نفى المسيح أنه يريد أن يكون ملك اليهود قائلا: «مملكتي ليست من هذا العالم» وعلى وجه الإجمال لم يكن يضير الحاكم الروماني شيء عندما يظل عيسى حيًّا، بل بدرت من الحاكم الروماني بيلاطس أقوال وتصرفات تدل على أنه كان يود أن يظل عيسى حيًّا.

(٦) رأت زوجة بيلاطس حلمًا أو رؤيا:

فأوصت زوجها ألا يلحق أي أذى بهذا الرجل العادل، وكان ذلك يعني أنها كانت قد أوصت زوجها، وهو الحاكم الروماني لفلسطين أن يظل عيسى حيًّا.

(٧) الزعم بأنه بقي على الصليب ثلاث ساعات فقط:

ولا يمكن أن يكون أي محكوم عليه بالموت صلبا، قد فارق الحياة في مثل هذا الوقت القصير، خصوصًا أنه كان قد طبق عليه نظام الصلب البطيء، الذي كان يقضي بوضعه على الصليب دون تقطيع رجليه، لكي يتعذب على الصليب من جراء الموت البطيء دون طعام أو شراب، أما طريقة الصلب السريع، فقد كانت تقضي بقطع رجلي المصلوب مما ينتج عنه سرعة موته ومفارقته الحياة نتيجة لنزف دمه عن طريق رجليه المقطوعين، ومن الثابت أن المسيح عليه السلام كانت قد طبقت عليه طريقة الموت البطيء على الصليب، وثلاث ساعات لا تكفي لتحقق مفارقته للحياة على طريقة الصلب البطيء، ومعنى ذلك أنه بعد إنزاله عن الصليب لحلول المساء يوم الجمعة، فسارع اليهود إلى إنزاله عن الصليب وفقًا لعقيدتهم ألا يحل ظلام ليلة السبت على مصلوب معلق على الصليب، سارعوا إلى إنزاله عن الصليب تطبيقًا

لعقيدتهم بعد ثلاث ساعات فقط من وضعه على الصليب، ومعنى ذلك أنه كان بعد إنزاله[1] عن الصليب حيًّا.

(٨) رفيقًا صلبه على ذات الصليب، ظل كل منهما حيًّا بعد إنزالهما عن الصليب؛ ولهذا السبب يصح الجزم بأن عيسى قد أنزوله عن الصليب أيضًا، وكان ﷺ لا يزال حيًّا.

(٩) تقول إنسيكولوبيدنا الإنجيل Incyclopedia Biblica تحت عنوان الصلب: جيزوس عندما غُزَّ بالرمح، فإنه كان يزال حيًّا.

(١٠) وفور غزه بالرمح خرج دم وماء:

ولا يخرج دم من جثة ميت فارق الحياة، وهذه علامة أكيدة ودليل فسيولوجي قوي يؤكد أن المسيح بعد إنزاله عن الصليب كان لا يزال حيًّا.

(١١) الساقان غير مقطوعتين:

والساقان غير المقطوعتين، يكون لهما نفع في حالة الحياة، ولا نفع لهما في حالة الوفاة، ولقد كان في اختيار أعداء المسيح لطريقة الصلب البطيئة، التي تقضي بعدم قطع الساقين رحمة من الله، وتدخل لا ريب فيه من جانب العناية الإلهية لإنقاذ المسيح من مكر أعدائه، ومعنى ذلك أنه بعد عملية الصلب كان لا يزال حيًّا.

(١٢) الرعد والزلزال وكسوف الشمس في غضون ثلاث ساعات،هي ساعات عملية الصلب لإلهاء الجمهور المتطفل، وليتمكن أتباعه السريون من مساعدته في أن يظل حيًّا.

(١٣) ارتياب اليهود في تحقق موته على الصليب:

وشكوا بالفعل على حد رواية الإنجيل إلى الحاكم الروماني بيلاطس، من أنهم يخشون أن يكون المسيح بعد إنزاله عن الصليب لا يزال علي قيد الحياة، وطلبوا منه

---

(١) من المعروف في قانون الأحكام العسكرية المعمول به في الجيش حتى الآن أن قائد الجماعة المكلفة بتنفيذ حكم الإعدام رميا بالرصاص لا يعطى تمام "تنفيذ المهمة إلا بعد أن يطلق أفراد جماعة ضرب النار رصاص بنادقهم على المحكوم، ويذهب إليه قائد الجماعة ويفرغ رصاص مسدسه في جبهته ضمانا لتمام موته وإعدامه رميا بالرصاص. الموت إنما هو بيد الله سبحانه وتعالى متى شاءه.

تشديد الحراسة على مقبرة المسيح فقال لهم، وقد سئم لجاجهم، قال لهم بيلاطس: «اذهبوا واضبطوها أنتم» وارتياب اليهود في تحقق موته على الصليب، يدل على أنه بعد إنزاله عن الصليب كان لا يزال حيًّا.

(١٤) تعجب بيلاطس عندما سمع من أتباع المسيح أنه قد مات:

لقد كان بيلاطس يعرف بحكم خبرته العسكرية كحاكم عسكري لإقليم فلسطين، أن المصلوب بطريقة الصلب البطيئة يستحيل أن يموت في ظرف ثلاث ساعات، وصدرت عنه أقوال تنم عن تعجبه لدى سماعه أن يسوع قد مات على الصليب؛ إذ كان يعتقد أنه لا يزال حيًّا.

(١٥) حجرة ضخمة فسيحة كمدفن:

تجمع المصادر المسيحية التي تحرت وصف المقبرة التي دفن فيها المسيح بعد إنزاله عن الصليب، تجمع على أن المقبرة كانت مملوكة لأحد أتباع المسيح، وأنها كانت فسيحة، وكان الطريق المفضي إليها طريقًا ممهدًا، وكانت تطل على حديقة، وكانت جيدة التهوية، مما كان يشجع أي شخص على دخولها لتقديم المساعدة للمسيح، وليس من الضروري أن يكون الدفن تحت التراب؛ إذ يغلب وضع الجثة فوق أرضية المدفن، خصوصًا عندما يكون الدفن في مقبرة مبنية بالطوب أو الصخور، ولا يتم دفن الميت تحت التراب إلا في حالة دفنه في العراء، ولم يدفن جثمان المسيح في العراء، بل دفن جثمانه في مقبرة مبنية، مما يدل على أن لم يوضع تحت التراب، ويدل على أنه كان لا يزال حيًّا.

(١٦) الكفن خال من الجثمان داخل المقبرة، وتمت إزاحة الحجر من باب المقبرة، وهو ما يلزم حدوثه فحسب عندما يكون عيسى حيًّا.

(١٧) تقرير علماء ألمان:

أكد علماء ألمان من خلال تجارب معينة، أن قلب يسوع لم يكن قد توقف عن العمل بعد عملية الصلب؛ أي أنه كان لا يزال حيًّا.

(١٨) هل يتنكر إنسان في ملابس بستاني وهو ميت؟

إن التنكر يكون غير ضروري لو كان عيسى عليه السلام قد بعث بعد موت؛ إذ أن الإنسان بعد الموت يكون تخلص من أسر البدن بكل ملامحه، ولكن التنكر يكون

ضروريًا فحسب بالنسبة لإنسان حي يطارده أعداؤه لقتله أو لإيقاع الأذى به، ومعنى ذلك أن عيسى بعد خروجه من المقبرة، كان ولم يمت، كان لا يزال حيًا.

(١٩) ويمنع مريم المجدلية من أن تلمسه:

من الثابت وفق نصوصهم أنه قال لها: «لا تلمسيني» بسبب لمسها له، وكانت جروحه لم تلتئم بعد، كان لمسها له سيسبب له ألمًا؛ لأنه ﷺ كان لا يزال حيًا، وكانت جروحه لا تزال حية.

(٢٠) قال لحوارييه حسب نصوصهم: «لم أصعد بعد»:

ومعناها دون ريب هو: لم أمت بعد، كان يحسبون أنه ﷺ قد مات، فقال لهم في لغة اليهود آنذاك: «لم أصعد بعد» أين كان سيصعد؟ كان معنى قولته تلك للحواريين، قوله: «لم أصعد بعد»، كان معناها: لم أمت حتى الآن؛ لأنه ﷺ كان لا يزال حيًا.

(٢١) لم تخف ولم تجعل ولم تفزع منه مريم المجدلية عندما شاهدته قرب المدفن:

ولا ريب أنها كانت قد لاحظت بنفسها حركة بجسمه أو إشارة من أحد أصابع يده تفيد أنه لا يزال على قيد الحياة بعد إنزاله عن الصليب، ولذلك لزمت مسكنها مساء السبت ويوم السبت؛ إذ يحرم فيهما العمل وفق شريعة اليهود، وعند ابتلاج فجر يوم الأحد هرعت مريم المجدلية لتتأكد مما لمحته، ولم تخف، ولم تجفل، ولم تفزع لدى مرآه، بالقرب من مدفنه؛ لأنه كانت تحب وتتوقع رؤيته حيًا.

(٢٢) هذا، بينما تحجر الحواريون هلعًا وخوفًا عندما هلت عليهم طلعته:

لقد كانوا بالحجرة العلوية التي كانوا يعقدون فيها اجتماعاتهم يعتصرهم الحزن لموت معلمهم وسيدهم صلبًا، وكانوا جميعًا نادمين؛ إذ تركوه في محنته وهربوا، وإذ كانوا يحسبونه قد مات على الصليب وتم دفنه، فلقد أصابهم الفزع والهلع عندما شاهدوه يدخل عليهم بالحجرة العلوية؛ إذ وجد باب الدار مفتوحًا، فصعد إلى الحجرة العلوية التي كان يعرف الطريق إليها جيدًا، لم تفزع مريم المجدلية؛ لأنها حضرت بنفسها مأساة صلبه ووضعه على الصليب وإنزاله عنه، وربما كانت قد شاهدت إيماءة منه تدل على أنه لم يفارق الحياة، ولذلك كانت تتوقع أن تجده حيًا،

وفرحت مريم المجدلية عندما وجدته حيًّا، بينما فزع وارتعد الحواريون عندما عاد إليهم معلمهم وسيدهم حيًّا، وكانوا يظنونه ميتًا، فاعتقدوا أن شبح يسوع قد جاء لزيارتهم، ولم يكن أمامهم شبح يسوع، بل كان أمامهم في حقيقة الأمر معلمهم وسيدهم، وكان لا يزال حيًّا.

(٢٣) أكل الطعام مرة إثر مرة بعد عملية الصلب:

في الطريق من بلدة عمواس قابل اثنين من أتباعه، ولم يتعرفا عليه لتنكره، ولكنهم تعرفا عليه من صوته عندما «بارك الخبز وكسر» على حد قول الإنجيل، وعندما وصل إلى الحجرة العلوية ليرى تلاميذه فزعوا كأنهم قد رأوا شبحًا، فطلب منهم شيئًا من الطعام، فأعطوه لحم سمك وعسل، فأكل ليطمئنوا إليه ويعرفوا أنه ليس شبحًا؛ لأن الأشباح لا تأكل، مما يدل على أنه بعد عملية الصلب كان لا يزال حيًّا.

(٢٤) لم يره أحد من اليهود:

تجمع المصادر كلها أن مريم المجدلية قد رأته، وأن رجلين من بلدة عمواس قد شاهداه وكسر معهما الخبز وباركه بطريقة كان معروفًا بها، وشاهده الحواريون بالغرفة العلوية، ولم ترد أية إشارة إلى أن أحدًا من اليهود قد شاهده بعد عملية الصلب بالرغم من أنه قد مشى مسافات قصيرة قرب أورشليم وداخلها، ولم يتعرفوا عليه، ربما لتنكره وشدة حرصه على أن يتجنب أعداءه اليهود حتى لا يعاودوا القبض عليه وقتله كما كانوا قد حاولوا ذلك من قبل، لقد كان الله قد أنقذه من القتل على أيديهم وأيدي جنود الرومان بترتيب إلهي وقدرة إلهية، فكان لا يزال حيًّا، وكان يحاذر أن تراه أحد من اليهود، وكان متنكرًا في زي بستاني، أي أنه عليه السلام كان حيًّا.

(٢٥) جولات قصيرة فحسب:

لأنه لم يكن قد بعث من بين الموتى كواحد من الأرواح، ولكنه كان لا يزال إنسانا يأكل الطعام وهو مثخن بالجراح، وكان لا يزال حيًّا.

(٢٦) شهادة رجال حول المقبرة:

حيث قالوا: «لماذا تبحثون عن الحي بين الموتى» كما ورد في إنجيل لوقا [٢٤: ٤-٥] ومعنى ذلك بوضوح أنه لم يمت ولم يكن بين الموتى، ولكنه كان لا يزال حيًّا.

(٢٧) شهادة الملائكة:

والعهدة في ذلك على رواية القديس لوقا أيضًا، حيث قال: «والملائكة الذين قالوا إنه كان حيًّا» [لوقا ٢٤: ٢٣] لم يقل الملائكة حسب رواية القديس لوقا: إنه كان قد بعث بين الموتى، بل جاء على لسان الملائكة حسب رواية القديس لوقا أنه ﷺ كان حيًّا.

(٢٨) وشهادة مريم المجدلية أمام الحواريين:

يقول القديس مرقس: «ولما سمع أولئك أنه حي وقد نظرته لم يصدقوا» [مرقس ١٦: ١١] ذلك أن مريم المجدلية عندما أخبرت الحواريين أن المسيح لا يزال حيًّا رفضوا أن يصدقوها، واعتبروا أنها تخرف لشدة حبها للمسيح، وأفهموها أنها ربما تكون قد شاهدت عفريتًا أو شبحًا اتخذ صورة سيدها الذي كانت تحبه حبا جمًّا، ولكن مريم المجدلية عندما ذهبت فجر يوم الأحد إلى مقبرة المسيح ﷺ لم تكن تريد أن تبحث عن عفريت أو عن شبح أو عن ميت، كانت تريد أن تتأكد أن سيدها الذي كانت تحبه حبًا جمًّا كان لا يزال حيًّا، ولقد وجدته حيًّا، ولقد أخبرت الحواريين أنها قد نظرته حيًّا، ولكن الحواريين رفضوا أن يصدقوا أن سيدهم ومعلمهم كان لا يزال حيًّا.

(٢٩) وشهادة من الدكتور بريمروز:

لقد شهد الدكتور بريمروز أن الدم والماء اللذان انبثقا من جنب يسوع عند طعنه بالرمح، إنما كانا بسبب الإرهاق العصبي للأوعية الدموية من جراء الضرب بالعصى الغليظة، وانبثاقها يؤكد أنه كان لا يزال حيًّا.

(٣٠) نبوءة عيسى أن معجزته ستكون مثل معجزة يونان:

ولقد كان يونان -سيدنا يونس ﷺ- حيًّا ببطن الحوت في حين كان يحسبه الناس ميتا، شخص ابتلعه حوت وظل في جوف الحوت مدة طويلة من الزمان،

هل يتوقع أحد أن يظل حيًا؟ ويلفظه الحوت من بطنه على الشاطئ بعد مضى وقت طويل ويظل حيًّا؟ ولكن سيدنا يونس ظل بإرادة الله وقدرته ببطن الحوت حيًّا يسبح بحمد ربه.

وبالمثل، كان الناس يتوقعون أن يكون المسيح ﷺ قد مات على الصليب، ولكن لا يعز على قدرة الله أنه ظل بعد عملية الصلب حيًّا.

ثلاثون دليلاً يقدمها العلامة أحمد ديدات للبرهنة على أنهم قد أنزلوه عن الصليب حيًّا، وذلك في الفصل الثامن عشر من كتابه عن مسألة صلب المسيح، وهذه القضايا الثلاثون قد تم له عرضها بالتفصيل وبسطها خلال سبعة عشر فصلاً سبقت في كتابه ذاك مدعومة بالأدلة والبراهين والنصوص المقتبسة من القرآن الكريم في بعض الأحيان، ومن الكتاب المقدس لدى من يقدسونه في معظم الأحيان، ومدعومة أيضًا بالصور الفوتوغرافية وبالصور البيانية المذهلة.

ونقدم بين يدي القارئ الكريم بضع فقرات من أحد الفصول السابقة لعلها تكشف عبقرية منهج ديدات.

ها هو ذا العلامة ديدات يتحدث عن المقبرة التي دفنوا فيها المسيح ﷺ بعد أن أنزلوه عن الصليب[١] فيقول: «كانت المقبرة من ممتلكات يوسف الآريماتي الخاصة، وكان يوسف الآريماني واحدًا من أثرياء اليهود ذوي النفوذ، وحول هذه المقبرة كانت ثمة مزرعة للخضروات، وكان لمثل هذا الرجل الموسر أن يجعل من مثل هذه المزرعة أو الحديقة أشبه ما يكون بالمنتجع الترويحي لنفسه ولأسرته لقضاء فترات من الراحة، وكان يسوع هناك! وكان يرقب مريم المجدلية، إنه يعرف من تكون، وهو يعرف لماذا هي موجودة بالمكان، ويقترب خلفها ويجدها تبكي وتصرخ، ولذلك يسألها قائلاً: «يا امرأة لماذا تبكين؟ مَن تطلبين؟»» [يوحنا ٢٠ – ١٥]

---

(١) هدف العلامة ديدات في هذا الكتاب كما لا يخفى، هو تأييد ما أورده القرآن الكريم من أن قوم سيدنا عيسى ﷺ لم يقتلوه ولم يصلبوه، ومعنى «عدم قتلهم له» ظاهر، ولكن معنى «عدم صلبهم له» يحتاج إيضاحًا، نرجو من الله أن نقدمه بين يدى القارئ الكريم في الفصل التالى مباشرة تحت عنوان: على هامش الكتاب.

وقبل أن تجيب مريم المجدلية، دعني أيها القارئ الكريم أتدخل بملاحظة تتعلق بهذا المشهد البالغ الحساسية المفعم بالمشاعر المتضاربة، التي كانت تملأ خاطر كل من يسوع ومريم المجدلية لأُثير سؤالاً هو: لماذا يسأل يسوع أسئلة لا لزوم لها؟ ألا يعرفها يسوع ليناديها بقوله: يا امرأة؟ ألا يعرف يسوع لماذا تبكي مريم المجدلية؟ ألا يعرف يسوع من تطلب مريم المجدلية؟ ألا يعرف يسوع لماذا نزلت مريم المجدلية من بيتها عند بزوغ فجر يوم الأحد؟ بالطبع كان يسوع يعرف كل ذلك! لماذا كان يسوع يسأل أسئلة يعرف إجابتها؟

الجواب على ذلك هو أن أسئلة يسوع كان لها ما يبررها، نعم إنه كان يعرف أنها كانت تبحث عنه، ولكن خاب أملها إلى حد الصدمة عندما وجدت الحجر الذي كان يسد باب المقبرة مندرجًا، والمقبرة خالية، والكفن ملقى على أرضية المقبرة، ولا جسد فيه، كانت تشتاق أن تراه حيًّا في كفنه داخل المقبرة، ولكنها ولم تجده حيًّا ولا ميتًا، ومن ثم كان نحيبها، وكان يسوع يعرف أيضًا أن مريم المجدلية لن تتعرف عليه بسبب تنكره التام المتقن، ولذلك كان يسوع يتعمد أن يتدرج معها ليستدرجها إلى حالة السواء والاتزان الانفعالى من خلال الكلام إليها والتحدث معها أي كلام، أي حديث.

وعندما عرض القديس يوحنا ببلاغته اليونانية هذه الصورة التي برزت منعمة بالمشاعر الدافقة، قال مصورًا عدم قدرتها على التعرف عليه: «وهي إذا اعتقدت أنه البستاني قالت له».

ونسأل ها هنا: لماذا اعتقدت مريم أن الرجل الذي صادفته بالقرب من المقبرة كان هو البستاني؟ والجواب البديهي على ذلك هو أن يسوع كان متنكرًا في زي بستاني.

ولماذا تنكر يسوع في زي البستاني؟ والجواب هو: أن كان خائفًا من اليهود.

ولماذا كان يسوع خائفًا من اليهود؟ الجواب هو أن يسوع لم يكن قد مات، ولم يهزم يسوع الموت كما يزعم النصارى، ولو كان يسوع قد مات حقًّا أو هزم الموت فعلاً لما كان ثمة داع للخوف.

ولِمَ لا يخاف الموت من سبق له الموت؟ الجواب هو أن الجسم لا يموت مرتين!
مَن الذي قال إن الجسم لا يموت مرتين؟ الكتاب المقدس يقول ذلك.
أين يقول الكتاب المقدس ذلك؟ يقول الكتاب المقدس ذلك في الرسالة إلى العبرانيين ٩: ٢٧ إذ يقول: «... وكما وضع للناس أن يموتوا مرة، ثم بعد ذلك الدينونة».

ولكن ماذا عن مئات الناس الذين عادوا إلى الحياة بعد إعلان موتهم؟ إننا نقرأ عنهم يوميًّا على صفحات الصحف، نقرأ عن أولئك الناس الذين صدرت شهادة طبية بوفاة كل منهم بواسطة أطباء لهم وظائفهم الرسمية الحكومية كأطباء، وعاد أولئك الناس إلى الحياة، إن الأطباء قد أخطأوا في هذا الصدد مرات كثيرة، ولسوف يستمرون في ارتكاب هذا الخطأ، ولا سبيل إلى تجنب ذلك، ولكنني أريدك -لو تفضلت، أيها القارئ الكريم- أن تلحظ عبارة «ميت إكلينيكيا Clinically dead» الموجودة بصفحة ٦٣، وكلمة «الجثة Corpse» الموجودة بصفحة ٢٢، وكلمة الصلب Crucifictio الموجودة[1] بصفحة ٥٦.

Daily News March 25, 1975

'Corpse' winks at undertaker

Daily News Correspondent

MUNICH, Tuesday.

THE UNDERTAKER was about to put the lid on the coffin of 78-year-old Emma Sikorski when the "corpse" winked at him!

Relatives had found Mrs Sikorski apparently dead in bed in her Berlin home. They called a doctor, who pronounced the old lady dead and wrote out a death certificate.

Then they called an undertaker who prepared the body for burial, put it in a coffin and was about to lower the lid when — said the funeral director shakily — "it moved and an eye winked."

The old lady is now recovering in hospital. "She's got some colour back in her cheeks and is doing fine," was the latest report.

---

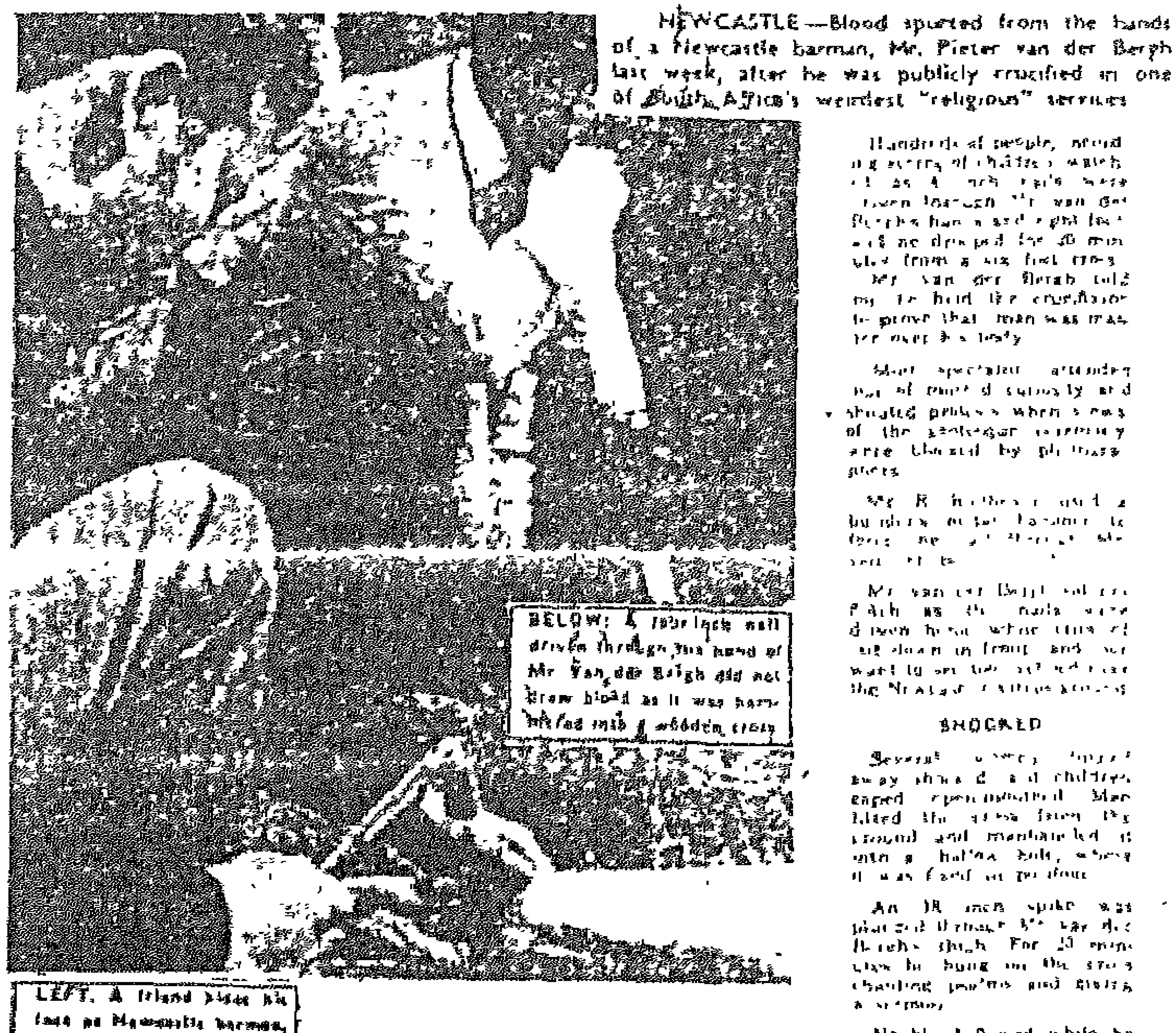
(١) نورد هذه الصفحات وبها الصور الفوتوغرافية فيما يلي، وقد وضعت الكلمات الثلاثة بين شولات بواسطة الصحفيين، للتدليل على أن كلا منهم لم يقصد المعنى الحقيقي للكلمة التي وضعها بين شولات، فإذا قال أحدهم للصحفي: لماذا قلت: إن الرجل قد مات وهو في حقيقة الأمر لم يمت، يقول الصحفي: لقد احتطت لذلك بوضع كلمة «مات» بين شولات لمنع اللبس وسوء الفهم.

(يعتمد منهج العلامة أحمد ديدات على تقديم ما يثبت ما يقولـه دائمًـا، سـواء كان ذلك بالنصوص الصحيحة منسوبة إلى مصدرها الصحيح أو بالصور الـضوئية للوثائق، والمؤلف يورد هنا صورة ضوئية لما نشرته جريـدة ديلـي نيـوز بتـاريخ ٢٥ مارس ١٩٧٥ من أن جثة سيدة عجوز تدعى سيكورسكي، تغمز بعينها للحـانوتي الذي كان يتولى تجهيزها للدفن بعد صدور شهادة طبيـة بوفاتهـا، ومـا أكثـر الـذين ظلوا أحياء بعد أن حسبهم وظنهم الناس أمواتًا).

WHAT WOULD YOU CALL THIS —
"CRUCIFIXION or CRUCI - **FICTION** ?

WEEKEND WORLD

Crucified man hung on cross



NEWCASTLE—Blood spurted from the hands of a Newcastle barman, Mr. Pieter van der Bergh last week, after he was publicly crucified in one of South Africa's weirdest "religious" services

BELOW: A four-inch nail driven through the hand of Mr Van der Bergh did not draw blood as it was hammered into a wooden cross

LEFT. A friend places his face as Newcastle barman, Mr Pieter van der Bergh, is nailed to a cross.

SHOCKED

No blood flowed while he was there

(على بقية الصفحة السادسة والخمسين من كتابه عن مسألة صلب المسيح، يورد المؤلف صور فوتوغرافية لما نشرته صحيفة «ويك إند وورلد صنداي» بتاريخ ٣ أغسطس ١٩٦٩ تحت عنوان: ماذا تسمي هذا؟ صلب، أم إيهام بالصلب؟ (Crucifixion or Cruci-fiction?





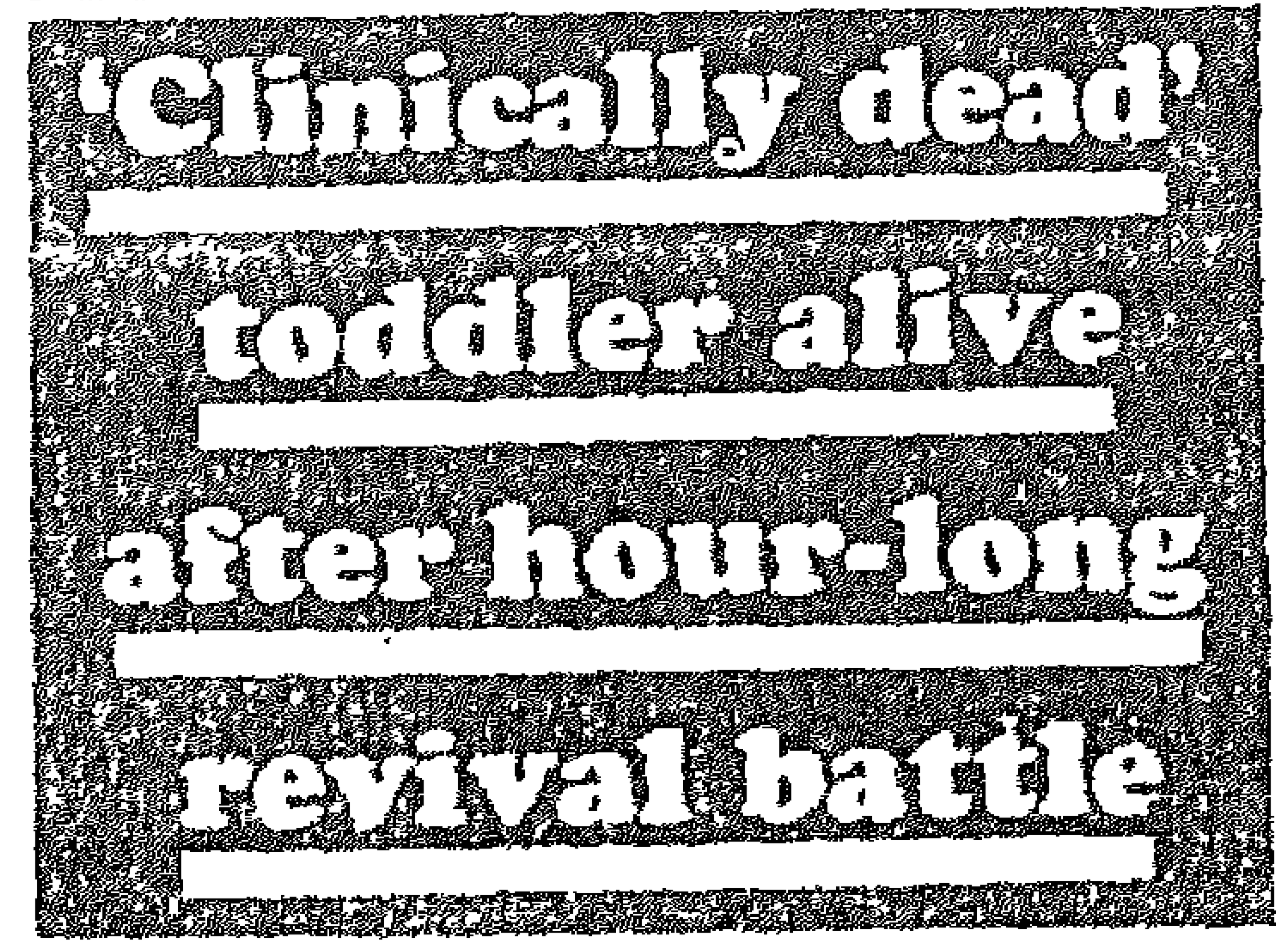
He was 'dead'

Man's heart stops but he lives on

SUNDAY EXPRESS REPORTER

THE heart of a 52-year-old man stopped after a minor operation at Johannesburg's South Rand Hospital last week, but within the four-minute deadline in [illegible] cases his chest had been opened and hand massage restored him to life.

The Natal Mercury,
DURBAN, WEDNESDAY,
DECEMBER 15, 1982



Miss Gillanderes said the child was clinically dead when the [illegible] arrived. There was neither heartbeat, blood pressure nor breath and his pupils were dilated.

A neighbour had already started resuscitation before we arrived. We put through an air way to help him start breathing, we used drugs and we tried to shock his heart into working with the paddles.'

Brain damage

He was moved to hospital where doctors aided the resuscitation bid and about 10 minutes later the monitor indicated his heart had begun to pump

في الجزء العلوي من الصورة الضوئية يورد المؤلف صورة لما نشرته جريدة «صنداي إكسبرس» يوم ٢٣ يوليو ١٩٦١ بعنوان: «توقف قلب الرجل لكنه ظل يحيا» وفي الجزء السفلي صورة لما نشرته صحيفة «ناتال مركوري» بمدينة ديربان بجنوب إفريقيا يوم الأربعاء الموافق ١٠ ديسمبر ١٩٨٢، والعنوان الرئيسي يقول: «ميت إكلينيكيًا، تودلر حي بعد معركة استمرت ساعة من أجل إنقاذه».

(لقد وضع رجل الصحافة كل كلمة من هذه الكلمات بين شوليتن، وبهاتين الشولتين يوضح لنا رجل الصحافة الماهر أن «الميت» لم يمت، وأن «الجثة» ليست جثة إنسان مات فعلا، وأن عملية «الصلب» ليست عملية صلب فعلي قضت على حياة الشخص الموضوع على الصليب، كما كانت عمليات الصلب تنفيذًا للأحكام الرومانية، تقضي على حياة المحكوم عليهم بالصلب عندما كانت إرادة الله قد شاءت للمصلوب أن يموت صلبًا.

من وجهة نظر العاملين بالصحافة، تقلل كلمة «مزعوم» من مبيعات الصحف، إنهم ينشرون الخبر باعتبار أن رجلاً قد «مات» وعاد إلى الحياة، وذلك لجذب اهتمام القراء الذين يكتشفون بعد قراءة كل ما كتبه الصحفي عن الخبر أن الرجل لم يمت حقًا، بدا الرجل كالميت وتوقف النبض، وأسعفه الأطباء وعاد الرجل إلى الحياة بعد مدة (كذا) من الوقت،ياللغرابة! ولكن هذا يحدث في أحايين كثيرة .... والشغل شغل... ولكن الإنسان، أي إنسان، لا يموت مرتين... ولا يهم إزاء هذه الحقيقة عدد شهادات الوفاة التي يحررها الأطباء له، ولا يهم عدد التحقيقات الصحفية التي ينشرها الصحفيون عن رجال ماتوا ثم عادوا إلى الحياة.

ويستطرد العلامة ديدات بأسلوبه الفريد، ومنهجه الجديد ليقول: «وإذ تظن مريم المجدلية أن يسوع في تنكره، تظنه البستاني، فهي تقول له: يا سيد إن كنت أنت حملته فقل لي أين وضعته»[1]. [يوحنا ٢٠: ١٥]

(١) لقد ورد هذا النص في إنجيل يوحنا بالموضع المشار إليه أعلاه باللغة الإنجليزية كما يلي:

«Sir, if you have taken him, hence, tell me where you have laid him» (John 20: 15).

واستخدام ضمير المفعول به المفرد الغائب him مرتين في عبارة مريم المجدلية، يدل على أنها كانت تبحث عن إنسان على قيد الحياة ولا تبحث عن جثة؛ لأنها لو كانت تبحث عن جثة لاستخدمت الضمير «it».

إنها لا تبحث عن جثة، إنها تبحث عن إنسان حي، وهي تريد أن تعرف أين أرقده[1] وهي لم تقل له: «أين دفنته».

ماذا؟ تريد أن تأخذه من مرقده؟ أين تأخذه؟ وماذا تفعل امرأة مثل مريم المجدلية بميت؟ من يحفر القبر؟ هل تقوى على حمله؟

إن الجسم الميت يزن ما لا يقل عن مائة وستين رطلاً يضاف إليها ما لا يقل عن مائة رطل من المواد المصاحبة، وحمل مثل هذا الثقل لا تقوى عليه امرأة مرفهة متقدمة في العمر مثل مريم المجدلية، إنها إذ تخاطب سيدها يسوع وهي تحسبه البستاني وتسأله عن سيدها يسوع، وتسأله أين أرقده، قد أبطأت كثيرًا في التعرف على سيدها يسوع.

ولقد اصطبر عليها سيدها يسوع كثيرًا لتتعرف على شخصه الحقيقي من تلقاء نفسها، ولكن التنكر كان متقنًا! وكان يسوع في موقف يسمح له أن يضحك من عدم قدرتها التعرف عليه لو شاء الضحك، ولكنه لم يستطع أن يصبر، ولم يستطع أن يتمالك نفسه أكثر من ذلك فاندفع قائلاً لها: «مريم» وكانت كلمة واحدة، ولكنها كانت كافية! مكنت كلمة «مريم» مريم أن تتعرف على سيدها؛ لأن لكل امرئ طريقته الخاصة المميزة في نداء أفراد عشيرة المقربين إليه، إن طريقة نطقه للحروف جعلت مريم تتعرف عليه فورًا لتجيب: «سيدي... سيدي» وتتقدم نحوه وقد طار صوابها من الفرح محاولة الإمساك بسيدها واحتضانه، وتقديم فروض المحبة له والتبجيل، ولكن يسوع يقول لها: «لا تلمسيني»!

ولم لا تلمسه؟ هل كان حزمة مكهربة؟ هل كان مُوَلِّدًا كهربيًا كانت ستصعق لو لمسته؟ كلا! لقد قال لها: «لا تلمسيني» لأنها لو لمسته لكانت ستسبب له ألمًا. ورغم أنه كان يبدو على ما يرام منتصبًا أمامها على قدميه، إلا أنه كان قد خرج منذ وقت قصير من تجربة جسيمة وعصيبة عنيفه، ولم تشف ولم تندمل جروحه من

---

(١) فعل lay باللغة الإنجليزية من معانيه معنى الإرقاد من فعل يرقد بفتح الياء وضمها، والإرقاد إنما يكون لشخص على قيد الحياة، سواء كان طفلاً أو كان خائر القوى لا يقوى على الرقاد بنفسه، ولو كانت مريم المجدلية تبحث عن جثة لقالت: أين وضعته Put it؟ أو: أين دفنته buried it؟.

جرائها بعد[١]. ويستطرد يسوع في كلامه مخاطبًا مريم ليقول: «...لأني لم أصعد[٢] بعد إلى أبي» [يوحنا ٢٠: ١٧]

ولم تكن مريم المجدلية عمياء، ولم تكن مريم المجدلية بلهاء... كانت تستطيع أن ترى الرجل (يسوع) واقفًا أمامها تدب الحياة في جميع أوصاله، فماذا يعني بقوله: «لم أصعد بعد»؟ هل كان يعني أنه لم يصعد إلى أعلى؟ لقد كان واقفًا أمامها على الأرض التي كانت مريم نفسها تقف عليها، ولا حاجة البتة إلى التنبيه على عدم الصعود، إنه يقول لها في حقيقة الأمر: إنني لم أمت ولم أبعث من بين الموتى، إني لم أفارق الحياة حتى الآن، أنا حي ولم يسبق أن أصابني الموت، إنني حي ولم أمت ولم يتوفني الله حتى الآن، وها أنذا -يا مريم- واقف أمامك على قدمي أحادثك وتحادثينني.

ولكنني بهذا القدر الذي اقتبسناه من بعض الفقرات، التي قمنا بترجمتها حرفيا إلى حد بعيد مما كتبه العلامة أحمد ديدات من الصفحات ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨ من كتابه العبقري عن مسألة صلب المسيح[٣] ليتسنى للقارئ الكريم أن يتعرف بنفسه، وأن يقدر بنفسه مدى عبقرية وعظمة منهج وأسلوب العلامة أحمد ديدات في تناوله بالدراسة العلمية الموضوعية أخطر موضوعات مقارنة الأديان، وإن منهجه من وجهة نظرنا لمنهج علمي موضوعي جديد، وإن أسلوبه من وجهة نظرنا لأسلوب عبقري فريد، وبهذا المنهج العلمي الموضوعي الجديد، وبذلك الأسلوب العبقري الفريد، يمضي أعظم الدعاة المسلمين قدمًا، ليثبت بما لا يدع مجالاً للريب أن الدين عند الله هو الإسلام.

---

(١) تصور حالة شخص يندفع بحماس ليصافح شخصًا يده مجروحه.

(٢) معناها بطبيعة الحال: لأني لم أمت بعد كما يظن الناس. ومعناها بطبيعة الحال أن سيدنا عيسى عليه السلام لم يمت على الصليب كما يظن بعض الناس.

(٣) عنوان الكتاب بالإنجليزية كما سبق أن أشرنا هو CRUCIFIXION OR CRUCIFICTION وكلمة Crucifixion تعنى الصلب المقضى إلى الموت، أما كلمة Crucifixion فهى كلمة من ابتكار العلامة ديدات، يقصد بها توهم الصلب، أو الصلب غير المميت الذي لم يحدث الوفاة.

على هامش الكتاب

الكتاب الذي نود ها هنا أن نضيف بعض الملاحظات على هامشه، هو كتاب مسألة صلب المسيح للعلامة أحمد ديدات، وعنوانه بالإنجليزية هو:

«CRYCIFIXION OR CRUCIFICTION»

وأنا لا أحبذ استخدام تعبير «صلب المسيح» أبدًا، وأفضل استخدام تعبير نهاية شأن المسيح مع قومه لأسباب جوهرية وهامة أبرزها ما يوحيه تعبير صلب المسيح من لبس وبشاعة في آن واحد.

والموضوع حساس ومثير للغاية، ويؤثر ويفضل كثير من العلماء والباحثين عدم الخوض فيه، ومعهم كل الحق في ذلك، وأوثر أنا أيضًا عدم الخوض فيه لما يحيط به من حساسية وإثارة لا ريب فيها، ولكن الموضوع يفرض نفسه فرضًا كلما ذكر اسم المسيح عيسى ابن مريم ﷺ، ويدور لغط كبير على مدار القرون والعصور حول مسألة «نهاية شأن المسيح مع قومه» بأكثر مما يدور حول ألوهية المسيح التي ينادي بها النصارى، وبشرية المسيح مع الإيمان بأنه كان نبيًّا رسولاً من أنبياء ورسل الله ﷺ إلى بني إسرائيل فيما يعتقد المسلمون بحق.

والمسألة محسومة بطبيعة الحال بين المسلمين والنصارى بشأن ألوهية المسيح وبشريته، والخلاف أظهر من أن يحاول أحد إنكاره أو إخفاءه أو الدوران عليه أو تبسيطه أو تمييعه، ولا إكراه في الدين، فمَن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، وللنصارى دينهم وللمسلمين دين، والتسامح والتعايش بين أصحاب العقائد الدينية المختلفة فريضة إلهية على المسلمين بموجب نصوص كثيرة من القرآن الكريم، وسنة مؤكدة بموجب الثابت الصحيح من أفعال وأحاديث رسول الإسلام ﷺ، وهي أبرز وأشهر من أن يشار إليها.

ولا يأبه المسيحي فيما لاحظت عندما يقول له المسلم: إن المسيح عيسى ابن مريم ﷺ نبي رسول من أنبياء الله ورسله، وليس إلهًا وليس المسيح ابن الله، يكتفي المسيحي عادة -فيما لاحظت- بأن يقول بهدوء تام: حسنًا، أنت تعتبر أن المسيح

نبي من رسل الله، وأنا أعتقد أن المسيح إله، أنا حر فيما أعتقد، وأنت حر فيما تعتقد.

أما عندما تقول لمسيحي: لم يمت المسيح على الصليب. أو تقول له: لم يصلب المسيح، ولكن شبه لقومه؛ إذ أن القرآن الكريم يقول لنا: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧] لهم، عندئذ يستشيط المسيحي -في الغالب الأعم فيما لاحظت- غضبًا وثورة، ويقول في الغالب الأعم -فيما لاحظت- ما لا يليق بالنسبة للقرآن الكريم، والعياذ بالله من قول لا يليق بالنسبة للقرآن الكريم.

لماذا هذه المفارقة العجيبة؟

لهذه المفارقة العجيبة أسباب معقولة ومنطقية جدًّا، وأهم هذه الأسباب هو أن مزاعم النصارى فيما يتعلق بالصلب والقيامة من بين الموتى والصعود إلى السماء، إنما هي الركائز الأساسية التي يرتكز عليها زعمهم أن المسيح إله.

وهذه المسألة تخفى على غالبية الناس رغم بساطتها ووضوحها، لو ثبت -وهو ثابت بفضل الله بكثير من الأدلة التي لا تقبل دحضًا ولا ريبًا- أن المسيح عليه السلام لم يمت على الصليب كما يزعم النصارى، ولو ثبت أن المسيح عليه السلام قد أدى رسالته وتوفاه الله كسائر الأنبياء والرسل، لو ثبت ذلك لم يعد أي أساس لادعاء ألوهية المسيح عليه السلام قائمًا، وينهار هذا الادعاء على رءوس من يدعونه.

ولذلك لم يكن عجيبًا أن يقول صاحب كتاب الإله المصلوب The Crucified God جوردن مولتمان في كتابه ذاك بالحرف الواحد كما أشرنا من قبل: إن وفاة عيسى على الصليب هي عصب كل العقيدة المسيحية، إن كل النظريات المسيحية عن الله، وعن الخليقة، وعن الخطيئة، وعن الموت، تستمد محورها من المسيح المصلوب، وكل النظريات المسيحية عن التاريخ، وعن الكنيسة، وعن الإيمان، وعن التطهر، وعن المستقبل، وعن الأمل إنما تنبع كلها من المسيح المصلوب[١].

هذا فيما يتعلق بمسألة نهاية شأن المسيح مع قومه لدينا نحن المسلمين، فلقد حظيت هذه المسألة بكثير من اهتمام المسلمين على مدار القرون والعصور حتى

---

(١) أورده العلامة أحمد ديدات - ص ١٠.

اليوم، ولقد اختلف المسلمون على وجه الخصوص حول جزئية هامة، ولكنها فرعية من فرعيات مسألة نهاية شأن المسيح مع قومه.

وتتلخص هذه المسألة الفرعية من فرعيات مسألة نهاية شأن المسيح مع قومه في أن المسلمين جميعًا دون استثناء واحد، يؤمنون أن المسيح عيسى ابن مريم هو رسول الله إلى بني إسرائيل؛ ليصحح لهم ما حرفوه وبدلوه وأساءوا تأويله من دين موسى عليه السلام، ويؤمن المسلمون جميعًا بمعجزات المسيح عليه السلام كما ورد ذكرها في القرآن الكريم، ويؤمن المسلمون جميعًا أن المسيح عليه السلام لم يقتله أعداؤه من بني إسرائيل ولم يصلبوه، وعندما أقول: المسلمون. أعتبر نفسي ككاتب مسلم لهذه السطور واحدًا منهم بطبيعة الحال، أومِنُ بكل ما عرف بالضرورة من عقائد الإسلام وشرائعه، وأرجو من الله العلي العظيم أن أحيا مسلمًا وأن أموت مسلمًا، وأن أكون في زمرة المسلمين يوم يبعثون بين يدي الله تبارك وتعالى.

فيم يختلف المسلمون إذن أشد الاختلاف؟

يختلفون في هذه المسألة الآتي بيانها وتحديدها:

إذا كان المسيح عليه السلام لم يمت على الصليب مصداقًا لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ [النساء: ١٥٧] فماذا حدث للمسيح عليه السلام؟ وكيف كانت نهاية شأن المسيح مع قومه؟ وكيف يمكن الرد على زعم النصارى أن عشرات بل مئات الناس قد شاهدوا المسيح بعيونهم يوضع على الصليب؟

بدا أن تعبير ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ يحل مشكلة شهود العيان التي يحتج بها النصارى، ولكن المفسرين مع بالغ احترامنا لجمهودهم لم يصادفهم التوفيق في تفسير التعبير القرآني في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ إذ فسروه بالإجماع باعتبار أن الله تبارك وتعالى قد ألقى شبه عيسى على غيره، فأخذوا غيره وصلبوه باعتبار أنه هو عيسى، وهو تفسير خاطئ وساذج وترتبت عليه نتائج خاطئة أدت إلى خلاف وبلبلة في الرأي بين المسلمينِ عامتهم وخاصتهم على السواء، ولا تزال هذه البلبلة بشأن هذه المسألة موجودة حتى اليوم.

ويرفض النصارى –ومعهم حق– هذا التفسير؛ إذ يقولون: إن يهودا الذي يزعم المفسرون المسلمون أن الله قد ألقى شبه عيسى عليه قد مات ميتة شنيعة شاهدها الناس في مصره وعصره.

ومن عيوب هذا التفسير أيضًا أن ظل السؤال هو السؤال: لنفترض جدلاً بالتي هي أحسن أن سيدنا عيسى عليه السلام لم يقتلوه ولم يصلبوه، ولنفرض أن الله قد ألقى شبه سيدنا عيسى عليه السلام على شخص غيره أخذوه فقتلوه وصلبوه، ماذا حدث لسيدنا عيسى عليه السلام بعد ذلك؟ وكيف كانت نهاية شأن سيدنا عيسى عليه السلام مع قومه على وجه التحديد؟

وجاءت الآية الكريمة الثامنة والخمسون بعد المائة من سورة النساء ملاصقة للآية السابعة والخمسين بعد المائة من ذات سورة النساء، ووجد المسلمون فيها إجابة سؤال: ماذا حدث لسيدنا عيسى عليه السلام بمعلومية أن قومه لم يقتلوه ولم يصلبوه؟

لو افترضنا أن قومه قد شبه لهم، أي ألقى الله شبه عيسى عليه السلام على شخص أخر أخذوه فقتلوه وصلبوه؟ وجاءت الآية القرآنية الكريمة لتقدم إجابة هذا السؤال إذ يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٥٨﴾.

[النساء: ١٥٨]

تسأل: ماذا حدث لسيدنا عيسى عليه السلام إذا كان قومه لم يقتلوه ولم يصلبوه؟ فتكون الإجابة فورية وجاهزة هي نص الآية القرآنية الكريمة: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٥٨﴾.

ومما يؤسف له أن المسلمين عامتهم وخاصتهم قد اختلفوا في معنى الرفع، قال بعض المسلمين، وهم الأغلبية: رفعه الله بجسمه وروحه، وهو رأي المتعصبين للسنة النبوية تعصبًا أعمى، وذلك لورود أحاديث نبوية يحتجون بها لتعضيد وجهة نظرهم وإثبات صوابها.

ولكن رأي الأغلبية هذا، وإن كان يتلخص من وجود جسد المسيح برفع المسيح جسدًا وروحًا إلى السماء، يصادف مشاكل لا قبل للمتعصبين تعصبًا أعمى للسنة النبوية بحلها، جسد الإنسان أي إنسان مشكلة على وجه الأرض، لا يحلها حلاً طبيعيًا مقبولاً إلا الدفن.

ولد فلان من الناس، وهو يعيش بجسمه بين أهله وذويه، جسمه موجود حي طالما تدب فيه الحياة، وإذا مات الإنسان أو قتل يهتم الناس كل الاهتمام بمصير جثته، ولليهود اهتمام توراتي مشهور بضرورة دفن جثة الميت.

حسب المتعصبون للسنة تعصبًا أعمى أنهم تخلصوا من جسد المسيح ﷺ على الأرض وانتهت مشكلته، وغاب عنهم أن مشكلة الجسد الإنساني، خصوصًا أنهم يزعمون فيه الحياة، ومشكلة هذا الجسد الإنساني الحي في السماء أعتقد من مشكلته على الأرض: كيف يحيا جسد إنسان في السماء؟ كيف يطعم؟ كيف يشرب؟ كيف يخرج فضلات الطعام والشراب؟ هذه المشاكل، مشاكل جسد الإنسان الحي ليست بسيطة، وليست سهلة الحل أبدًا، إن هذه من أعقد المشاكل التي تواجه النصارى، ويعجزون عن حلها عجزًا مشينًا، لا يستطيعون إنكاره عندما يعترض على عقيدتهم معترض قائلاً لهم: كيف يكون عيسى إلهًا، وقد كان إبان حياته على الأرض يأكل ويشرب ويخرج فضلات الطعام والشراب؟ وكيف تقولون إنه قد قام من بين الموتى ورفع إلى السماء ليجلس على يمين العظمة ليدين العالم؟ هل لا يزال يأكل ويشرب ويخرج فضلات الطعام وهو جالس على يمين العظمة؟

لقد جلب لنا المتعصبون تعصبًا أعمى للسنة مشكلة النصارى لكي نحلها لهم، وما أسهل أن يقول النصارى: ألا تقولون وفقًا للآية ١٥٨ من سورة النساء ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝﴾ كيف يأكل ويشرب ويخرج فضلات الطعام والشراب، وأنتم أيضًا أيها المسلمون تعتبرونه حيًا في السماء؟ أي أن النصارى يستطيعون استنادًا إلى رأي المتعصبين تعصبًا أعمى للسنة، أن يقذفوا في وجوهنا دون حق بنفس السؤال الذي وجناه إليهم بحق!

والرآي الآخر بشأن مسألة رفع عيسى يذهب أصحابه من المسلمين، إلى أن الله قد رفع سيدنا عيسى بروحه دون جسده، وهو الرأي الأقرب إلى الصواب، ولكنه رأي أقلية ممَن يغلب عليهم إعلاء منزلة العقل الإنساني، وقدرة عقل الإنسان على إدراك الحقيقة، باعتبار أن العقل نعمه من أكبر النعم الإلهية، وقد وهبه الله للإنسان

ليتفكر ويتدبر ويدرك ويعرف ويعلم ويتعلم، ولكن من عيوب هذا الرأى أنه لا يحل مشكلة جسد عيسى عليه السلام حلاً معقولاً مقنعًا، ماذا حدث لسيدنا عيسى إذا كان قومه لم يقتلوه ولم يصلبوه، بل رفع الله روحه إليه، فماذا حدث لجسمه؟

وهكذا احترم الخلاف بين المسلمين حول مسألة نهاية شأن سيدنا عيسى عليه السلام مع قومه، ولا يزال محتدمًا حتى اليوم دون أن يستطيع أحد حسمه على نحو مقنع.

وإذ تسنى لنا تصوير وتحديد المشكلة بصراحة وبوضوح، يمكن لنا أن نتلمس لها حلاً، وتحديد المشكلة وتحديدها بصراحة ووضوح، هو أول الخطوات السليمة الضرورية لتلمس حل أي مشكلة، ونرجو أن يكون الله تبارك وتعالى قد وفقني في تحديد المشكلة تحديدًا صريحًا واضحًا.

وإذ نحاول فيما يلي أن نتلمس لهذه المشكلة حلاً، نرجو أن يوفقنا الله تبارك وتعالى إلى الصواب بشأنه، سنحاول أن نتقدم بين يدي القارئ الكريم بهذا الحل على شكل نقاط مرقمه، لكي يسهل الرجوع إليها لمَن يشاء ذلك.

(١) نلاحظ أولاً وقبل كل شيء أن مسألة نهاية شأن المسيح مع قومه ليست من أساسيات العقيدة الإسلامية، إن أساسيات أو أسس أو دعائم العقيدة الإسلامية معروفة مشهورة، هي: الإيمان بالله وحده لا شريك له، والإيمان برسله عليهم السلام، والايمان بأن محمدًا ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت لمَن استطاع إليه سبيلاً، والإيمان بالقدر خيره، والإيمان بالبعث وباليوم الآخر، وبالحساب عند البعث بين يدي الله تبارك وتعالى، والإيمان بالملائكة والتصديق بالقرآن الكريم، والعمل بسنة نبي الإسلام قولاً وفعلاً.

ومن الثابت إذا أن مسألة نهاية شأن المسيح عليه السلام مع قومه، ليست من أسس ودعائم الإسلام[1] بأي حال من الأحوال، ولقد أصاب شيخ الأزهر الأسبق المغفور له فضيلة الشيخ محمود شلتوت؛ إذ قال في ختام واحدة من أهم وأقيم وأصدق وأشهر فتاويه، قال: «إنه ليس في القرآن الكريم ولا في السنة المطهرة

---

(١) يترتب على هذا بداهة أنه أيا ما يكون رأى الإنسان المسلم بشأنها، فإن رأيه لا يؤثر على صحة إسلامه.

مستند يصلح لتكوين عقيدة يطمئن إليها القلب، بأن عيسى رفع بجسمه إلى السماء، وأنه حي إلى الآن فيها، وأنه سينزل منها آخر الزمان إلى الأرض، وكل ما تفيده الآيات الواردة بهذا الشأن، هو وعد الله عيسى بأنه متوفيه ورافعه إليه، وعاصمه من الذين كفروا، وأن هذا الوعد قد تحقق، فلم يقتله أعداؤه ولم يصلبوه، ولكن وفاه الله أجله ورفعه إليه، وأن من أنكر أن عيسى قد رفع بجسمه إلى السماء، وأنكر أنه حي فيها إلى الآن، وأنكر أنه سينزل منها آخر الزمان، فإنه لا يكون بذلك منكرًا لما ثبت بدليل قطعي، فلا يخرج عن إسلامه وإيمانه، ولا ينبغي أن يحكم عليه بالردة، بل هو مسلم مؤمن، إذا مات فهو من المؤمنين، يصلى عليه كما يصلى على المؤمنين، ولاشبهة في إيمانه، إن الله بعباده خبير بصير»(١).

(٢) أنا -كاتب هذه السطور- إنسان مسلم، ولدت لأبوين مسلمين مصريين عربيين، أرجو أن يتولاهما الله برحمته، وأن يدخلهما جنته مع المسلمين الصالحين، إنه ﷻ سميع مجيب، وأعلم أن أجدادي -عليهم رحمة الله- كانوا مسلمين، وأعتز بإسلامي كل الاعتزاز بفضل الله، وأعتبر أن الإسلام هو أكبر نعمة أنعم بها الله على كل مَن يشاء الهداية إلى الطريق المستقيم في الدنيا والآخرة، وأرجو أن أحيا وأموت مسلمًا، وأن يحشرني الله في زمرة من حسن إسلامهم يوم يبعثون، وأن يدخلني الجنة، وأن يقيني شر عذاب النار، إنه ﷻ سميع مجيب الدعاء.

(٣) إذا أعرض بما يوفقني الله إليه من هذه الدراسة المتواضعة بهذه المسألة الشائكة البالغة الحساسية، لا أقصد إساءة إلى شخص أحد من الناس أو طائفة من الطوائف؛ إذ أنني أنشد توفيق الله في الوصول إلى الحق لوجه الحق في مسألة من مسائل الدين الإسلامي، ولما كانت طبيعة المسألة لاتصالها بشأن نهاية شأن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام مع قومه متماسة مع أديان أخرى، فإنني لا أقصد إلى أي شيء سوى استجلاء الحقيقة، وللمسلمين عقيدتهم ودينهم، ولغير المسلمين عقيدتهم ودينهم، وحرية الاعتقاد وحرية الدراسة العلمية لمسائل ومتعلقات الاعتقاد مكفولة بداهة لكل مَن يستطيع ويريد ذلك.

---

(١) انظر مجلة الرسالة – السنة العاشرة – العدد (٤٦٢).

(٤) كنت أستطيع أن أتجنب الخوض في هذه المسألة البالغة الحساسية الشائكة، أترجم كتابًا وأكتفي بترجمته دون تعقيب أو تعليق أو الإدلاء بأي رأي،أوجز محتوى كتاب وأكتفي بتقديم موجزه، كنت أستطيع أن ألتزم الصمت مع الصامتين، أنا أعرف أن معظم الناس يلزم الصمت، ويؤثرون عدم الخوض في هذه المسألة البالغة الحساسية الشائكة، ولكن المسألة تفرض نفسها، وتحتاج إلى وجود جواب لها يحل مشكلاتها ليتخلص المسلمون من البلبلة وتشتت الآراء والخواطر بشأنها.

ويضاف إلى ذلك سبب هام كل الأهمية، يقضي بضرورة التعرض لحل هذه المسألة، إن أعداء الإسلام يتطرقون إلى التشكيك في عقائد الإسلام من ثغرة هذه المسألة رغم قلة أهميتها بالنسبة لأسس العقيدة الإسلامية.

من ذلك على سبيل المثال لا الحصر، أن يعمد غير المسلم في حوار يجري مصادفة مع مسلم إلى مسألة نهاية شأن المسيح مع قومه، ويسلم جدلاً بما يقوله القرآن الكريم بهذا الصدد من أنهم ما قتلوه وما صلبوه، ثم يسأل المسلم عن حقيقة ما حدث للمسيح إذا كان لم يقتل ولم يصلب، وليست لدى المسلم ردود جاهزة حاسمة؛ إذ لم تحسم المسألة بل يعتريها تضارب الآراء بين المسلمين، فيبدو الإنسان المسلم كما لو كان إنسانًا لا دراية له بما يقوله القرآن الكريم، وينتقل معه غير المسلم من مشكلة إلى مشكلة، على نحو ما أشرنا إليه آنفًا في محاولتنا تحديد المشكلة.

ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر أن أهل الكتاب قد دسوا معلومات وأخبارًا فيما يتعلق بهذه المسألة بالذات على المسلمين، ومما يؤسف له أنه من الثابت أن بعض علماء المسلمين كانوا يسألون أهل الكتاب عن معلوماتهم بخصوص هذه المسألة بالذات، لمجرد حب الاستطلاع أو معرفة مجرد معرفة رأي الآخرين دون ضرورة الإيمان بصدق وسلامة رأي الآخرين، ولكن الثابت فعلاً أن بعض علماء المسلمين كانوا يسألون علماء أهل الكتاب، ويستمزجون آراءهم بشأن هذه المسألة بالذات، ومن هنا بتوالي القرون والعصور تسللت إسرائيليات ومعلومات خاطئة، وتداولها المسلمون فيما بينهم وأثبتوها ودونوها في كتبهم، ولم

يسلم أوائل المفسرين من هذه الآفة المدمرة فيما يتعلق بهذه المسألة على وجه الخصوص، وإن دهاء الحاقدين لعظيم، ومن الثابت أيضًا أن الحاسدين المتربصين بالإسلام قد تمكنوا من دس عدد كبير من الأحاديث، وكان لهذه المسألة القليلة الأهمية نصيب الأسد من الأحاديث المدسوسة بشأن هذه المسألة بالذات، كان من أصعب وأعقد الأمور؛ إذ سبق الأحاديث المدسوسة بشأنها دس معلومات خاطئة، ووصول هذه المعلومات الخاطئة إلى أوائل المفسرين المسلمين العظام.

(٥) المسألة -مسألة نهاية شأن المسيح ﵇ مع قومه- مسألة تكاد تكون في حد ذاتها تافهة عديمة الأثر، عديمة الجدوى فيما يتعلق بأسس الإسلام، إن هذه المسألة لا دخل لها بالعقيدة الإسلامية ولا بالسنة النبوية ولا بالشريعة الإسلامية ولا بالمعاملات الإسلامية، ولو كان لها شأن لأوضحه لنا تفصيلاً لا لبس فيه ولا ريب القرآن الكريم، ولكان الرسول ﷺ قد فصله تفصيلاً لا لبس ولا غموض فيه.

(٦) عند تناولنا لهذه المسألة سنعرض بطبيعة الحال لآراء المفسرين فيما يتعلق بتفسير بعض آيات القرآن الكريم، وأود أن أؤكد بهذا الخصوص أنني كإنسان مسلم أعيش في نهاية القرن العشرين، أحترم وأجل وأقدر وأحب جميع مفسري القرآن الكريم، الذي تفخر بجهودهم العظيمة أمة الإسلام، ولكن مسألة نهاية شأن المسيح مع قومه -لو جردناها من مداخلات أصحاب الأديان الأخرى- مسألة كما أسلفنا تكاد تكون تافهة، وهي من أنباء غيب الماضي، كانت مئات السنين تفصل بين أحداثها وبين المفسرين المسلمين، وليس معنى أن الصواب قد جانب أحد المفسرين أو المفسرين جميعًا في مثل هذه المسألة ما يقدح أو يشكك في صحة ما أوردوه من تفسير لكل آيات وسور القرآن الكريم.

لقد شرعتُ في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية، وأنجزت ترجمة معاني بضعة أجزاء، وأرجو أن يوفقني الله إلى إنجاز مهمتي كلها، ولقد اضطرني حرصي على أمانة الترجمة إلى النظر في أمهات كتب التفسير لكبار المفسرين المسلمين من أصحاب المختصرات، وأصحاب المطولات: كالقرطبي، وابن كثير، والجلالين، والطبري، والرازي، والألوسي، والبيضاوي، وغيرهم.

ولا يستطيع إنسان أن يعرض لتفسير آيات القرآن الكريم، إلا إذا اطلع على جميع أو معظم ما وصل إليه المفسرون السابقون مع ضرورة توافر كفايات معينة معروفة، ولقد فعلت ذلك بنفسي.

ولكن ما هو الموقف الصحيح من إنجازات المفسرين المسلمين العظام؟ هل نأخذ أي تفسير لآيات الله في القرآن الكريم من أي مفسر مسلم مأخذ التسليم المطلق، أم من الأفضل أن تعمل عقولنا لتدبر آيات كتاب الله، فنقبل ما نسيغ ونرفض ما لا نستسيغ؟ وما هو الموقف الصحيح لو اختلف رأي مفسر عظيم مع مفسر عظيم آخر؟ أليس لنا أن نختار والله أعلم بمراده ما دام الإخلاص ديننا والإيمان في قلوبنا؟ ونسأل أيضًا: هل جهد المفسر بالغًا ما بلغت عظمة المفسر يعدو أن يكون جهدًا بشريًا يمكن أن يخطئ ويمكن أن يصيب؟ ونسأل: لو نجح مفسر ووفقه الله إلى تفسير وشرح آيات القرآن الكريم، وجانبه التوفيق في تفسير وشرح آية أو آيتين لأسباب خارجة عن إرادته، هل يعيب مثل هذا القصور الطفيف جهد هذا المفسر العظيم وعمله؟ ونسأل: ألا يوصينا الله ﷻ بتدبر آيات القرآن الكريم في مثل قوله ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢] وما معنى التدبر الذي يأمرنا الله به إن لم نعمل عقولنا؟ والقرآن الكريم لا تنفد ذخائرة، ولا تنقضي عجائبه ولا تبلى معانيه.

(٧) فيما يتعلق بالأحاديث النبوية الشريفة، وهي بالإضافة إلى أفعال الرسول ﷺ، وما أثر من أعماله وتصرفاته تُشكّل ما يعرف لدينا نحن المسلمين بالسنة النبوية الشريفة، وأعلن بكل صدق وصراحة ووضوح إيماني بضرورة اتباعها اتباعا تامًا، هذه مسألة لا جدال فيها، ولكن أية سنة نبوية شريفة هي تلك التي يلزم اتباعها بالضرورة؟ لا ريب أن السنة النبوية الشريفة التي يلزم اتباعها بالضرورة هي السنة النبوية الشريفة الصحيحة، ومما يؤسف له أنه قد ثبت بما لا يدع مجالاً للريب أن ألاف الأحاديث المزيفة الملفقة قد تم دسها على الإسلام والمسلمين، دسها أعداء وخصوم الإسلام عن عمد بقصد تخريب عقائد المسلمين، وتناقلها بعض المسلمين بحسن قصد، لقد امتد دس خصوص الإسلام إلى العصر الحاضر، متخذًا صورًا

جديدة تدعو إلى الدهشة والاشمئزاز، لقد عمدوا إلى طباعة أجزاء من التوراة والإنجيل برسم شكل غلاف وصفحات المصحف الشريف لترويجها بين المسلمين غير الناطقين باللغة العربية، لقد طبعوا ونشروا بعض الشعارات المسيحية مثل شعار «الله محبة» بحيث يبدو كما لو كان «الله - محمد» لترويج هذا الشعار الذي تتشدق به المسيحية، ويحلو لها أن تعتبره شعارًا خاصًا من شعاراتها، مع أن كل الأديان تدعو إلى المحبة، ومن المفهوم بداهة أن بعض سفهاء المسيحية هم الذين يفعلون ذلك، ولا يفعل هذه الأفاعيل كل المسيحيين، ومن المعلوم أن مثل هذا التزيف والدس لا يتم في بلد ينطق سكانه اللغة العربية، مثل مصر على سبيل المثال لا الحصر.

ولم تسلم الأحاديث النبوية الشريفة من دس أحاديث غير نبوية وغير شريفة، ونسبتها إلى رسول الله ﷺ عمدًا ومع سبق الإصرار، أو بحسن نية لاثبات صحة مقولة يريد إنسان أن يوفر لها حسن قبول المستمعين.

وبذل علماء مسلمون أفزاز جهودًا عبقرية خارقة للعادة، لتنقية الأحاديث النبوية الشريفة مما علق بها من الأحاديث غير النبوية وغير الشريفة، وعلى رأس هؤلاء العلماء المشهود لهم بالكفاية والدراية الإمام البخاري والإمام مسلم والإمام أحمد بن حنبل وغيرهم، ممن أسسوا علوم الأحاديث النبوية الشريفة بفروعها المختلفة، كالتخريج والإسناد والجرح والتعديل.

وعلى الرغم من أن الإمام البخاري على سبيل المثال قد بذل جهودًا مخلصة مائة بالمائة في سبيل تحقيق هدفه وغايته، وهو إبقاء الأحاديث الشريفة الصحيحة، واستبعاد الأحاديث غير الشريفة المدسوسة، وكان يقطع عشرات ومئات الأميال من أجل التحقق من صحة أحد الأحاديث النبوية الشريفة، ورغم ذلك، لا يقلل من قيمته وعظمته لو تسلل بين صحاحه قليل من الأحاديث المدسوسة، سيما لو كانت هذه الأحاديث المدسوسة قد سبق دسها وإذاعتها تمهيد ماكر.

أقول: لقد استبعد الإمام البخاري مثلاً عشرات الآلاف من الأحاديث المدسوسة، وعدد الأحاديث المدسوسة التي استبعدها الإمام البخاري يزيد عن

ضعف الأحاديث التي أجازها في صحيح البخاري، ولا يضير الإمام البخاري من وجهة نظرنا لو كان قد تسلل بين صحاحه عدد قليل من الأحاديث المدسوسة سيما لو كانت هذه الأحاديث المدسوسة القليلة العدد من الأحاديث المدسوسة التي سبق تمهيد خصوم الإسلام لعملية دسها،كأن يدسوها على علماء التفسير المسلمين أولاً، فإن جازت عليهم يكون من العسير، إن لم يكن من المستحيل على عالم الحديث الشريف استبعادها أو الارتياب فيها؛ إذ اعتمدها واعتمد عليها بعض المفسرين في تفسيرهم بعض آيات القرآن الكريم، واستبعاد حديث منسوب إلى النبي سبق أن اعتُمِدَ، واعتَمَدَ عليه أحد المفسرين، يؤدي بالضرورة إلى انهيار هذا التفسير في الموضع الذي يتعلق به الحديث المزعوم المنسوب إلى النبي عليه الصلاة والسلام.

هل يؤدي تحفظ مسلم في قبول حديث منسوب إلى النبي ﷺ وموجود بصحيح البخاري إلى فتح الباب للتشكك في صحة الأحاديث النبوية الشريفة كلها، كان يذيع ذلك المتعصبون للسنة تعصبًا أعمى؟

إن الدفاع عن التعصب للسنة بالتعلل بهذه التعلة، دفاع لا أساس له من الصحة، إن نظرية فتح باب التشكك في السنة نظرية غير صحيحة، ليس للتشكك باب يغلق ويفتح كما تغلق وتفتح أبواب المنازل والحجرات وغيرها، ولو وضعنا ألف تفاحة في سلة ووجدنا خمس أو تسع تفاحات تالفة، فليس معنى ذلك هو رمي كل التفاح من أجل بضع تفاحات تالفة.

ولقد كان الإمام البخاري من الذكاء والفطنة والحذر، بحيث جعل الأحاديث النبوية الشريفة التي أجازها في صحيحة في أبواب، حتى لو اعترى الوهن صحة إسناد بضعة أحاديث في باب لم يتطرق هذا الوهن إلى كل الأبواب، وسنحتاج هذا التمهيد بطبيعة الحال عندما سنعرض بالدراسة لمسألة رفع عيسى وغير ذلك.

نحترم السنة النبوية الشريقة الصحيحة دون ريب، ونؤمن أن الدفاع الحقيقي عن السنة النبوية الشريفة الصحيحة، ليس هو التعصب الأعمى لكل ما يقال إنه سنة نبوية شريفة، الدفاع الحقيقي عن السنة النبوية الشريفة الصحيحة هو إعمال العقل، وبذل كل أنواع الجهد المخلص لتنقية وتخليص السنة النبوية الشريفة من كل

ما علق بها من شوائب مدسوسة، ثبت دسها من جانب خصوم الإسلام على مدار الأيام وكر الأعوام، ولقد كانت هذه المهمة على الأصالة هي المهمة التي اضطلع بها بجهود عبقرية خارقة للعادة علماء مجاهدون مثل الإمام البخاري نفسه.

التعصب الأعمى للسنة صحيحة وغير صحيحة لا يحتاج جهدًا من أحد، ليس أسهل من أن يصيح غر أبله قائلاً عن حديث مدسوس لا يتفق مع عقل ولا نقل، ويصيح أي غر أبله قائلاً: لا. هذا حديث صحيح، وحتى لو لم يكن صحيحًا لا يجوز القول بعدم صحته؛ لأن ذلك يفتح الباب للتشكك في كل الأحاديث النبوية الصحيحة وغير الصحيحة.

هل يحتاج مثل هذا الصياح ذكاء أو فطنة أو قدرة؟ هل يحتاج مثل هذا الصياح بذل أي جهد؟ كلا!

والقول بأن الحديث صحيح وإن بدا لنا حاليًا غير معقول متعارض مع النقل والعقل، باعتبار أن ما لا نعقله اليوم، ولا يقوم على صحته دليل والاستشهاد على ذلك بحديث الذباب القائل: «إذا سقط الذباب على طعام أحدكم.... إلخ» إذ يحتج المتعصبون تعصبًا أعمى للسنة بأنه قد ظهر في زعمهم أن الذباب يحمل سمًّا تحت جناح وترياقًا معادلاً للسم تحت جناح آخر، ويزعمون أن الطب الحديث قد أثبت هذه الحقيقة!

أين أثبت الطب الحديث هذه الحقيقة؟ مَن أثبتها؟ وكيف؟ وما هي التجربة العلمية التي أجراها لإثبات هذه الحقيقة العجيبة؟ وهل هذه التجربة قابلة للتكرار شأن التجارب العلمية المعتبرة؟ إن هذه الفرية مدسوسة لدعم الأحاديث المدسوسة، إن مَن يتعصب لصحة هذا الحديث يذب الذباب عن طعامه.

نتعصب شخصيًّا للسنة للصحيحة تعصبًا عن تعقل وتبصر، ولا نتعصب تعصبًا أعمى للسنة غير الصحيحة المستندة إلى أحاديث مدسوسة لا يسيغها عقل وتتناقض مع صحيح النقل، لا نقبل أي حديث يتعارض مع المعنى الصحيح لأي آية من آيات القرآن الكريم، ولا نعتقد أن لأي إنسان الحق في مصادرة ما نراه من رأي بهذا الشأن.

(٨) الإجماع بشأن ما هو معلوم من الدين بالضرورة واجب الاتباع، والإجماع بشأن الغيبيات المتعلقة بالمستقبل أو بالماضي جدير بالاحترام عندما يوجد نص صحيح يدعم هذا الإجماع، ولا يوجد إجماع بشأن الغيبيات التي لا يدعها نص صحيح.

يقول فضيلة الإمام الأكبر الأسبق المرحوم محمود شلتوت: «إن الذين ذهبوا إلى حجية الإجماع، لم يتفقوا على شيء يحتج به فيه سوى الأحكام الشرعية العملية، أما الأمور المستقبلة مثل أشراط الساعة وأمور الآخرة، فقد قالوا: إن الإجماع عليها لا عبرة له من حيث هو إجماع؛ لأن المجمعين لا يعلمون الغيب، بل يعتبر من حيث هو منقول عمَن يطلعه الله على الغيب، فهو راجع إلى الإخبارات فيأخذ حكمها، وأمور المستقبل لا مدخل للاجتهاد فيها، فإن ورد بها نص فهو ثابت، ولا احتياج إلى إجماع، وإن لم يرد بها نص فلا مساغ للاجتهاد فيها، وعلى هذا تخضع جميع الأخبار التي تتحدث عن أشراط الساعة، ومن بينها نزول عيسى إلى مبدأ القطعية والظنية في الورود والدلالة[1]، وقد سلف بيان ذلك في موضوع السنة وثبوت العقيدة.

(٩) ويتعلق بمسألة الإجماع مسألة الاجتهاد ومسألة كيفية الوصول إلى إجماع جديد، وكيفية القبول بهذا الإجماع الجديد.

لقد أصبح من الواضح في الوقت الراهن أن قفل باب الاجتهاد، إنما هو من سخف القول الذي لم يوصي به نقل، ولا يقبله عقل إلا عقل متزمت متعصب تعصبًا أعمى لكل ما هو قديم عتيق موغل في القدم.

وما دام باب الإجتهاد لا يزال مفتوحًا، فإن الاجتهاد بمفهومه الديني ليس مفتوح الأبواب لأي إنسان غير مؤهل للدخول دون لياقة ودون استئذان، وأصحاب الأمر والنهي فيما يتصل بأبواب الاجتهاد هم علماء الإسلام والفقهاء المعترف لهم بالكفاءة والدراية في فروع العلوم الإسلامية المختلفة، بحيث إنه لا يجوز

---

(١) فضيلة الإمام الأكبر الأسبق المرحوم محمود شلتوت: الإسلام عقيدة وشريعة ص ٦٩ – طبعة دار الشروق بالقاهرة.

بأي حال أن يقتحم أي مسلم غير مؤهل لولوج أي باب من أبواب الاجتهاد في العلوم الإسلامية، أو أي ميدان من ميادين الاجتهاد ليصل إلى آراء ونظريات غير صحيحة، ويقول: هذا هو ما وصلت إليه من رأي باجتهادي، اقبلوه وأجمعوا عليه أيها المسلمون!

ليس اجتهاد الرأي فوضى، للاجتهاد أصوله ونظمه وقوانينه وآدابه وأعرافه وتقاليده التي لا ينبغي أن تغيب عن سلوك المسلمين طرفة عين، وغياب هذه الحقيقة أحيانًا هو الذي تسبب في فساد ما فسد من شئون المسلمين، وحضور هذه الحقيقة هو السبب في صلاح ما صلح من أمورهم.

ومن هذا المنطلق يمكن الوصول إلى إجماع جديد يحل محل إجماع قديم لو تقدم بما يستحق أن يحظى بإجماع جديد كفء بحكمة وأدب، عندما يكون قد اكتشف صوابًا ليعرضه على أصحاب الشأن من المسلمين المشهود له بالعلم والكفاية، فيوافقون على رأيه ويحظى بإجماع جديد.

(١٠) ولعل القارئ الكريم يلاحظ أننا سنحتاج دون ريب إلى استحضار كل النقاط التي ألمحنا إليها آنفًا عن دراستنا لمسألة «نهاية شأن المسيح مع قومه» لأننا سنعرض دون ريب لتفسير المفسرين لبعض آيات القرآن الكريم، كما ستعرض لبعض الأحاديث، كما سنحتاج إلى إعادة النظر في بعض الآراء القديمة، وربما نوفق بإذن الله إلى الوصول إلى إجماع جديد في مسألة نهاية شأن المسيح مع قومه لو قيض الله لنا التوفيق، وما التوفيق إلا بإذن الله ومشيئته، ولقد قال ﷺ: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد».

وإذا كان الحاكم يجتهد للنجاح في سياسة أمور الرعية، فإن العلماء يجتهدون أيضًا للنجاح في الوصول إلى ما يصلح شأن الرعية من علوم صحيحة نافعة.

ويقول الإمام أبو حنيفة موضحًا تواضع العلماء: رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأيك خطأ يحتمل الصواب.

ويقول فولتير: أنا مستعد أن أدفع حياتي ثمنًا لتأييد حقك في إبداء رأيك والدفاع عنه.

وبكل أدب وتواضع نتناول بالدراسة مسألة نهاية شأن المسيح ﷺ مع قومه من بني إسرائيل، الذين كانوا يعيشون تحت حكم الرومان لفلسطين.

(١١) وأود أن أشير بادئ ذي بدء إلى أن أول المصادر الإسلامية وأقواها حجية ومصداقية لدى المسلمين هو القرآن الكريم.

وإذا جاز لنا أن نعرض لدراسة مسألة «نهاية شأن المسيح مع قومه» فلا بد أن نعتمد في ذلك أولاً وقبل كل شيء على آيات القرآن الكريم المتعلقة بهذا الشأن.

ولقد ورد ذكر المسيح عيسى ﷺ بالقرآن الكريم في خمسة وعشرين موضعًا، ولكن يحسم مسألة «نهاية شأن المسيح مع قومه» بالذات من وجهة نظرنا الآيتان ١٥٧، ١٥٨ من سورة النساء حيث يقول الله ﷻ: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾.

ونلاحظ أولاً أن القضية التي تتعرض لها الآية ١٥٧، إنما هي قضية قتل اليهود لسيدنا عيسى ﷺ، وما الصلب الذي سيرد ذكره بعد قليل بذات الآية إلا بيان لكيفية القتل، القضية قضية قتل اليهود لسيدنا عيسى ﷺ، وهو الأمر الذي يؤكده أيضًا آخر ذات الآية الكريمة؛ إذ يقول الحق تبارك وتعالى ختام ذات الآية الكريمة: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾ القضية محددة إذن في بداية الآية الكريمة وفي نهايتها بأنها «قضية قتل اليهود لسيدنا عيسى ﷺ».

ومن عجيب المفارقات حقًا أنه بينما تهتم الآية الكريمة بمسألة قتل عيسى، نجد أن مسألة صلب عيسى هي التي تستأثر باهتمام العالم كله!

من الضروري أن نتأمل ألفاظ الآيتين الكريمتين لفظًا لفظًا وكلمة كلمة، وقوله تعالى: ﴿رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ يؤكد حقيقة شأن سيدنا عيسى ﷺ باعتبار أنه كان رسولاً من رسل الله ﷺ، ولم يكن إلهًا؛ إذ أن الله واحد لا شريك له من قريب أو بعيد، ولا تمنع قرابة من شراكه، ولم يتخذ الله صاحبة ولا ولدًا.

وبعد أن أوضح الله ﷻ موضوع القضية التي ستحسمها الآية الكريمة، وبعد أن أوضح صدر الآية صفة وحقيقة شأن سيدنا عيسى ﷺ، باعتبار أنه كان رسول الله

إلى قومه بني إسرائيل، تتوالى الحقائق القرآنية واضحة لا لبس فيها ولا تعوزها المعقولية، إذ يدحض الله ﷻ دعاوي أهل الكتاب من اليهود بالنسبة لادعائهم قتل سيدنا عيسى، فيقول الله ﷻ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾ والقتل هو إزهاق الروح نتيجة لتدخل إنساني غير سوي، وهو تصرف خاطئ غير سليم ما لم يكن لذنب يستوجب ذلك وفقا لشريعة الله ﷻ، القتل مسألة واضحة معروفة، ولكن المهم الذي يحتاج شرحًا وتفسيرًا وتوضيحًا وتأصيلاً بحق هو قول الله ﷻ: ﴿وَمَا صَلَبُوهُ﴾ إذ نمر في العادة مرور الكرام دون تمحيص كاف، أو التفات واجب باعتبار أنها معطوفة على عبارة ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾ السابقة لها.

ويخال معظم الناس أن شأن الصلب واضح بذاته Self Evident لا يحتاج شرحًا ولا توضيحًا، ولكن شأن الصلب شأن عظيم، يحتاج بحثًا، ويحتاج إيضاحًا، ويحتاج تمحيصًا.

يلزمنا أن نفكر وأن نتدبر، وأن نفحص وأن ندقق، وأن نتجلى معاني كلمات الله، عرفنا معنى قول الله ﷻ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾ فما هو معنى ﴿وَمَا صَلَبُوهُ﴾؟ متى بالضبط وعلى وجه التحديد يقال عن شخص من الأشخاص إن قومه صلبوه؟

يقال عن شخص من الأشخاص: إن قومه أو أعداءه قد صلبوه، لو وضعوه على الصليب ومات هذا الشخص على الصليب.

ولو فرضنا أن قومًا وضعوا شخصًا على الصليب ولم يقتلوه، أي أن هذا الشخص لم يمت على الصليب الذي وضعوه عليه، هل يصح ويجوز أن يقال عن هذا الشخص الذي وضعه قومه أو أعداؤه على الصليب ولم يمت عليه أنهم ما صلبوه؟

الإجابة -دون ريب- هي نعم، يصح ويجوز أن يقال عن شخص وضعه قومه على الصليب ولم يمت إنهم ما صلبوه! كما يصح أن يقال: إن شخصًا قد وضعه أناس تحت سطح الماء العميق، ولم يمت هذا الشخص غرقًا نتيجة هذه الفعله، فيصح أن يقال: إنهم ما أغرقوه. يجوز أن تكون هذه الفعلة الإجرامية شروعًا في قتل عن طريق الإغراق، وذلك أنهم وضعوه تحت سطح الماء العميق بقصد إغراقه،

ويستحيل على القضاء الشرعي أو الوضعي أن يحاكم هؤلاء الناس الذين ارتكبوا هذه الفعلة الإجرامية بتهمة القتل، ويجوز أن يحاكمهم القضاء بتهمة الشروع في القتل.

هل يجوز أن يقول قائل بالنسبة لسيدنا إبراهيم أبي الأنبياء عليه وعليهم السلام: إن قوم سيدنا إبراهيم ما قتلوه وما أحرقوه؟

الجواب دون ريب أو جدال هو أن هذا التعبير جائز، بل هو صحيح لا خطأ فيه، وصحة هذا التعبير واضحة جدًّا؛ إذ أن الله ﷻ قد أوضح لنا وأظهر لنا السبب فيها، وهو أن الله ﷻ قد جعل النار بردًا وسلامًا على سيدنا إبراهيم ﵇.

يقول الله ﷻ فيما يتعلق بمحاولة قوم سيدنا إبراهيم قتله حرقًا، يقول عز من قائل: ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنبياء: ٦٨- ٧١]

ويصح قياس ما لم يظهر سببه على ما أظهر الله سببه، يصح قياس جواز وإمكانية عدم موت سيدنا عيسى ﵇ بالرغم من وضعه على الصليب، بما ثبت من عدم موت سيدنا إبراهيم ﵇ بالرغم من وضعه في النار الشديدة الإحراق.

نفي الصلب حقيقة قرآنية لا مراء ولا ريب فيها، شأنها في ذلك شأن نفي قتل سيدنا عيسى ﵇، ولكن بأي معنى؟ ما معنى نفي الصلب؟ هل يتحتم أن يكون نفي الصلب هو نفي وضع المسيح ﵇ على الصليب؟

نقول: لا، لا يتحتم ذلك، إن هذا تضييق في المعنى ليس له ما يبرره يكفي لصحة نفي الصلب عدم موت المحكوم عليه بالصلب على الصليب، حتى ولو كان القائمون على شأن صلبه قد وضعوه على الصليب، ويصح ويجوز، بل يكون هو الصواب، وهو وحده الصواب عندما نقول عن شخص وضعه قومه على الصليب ولم يمت عليه إنهم ما صلبوه.

إن جمهرة المفسرين قد خلطوا بين محاولة الصلب وبين الموت صلبًا، أو على الصليب، وأدى هذا الخلط إلى أخطاء استتبعت أخطاء أخرى في تفسير جمهرة

المفسرين لمعنى ولألفاظ الآيتين الكريمتين ١٥٧، ١٥٨ من سورة النساء، على نحو ما سنبينه ونوضحه[١] بإذن الله فيما يلي.

ونخلص من ذلك إلى أنه يجوز، بل يلزم ها هنا أن نعتبر أن عدم الموت على الصليب كاف تمامًا لنفي الصلب.

إن اعتبار عدم الموت على الصليب كافيًا لنفي الصلب، يحل مشاكل كثيرة إن لم نقل: إنه يحل كل مشاكل معضلة نهاية شأن المسيح مع قومه.

وأول المشاكل التي يحلها هذا الاعتبار الهام، هي مشكلة ما يسميه إخواننا النصارى شهود العيان Eye Witnesses.

يقول إخواننا النصارى: كيف يقول القرآن الكريم إنهم: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ وقد شاهد شهود العيان عملية صلب المسيح؟ هل نصدق ما يقوله القرآن الكريم، أم نصدق شهادة شهود العيان؟

ومن حق المسلم دون ريب أن يعتمد على إيمانه بكل ما أوحاه الله ﷻ إلى خاتم الأنبياء والمرسلين في القرآن الكريم، وعندما يتفق النقل والعقل تكون الفائدة أكبر وأعم، ويكون الإيمان أقوى وأتم.

وعندما يثير إخواننا النصارى مثل هذه الإشكالية، ولو لم يثيروها فهي موجودة مثارة منذ مئات السنين، بل إن المفكرين والمفسرين المسلمين قد أثاروها بهدف إيجاد حل لها من تلقاء أنفسهم، وإن لم يكن قد صادفهم التوفيق في الوصول إلى حل صحيح بشأن هذه المسألة، عندما تثار مشكلة شهود العيان الذين رأوا بأعينهم عملية صلب المسيح، ولو قدم أحد من الناس أو مجموعة من الناس أو هيئة من الهيئات أمر عسكريًا مكتوبًا على وثيقة تاريخية ممهورة بخاتم الحاكم الروماني بيلاطس، الذي كان يحكم فلسطين إبان حياة المسيح عليه السلام، وكان هذا الأمر العسكري المكتوب على وثيقة تاريخية صحيحة، يقضي بصلب المسيح عليه السلام، ولو شاهد عشرات أو مئات الناس المسيح عليه السلام يصلب أي يوضع على الصليب، نجد

---

(١) كنا قد ألمحنا إلى أن عدم توفيق مفسر عظيم في تفسير لفظ أو آية لا يعيب كل عمله الجليل في مجال التفسير، وحبذا لو صوب اللاحق هنا السابق إن وجدت، وهذا هو الاجتهاد الحميد، والله ولي التوفيق.

أن هذا كله لا يجيز القول بأن المسيح ﷺ قد قتل صلبًا، ما لم يكن المسيح ﷺ قد مات على الصليب من جراء الصلب، وهذا هو ما حدث في حقيقة الأمر: لم يمت المسيح ﷺ صلبًا على الصليب على الرغم من توافر كل ما أسلفناه.

فليكن اليهود قد استصدروا من الحاكم الروماني بيلاطس حكمًا وأمرًا كتابيًا يقضي بصلب المسيح ﷺ، وليقبض جند الرومان على المسيح ﷺ، وليضعوه على الصليب، وليشاهد ذلك شهود العيان، فماذا تكون النتيجة عندما يشاء الله ويريد، ولا راد لإرادته، ألا يموت المسيح على الصليب؟ أم أن شهود العيان قد شاهدوا وشهدوا أنهم قد رأوا روح المسيح تخرج من جسده على الصليب؟ هل يستطيع أن يقطع بذلك أحد؟ إن أمر الموت والحياة بيد الله ﷻ وحده لا شريك له.

ومنه يتضح أنه لا عبرة في هذه القضية بشهادة الشهود، لا تصلح شهادة الشهود في قضية تتصل بإرادة الله وحده، يستطيع الشاهد أن يقرر أمام قاض في محكمة في بلد غير إسلامي أنه قد شاهد شخصًا يطلق النار على آخر، وليس من حق الشاهد أن يقرر، أو أن يشهد ما إذا كان الطلق الناري أو الطلقات النارية التي أطلقها الجاني على المجني عليه قد أفضت إلى قتل المجني عليه وموته بالرصاص من عدمه، وليس من حق القاضي أن يسأله عن ذلك مجرد سؤال، ولو سأله القاضي عن ذلك لكان بقصد الوصول إلى قرائن، وليس بقصد الوصول إلى أدلة.

يجوز أن يعتمد القاضي في مثل هذه القضية في جزئية موت المجني عليه قتلاً بالرصاص على تقرير رسمي يكتبه طبيب مختص، ويجوز أن يقرر الطبيب أن المجني عليه مات لسبب آخر كالسكتة القلبية قبل إطلاق الرصاص على المجني عليه، وعلى الطبيب في هذه الحالة أن يقدم الأدلة المقنعة التي تثبت صحة تقريره الطبي.

ويأخذ القاضي في مثل هذه القضية بتقرير الطبيب كخبير مختص، ما لم ينقض تقرير الطبيب تقرير معارض لطبيب أخر يقدم أدلة أقوى لأسباب وفاة أخرى، أو يأخذ القاضي في مثل هذه القضية برأي الطبيب المختص ما لم ينقضه الواقع الفعلى كأن تتضح عدم وفاة المجني عليه في الواقع الفعلي؛ لأن أمر الحياة والموت بيد الله ﷻ وليس بيد الطبيب.

إن جواز وصحة وإمكانية نفي الصلب مع وضع المصلوب على الصليب يحل مشكلة شهود العيان، الذين تواترت شهادتهم بأنهم قد رأوا عملية صلب المسيح ووضعه على الصليب، ولا حاجة بالمفسرين ولا حاجة بالمسلمين إلى ضرورة افتراض إلقاء شبه المسيح على شخص آخر قبض عليه أعداء المسيح، بدل أن يقبضوا على المسيح وصلبوه بدل أن يصلبوا المسيح، لا حاجة بنا إلى ضرورة الأخذ بهذا التفسير العجيب من أجل التخلص من شهادة شهود العيان، الذين شاهدوا وشهدوا أنهم قد رأوا عملية صلب المسيح ﷺ.

شاهدوا المسيح يوضع على الصليب، فليكن أنهم قد شاهدوه، لن نُكَذِّب شهادتهم، ولكن ما قولهم في أن المسيح لم يمت على الصليب؛ لأن الله أنقذه ولم يمت على الصليب، ومن هنا يصح أن يقول قائل: ﴿وَمَا صَلَبُوهُ﴾ بمعنى أنه لم يمت صلبًا على الصليب، بالرغم من وضعه على الصليب كما شاهده شهود العيان؟

إن شهادة شهود العيان بأنهم قد رأوا المسيح يوضع على الصليب تهدم العقيدة المسيحية، ولا تنقض المصداقية القرآنية في قول الله ﷻ، وما قتلوه وما صلبوه؛ لأنه لا مصلحة للمسيحية في استخدام شهادة شهود العيان لإثبات أن الرب الإله قد مات، ولأن شهادة شهود العيان لا تكفي لإثبات أن المسيح ﷺ قد مات على الصليب يجوز أن شهود العيان قد شاهدوا المسيح يوضع على الصليب، ولا يجوز لهم أن يشهدوا بأنه ﷺ قد مات على الصليب! ولا حاجة بالمفسرين، ولا حاجة بالمسلمين إلى ضرورة الأخذ بنظرية إلقاء شبه المسيح على غيره للتخلص من مشكلة شهادة شهود العيان في تفسير معنى قول الله ﷻ: ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾.

وإذا لم تكن الحاجة ماسة إلى الأخذ بنظرية إلقاء شبه المسيح على غيره، وما فكرة إلقاء شبه المسيح على غيره إلا نظرية للمفسرين، إذا لم تكن الحاجة ماسة إلى الأخذ بهذه النظرية يبرز سؤال مهم، هو: هل يوجد تفسير آخر غير ما أجمع عليه جمهور المفسرين لقول الله ﷻ: ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾؟

نقول: نعم. يوجد تفسير آخر تجيزه اللغة العربية لقول الله ﷻ ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ وهو أن الأمر قد اختلط عليهم، أي أمر ذلك الذي اختلط عليهم؟

الجواب هو: أمر موت المسيح على الصليب أو عدم موته على الصليب، وأنّى لهم شهود العيان من اليهود والنصارى أن يدركوا الحقيقة ليشهدوا بهذا الشأن، وليست لهم القدرة على ذلك؛ لأن أمر الحياة والموت والآجال والأعمار شأن من شئون الله ﷻ وحده لا شريك له.

إن قدرة الله قد تدخلت في هذه المسألة، كما أن قدرة الله وإرادته هي التي تحسم كل شئون الخلق والمخلوقات.

يتفق جميع المسلمين، بل يشاركهم النصارى أيضًا الرأي بأن عناية الله قد تدخلت لإنقاذ المسيح ﷺ من مكر أعدائه الذين أرادوا إلحاق الأذى به وقتله صلبًا.

ولكن السؤال المهم هو: أين ومتى وكيف تدخلت إرادة الله وعنايته لإنقاذ المسيح من كيد ومكر أعدائه؟

التفسير الذي يعتمد على نظرية إلقاء شبه المسيح على غيره يفترض أن إرادة الله وعنايته قد تدخلت لإنقاذ المسيح لحظة أن هَمَّ أعداؤه بالقبض عليه وإحضاره من البستان، الذي كان ﷺ موجودًا فيه، وأن إرادة الله وعنايته قد وجدت طريقها إلى النفاذ بإلقاء شبه المسيح على غيره.

وقد ظهر فساد هذه النظرية، واتضحت أسباب انعدام الحاجة إليها كما أوضحنا، ولقد تدخلت إرادة الله، وتدخلت عناية الله لإنقاذ المسيح من مكر أعدائه في زمان آخر ومكان آخر، وبكيفية أخرى أقوى وأعظم إعجازًا، لقد تدخلت إرادة الله وتدخلت عناية الله لإنقاذ المسيح ﷺ عند تنفيذ محاولة صلبه وقتله صلبًا؛ إذ ظن أعداؤه أنه قد مات على الصليب، وكان في حقيقة الأمر لم يمت على الصليب، إن شأن الروح وشأن الحياة والموت بيد الله وبأمر الله، وليس بيد أعداء المسيح، وليس بأمر الحاكم الروماني بيلاطس، وهكذا يكون مكر الله أقوى وأبلغ دلالة من مكر أعداء المسيح ﷺ، أرادوا صلبه، وخططوا لذلك، ونجحوا في استصدار أمر من الحاكم الروماني بقتله صلبًا، وحركوا جنود الرومان للقبض على المسيح ولتنفيذ الحكم عليه بالموت صلبًا، ولم يمت المسيح على الصليب، ووقاه الله الشعور

بأية آلام، ووقاه الله من القتل على الصليب، ومن هنا يصح نفي القتل والصلب كليهما معًا في آن واحد، لتلازمهما تلازم العلة والمعلول؛ إذ أن الصلب هو وسيلة القتل التي اختارها لقتل المسيح أعداء المسيح، ولكن الله قد نجَّاه من مكرهم والله خير الماكرين.

وأي مكر في إلقاء شبه المسيح على غيره؟ وماذا يستطيع خصوم المسيح وأعداؤه إزاء عملية إلقاء شبه المسيح على غيره التي اضطر المفسرون إلى الذهاب إليها دون أي داع أو ضرورة؟

إن مكر الله يكون أقوى وأظهر عندما يتمكن أعداء المسيح أن يقبضوا عليه، وأن يمسكوا به، وأن يضعوه على الصليب، ثم لا يستطيعون قتله رغم كل ذلك!

إن نظرية إلقاء شبه المسيح على غيره ليست ضرورية، وليست ملائمة، وهي تجر مشاكل لا حصر ولا حل لها، مشاكل مثل: أين ذهب المسيح؟ وماذا حدث له بعد إلقاء شبه المسيح على غيره؟ إن مشاكل جسم الإنسان لا حصر لها على الأرض، إنها مشاكل معقدة غاية التعقيد، ووجود جسم حي لإنسان في السماء يتضمن مشاكل أكثر تعقيدًا، ولنا بحاجة إلى هذه المشاكل.

جسم الإنسان ليس أي جسم، إنه جسم إنسان كرَّمه الله واعتز بخلقه أيما اعتزاز في مثل قول الله: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝﴾ [البلد: ٨- ١٠]

وعندما يموت إنسان نجد أن سؤالاً فوريًّا يطرح نفسه هو: أين الجثة؟ ماذا تم بشأن الجثة؟

ولسنا مضطرين إذا إلى الأخذ بنظرية إلقاء الشبه التي ذهب إليها المفسرون، والمفسرون بشر، ويجوز أن يصيب المفسر، ويجوز أن يخطئ خطأ غير مقصود، والتصويب ضروري ولازم كلما أمكن ذلك، والتوفيق بالله ﷻ.

والرأي الذي نميل إليه في تفسير قول الله ﷻ: ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ هو أن الأمر، أمر موت المسيح عليه السلام أو عدم موته قد اختلط على أعدائه، فلم يعرفوا هل مات على الصليب أم لم يمت؟ وفعل شُبِّه مبني للمجهول، مما يدل على أن أحدًا من

البشر لم يتدخل في إحداثه، ولم يتسبب فيه إنسان، بل مرده إلى الله ﷻ، ومثله قول الحق تبارك وتعالى: ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [البقرة: ٧٠]. فالمعنى المتفق عليه لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ هو أنهم لم يعرفوا البقرة المطلوبة من البقر غير المطلوب، يشبه البقر بعضه بعضًا، وليس الشبه أو التشابه بين البقر المقصود هنا هو ملامح البقر وشكله الظاهري، ولكن المقصود هو معرفة البقرة المطلوب ذبحها من بين البقر الكثير المتشابه، وكما أن بني إسرائيل قوم سيدنا موسى لم يكونوا يعرفون البقرة المطلوبة من البقر غير المطلوب، ويمكن القول بأن الأمر كان مختلطًا عليهم لا يستطيعون القطع فيه برأي، وكانوا بحاجة إلى مساعدة سيدنا موسى ليبين لهم ما تشابه عليهم، ولم يستطيعوا الوصول فيه إلى رأي قاطع محدد.

كان الأمر مختلطًا على قوم سيدنا موسى ﷺ إذ تشابه البقر عليهم: هل هذه هي البقرة المطلوبة؟ أم أن تلك هي البقرة المطلوبة؟ واختلط الأمر على قوم سيدنا عيسى ﷺ: هل مات على الصليب أم لم يمت على الصليب؟ ومن الثابت أنهم اختلفوا فعلاً في هذا الشأن.

ونقول عادة: شبه لي أني رأيت شخصا في مكان معين في وقت معين. إذا لم يستطع من رأه أن يقطع بأنه قد رأي شخصًا بعينه أم رأي شبيهًا له. ونقول عادة: هذا أمر فيه شبهة. أي: لا يمكن القطع فيه برأي.

ما حاجتنا إذن إلى التسليم بضرورة الأخذ بنظرية إلقاء شبه المسيح على غيره؟ وما حاجتنا إلى مواجهة المشاكل المترتبة عليها، خصوصًا عندما تكون هذه المشاكل المترتبة على الأخذ بهذه النظرية دون حل مقنع مرض معقول، ولقد حدث بالفعل أن اضطر المفسرون الذين اعتمدوا هذه النظرية واعتمدوا عليها، واضطروا إلى تقديم حلول أكثر توغلاً في اللامعقولية، والخطأ يفضي بالضرورة إلى أخطاء أخرى ربما تكون أكبر وأفظع، والله أعلم بمراده.

ولو مضينا في محاولة للتعرف على معاني بقية الآية المشار إليها، نجد أن معانيها سهلة شديدة الاتساق لو تخلينا عن نظرية إلقاء الشبه غير المعقولة. وقول الله ﷻ:

﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ﴾ [النساء: ١٥٧] نجد أن الذين اختلفوا هم النصارى، اختلفوا بشأن موت المسيح على الصليب أو عدم موته على الصليب، قال بعضهم: مات على الصليب. وقال بعضهم: لم يمت على الصليب. وهذا الاختلاف فيما بينهم كما أوضحناه ثابت من أقوالهم المتواترة عنهم، ويرى المفسرون الذين أخذوا بنظرية إلقاء شبه المسيح على غيره، أن الضمير المضاف إلى آخر حرف الجر «فيه» يعود على شخص المسيح، وهو غير صحيح، لقد عاش المسيح بينهم أكثر من ثلاثين عامًا، وكانوا يعرفونه ويعرفون ملامحه إلى حد بعيد، ولو كانوا قد اختلفوا بالنسبة إلى شخص المسيح، وقال بعضهم: هو. وقال بعضهم: ليس هو، كما يقول المفسرون، لكان من السهل عليهم أن يسألوا المسيح نفسه، ولم يكن المسيح عليه السلام ليكذب لو سألوه، إن ضمير الغائب المشار إليه في حرف الجر «فيه» يعود على موته أو عدم موته على الصليب. قال بعضهم: مات على الصليب. وقال بعضهم: لم يمت على الصليب. ومثله قول الله تعالى: ﴿لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ﴾.

قال المفسرون إن ضمير الغائب يعود على المسيح أيضًا، وهو غير جائز من حيث الاستخدام الصحيح للغة العربية؛ لأنك تقول: أشك في هذا الشخص. ولا تقول: أشك من هذا الشخص. والصواب هو أن ضمير المفرد الغائب يعود على موضوع شكهم وارتيابهم، أي يعود أيضًا على شأن موته على الصليب، أو عدم موته على الصليب. وقول الله تعالى: ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ﴾ [الكهف: ٥] يرجعه المفسرون، ويرجعون ضمير المفرد الغائب إلى شخص المسيح، وهو غير معقول: كيف يعيش المسيح بينهم أكثر من ثلاثين عامًا ولا يكون لهم به من علم؟ الصواب هو أنهم لا يعلمون ما إذا كان المسيح قد مات على الصليب أم لم يمت، وعدم معرفتهم الحقيقة بهذا الشأن كما أوضحناه معقول؛ إذ أن شأن موت الإنسان من شئون الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ [الأنعام: ١١٦] يؤكد المعنى الذي أسلفناه، ويؤكده أيضًا أن أعداء المسيح لم يكونوا يملكون في هذه المسألة «يَقِينًا» وأنّى لهم

اليقين بشأنها، تظنون أنه قد مات على الصليب؟ كلا، إنه لم يمت على الصليب، وليس بيدكم إلا أن تظنوا أنه قد مات على الصليب، بينما هو في حقيقة الأمر لم يمت على الصليب بقدرة الله ومشيئته؟ ويتبدل الظن ويتحول إلى يقين يزحيه الله إلينا نحن المسلمين، ويحسم الله لنا كل الظنون، ويتم تحديد موضوع القضية تحديدًا دقيقًا حاسمًا في نهاية الآية، كما أن موضوع القضية كان محددًا تحديدًا دقيقًا حاسمًا في بدايتها؛ إذ يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾﴾ [النساء: ١٥٧] ومعناها: أيقنوا أيها الناس أن المسيح عليه السلام لم يقتله أعداؤه أو خصومه، رغم أنهم كانوا قد أعدوا كل ما يلزم لقتله صلبًا، كانوا قد استعدوا عليه الحاكم الروماني، وكان قد استصدروا منه أمرًا كتابيًّا بقتل المسيح صلبًا، وكان جند الرومان قد تركوا بالفعل لتنفيذ الأمر الكتابي الممهور بتوقيع الحاكم الروماني، وكان جند الرومان قد قبضوا على المسيح واقتادوه إلى مكان تنفيذ أحكام الصلب على المحكومين به، كان خصوم المسيح قد نجحوا في إعداد كل شيء، كانوا قاب قوسين أو أدنى من تنفيذ خطتهم الإجرامية لقتل المسيح صلبًا.

وكان اليهود يعرفون أنه مُحَرَّم عليهم قتل الأنبياء، وكانوا قد احتالوا على هذه الحقيقة الموجودة في شريعة اليهود، بأن جعلوا الحاكم الروماني هو الذي يأمر بذلك ليقوم الجنود الرومان بتنفيذ أمر الحاكم الروماني، وبذلك يكون الرومان هم الذين قتلوا المسيح، وتظل أيدي اليهود نظيفة من دمه كما يدعون ذلك إلى اليوم، يقولون بكل بساطة متظاهرين بالبراءة: نحن اليهود لم نقتل المسيح، لقد قتله الرومان، الحاكم الروماني بيلاطس هو الذي أمر بقتله صلبًا، وجنود الرومان الوثنيون هم الذين نفذوا الحكم بصلب المسيح، كان اليهود قد خططوا لهدفهم الإجرامي تخطيطًا جيدًا بالمعايير الإنسانية، وكانوا نجحوا بمكرهم في تنفيذ مخططهم، حتى وصلوا بالمسيح إلى مكان الصلب، ووضعه جنود الرومان على الصليب، وبدا كما لو كان كل شيء يمضي حسب تخطيط اليهود الماكر، مكروا ومكر الله، والله خير الماكرين.

هل يطمح اليهود أن يغلب مكرهم مكر الله خير الماكرين؟ كلا، لقد أنقذ الله المسيح من الموت صلبًا، وأنبأنا الله في القرآن الكريم بأنهم لم يقتلوه يقينًا، لا مجال

للشك ولا الريب في هذه المسألة، فليكن الريب والشك من نصيب اليهود، ولقد كان اليهود الذين كانوا يرغبون في التخلص من المسيح دون أن يتورطوا في مسئولية قتل نبي من أنبيائهم، وهم ما تنهاهم عنه شريعتهم التي كانوا يتمسكون بظاهرها ويتجاهلون جوهرها، كان اليهود وذاك هو شأنهم في ريب فعلي مما إذا كان تخطيطهم لقتل المسيح على أيدي الرومان قد نجح أم لم ينجح، ولكن نستطيع أن نطمئن نحن المسلمين كل الاطمئنان إلى أنهم ما قتلوه يقينا، حاولوا ولم ينجحوا بفضل عناية الله ورعايته لنبي من المرسلين عليه وعليهم السلام.

(١٢) وإن نصل إلى الآية ١٥٨ من سورة النساء، تطالعنا مسألة رفع عيسى بعد أن فرغنا من مسألة صلب عيسى مباشرة.

لقد حسب أصحاب نظرية إلقاء شبه المسيح على غيره، أن هذه الآية الكريمة تحل لهم المشاكل التي تثيرها نظريتهم هذه، فقالوا: إن رفع عيسى قد تم ورفع الله سيدنا عيسى حيًا جسمًا وروحًا إلى السماء وصلب وقتل أعداؤه شخصًا آخر، ألقى الله عليه شبه سيدنا عيسى فيما يزعمون.

ولكن هذا التفسير المستند إلى نظريتهم في إلقاء شبه عيسى على غيره يثير مشاكل أكثر تعقيدًا، ولا يقدم لها حلاً معقولاً؛ لأن مشاكل الجسم الإنساني الحي في السماء أعقد من مشاكله على الأرض، كيف يأكل ويشرب ويخرج سيدنا عيسى في السماء عند الله فضلات الطعام والشراب، وكيف ينام ويصحو؟ وكيف يقوم ويقعد، وكيف يمشي وأين يذهب ومن أين يأتي؟ أم لا حاجة به إلى طعام أو شراب أو إخراج أو قيام أو قعود أو مشي أو حركة مما يتطلبه الجسم الحي[(١)]؟ ويقولون: رفعه الله حيًا بالجسم والروح.

لا ريب أن ما دفعهم إلى التمسك بهذا الرأي والتمسك بهذا الاتجاه، هو ضرورة أن يجدوا حلاً لمصير شخص المسيح ومصير كيانه الجسمي، عندما زعموا

---

(١) لا ينبغي أن يغرب عن بالنا أن رسول الإسلام ﷺ نفسه قد واجه وفد نصارى نجران بقوله لهم: ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة، ثم وضعته كما تضع المراة ولدها، ثم غذي كما يغذى الصبية، ثم كان يطعم ويحدث؟ قالوا: بلى. قال: فكيف يكون هذا كما زعمتم؟

أن الله قد ألقى شبه عيسى على شخص غيره، واختلفوا في تحديد من هو هذا الشخص، وتحديد اسم الشخص الذي ألقى الله شبه عيسى عليه في زعمهم يلزمهم، ويلزمهم أيضًا إثبات هذا الزعم في حد ذاته؛ إذ ينطبق عليهم قول الله بشأن أعداء المسيح ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ [الأنعام: ١١٦] ولا يغني الظن عن اليقين أبدًا، وليس الظن مثل اليقين إطلاقًا.

لقد جلبوا بتفسيرهم القائم على أساس من هذه النظرية الوهمية إلى المسلمين مشاكل وجود المسيح حيًّا في السماء برمتها، وعجزوا عن تقديم حل لها، فخلقوا بلبلة في الفكر الإسلامي في هذه المسألة الفرعية الثانوية التافهة، وتكاد هذه البلبلة أن تعصف بعقيدة الإنسان المسلم كلها، ومن هنا تركت حرصي على عدم الخوض في هذه المسألة، وقررت الخوض في أشواكها راجيًا التوفيق من الله، وراجيًا أن يهديني الله إلى الصواب، لتخليص المسلمين من البلبلة الفكرية الناجمة عن آثار نظريتهم العجيبة الخاطئة القائلة بإلقاء شبه المسيح على شخص غيره من الناس. ويقولون: إن المسيح قد صعد بجسمه حيًّا إلى السماء من «روزنة» أي من فتحة في سقف الحجرة، أية حجرة؟ والمتواتر أن جند الرومان كانوا قد قبضوا على المسيح في بستان؟ أية حجرة والمتواتر أن جند الرومان اقتادوه إلى مكان جرى العرف على أن يصلب فيه المحكوم عليهم بالصلب على الطرائق الرومانية للصلب، في الخلاء على طرف من أطراف المدينة؟

لقد جلبوا إلى المسلمين بدون أية دواعي مشاكل وجود المسيح حيًّا بجسده في السماء، وعجزوا عن حلها، وتخبطوا في محاولاتهم تقديم أي حل لها، ومن أعجب الحلول التي قرأتها بهذا الصدد قول أحدهم: إن المسيح قد تحول من الطبيعة البشرية إلى الطبيعة الملائكية بعد رفعه حيًّا بجسمه وروحه عند الله في السماء.

هذا الرأي العجيب الغريب الشاذ، إنما ألجأت إليه ضرورة وجود حل لمشاكل حياة المسيح في السماء، التي افترضوها دون أي وجه حق اعتمادًا على الظن، لم يشهد أحد من المسلمين عملية إلقاء شبه عيسى على شخص غيره، ولم يشهد أحد من المسلمين إطلاقًا عملية تحول المسيح من الطبيعة البشرية إلى الطبيعة الملائكية.

والقول بهذه النظريات العجيبة يجعل موقف القائلين بها مشابهًا تمامًا إلى حد التطابق مع موقف النصارى بشان المسيح ﷺ، أفلا يقول النصارى إن المسيح بعد قيامته من بين الموتى في زعمهم حي في السماء، وأنه يجلس على يمين العظمة الإلهية؟ وعندما يواجه النصارى بمشاكل حياة إنسان حي في السماء عند الله، فما أسهل أن يديروا المشكلة إلينا قائلين لنا: وأنتم أيضًا يقول المفسرون وهم خلاصة علماء الدين الإسلامي عندكم، إن المسيح قد رفعه الله حيًا بجسمه وروحه إلى السماء، كيف يحيا المسيح في السماء، وكيف يطعم ويشرب ويخرج فضلات الطعام والشراب؟ أم أن الأكل والشرب وإخراج الفضلات مشكلة لنا وليست مشكلة لكم؟

قال الله ﷻ: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ [النساء: ١٥٨] وقال المفسرون: رفعه الله إليه حيًا بجسمه وروحه إلى السماء. ولنتأمل كم أضاف المفسرون -بحسن نية طبعًا- كلامًا من عند أنفسهم إلى كلام الله ﷻ، تمامًا كما أضاف أهل الكتاب كلامًا من عندهم إلى كلام الله ﷻ، يجب أن تكون أشد تمسكًا بظاهر النص القرآني ممن يتعصبون تعصبًا أعمى للسنة، ولظاهر النصوص دون تأويل في هذا المقام الهام الخطير، نقول لهم: لا تضيفوا كلامًا من عندكم يفسد معنى كلام الله ﷻ، يقول الله ﷻ: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ لا تضيفوا إلى كلمات الله الأربعة هذه كلامًا من عند أنفسكم سامحكم الله، هل من الضروري أن يكون الرفع، رفع سيدنا عيسى إلى الله، رفع إياه إلى السماء عند الله؟ إن هذا تحميل لكلام الله فوق ما يحتمل، وفوق ما يمكن القبول به بالنسبة لأي مسلم عاقل، وهو يجر على المسلمين مشاكل لا حل لها تبلبل عقيدتهم وتشككك دون حق ودون داع في مصداقية كلام الله، وتجعل أقوال المسلمين عندما يأخذون بهذه الآراء الظنية الخاطئة مطابقة لرأي النصارى بشان ألوهية المسيح، فلنحذر!

نقول للمسيحي: إننا لا نؤمن أن المسيح إله، ولو كان إلهًا كيف كان يأكل ويشرب و... و ...؟ فيقول: ألا يقول المفسرون عندكم أن المسيح قد تحول من الطبيعة الإنسانية إلى الطبيعة الملائكية، فلم يعد يحتاج طعامًا أو شرابًا في السماء؟

فتقول: نعم، بعض المفسرين والمفكرين المسلمين نادوا بهذا الرأي، فيقول: وما المانع إذا أن يتحول المسيح من الطبيعة البشرية إلى الطبيعة الإلهية، ومن الطبيعي الإلهية إلى الطبيعة البشرية، وبشيء من التحايل والتعلل بعلل وأهمية كتعلة افتداء البشرية بدمه، أو تعلة تخليص البشر من الخطيئة الأصلية، خطيئة آدم التي يجعلون البشر جميعًا مسئولين عنها وارثين لها، أو تعلة رغبة الله في الاقتراب من الإنسان ليفهمه الإنسان، بمثل هذه التعلات ربما يبدو للبعض مذهبهم الخاطئ في تأليه المسيح مقبول! لم لا؟

ولو عرف القائلون بنظرية إلقاء شبه المسيح على غيره، ولو عرف القائلون: إن المسيح قد رفعه الله إليه. بمعنى رفعه إلى السماء حيًّا بجسمه وروحه، ولو عرف القائلون بأنه من الممكن أن يتحول إنسان إلى الطبيعة الملائكية لو عرفوا أن مواقفهم ونظرياتهم الظنية هذه ستجعل موقفهم من المسيح شبيهًا إلى حد التطابق مع رأي النصارى في تأليه المسيح، لكفوا عن ترديد آرائهم الظنية فورًا وإلى الأبد.

لا يتحول مخلوق بشري عن طبيعته التي خلقه الله عليها أبدًا، ولا يتحول ملاك إلى إنسان أبدًا، ولا يتحول إنسان إلى ملاك أبدًا، يجوز أن تقضي إرادة الله أن يتخذ ملاك من الملائكة الصورة البشرية، ولكن يستحيل أن تكون له كل خصائص البشر من مأكل ومشرب وما يترتب على المأكل والمشرب من نتائج، وعندما عرض سيدنا إبراهيم عليه السلام الطعام على الملائكة الذين أرسلهم الله إليه، لم يأكلوا، كما أخبرنا الله بذلك في القرآن الكريم في مواضع كثيرة من سورة الحجر وسورة الذاريات.

ومن حسن الحظ حقًّا أن رأي المفسر يخص المفسر وحده، ولا يحسب على كل المسلمين، ولا يحسب على الإسلام، ولا يحسب على القرآن الكريم الذي لا ريب فيه، ولا يأتيه الباطل أبدًا من أي جهة أو سبيل.

وإذا لم يكن رأي المفسر الذي يقول برفع سيدنا عيسى حيًّا إلى السماء بجسمه وروحه صحيحًا، فما هو الحل البديل الصحيح؟

الجواب على ذلك -والله أعلم بمراده- هو أن الرفع إنما هو رفع منزلة ومكانة، قياسًا على أمثلة كثيرة مما ورد في القرآن الكريم في مثل قوله: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا

مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١] هل يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم منا أحياء بأجسامهم وأرواحهم إلى السماء؟ لا مجال بداهة لمثل هذا الفهم السقيم، ولا لمثل هذا السؤال العقيم.

وفي قول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]. هل كان سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل عليهما السلام يرفعان القواعد من البيت إلى السماء؟ بالطبع كلا!

لماذا يتحتم أن يكون الرفع رفعًا إلى السماء عند الله؟ هل كل «رفع» رفع إلى السماء عند الله؟ إن الرفع هو أي علو من مستوى أفقي إلى مستوى أفقي أعلى.

وعندما نقول: رفع فلان إلى الرفيق الأعلى، ومع ذكرنا اتجاه الرفع وتحديدنا اتجاهه بأنه إلى الرفيق الأعلى أي الله ﷻ، لا يفهم أحد من مثل هذا التعبير البتة أن جسم فلان هذا قد رفع حيًّا أو ميتًا رفعًا إلى السماء عند الله.

وعندما قال جمال عبد الناصر قولته المشهورة: ارفع رأسك يا أخي. لم يتبادر إلى ذهن أحد أن يفصل رأسه عن جسده، ولا أن يرفع رأسه إلى السماء لتكون عند الله.

لقد كان المفسرون المسلمون مضطرين للقول برفع المسيح حيًّا جسمًا وروحًا إلى السماء عند الله؛ لظنهم أن هذا الرأي يحل مشكلة مصير جسم أو جسد المسيح بعد أن أخطأوا تفسير قول الله ﷻ: ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْۚ﴾ فقالوا نظريتهم في إلقاء شبه المسيح على شخص غيره، وهكذا جر خطأ إلى أخطاء.

وإذا وصلنا على وجود أحاديث موجودة بصحيح البخاري أو صحيح مسلم بشأن رفع أو نزول عيسى، فإننا سنكتفي بأن نشير إلى أن مرجعنا بالنسبة لهذه المجموعة من الأحاديث في هذا الباب هو القرآن الكريم، وللقارئ الكريم أن يوازن بين حجية القرآن الكريم وبين حجية أحاديث مشكوك في صحتها، تغلب عليها شبهة الدس الذي يتضح في ركاكة عباراتها، ولم تكن أحاديث الرسول ﷺ ركيكة اللفظ أو غريبة المعنى بأي حال من الأحوال.

يذكر أحد الأحاديث الواردة في هذا الصدد أن المسيح الدجال مكتوب على جبينه كلمة «كافر» ولو كان هذا صحيحًا لكان من السهل أن يقرأها الناس، فلا

يسمعون له قولاً ولا يطيعون له أمرًا، وكيف يستطيع المسيح الدجال أن يخضع البشر في كل العالم ليطيعوه؟ هل يمتلك المسيح الدجال قنابل أقوى من القنابل الذرية أو الهيدروجينية؟

ويدور بخاطري سؤال هو: كيف تسللت هذه الأحاديث المتعلقة برفع ونزول سيدنا عيسى آخر الزمان والأحاديث المتعلقة بالمسيح الدجال إلى كتب الحديث المعتمدة لدى المسلمين؟ وكيف أجاز علماء الحديث العظام كالبخاري ومسلم مثل هذه الأحاديث.

حقيقة الأمر -والله أعلم- أن هذه الأحاديث بدت لمثل هذين العالمين الجليلين مضطربة غير صحيحة الإسناد، ولكنهم كانوا مضطرين إلى قبولها وإثباتها في كتبهم لأنها تسند تفسير جمهور المسلمين للآيتين ١٥٧، ١٥٨ من سورة النساء على وجه الخصوص، وكان حذف واستبعاد هذه الأحاديث الجديرة بالشك والاستبعاد يهدم التفسير الذي أجمع عليه جمهور المفسرين، ولم يكن موجودًا تفسير غيره آنذاك.

ونود أن نشير إلى ما سبق أن أشرنا إليه من أن وجود بضعة أحاديث يتضح عدم صحتها في صحيح البخاري أو صحيح مسلم، لا يفتح الباب للشك في بقية الأحاديث، تلك حُجَّة واهية لقبول ما لا يعقل وما لا يمكن القبول به، ولا يوجد باب للشك يفتح ويغلق إلا في أوهام المتعصبين للسنة تعصبًا أعمى لا يكلفهم أي جهد في البحث أو الاجتهاد أو تحري الحقائق وتمحيصها، وليس الدفاع الحقيقي عن السنة بمستفيد شيئًا بمجرد التعصب الأعمى للسنة، ولكن الدفاع الحقيقي عن السنة أوفق وأجدى عندما تتجه جهود المخلصين من المسلمين لتنقية السنة من كل أو معظم ما علق بها من شوائب ودس وتآمر وأكاذيب تبدو واضحة أشد الوضوح فيما يتعلق بمسألة نهاية شأن المسيح مع قومه.

ويلزمني في هذا المقام التنويه إلى أنني أحترم كل الاحترام أئمة علم الحديث، وعلى رأسهم بطبيعة الحال الإمام العظيم الإمام البخاري والإمام العظيم مسلم.

(١٣) ويلزمني التنويه أيضًا إلى أنني لست أول مَنْ ضَعَّفَ هذه الأحاديث المتعلقة بشأن نهاية شأن عيسى مع قومه، لقد ضعفها قبلي علماء وأئمة مسلمون، على رأسهم الإمام الأكبر الأسبق المرحوم الشيخ محمود شلتوت عند تعليق

لفضيلته على معنى قول الله ﷻ: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ [النساء: ١٥٨] وتحت عنوان جانبي هو: معنى «رفعه الله إليه، وهل هو إلى السماء؟» قال فضيلته: أما آية النساء فإنها تقول: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ وقد فسرها بعض المفسرين، بل جمهورهم بالرفع إلى السماء، ويقولون: إن الله ألقى شبهه على غيره، ورفعه بجسده إلى السماء، فهو حي فيها وسينزل آخر الزمان، فيقتل الخنزير ويكسر الصليب[١]، ويعتمدون في ذلك:

أولاً: على روايات تفيد نزول عيسى بعد الدجال، وهي روايات مضطربة[٢] مختلفة في ألفاظها ومعانيها اختلافًا لا مجال معه للجمع بينها، وقد نص على ذلك علماء الحديث[٣]، وهي فوق ذلك من رواية وهب بن منبه وكعب الأحبار، وهما من أهل الكتاب الذين اعتنقوا الإسلام، وقد عرفت درجتهما في الحديث عند علماء الجرح والتعديل.

ثانيًا: على حديث رُوِيَ عن أبي هريرة اقتصر فيه على الإخبار بنزول عيسى، وإذا صح هذا الحديث فهو حديث آحاد، وقد أجمع العلماء على أن أحاديث الآحاد لا تفيد عقيدة ولا يصح الاعتماد عليها في شأن المغيبات.

ثالثًا: على ما جاء في حديث المعراج من أن محمدًا ﷺ حينما صعد إلى السماء وأخذ يستفتحها واحدة بعد واحدة فتفتح له ويدخل، رأى عيسى عليه السلام هو وابن خالته يحيى[٤] في السماء الثانية، ويكفينا في توهين هذا المستند ما قرره كثير من شراح الحديث في شأن المعراج وفي شأن اجتماع محمد ﷺ بالأنبياء، وأنه كان اجتماعًا روحيًا لا جسمانيًا[٥].

---

(١) أي خنزير هو ذلك الخنزير الذي سيقتله المسيح من بين ملايين الخنازير؟ وأى صليب سيكسره من بين ملايين الصلبان؟!.

(٢) هذا هو بيت القضية، لقد وصف فضيلة الإمام الأكبر الأسبق هذه الروايات بأنها مضطربة، وأعلن عدم ثقته بصحتها.

(٣) انتقل رحمه الله من التلميح إلى التصريح.

(٤) كان سيدنا يحيى موجودًا بذات السماء الثانية، فهل رفعه الله إليه بجسمه وروحه هو أيضًا؟

(٥) انظر فتوى فضيلة الإمام الأكبر الأسبق بمجلة الرسالة – السنة العاشرة – العدد (٤٦٢).

ومن الطريف أنهم يستدلون على أن معنى الرفع في الآية هو رفع عيسى بجسده إلى السماء بحديث المعراج، بينما نرى فريقًا منهم يستدل على أن اجتماع محمد بعيسى في المعراج كان اجتماعًا جسديًا يقول تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ وهكذا يتخذون من الآية دليلاً حين يكونون في تفسير الحديث، ويتخذون الحديث دليلاً على ما يفهمونه من الآية حين يكونون[1] في تفسير الآية. اهـ.

ومنه يتضح للقارئ الكريم أننا لسنا وحدنا، ومنه يتضح للقارئ الكريم أن إجماع المفسرين لا يحول دون أن نعمل عقولنا، ولا يمنع أن نتدبر معاني آيات القرآن الكريم، وها هو ذا الإمام الأكبر الأسبق، يقول: وقد فسرها بعض المفسرين بل جمهورهم بالرفع إلى السماء، ولم يمنع إجماع جمهور المفسرين على تفسير آية من آيات القرآن الكريم، الإمام الأكبر الأسبق من أن يعرض للتفسير الذي أجمع عليه جمهورهم بالتدبر وإعادة النظر.

ومنه يتضح للقارئ الكريم أن علماء الجرح والتعديل قد أفادوا ضعف أسانيد الأحاديث المتعلقة برفع ونزول عيسى بعد المسيح الدجال.

ولقد ألمحنا من قبل إلى أن إعادة النظر فيما يتعلق ببضعة أحاديث لا يؤدي إلى الشك في كل الأحاديث، ولا يقلل من قيمة أئمة علم الحديث العظام، الذين كانت مهمتهم على الأصالة هي رفض واستبعاد الأحاديث المدسوسة، كما أن عدم توفيق مفسر إزاء تفسير آية، لا ينفي أنه قد أحسن وأجاد تفسير آلاف الآيات الكريمة.

(١٤) وليس شيخ الإسلام الإمام الأكبر الأسبق فضيلة المرحوم محمود شلتوت هو الذي يرى هذا الرأي معنا وحده.

يقول فضيلة الدكتور أحمد شلبي في كتاب «المسيحية» من سلسلة كتبه في مقارنة الأديان ما نصه كما يلي: «كان هناك اتجاه شاع بين الناس بأن عيسى عليه السلام عندما نجا من المؤامرة رفع بجسمه وروحه إلى السماء، وكان هذا الرأي يصور اختفاءه الذي تحدثنا عنه، ولكن هذا الاتجاه واجه دراسة واسعة قام بها المفكرون في العصر الحديث، واعتمدوا في كلامهم على نصوص قديمة ودراسات موثقة، وأوشك هذا

---

(١) انظر فتح الباري وزاد المعاد وغيرهما.

الاتجاه الجديد أن يقضي على المزاعم القديمة التي تقول برفع المسيح بجسمه وروحه».

ويذكر الدكتور أحمد شلبي[١] أنَّ كثيرًا من أبرز أئمة الإسلام وقادة الفكر فيه، وقد رأوا فساد الرأي القائل برفع عيسى حيًّا بجسمه وروحه إلى السماء، وذكر منهم الرازي والألوسي وابن حزم وشلتوت ورشيد رضا ومحمد أبو زهرة ومصطفى المراغي وعبد الوهاب النجار وسيد قطب ومحمد الغزالي وصلاح أبو إسماعيل[٢].

ويختتم الأستاذ الدكتور أحمد شلبي بحثه في مسألة نهاية شأن المسيح مع قومه بقوله: «ونختم هذا البحث بأن نقرر بأن الاعتقاد بأن عيسى رفع بجسمه وروحه، اعتقاد متأثر بالفكر المسيحي الذي يرى أن عيسى هو الإله الابن نزل من السماء، ثم رفع ليعود للجلوس بجوار أبيه الإله الأب، أما المسلمون فيعتقدون أن الله واحد وأنه في كل مكان، فكيف يوفِّقون بين هذا وبين رفع عيسى، ليكون بجوار الله، فالله -مرة أخرى- في كل مكان، ولو بقي عيسى على الأرض لكان مع الله أيضًا؟ وكيف يوفِّقون بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ اهـ»[٣].

(١٥) وتقتضينا الأمانة أن نقرر أن هذا الرأي الذي لا يقبل نظرية رفع عيسى حيًّا بجسمه وروحه إلى السماء، يقابله رأي المتعصبين للسنة تعصبًا أعمى، ولكن آراء هؤلاء المتعصبين بدأت الأغلبية من قادة الفكر الإسلامي تنصرف عن تأييد وجهة نظر أصحابها، خصوصًا أنهم لا يملكون من وسائل الإقناع الصحيحة شيئًا يذكر أكثر من إظهار التعصب الأعمى للسنة والدعاء الحرص عليها.

إنني لا أتصور مسلمًا ينتسب إلى الإسلام بحق، ولا تعز عليه السنة أكثر مما تعتز عليه روحه، وليست المسألة في هذا الشأن الذي نحن بصدده مسألة مباراة بين المسلمين في التظاهر بالغيرة على السنة.

---

(١) الأستاذ الدكتور أحمد شلبي: المسيحية – ص ٤٩ وما بعدها.

(٢) هكذا ذكرهم الأستاذ الدكتور أحمد شلبي دون ألقاب، وليس أمثال فضيلتهم بحاجة إلى ألقاب، إننا جميعًا نحترمهم ونجلهم دون اعتبار للألقاب.

(٣) المرجع السابق ص ٥٩- ٦٠.

لقد عثرتُ على كتاب من تأليف المرحوم الدكتور محمد خليل الهراس، والكتاب بعنوان: «رفع عيسى حيًّا بجسمه وروحه إلى السماء» وقرأتُ الكتاب بشغف عسى أن أجد فيه شيئًا مقنعًا، وشعرتُ بالأسى، نصف الكتاب سب وشتم في أعظم مفكري الإسلام في العصر الحديث، بدءًا من الإمام الأكبر الأسبق الشيخ محمد عبده، ومرورًا بالشيخ رشيد رضا، وانتهاء بفضيلة الإمام الأكبر الأسبق المرحوم محمود شلتوت، وهو رَحِمَهُ اللَّهُ من أعظم الأئمة المصريين الذين تولوا الشرف الرفيع الذي تسبغه مشيخة الأزهر على مَن يتولاها، الإمام الأكبر الأسبق المرحوم محمود شلتوت كانت محاضراته كنزًا من المعارف العبقرية الرفيعة المستوى في ميادين الفكر الإسلامي، ولا تزال كتبه مثل: الإسلام عقيدة وشريعة، والفتاوى، وتفسيره لأجزاء من القرآن الكريم، ويتهجم عليه بما لا يليق مؤلف كتاب: «رفع عيسى حيًّا بجسمه وروحه إلى السماء».

والنصف الثاني من كتابه مجرد سرد للأحاديث الواردة في باب نزول عيسى كما وردت في صحيح البخاري، وعددها فيما أذكر تسعة عشر حديثًا، جعلها تسعة عشر فصلاً من كتابه، وليته أضاف إلى أي حديث أي شرح أو تعليق أو تفسير، لم يفعل شيئًا سوى أن جعل رقم الحديث يبدو كما لو كان عنوان فصل من فصول كتابه المذكور في رأس الصفحة بالخط الكوفي: الحديث الأول - الحديث الثاني - الحديث الثالث ... وهكذا.

وكمواطن مسلم لا صلة لي بفضيلة المرحوم الإمام الأكبر الأسبق محمود شلتوت، ولا صلة لي بالمرحوم الدكتور محمد خليل الهراس سوى رابطة الأخوة في الإسلام، ولا مصلحة لي في محاباة أو مناصرة أحدهما على حساب الآخر، ولكنني لا أستطيع أن أخفي احترامي وتقديري لجميع اتجاهات وآراء الإمام الأكبر الأسبق المرحوم محمود شلتوت، وازدرائي للتعصب الأعمى للسنة الذي كان يستمسك بأهدابه كما كان يتبدى في أعماله أمثال المرحوم الدكتور محمد خليل الهراس.

وأرجو من الله العلى القدير أن يتولى كلاً منهما برحمته وغفرانه، وأن يرحمنا جميعًا وأن يرضينا بالإسلام دينًا، وبالقرآن كتابًا، وبمحمد ﷺ نبيًّا رسولاً.

(١٦) ونختم بحثنا عن مسألة نهاية شأن المسيح مع قومه على هامش كتاب العلامة أحمد ديدات عن مسألة صلب المسيح، بأن نقدم بين يدي القارئ الكريم خلاصة ما أفضت إليه هذه الدراسة المتواضعة كما يلي:

أ – مسألة نهاية شأن المسيح ﷺ مع قومه ليست من أسس أو دعائم أو أركان العقيدة الإسلامية، إنها مسألة فرعية، بل تافهة قليلة الأهمية، والدليل على ذلك أن أسس وأركان العقيدة الإسلامية محددة بنصوص القرآن والسنة، وليست هذه المسألة منها بأي حال من الأحوال، ولا دخل لاعتقاد المسلم اعتقادًا معينًا بشأن هذه المسألة في اعتباره مسلمًا أو غير مسلم، أو في اعتباره مؤمنًا أو غير كافر.

ب– دسّ أهل الكتاب للأحاديث والمعلومات المغلوطة هو الذي أفضى إلى تضخم حجم هذه المسألة تضخمًا خطيرًا أفضى إلى تزايد الاهتمام بهذه المسألة الفرعية التافهة بين المسلمين قديمًا وحديثًا، ومن المعروف أن مجلة لواء الإسلام قد عقدت ندوة بين علماء الإسلام المعاصرين وكرّستها لمناقشة هذه المسألة بين علماء الإسلام، ونشرة المجلة الآراء التي تبادلها العلماء بالمجلة في شهر إبريل عام ١٩٦٣م.

جـ– رواج الرأي القائل بأن المسيح ﷺ قد رفعه الله إلى السماء حيًّا بجسمه وروحه بين جماهير الناس وبين جمهور العلماء، مرجعه إلى ما دسَّه أهل الكتاب من اليهود والنصارى على المسلمين بشأن نهاية شأن عيسى ﷺ مع قومه أولاً، ومرجعه ثانيًا إلى خطأ غير مقصود بالتأكيد أخطأه جمهور مفسري القرآن الكريم للآية ١٥٧ من سورة النساء على وجه التحديد إذ أخطأوا في تحديد معنى الصلب، وفاتهم أن مجرد عدم موت إنسان على الصليب يكفي لنفي صلبه، وبذلك يصح قول الله ﷻ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ [النساء: ١٥٧] وشهادة شهود العيان لا قيمة لها على هذا المعنى كما أسلفنا بيانه فيما سبق. كما أخطأوا في تفسير قوله تعالى بذات الآية: ﴿ولكن شبه لهم﴾ إذ قالوا بنظرية إلقاء شبه عيسى على شخص غيره.

وليس خطأ المفسر احتمالاً غير وارد إنه احتمال وارد؛ لأن المفسر واحد من البشر، ومن المعروف أن المفسرين يأخذ أحدهم عن الآخر بالضرورة، ولو أخطأ مفسر الرأي في تفسير آية، فما أسرع انتشار هذا الخطأ بين خاصة المسلمين وعامتهم

وخصوصا عندما يكون هذا المفسر مشهودًا له بالكفاية والاقتدار وبالتقوى والورع وحسن الإسلام، فيكون خطأ مثله قاتلاً من حيث إمكانية شيوعه بين المسلمين، ويفضي خطأ إلى آخر، ويجر أخطاء أخرى مما يفضي إلى بلبلة المسلمين وهز اعتقاداتهم الأساسية الثابتة على نحو ما أسلفنا بيانه.

د - كنتُ أستطيع أن أتجنب الخوض في هذه المسألة الشائكة الشاغلة إيثارًا للسلامة، خصوصًا أن الحقائق فيها تصطدم بالعقائد الأساسية عند النصارى؛ إذ أجد أنني مضطر لكشف ما دسوه وظنوه مخبوءًا، كما أن الخوض في هذه المسألة يلزم له النظر في اعتبارات متعلقة بآراء جمهور المفسرين والمحدثين، مما يتطلب روية وصبرًا وجلدًا يكاد يعز على الطاقة البشرية.

إن معظم علماء الإسلام ومفكريه يفضلون بطبيعة الحال عدم الخوض في هذا المسألة، ويتخلصون منها، ويتركونها دون مناقشة التفاصيل التي تلزم مناقشتها تجنبًا للحرج وخوفًا من رأي الجمهور، لقد تهرب من مناقشة هذه المسألة العلامة أحمد ديدات نفسه؛ إذ قال في آخر صفحة من كتابه مصورًا أهمية الموضوع، موضوع نهاية شأن المسيح عليه السلام مع قومه، متنصلاً منها في نفس الوقت؛ إذ قال في ختام بحثه العبقري الممتاز تحت عنوان «كلمة ختام» قال: «لقد كان موضوع صلب المسيح يقف في حلقي؛ إذ أن المسيحيين يعتبرونه المخلص الوحيد لبني البشر منذ أول اختلاط لي مع طلبة وقساوسة كلية آدمز، عندما كنت لم أبلغ العشرين من عمري بعد، ولما كنتُ شابًا غير سهل الانقياد، فلقد حيرتني الحالة التي كنتُ ألحظها على أولئك الشباب النصارى المؤمنين بالصلب كطريق وحيد لهم إلى الخلاص من الذنوب، مع ما كانوا يبدونه لي من الاهتمام والقلق، لكوني سأعذب في النار لعدم إيماني وتصديقي بصلب المسيح، وأصبح موضوع صلب المسيح الذي تعتمد عليه المسيحية موضوعًا هامًا لبحثي ودراستي، كنت حقًا أريد أن أعرف فيم هذه الضجة الكبرى، وبدأت أدرس ما بحوزتهم في الموضوع، ألا وهو العهد الجديد من الإنجيل، ولا أتوقع أن يسألني شخص مسلم عن عقيدتي كمسلم فيما يتعلق بموضوع الصلب، عقيدتي هي عقيدة القرآن الكريم كما وردت بدقة في الآية ١٥٧

من سورة النساء ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾﴾ [النساء: ١٥٧]

وأنهى العلامة ديدات كتابه القيم بهذه الإفادة الموجزة، متجنبًا الخوض، مكتفيًا بالإحالة إلى الآية الكريمة ١٥٧ من سورة النساء.

هـ - ولعل القارئ الكريم يسأل بعد هذا كله: ماذا كانت نهاية شأن المسيح ﷺ مع قومه؟

ونرجو توفيق الله وعنايته عندما نجيب هذا السؤال بقولنا: لم يقتلوه ولم يصلبوه مع أنهم وضعوه على الصليب. لقد نجاه الله من القتل صلبًا، وبعد أن أنزلوه عن الصليب ووضعوه في المقبرة التي كان يمتلكها أحد أتباعه، خرج المسيح ﷺ منها، ولم يكن من المعقول أن يظل بين قومه ولا أن يعاود الظهور بينهم، فمضى إلى حال سبيله في أرض الله الواسعة حتى وافاه أجله حيثما وحينما وكيفما أراد الله ﷻ، توفاه الله بالمعنى الطبيعي العادي الذي يتبادر إلى الأذهان عندما تستعرض الأذهان معنى الوفاة الذي يختلف عن القتل بأي وسيلة من وسائل القتل، ويختلف عن الانتحار بأي وسيلة من وسائل الانتحار، والدليل على ذلك هو قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ وقد أوضحنا معنى ﴿وَمَا صَلَبُوهُ﴾ فيما سبق.

وفي مواضع أخرى من القرآن الكريم يخبرنا الله ﷻ أن نهاية شأن المسيح ﷺ إنما كانت الوفاة[1]. ويتضح ذلك في مثل قول الله ﷻ: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

[آل عمران:٥٥]

وليس معنى قول الله: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ هو المعنى المادي المكاني للفوقية والتحتية بطبيعة الحال.

---

(١) معنى الوفاة: هو الموت الطبيعي دون تحطيم بنية حياة الإنسان لإزهاق روح الإنسان على يد الإنسان، وليس من معاني الوفاة بأي حال الرفع حيًا والبقاء حيًا في السماء عند الله، والله أعلم.

ويقول الله ﷻ: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [المائدة: ١١٧]

وفي هذا المشهد الذي سيراه البشر جميعًا بين يدي الله يوم القيامة سيقول سيدنا عيسى لله ﷻ: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾.

لن يقول سيدنا عيسى: فلما قتلوني. ولن يقول سيدنا عيسى: فلما صلبوني. سيقول سيدنا عيسى: فلما توفيتني.

و - لماذا تأخذ مسألة نهاية المسيح ﷺ مع قومه كل هذا الاهتمام بالرغم من أنها ليست من أسس العقيدة الإسلامية كما أسلفنا؟ السؤال مهم، وهذا الاهتمام المفتعل مشبوه، لقد أراد خصوم الإسلام قديمًا وحديثًا الدس على الإسلام، وشغل المسلمين بقضايا فرعية، فإذا تم تضليلهم في قضية فرعية بتقديم معلومات خاطئة مغلوطة لهم، يمكن التسلل إلى معتقداتهم الإسلامية الصحيحة الأساسية، ويمكن تقريبها من عقائد النصارى، وهذا هو ما حدث بالفعل والله أعلم، حدثت البلبلة التي كانوا يهدفون إليها من جراء هذه المسألة الفرعية التافهة، ودخلت تفسير آية أو آيتين بإحدى سور القرآن الكريم، ودسوا أحاديث، وحدثت البلبلة واختلفت الآراء فعلاً، ووجدنا الدكتور محمد خليل الهراس، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ مدرسًا بكلية أصول الدين، يتهجم على الإمام الأكبر الأسبق الشيخ محمد عبده، وعلى المرحوم الشيخ محمد رشيد رضا، وعلى المرحوم الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت، وذلك في كتاب لا يتجاوز عدد صفحاته حوالى ثمانين صفحة فيما أذكر، لم أعثر لسيادته على كتاب من تأليفه غير هذا الكتاب الذي يدل على أن خصوم الإسلام قد أفلحوا في إحداث البلبلة المطلوبة على نحو ما أوضحنا، والله ولي التوفيق.

وختامًا نؤكد أن مسألة نهاية شأن المسيح ﷺ مع قومه مسألة ليست من أسس العقيدة الإسلامية، ولا يكفر مسلم أيما يكون اعتقاده بشأنها، والله أعلم، والله ولي التوفيق.

كتاب «هل الإنجيل كلام الله؟»

لقد أبدى العلامة أحمد ديدات اهتمامًا كبيرًا بدراسة مسألة «ما إذا كان الإنجيل[1] الموجود حاليًا بأيدي النصارى هو كتاب الله، أم أنه يحوي كلامًا محرفًا، بدَّل فيه بعض المغرضين من البشر كلام الله، وأضافوا إليه وحذفوا منه».

وغني عن البيان أن كلام الله الحق يلزم بالضرورة ألا يبدله أو يغيره أي فرد أو مجموعة أفراد من البشر أو أن يضيفوا إليه أو أن يحذفوا منه، يتفق على هذه الحقيقة البديهية اليهود والنصارى والمسلمون.

فيما الاختلاف والخوف؟

يدعي اليهود أن التوراة كما هي بحالتها الراهنة، هي كتابهم المقدس، ويزعمون أنه كما هو بين أيديهم اليوم وبحالته الراهنة كلام الله بحق، لم يعتره أي تغيير أو تبديل أو زيادة أو نقص وليس فيه تناقض.

ويدعي النصارى أن التوراة التي أطلقوا عليها تسمية العهد القديم كما هي بين أيديهم اليوم، ويزعمون أنها بحالتها الراهنة هي كلام الله بحق، لم يعتره أي تغيير أو تبديل أو زيادة أو نقص، وليس فيها تناقض، ولقد ظل أتباع عيسى عليه السلام يعتبرون أن التوراة هي الكتاب المقدس الوحيد عشرات السنين؛ إذ فقدوا الإنجيل الذي أنزله الله على سيدنا عيسى عليه السلام فيما يعتقد المسلمون ويزكي اعتقادهم عدم وجود الإنجيل المنسوب إلى سيدنا عيسى عليه السلام حتى اليوم، ظل اتباع عيسى عليه السلام يعتبرون أن التوراة هي الكتاب المقدس الوحيد عندهم، حتى توالى ظهور الأناجيل الموجودة حاليًا منسوبة إلى متى ولوقا ومرقص ويوحنا، بالاضافة إلى بعض الرسائل التي كتبها القديس بولس إلى بعض الشعوب، وغير ذلك مما يتكون منه ما يعرف الآن بالعهد الجديد، ويزعم النصارى أن الكلام الموجود بالعهد الجديد كما هو بحالته

---

(١) يطلق لفظ الإنجيل أو الكتاب المقدس على التوراة التي أطلق عليها النصارى تسمية العهد القديم، والأناجيل التي يطلق عليها النصارى العهد الجديد. واليهود يعترفون بالتوراة وينكرون وجود الأناجيل التي يقدسها النصارى، جملة وتفصيلا كما ينكر اليهود أيضا نبوة وألوهية المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام.

الراهنة بين أيديهم هو كلام الله، لم يلحق به أي تغيير أو تبديل أو زيادة أو نقص وليس فيه تناقض.

ويعتقد المسلمون أن التوراة كما أنزلها الله على سيدنا موسى كتاب مقدس، كان صحيح النسبة إلى الله ﷻ، ولكن اليهود غيروا في كلام الله بالتوراة، وبدلوا وحذفوا وأضافوا؛ ولما كان كلام الله لا يعقل أن يعتريه تناقض، فإن كلام البشر الذي أضيف إلى التوراة، أدى إلى وجود كثير من صور التناقض كما هو الحال بشأن التوراة الموجودة حاليًا بأيدي اليهود، أي بصورتها الراهنة.

ويعتقد المسلمون أن النصارى الأوائل قد أضاعوا الإنجيل الذي أنزله الله ﷻ على سيدنا عيسى عليه، وأن كتب العهد الجديد ليست كلام الله، وإنما هي كلام الأشخاص الذين ينسب إليهم كل إنجيل من الأناجيل، أو كل رسالة من الرسائل الموجودة بالأناجيل، ولا يكفي ذكر بعض أقوال المسيح في أحد الأنجيل كإنجيل مرقص مثلاً، لكي يكون إنجيل مرقص على سبيل المثال كتابًا مقدسًا، معزوًا ومنسوبًا إلى الله ﷻ، إن مرقص قد كتب قصة حياة المسيح عليه السلام، وفي ثنايا كتابته لقصة حياة المسيح عليه السلام، ذكر مرقص بعض أقوال المسيح، إما بصيغة الكلام المباشر أو بصيغة الكلام غير المباشر، ولا يكفي البتة أن يكون ذكر بعض أقوال المسيح ضمن سرد قصة حياة المسيح لتكون هذه القصة كتابًا مقدسًا من وجهة نظر الإنسان المسلم، كما أنه لا يكفي أن يكون كتاب في السيرة النبوية الشريفة كتابًا مقدسًا منسوبًا إلى الله ﷻ لمجرد ورود بعض آيات من القرآن الكريم به.

ولا تنبع عقيدة المسلم بشأن الكتب المقدسة السابقة زمنيًّا على ظهور الإسلام، من مجرد رأي شخص للإنسان المسلم؛ إذ أن عقيدة المسلم بهذا الشأن يمليها عليه بالفعل القرآن الكريم.

(أ) يقول الله ﷻ: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة: ٧٥]

(ب) ويقول الله ﷻ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ

إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المائدة: ١٣-١٤]

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا ۛ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ۚ وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ﴾ [المائدة: ٤١]

(جـ) ويقول الله سبحانه وتعالي: ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾ [النساء: ٤٦].

(هـ) ويقول الله ﷻ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤]

(و) ويقول الله ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء:٨٢]

ومنه يتضح أن القرآن الكريم يخبر المسلمين أن اليهود والنصارى قد غيروا وبدلوا، وحذفوا وأضاف إلى كلام الله في توراة موسى، وأن النصارى قد أضاعوا إنجيل عيسى، ويعطي الله المسلمين معيارًا دقيقًا ليعرفوا بواسطته ما إذا كان الكلام غير صحيح النسبة إلى الله سبحانه تعالى، وذلك بأن يتدبرا الكلام المنسوب إلي فإن كان فيه اختلاف وتناقض تمتنع صحة نسبته إلى الله ﷻ، وهكذا يغدو المسألة مسألة صحة أو عدم صحة نسبة التوراة والإنجيل بحالتهما الراهنة إلى الله، مسألة بالغة الأهمية تصل إلى حد القبول، أو إنكار الدين كله برمته وبكل تفاصيله.

لو صَحَّ أن التوراة والإنجيل بحالتهما الراهنة لم يمس أيًا منهما تحريف أو تبديل أو زيادة أو نقصان، يكون القرآن لا قدر الله كاذبًا، وتكذيب القرآن الكريم يهدم الدين الإسلامي كله لا قدر الله.

ولو صح أن ما يذكره القرآن الكريم ويعتقده ويؤمن به المسلمون من وجود تحريف أو تبديل أو زيادة أو نقصان بالتوراة والإنجيل بحالتهما الراهنة، تضيع مصداقية كل من هذين الدينين لا محالة.

ومن هنا تبدو أهمية وخطورة مسألة بحث هل الكتاب المقدس كلام الله التي عني ببحثها العلامة أحمد ديدات على صفحات هذا الكتاب، وعقد من أجلها مناظرات مع علماء وأساتذة الدين المسيحي مثل: القس الأمريكي جيمي سويجارت، وهو من كبار قساوسة الولايات المتحدة الأمريكية، ومثل: باستر إستانلي شوبيرج، وهو رئيس كنيسة السويد على سبيل المثال لا الحصر.

ويستهل العلامة أحمد ديدات كتابه: «هل الكتاب المقدس كلام الله؟» يستهله بتوضيح وتقديم الأمثلة من الكتاب المقدس ذاته، ليثبت أن الكتاب المقدس يحوي ما يلي:

(١) كلام الله مثل: «أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به» [سفر التثنيه ١٨: ١٨] ويتضح في هذا النص الموجود حاليًا بالتوراة أن الله يخاطب سيدنا موسى ﷺ موضحًا له، مبلغًا إياه أنه سيرسل بعد سيدنا موسى رسولاً من بين إخوة قوم سيدنا موسى، وسيوحي الله إليه كلامه، وسيتم الله شريعته للبشر[1] من خلال هذا الوحي، هذا مثال لكلام يصح أن يكون منسوبًا إلى الله ﷻ معنى ومبنى، ومثله: «أنا الرب لا مخلص غيري» [نبوءة أشعيا ٤٣:

(١) لم يفطن اليهود ولا النصارى حتى وقت ضئيل إلى أن هذا النص الموجود بالتوراة [تث ١٨: ١٨] يبشر في حقيقة الأمر بمجيء سيدنا محمد ﷺ، ظن اليهود أن الرسول الموعود سيكون من بنى إسرائيل وفرحوا بذلك، وظن النصارى أن هذه بشارة بمجيء المسيح وأن المسيح قد جاء فعلاً، ونسوا أن نص البشارة يقول لسيدنا موسى ﷺ «مثلك» ولأسباب كثيرة لم يكن سيدنا عيسى مثل سيدنا موسى ولذلك الأسباب كان سيدنا محمد ﷺ مثل سيدنا موسى، هذا ولقد حاولت الطبعات الإنجليزية الحديثة التحايل على هذا النص الموجود في التوراة، وتحريف معناه لتغيير دلالته القوية، حاولوا تغيير وتبديل تعبير «من بين إخوتهم» «From among their brothers» إلي «من بين شعبه الخاص» «From among their owr people». وهدف التغيير والتبديل واضح، وهو صرف البشارة عن سيدنا محمد ﷺ، أن التحريف والتبديل والتغيير في كلام الله عندهم في التوراة والإنجيل لا يزال مستمرًا. وراجع طبعة Collins [تث ١٨: ١٨].

١١] ومثله أيضًا: «توجهوا إلى فأخلصوا يا جميع أقاصي الأرض فإني أنا الله وليس آخر». [نبوءة أشعيا ٤٥: ٢٢]

(٢) كلام أنبياء الله ورسل الله مثل: «فقال له يسوع: لماذا تدعوني صالحًا، إنه لا صالح إلا الله وحده» [مرقص ١٠:١٨] ومثله أيضًا: «صرخ يسوع قائلاً: إيلي إيلي لما شبقتني» أي إلهي إلهي لماذا تركتني [متى ٢٧ :٤٦] ومثله: «أجابه يسوع: إن الوصايا كلها اسمع يا إسرائيل إن الرب إلهنا واحد» [مرقص ١٢: ٢٩] ويتضح في هذه الأمثلة أن الكلام منسوب إلى سيدنا عيسى أو إلى يسوع بصيغة الكلام المباشر.

(٣) كلام مؤرخين من البشر مثل: «فنظر عن بعد شجرة تين ذات ورق، فدنا إليها لعله يجد عليها شيئًا، فلما دنا لم يجد إلا ورقًا» [مرقص ١١: ١٣]

من الواضح أن هذا كلام رجل مؤرخ كتب قصة حياة المسيح ﷺ وتحدث عن أن المسيح عيسى ابن مريم كان جوعان علي حد قوله، وأنه عيسى أو يسوع نظر عن بعد شجرة تين، فدنا يسوع منها، فلما دنا يسوع لم يجد إلا ورقًا، وكأن يسوع الذي يزعمون أنه إله، وأنه كان يعرف كل شيء، لم يكن يعرف أن موعد جني ثمار التين لم تحن بعد، ولو حدث ذلك في موعد جني التين، وكان غيره قد سبقه إلى ذات الشجرة فلم يترك فيها ثمرة واحدة، أما كان حريًا به أن يعرف أن الشجرة بلا ثمر قبل أن يصلها، ولكنه عندما وصلها لم يجد إلا ورقًا على حد رواية القديس مرقص في إنجيله [١١:١٣] المهمّ أن نسأل: كلام من هذا الذي أوردنا مثالاً له من إنجيل القديس مرقص [١١: ١٣]؟

من الواضح أن مثل هذا الكلام هو كلام القديس مرقص، وهو بالفعل منسوب إليه، وينكر المسلمون إمكانية نسبة مثل هذا الكلام إلى ا لله ﷻ، هذا كلام بشر، هذا كلام إنسان مؤرخ، إنه ليس كلام الله، إنه ليس كلام رسول من رسل الله عليهم السلام؛ لأن رسل الله معروفون بالاسم، وليس مَن يخلع عليه النصارى لقب القديس من بين رسل الله عليهم السلام المعروفين بين المسلمين، ومثل هذا الكلام الذي يحكيه إنسان مؤرخ لسيرة ووقائع حياة إنسان أو رسول من رسل الله، يحتمل

الصواب والخطأ بطبيعة الحال، وقد أشرنا آنفا إلى بعض التناقضات[1] الموجودة بمثل هذا النص القصير الذي اقتبسناه من إنجيل القديس [مرقص: ١١: ١٣].

وعندما يسأل سائل: هل تؤمن أن الإنجيل هو كلام الله؟ نجد أن الإجابة الصحيحة يستحيل أن تكون هي الإجابة بقولنا: نعم. كما لا يصح أن تكون هي الإجابة بقولنا: لا. وتستلزم الإجابة الصحيحة قولنا: بعضه، وبعضه، وبعضه، كما سبق أن أوضحنا وقدمنا أمثلة لما أوضحنا.

ومن هنا نلمس حكمة رسول الإسلام ﷺ عندما قال: «إذا حدثكم النصارى بشيء فلا تكذبوهم ولا تصدقوهم» أو كما قال ﷺ.

وفي الاستخبارات العلمية الحديثة لقياس الرأي العام بشأن مسألة من المسائل أو لقياس الذكاء، أو لتقييم الشخصيات تطبع في نموذج الاستخبار عشرات الأسئلة، ويطلب من كل فرد أن يجيب باستخدام «نعم» أو باستخدام «لا» أو باستخدام «لا أعرف» وذلك بوضع علامة تحت العمود التي توجد برأسه كل واحدة من هذه الإجابات، ويتم تقويم أو تحديد قيمة إجابات كل فرد من أفراد العينة التي طبق عليها الاستخبار على أساس مفتاح يحوي الدرجات المستحقة لكل إجابة من الإجابات الثلاث، ومثل هذا المقياس لتحديد قيمة الإجابات الثلاث: «نعم، لا، لا أعرف» إنما هو من مبتكرات القرن العشرين.

وجدير بالذكر أن الإجابة «لا أعرف» تكون أحيانًا هي الإجابة الصحيحة التي تحوز أعلى الدرجات عند تقدير أحسن الإجابات.

ولقد سبق منهج الرسول ﷺ المناهج العلمية التي استجدت في القرن العشرين بما لا يقل عن أربعة عشر قرنًا من الزمان.

ويشير العلامة أحمد ديدات إلى أن أصحاب الكتاب المقدس يصرون على أنه يحوي كلام الله على الرغم من أنهم يعرفون، ويصرحون بأنه كلام بشر، وأنه قد

---

(١) مَن يصفونه بالألوهية جوعان! ولا يعرف إن كانت شجرة التين مثمرة أو غير مثمرة حتى وصلها! ولا يعرف موعد جنى ثمار التين! ولا يعرف إن كان أحد قد سبقه إلى جنى ثمار شجرة التين من عدمه!

طرأت عليه تعديلات وجرى تنقين عشرات المرات، وفي ذلك تناقض عجيب، ولكنهم لا يأبهون!

وليس الزعم باستمرارية عمليات التغيير والتنقيح فيما يزعمون أنه كتاب مقدس اتهامًا جزافيًا يتهم به المسلمون النصارى دون دليل، وليس هنالك دليل على صحة رأي المسلمين أصدق مما يكتبه علماء النصارى بأنفسهم، ومن ذلك ما كتبه علماء النصارى بالصفحة الأولى من مقدمة الطبعة المنقحة من الإنجيل وعنوانها بالإنجليزية هو: «The Reburied Standard Version of the Bible» ويرمز إليها بالحروف (R.S.V).

ولقد أورد العلامة ديدات صورة ضوئية لأول صفحة بهذه المقدمة، وهي تتضمن الاعتراف الصحيح الصريح بأن عمليات تصويب وتنقيح الإنجيل بعهديه القديم والجديد ما زالت تجري على قدم وساق، كما لو كان الإنجيل كتابًا من تأليف بشر، وهو صحيح إلى حد كبير في الواقع الفعلي؛ إذ أن معظم الكلام الموجود بهذه الكتاب من صياغة البشر، وهو اعتبارًا يرفض المسلمون رفضًا تامًا أن يقبلوا به ككلام مقدس في كتاب مقدس من عند الله، يشترط المسلمون ولهم ومعهم كل الحق في ذلك أن يكون الكلام المقدس الموجود في كتاب مقدس كله من الألف إلى الياء كلام الله كما هو الحال في القرآن الكريم.

والمهم ها هنا أن هذا القدر يكفي لحسم القضية لصالح المسلمين دون ريب؛ إذ يتضح بما لا يدع مجالاً للشك أو الريب أن اتهام القرآن الكريم لليهود والنصارى أنهم قد بدلوا وغيروا وحذفوا، وأضافوا إلى كلام الله في التوراة، وأن الأناجيل إنما هي كلام بشر، تؤرخ لحياة السيد المسيح، والكتب المضافة إلى هذه الأناجيل منسوبة إلى مؤلفيها، والأناجيل الأربعة منسوب كل منها إلى مؤلفه، ولكن العلامة أحمد ديدات يمضي قدمًا ليقدم عديد الأمثلة لوجود تناقضات في الكلام الموجود بالتوراة والموجود بالأناجيل، مصداقًا لقول الله ﷻ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢]

ونورد فيما يلي صورة ضوئية لبعض ما أورده العلامة أحمد ديدات لوثائق تدل على أن النصارى أنفسهم يعترفون بتغيير كلام الله في الإنجيل بعهديه القديم والجديد، والنصوص يتضح فيها وجود تناقض داخلي Internal Contradiction في الكلام المسنوب إلى الله فيما يزعم أهل الكتاب أنه كتاب مقدس.

PREFACE

THE Revised Standard Version of the Bible is an authorized revision of the American Standard Version, published in 1901, which was a revision of the King James Version, published in 1611.

The first English version of the Scriptures made by direct translation from the original Hebrew and Greek, and the first to be printed, was the work of William Tyndale. He met bitter opposition. He was accused of wilfully perverting the meaning of the Scriptures, and his New Testaments were ordered to be burned as "untrue translations." He was finally betrayed into the hands of his enemies, and in October 1536, was publicly executed and burned at the stake.

Yet Tyndale's work became the foundation of subsequent English versions, notably those of Coverdale, 1535; Thomas Matthew (probably a pseudonym for John Rogers), 1537; the Great Bible, 1539; the Geneva Bible, 1560; and the Bishops' Bible, 1568. In 1582 a translation of the New Testament, made from the Latin Vulgate by Roman Catholic scholars, was published at Rheims.

The translators who made the King James Version took into account all of these preceding versions; and comparison shows that it owes something to each of them. It kept felicitous phrases and apt expressions, from whatever source, which had stood the test of public usage. It owed most, especially in the New Testament, to Tyndale.

The King James Version had to compete with the Geneva Bible in popular use; but in the end it prevailed, and for more than two and a half centuries no other authorized translation of the Bible into English was made. The King James Version became the "Authorized Version" of the English-speaking peoples.

The King James Version has with good reason been termed "the noblest monument of English prose." Its revisers in 1881 expressed admiration for "its simplicity, its dignity, its power, its happy turns of expression . . . the music of its cadences, and the felicities of its rhythm." It entered, as no other book has, into the making of the personal character and the public institutions of the English-speaking peoples. We owe to it an incalculable debt.

Yet the King James Version has grave defects. By the middle of the nineteenth century, the development of Biblical studies and the discovery of many manuscripts more ancient than those upon which the King James Version was based, made it manifest that these defects are so many and so serious as to call for revision of the English translation. The task was undertaken, by authority of the Church of England, in 1870. The English Revised Version of the Bible was published in 1881–1885; and the American Standard Version, its variant embodying the preferences of the American scholars associated in the work, was published in 1901.

Because of unhappy experience with unauthorized publications in the two decades between 1881 and 1901, which tampered with the text of the English Revised Version in the supposed interest of the American public, the American Standard Version was copyrighted, to protect the text from unauthorized changes. In 1928 this copyright was acquired by the International Council of Religious Education, and thus passed into the ownership of the churches of the United States and Canada which were associated in this Council through their boards of education and publication.

The Council appointed a committee of scholars to have charge of the text of the American Standard Version and to undertake inquiry as to whether

iii

(صورة ضوئية للصفحة الثالثة من الطبعة المنقحة من الإنجيل المسماة باسم:

«The Reirised Standard Version (R.S.V)»

حيث تبدأ الصفحة الأولى من مقدمته، وتبدأ السطور التي تحتها خط لتقول بالحرف الواحد: لقد علا نسخة الملك جيمس من الإنجيل تعبير أنها أكثر إنجازات النثر الأدبي الإنجليزي نُبلاً، ولقد أعجب مراجعوها ببساطتها، وسموها، وبقوتها،

وبنغماتها المرحة، وبإيقاعها الموسيقى، وبتعبيراتها اللبقة، ولقد دخلت كشيء أساسي لا غنى عنه في كل المؤسسات الحكومية في كل الدول المتحدثة باللغة الإنجليزية، ثم تمضي المقدمة بذات الصفحة لتقول: ولكن نصوص إنجيل الملك جيمس بها عيوب خطيرة جدًّا، إن هذه العيوب كثيرة وخطيرة مما يستوجب تنقيح وتصويب أخطاء هذه الترجمة الإنجليزية للإنجيل).



Brooklyn, N.Y., September 8, 1957

Christians Admit! اعتراف النصارى

"YOUR WORD IS TRUTH" JOHN 17:17

50,000 Errors in the Bible?

RECENTLY a young man purchased a King James Version Bible thinking it was without error. One day when glancing through a back issue of *Look* magazine he came across an article entitled "The Truth About the Bible," which said that "as early as 1720, an English authority estimated that there were at least 20,000 errors in the two editions of the New Testament commonly read by Protestants and Catholics. Modern students say there are probably 50,000 errors." The young man was shocked. His faith in the Bible's authenticity was shaken. "How can the Bible be reliable when it contains thousands of serious discrepancies and inaccuracies?" he asks.

SEPTEMBER 8 1957 AWAKE!

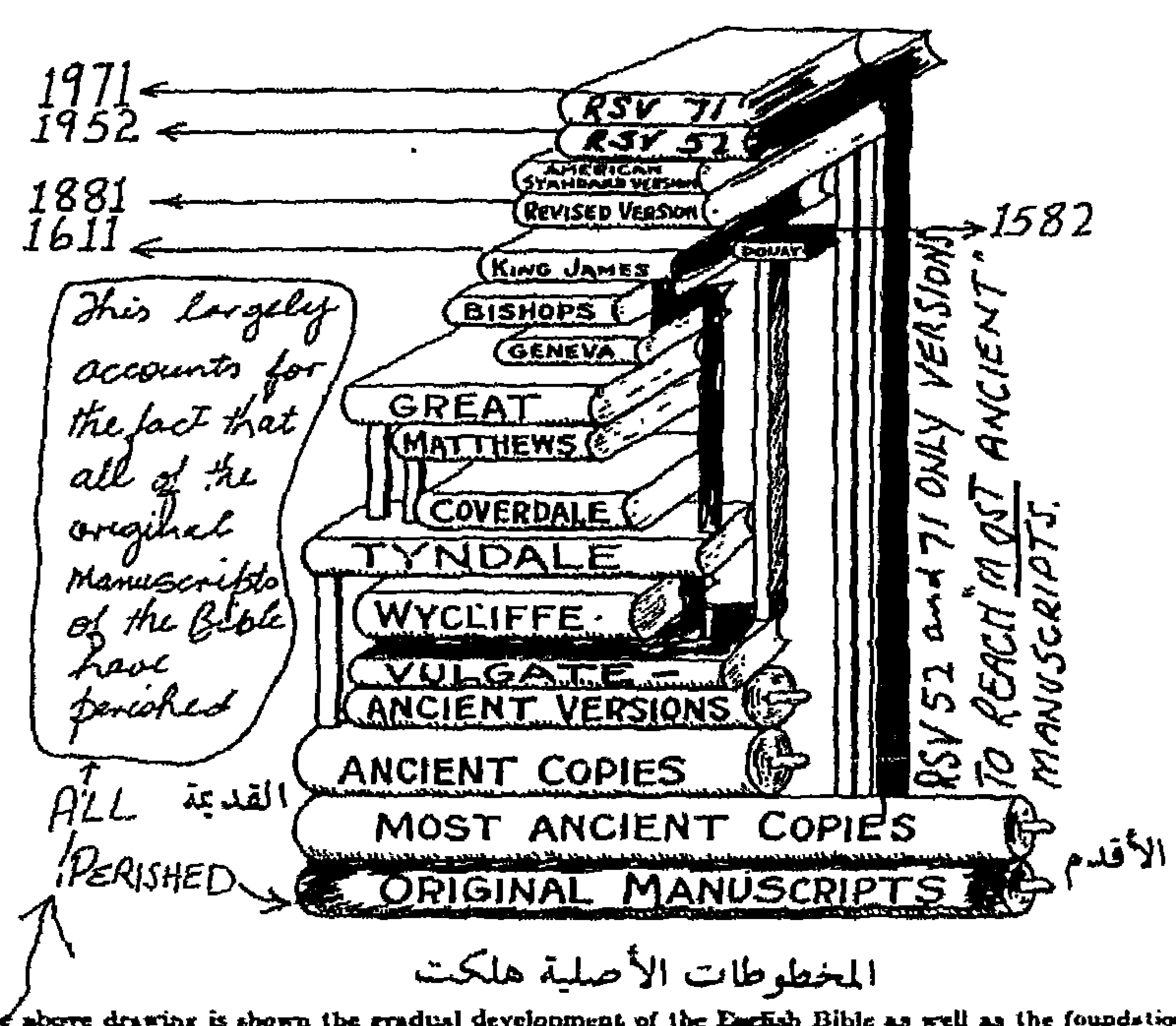
Bear in prese... in *Look*... why an... scripts h... Hence hi... have cre... the gene... the most... ing that... *James V*... the imp... errors oc... is not tr... have bee... The rema... tremely... ciably al... text.

FOR THE COMPLETE ARTICLE WRITE TO OR CALL AT THE →

ISLAMIC PROPAGATION CENTRE, 47/49 Madressa Arcade, Durban, Republic of South Africa - Phone 329518

(صورة ضوئية لما نشرته مجلة «أويك» بتاريخ ٨ سبتمبر ١٩٥٧م، تعلن عن وجود خمسين ألف خطأ بالإنجيل، لماذا إذن يحالون تكذيب القرآن الكريم فيما نسبه إليهم من تحريف الكلم في التوراة والإنجيل عن مواضعه؟ هذا، ويستحيل بداهة أن

يسمح الله ﷻ بوجود أكثر من كتاب مقدس واحد على وجه الأرض، بحيث يكون صحيح النسبة إلى الله، ويقولون: مـاذا نفعـل؟ لقـد ماتـت اللغـة الـتي كتبـت بهـا النصوص المقدسة! ونقول: مَن الذي أماتها؟ ومَـن الـذي شـاءت إرادتـه أن تظـل اللغة العربية لغة القرآن الكريم حية لم تمت؟ لقد شاءت إرادة الله أن يكون القـرآن كتاب الله).



In the above drawing is shown the gradual development of the English Bible as well as the foundations upon which each successive version rests.

We are living in an age of printing.

It is hard for us to realize that when the books of the Bible were originally written, there was no printing press to multiply the copies.

Each copy must be made slowly and laboriously by hand. Under these conditions it was inevitable that many ancient books should be lost. This largely accounts for the fact that all the original manuscripts of the Bible have perished.

The question arises, what have we then as the literary foundation of our Bible?

(1) We have the most ancient copies made from the original manuscripts. We mention only three principal ones.

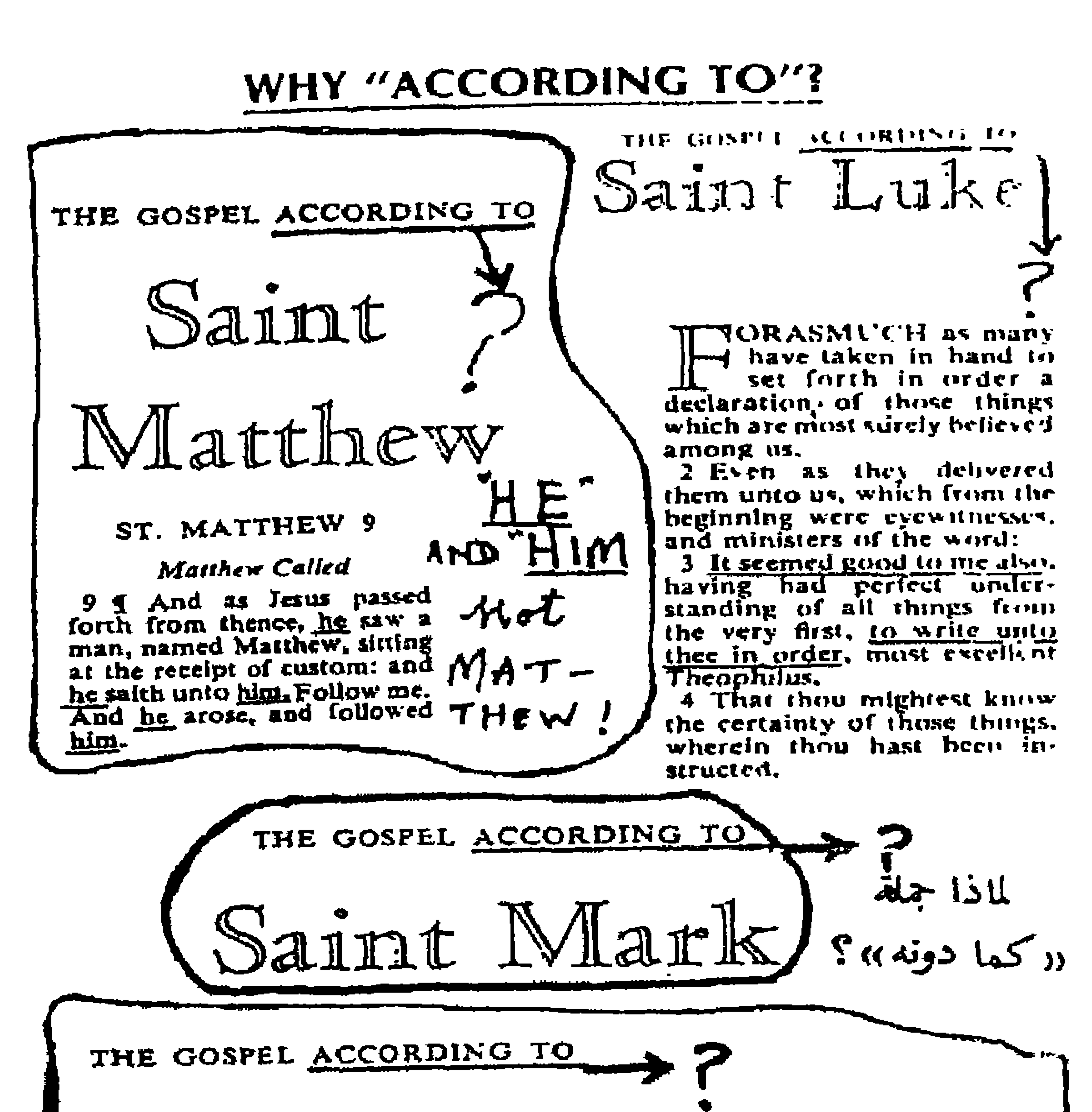
(a) The Codex Sinaiticus, originally a codex of the Greek Bible belonging to the fourth century. Purchased from the Soviet Republic of Russia in 1933 by Great Britain and is now in the British Museum.

(b) The Codex Alexandrinus, probably written in the fifth century, now in the British Museum. It contains the whole Greek Bible, with the exception of forty lost leaves.

(c) The Codex Vaticanus, in the Vatican library at Rome, originally contained the whole Bible but parts are lost. Written probably about the fourth century.

(يوضح الرسم التخطيطي الذي خطه علماء الكتاب المقدس بأيـديهم تطـور التحسينات التي أجروها على النسخة الإنجليزية منـه، وأول العبـارات الـتي وضـع تحتها العلامة ديدات خطًا تقول بالحرف الواحد: إن كل نـسخة مكتوبـة باليـد مـن النصوص الأصلية قد هلكت واختفت، ويوضح الرسم التخطيطي تطور النصوص

الموجودة بالإنجيل في العصر الحديث، بدءًا من إنجيل «دو واي» عام ١٥٨٢م، ثم إنجيل الملك جيمس عام ١٦١١م، ثم الطبعة المنقحة عام ١٨٨١م، ثم الطبعة الأمريكية المنقحة، ثم الطبعة المنقحة عام ١٩٥٢م، ثم الطبعة المنقحة الأخيرة من الإنجيل عام ١٩٧١م، وكل طبعة كانت مغايرة لسابقتها!!)



(ويجعلون عناوين الأناجيل باسم كتابها فيقولون: الإنجيل وفقًا للقديس متى، أو الإنجيل وفقًا للقديس مرقس، أو الإنجيل وفقًا للقديس لوقا، أو الإنجيل وفقًا

للقديس يوحنا، ويسأل المؤلف لماذا هذه الـ «وفقًا لـ ACCORDING TO» إنها تدل على مؤلف الإنجيل، فلماذا نسبته إلى الله؟

وجدير بالذكر أن النصارى يقولون: إنه يمكن القول: إن القرآن نسبة إلى محمد، وهذا لا يجوز؛ لأن القرآن كلام الله وليس كلام محمد لأسباب كثيرة، ولم يوح القرآن إلى شخص آخر غير محمد ﷺ)

THE
GOSPELS
translated
into Modern English
by
J. B. PHILLIPS
THE GOSPEL OF
MATTHEW

انظر تحت الخطوط التي تدل على أن علماء المسيحية يعترفون بأن القديس متى في إنجيله المنسوب إليه كان ينقل عن القديس مرقس. وانظر الخط المتعرج تحت العبارة التي تدل على أنه كان يعيد ترتيب الأحداث. (المترجم)

Early tradition ascribed this Gospel to the apostle Matthew, but scholars nowadays almost all reject this view.

The author, whom we still can conveniently call Matthew, has plainly drawn on the mysterious "Q", which may have been a collection of oral traditions. He has used Mark's Gospel freely, though he has rearranged the order of events and has in several instances used different words for what is plainly the same story. The style is lucid, calm and "tidy". Matthew writes with a certain judiciousness as though he himself had carefully digested his material and is convinced not only of its truth but of the divine pattern that lies behind the historic facts.

If Matthew wrote, as is now generally supposed, somewhere between 85 and 90, this Gospel's value as a Christian document is enormous. It is, so to speak, a second generation view of Jesus Christ the Son of God and the Son of Man. It is being written at that distance in time from the great Event where sober reflection and sturdy conviction can perhaps give a better balanced portrait of God's unique revelation of Himself than could be given by those who were so close to the Light that they were partly dazzled by it.

(صورة لصفحة من المقدمة التي كتبها ج.ب. فيلبس لإنجيل القديس متى، يصرح فيها أن القديس متى وهو حواري المسيح، كان ينقل ويقتبس من إنجيل القديس مرقس، مع أن القديس مرقس لم يكن حواريًا من حواريي المسيح عليه السلام،

ومن الغريب طبعًا أن ينقل سابق كان مصاحبًا للمسيح عن لاحق لم يصاحب المسيح، ويقول الدكتور فيلبس أيضًا: إن القديس متى كان يعيد ترتيب الأحداث وكأنها مسابقة لتأليف حكاية)

سفر الملوك الرابع

الفصل التاسع عشر

(١) فلما سمع الملك حزقيا مزق ثيابه ولبس مسحا ودخل بيت الرب (٢) وبعث ألياقيم قيم البيت وشبنا الكاتب وشيوخ الكهنة لابسين المسوح إلى أشعيا النبي ابن آموص (٣) فقالوا له هكذا قال حزقيا اليوم يوم الضيق والزجر يوم التجديف وقد بلغت الأجنة المولد ولا قوة للولادة. (٤) فلعل الرب إلهك يسمع جميع كلام ربشاقا الذي أرسله ملك أشور سيده ليقرع الإله الحي ويبكته بالكلام الذي سمعه الرب إلهك فأقم صلاة من أجل البقية التي بقيت. (٥) فلما ورد عبيد الملك حزقيا على أشعيا (٦) قال لهم أشعيا هكذا تقولون لسيدكم هكذا يقول الرب لا تخف من الكلام الذي سمعته مما جدف به علي غلمان ملك أشور (٧) فإني أجعل فيه روحا فيسمع خبرا فيرجع إلى أرضه وأسقطه بالسيف في أرضه. (٨)

نبوءة أشعيا

الفصل السابع والثلاثون

(١) فلما سمع الملك حزقيا مزق ثيابه ولبس مسحا ودخل بيت الرب (٢) وبعث ألياقيم قيم البيت وشبنا الكاتب وشيوخ الكهنة لابسين المسوح إلى أشعيا النبي ابن آموص. (٣) فقالوا له هكذا قال حزقيا اليوم يوم الضيق والزجر يوم التجديف وقد بلغت الأجنة المولد ولا قوة للولادة. (٤) فلعل الرب إلهك يسمع كلام ربشاقا الذي أرسله ملك أشور سيده ليقرع الإله الحي ويبكته بالكلام الذي سمعه الرب إلهك فأقم صلاة من أجل البقية التي بقيت. (٥) فلما ورد عبيد الملك حزقيا على أشعيا (٦) قال لهم أشعيا هكذا تقولون لسيدكم هكذا يقول الرب لا تخف من الكلام الذي سمعته مما جدف به علي غلمان ملك أشور (٧) فإني أجعل

(أليس غريبًا أن يكون أشعيا: في الفصل السابع والثلاثين من سفر نبوءة أشعيا، قد سرق كلام الله في الفصل التاسع عشر من سفر الملوك الرابع جملة جملة، وكلمة كلمة، ونقطة نقطة، وشولة شولة؟ وماذا كان عساهم أن يقولوا لو تكرر كلام الله

هكذا بين سورتين من سور القرآن الكريم؟ أكانوا يتغاضون لو كانت آيات سورة المسد هي هي نفس آيات سورة الفيل؟ أم أنهم كانوا يقولون: ما هذا؟ هل نسي الله ﷻ أن ما أوحاه إلى محمد في سورة المسد كان قد سبق أن أوحاه إليه في سورة الفيل؟ وماذا يقول المسلمون إزاء هذا السهو الإلهي لا قدّر الله، بل السرقة البشرية بالكتاب الذي يقولون إنه الكتاب المقدس؟).

٦هٰذَا هُوَ ٱلَّذِي أَتَى بِمَاءٍ وَدَمٍ يَسُوعُ ٱلْمَسِيحُ. لَا بِٱلْمَاءِ فَقَطْ بَلْ بِٱلْمَاءِ وَٱلدَّمِ. وَٱلرُّوحُ هُوَ ٱلَّذِي يَشْهَدُ لِأَنَّ ٱلرُّوحَ هُوَ ٱلْحَقُّ. ٧فَإِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي ٱلسَّمَاءِ هُمْ ثَلَاثَةٌ ٱلْآبُ وَٱلْكَلِمَةُ وَٱلرُّوحُ ٱلْقُدُسُ وَهٰؤُلَاءِ ٱلثَّلَاثَةُ هُمْ وَاحِدٌ. ٨وَٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ هُمْ ثَلَاثَةٌ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَاءُ وَٱلدَّمُ وَٱلثَّلَاثَةُ هُمْ فِي ٱلْوَاحِدِ. ٩إِنْ كُنَّا نَقْبَلُ شَهَادَةَ

6 Jesus Christ is the one who came with the water of his baptism and the blood of his death. He came not only with the water, but with both the water and the blood. And the Spirit himself testifies that this is true, because the Spirit is truth. 7There are three witnesses: 8the Spirit, the water, and the blood; and all three give the same testimony. 9We believe

(صورة ضوئية لجزء من رسالة يوحنا الأولى باللغة العربية، وتحتها صورة ضوئية للترجمة الإنجليزية لها بطبعة كولينز ص ٣٠٦ عهد جديد، ويتضح الإخلال الكبير والحذف المقصود في النص الإنجليزي، وذلك في الجملة السابقة التي تقول باللغة العربية: «فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد» وتقول الترجمة الإنجليزية لذات الجملة: «يوجد ثلاثة شهود There are three witnesses».

أين ما يقابل قول النسخة العربية من كلام الله بذات الجملة العربية «هم الآب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد» إن هذا الجزء إما محذوف في النص الإنجليزي، أو زائد لا أصل له في النص العربي، والأرجح أنه محذوف عن قصد، وعن عمد في النص الإنجليزي، مع أن يحوي شعار التثليث المسيحي، وذلك أن القائمين على شأن الترجمة الإنجليزية، فطنوا إلى أن المثال الموضح للتثليث، مثال الروح والماء والدم يهدم الشعار، ولا يوضحه من حيث إن الجزء لا يصح أن يطلق على الكل، فليس الدم إنسانًا، كما أن الإنسان يتكون من عناصر أخرى كالعظام وغيرها، فخذفوا...).

(صموئيل ٢) (٢٤ : ١٣)

« فأتى جادُ داوود وأخبره وقال له أتأتي عليك سبع سنين جوعاً في أرضك أم تهرب أمام أعدائك ثلاثة أشهر وهم في أثرك » ؟

« سفر أخبار الأيام الأول» (٢١ : ١١)

« فأتى جادُ داوود وقال له كذا . قال الرب تخيّر. إما ثلاث سنين جوعاً وإما ثلاثة أشهر تهرب فيها أمام أعدائك وسيف أعدائك يدركك...» .

مثال من أمثلة التناقضات الكثيرة بالعهد القديم من الكتاب المقدس: «جاد» في الجملة الثالثة عشر من الأصحاح الرابع والعشرين من سفر صموئيل الأول هو «جاد» بالجملة الحادية عشر بالأصحاح الحادي والعشرين من سفر أخبار الأيام الأول و«داود» هو «داود» والسؤال هو: بما أخبر جاد داود؟ هل أخبره أن الله قد

حكم عليه -على داود- بثلاثة أعوام مـن الجـوع كمـا ورد في سـفر أخبـار الأيـام الأول، أم حكم عليه بسبعة أعوام من الجوع كما ورد بسفر صموئيل الثـاني؟ هـل يعقل أحد وجود تناقض في كلام منسوب إلى الله ﷻ على هذا النحو؟

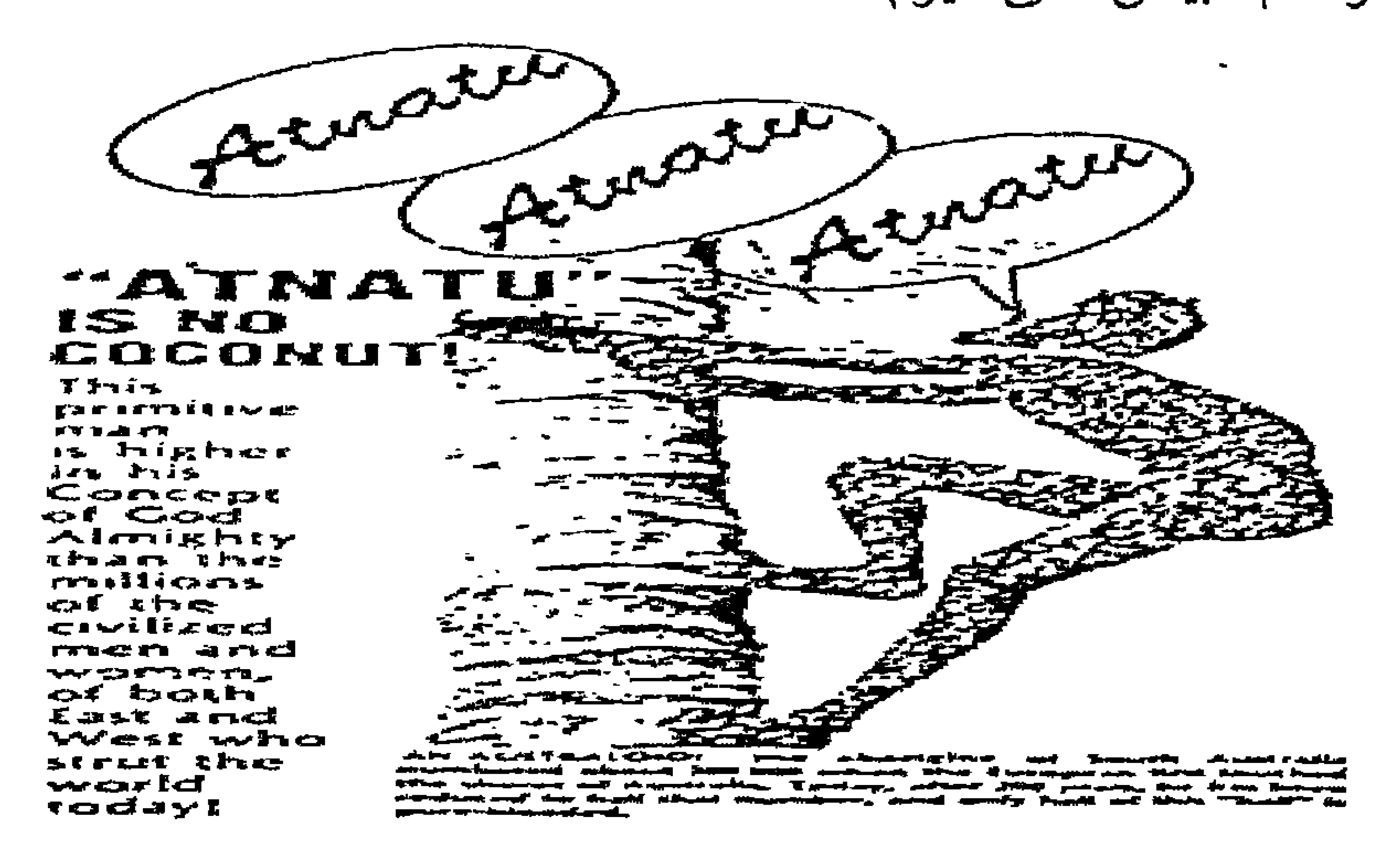
هذا هو منهج العلامة ديدات، إنه يجعـل النـصوص المقدسـة تـتكلم! وكتابتـه موثقة تجعل الوثائق هي التي تتكلم.

كتاب «ما اسمه ﷻ؟»

كتاب هام المحتوى، عبقري الجدوى، حاسم الدلالة، عظيم الفائدة لكل من ينشد بحق وصدق الإخلاص في الاتجاه نحو سبل الهداية، وهو مع كل هذا وذاك لا تزيد صفحاته في أصوله الإنجليزية عن أربعين صفحة.

وتبدو الصدمة الفكرية والعقلية التي يحدثها هذا الكتاب الصغير الحجم، الجليل النفع، منذ الصفحة الأولى المرقمة برقم واحد بالإنجليزية (١)، وهي الصفحة التالية للغلاف مباشرة.

ونطلع القارئ الكريم على صورة ضوئية مصغرة للصفحة الأولى من هذا الكتاب، وهي تحتوي كما يستطيع القارئ الكريم أن يشاهد، ليشاهد رسمًا تخطيطًا لرجل يصعد فوق جذع شجرة جوز الهند، وتفيد الكلمات المذهلة لما تحفل به الكلمات من معان أن هذا الرجل البدائي، الذي ينبئ عريه ووعدم امتلاكه أية ملابس عن بدائية تامة، تفيد الكلمات التوضيحية أن هذا الرجل إنما هو رجل من رجال " الأسترالويد An Australoid إنما هو رجل من رجال الأسترالويد، وهم سكان أستراليا الأصليين، الذين كان عددهم يصل إلى حوالى ٣٠٠٠٠٠ نسمة عندما وطأت أقدام الأوربين الأوائل شواطئ قارة أستراليا، ولقد انخفض عددهم الآن إلى النصف تقريبًا، واحتفظ نصف النصف بنقاء دمهم؛ إذ لم يختلطوا ولم يتزاوجوا مع البيض حتى اليوم.



ثم تأتي الصدمة الكبرى التي تبدأ بشائرها على الصفحة الأولى لهذا الكتاب عندما تقول الكلمات المجاورة للشجرة إن كلمة آتناتو Atnatu التي تنطلق من بين شفتي الرجل طالع الشجرة لا تعني ثمار جوز الهند، ولكنها تعني أن الله ﷻ يستحيل أن يخرج فضلات الطعام.

وتزداد الصدمة الذهنية التي تحدثها الكلمات الموضحة للرسم التخطيطي هولاً وأهمية، نظرًا لكمية الحقيقة التي تنطوي عليها الكلمات القليلة؛ إذ يقول فيها هذا الداعية الإسلامي العبقري، يقول: «إن هذا الرجل البدائي أرقى في تصوره لله العلي العظيم، إنه أرقى تصورًا لله من ملايين الرجال والنساء المتحضرين في شرق الدنيا وغربها، الذين يزحمون ويقلقون عالمنا اليوم».

والإشارة واضحة صريحة الاتجاه محددة المعنى، إن العلامة أحمد ديدات يقصد زيف اعتقاد أولئك الذين يزعمون أن عزيرًا (عزرا) كان ابن الله،؛لأنه كان يحفظ نصوص التوراة الصحيحة بينما كان قد نسيها جميع بني إسرائيل، فزعم اليهود أن الله قد أعاد وحيها إلى عزير (عزرا) من جديد؛ لأن عزيرًا هو ابنه -ابن الله- ولذلك اختصه الله بإعادة وحي التوراة إليه!

ويقصد العلامة أحمد ديدات أيضًا توضيح زيف اعتقاد النصارى الذين، يعتقدون أن عيسى ابن مريم عليه السلام إله أو ابن الله؛ إذ يستحيل أن يكون عيسى إلهًا، وهو يأكل الطعام ويخرج الفضلات، وهو ما فطن إليه بفطرتهم الناس البدائيون الأستراليديون بقايا السكان الأصليين لقارة أستراليا، الذين لا يزالون موجودين بها حتى اليوم، ويعيشون في مناطق منعزلة نائية، تقول لهم عيسى إله، فيقولن لك: هل كان عيسى يأكل الطعام؟ ولو قلت لهم: نعم. كان عيسى يأكل الطعام، لقالوا فورًا: يستحيل أن يكون عيسى (يسوع) إلهًا؛ لأنه كان يأكل الطعام ويخرج فضلات الطعام، إن الله يجب أن يكون آتناتو Atnatu أي لا يخرج فضلات الطعام.

وليس هذا المعنى، وليس هذا الاعتبار الذي قصد العلامة أحمد ديدات إبرازه جديدًا، لقد كان موجودًا منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان، منذ مناظرة النبي عليه السلام مع وفد نصارى نجران، وهي موجودة بكتب السيرة النبوية الشريفة، وهي موجودة

مشهورة بكتب تفسير القرآن الكريم، وذلك على وجه التحديد لدى تفسير المفسرين المسلمين للآيات القرآنية الكريمة الموجودة بصدر سورة آل عمران، وهي موجودة مشهورة بكتب أسباب النزول، ولكن العلامة أحمد ديدات قد أبرزها وعرضها عرضًا عصريًا، ورتب عليها واستنتج منها كل ما رآه ضروريًا.

وربما يكون مجديًا أن نعرض بين يدي القارئ الكريم ذلك الحوار العبقري الموجز الحاسم، الذي دار بين النبي ﷺ وبين وفد نصارى نجران، متضمنًا الإشارة إلى أن الله يستحيل أن يأكل، ويستحيل أن يخرج فضلات الطعام، ولن نطيل على القارئ الكريم بذكر التفاصيل السابقة لهذه المناظرة التاريخية الحاسمة الدلالة، ولا بذكر التراث الروحي الإلهي الخالد، الذي كان يستند إليه نبي الإسلام ﷺ، ولا بذكر وتحليل التراث المفتعل المتضارب الذي كان يستند إليه أعلم علماء المسيحية الناطقين بالعربية من أعضاء وفد نصارى نجران، ولو شاء القارئ الكريم تفاصيل ذلك، يستطيع أن يقرأ كتابنا المعنون بعنوان «المناظرة الأولى» الذي قامت بطبعه ونشره مكتبة التراث الإسلامي بالقاهرة.

نكتفي ها هنا بأن نشير إلى نص الحوار الذي جرى بين نبي الإسلام ﷺ وبين وفد نصارى نجران:

لم يستطع رجل واحد أن يواجه النبي ﷺ في تلك المناظرة، واستأذن الوفد النجراني أن يمثل الطرف النصراني أمام النبي رجلان من أعضاء هذا الوفد، وسمح النبي ﷺ بذلك.

قال لهما: أسلما.

قالا: قد أسلمنا قبلك.

قال لهما: كذبتما، منعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولدًا، وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير.

قالا: إن لم يكن عيسى ولد الله، فمَن أبوه؟

قال لهما: ألستم تعلمون أن ربنا قَيِّمٌ على كل شيء يحفظه ويرزقه؟

قالا: بلى.

قال لهما: فهل يملك عيسى من ذلك شيئًا؟

قالا: لا.

قال لهما: فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء، وربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث[1].

قالا: بلى.

قال لهما: ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة، ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها، ثم غُذِّيَ كما يغذى الصبية، ثم كان يطعم ويحدث؟

قالا: بلى.

قال لهما: فكيف يكون هذا كما زعمتم؟

صدقت يا رسول الله، لقد حددت يا رسول الله مواطن زيغهم وزيفهم في أوجز حوار وأصدقه دلالة في تاريخ البشرية كلها.

ويلتقط العلامة أحمد ديدات مغزى الحوار وفحواه ويعرضهما بطريقة عبقرية، ففي كتابه المعنون بعنوان «ما اسمه ﷻ؟ What is His name?» وهو الكتاب الذي نوجز موجزه بين يدي القارئ الكريم.

يشير العلامة أحمد ديدات إلى فكرة الألوهية التي مؤداها أن الشعوب كلها، قديمًا منذ الأزل، وحديثًا وإلى الأبد يؤمن غالبية أفرادها بوجود الله، وتعتبر هذه الظاهرة من أدلة وجود الله، ويطلق على هذا الدليل من أدلة وجود الله دليل إجماع الأمم على وجود الله ويطلق على هذه الفكرة باللاتينية تعبير Consensus Gentium.

وبمعرفة غزيرة يقدم العلامة أحمد ديدات الأسماء العديدة التي كانت تطلقها الشعوب قديمًا وحديثًا على معبودهم الجدير بالألوهية في نظرهم حسب اجتهادهم في ذلك، سواء اهتدوا إلى الله بحق أو كانوا من الضالين، ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة التي لا مراء فيها في مواضع كثيرة مثل قول الله ﷻ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴿٢٤﴾﴾ [فاطر: ٢٤]

ويقول الله ﷻ بهذا الشأن أيضًا: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾ [الرعد: ٧]

---

(١) يحدث: يخرج فضلات الطعام والشراب.

وينعي العلامة أحمد ديدات على النصارى زعمهم أن الله هو المسيح، والمسيح صفة لشخص أو لشيء مسح، وليست اسمًا من أسماء الله.

ويذكر العلامة ديدات أنه خلال فترة المناقشة بعد محاضرة من محاضراته، أن تقدم شخص مسيحي إلى مكبر الصوت ليسأل سؤالاً فقال: ما هو اسم الله؟ وقال: أنا سألت وأنا الذي سأجيب، إن اسم الله هو يسوع المسيح Jesus Christ. والمسيح كما أسلفنا إنما هي صفة لشخص أو لشيء تم مسحه.

وينعي العلامة ديدات وجود أوصاف غير لائقة كثيرة بالتوراة تصف الله بما لا يليق، نجتزئ منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

(أ) «فاستيقظ الرب كنائم كجبار معيط من الخمر» [مرموز ٧٨: ٦٥]

(ب) «فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض» [سفر التكوين ٦: ٦]

(جـ) «لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض وفي اليوم السابع استراح وتنفس» [سفر الخروج ٣١: ١٧]

(د) صارع الرب يعقوب، وتغلب يعقوب على الرب في زعم كتبة التوراة بحالتها الراهنة الموجودة بأيديهم، فأعجب الرب بقدرة يعقوب وببراعته في المصارعة معه «فقال له: ما اسمك؟ فقال: يعقوب. فقال: لا تدعي اسمك فيما بعد يعقوب، بل إسرائيل؛ لأنك جاهدت مع الله وقدرت» [سفر التكوين ٣٢ : ٢٨]

ويؤكد العلامة أحمد ديدات في كتابه على أنك ستجد في جميع لغات شعوب العالم اسمًا أو لفظًا يطلق على معبودهم، ويخبرنا أن قبائل الزولو في جنوب إفريقيا يطلقون على معبودهم اسم «أليغاني» ولديهم جبال تحمل نفس هذا الاسم، ويرى أنه قريب الشبه بقول المسلمين: إن الله هو الغني.

ويخبرنا العلامة ديدات أنه بمناقشته مفهومهم لمعبودهم، ذكروا له مستخدمين لغتهم الأفريكانية التي يتقنها العلامه ديدات، وأورد في كتابه هذا نصوصًا منها، وذكر أن مفهومهم لله يقترب كثيرًا من قول الله في القرآن الكريم: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١-٤]

ويذكر العلامة أحمد ديدات أن الهندوس يطلقون على معبودهم اسم برام أغا، ولدى الهندوس أسماء أخرى لمعبودهم مثل «أوم» أي: الحارس، أو الوصي، أو الحامي.

أما الشعوب الأنجلوسكسونية والشعوب الجرمانية، فإنهم يطلقون على معبودهم أسماء من عندهم مثل قولهم:

بالإنجليزية: جود	God	وبالألمانية: جوت	Gott
وبالهولندية: جد	Gudd	وبالبرتغالية: ديوس	Deus
وبالفرنسية: ديو	Dieu	وبالاسبانية: ديوس	Dios
وبالإيرلندية: ديا	Dia	وفي ويلز: ديو	Duw

ويذكر العلامة ديدات أن الفينيقين كانوا يطلقون على معبودهم اسم «آدو Ado» ومنها «Adonai أدوناي» لدى بني إسرائيل، وهو قريب الشبه من «آدو أو أدونيس» لدى الفينيقيين أو البابليين أو الحيثيين.

ويذكر العلامة ديدات أن بني إسرائيل كانوا يجدون اسم يهوا Yhwh في التوراة التي كانوا يكتبون فيها بأيديهم هذا الاسم، ولكنهم كانوا يحرمون النطق به ويقتلون أي شخص ينطق به، وكانوا يستعيضون عنه في النطق باستخدام كلمة «أدوناي» يكتبون لمعبوهم في التوراة بأيدهم اسمًا، ويقرأونه باسم آخر؟

ولقد خصص أحد المؤلفين[1] مائة صفحة من كتابه لأسماء الله التي كانت موجودة لدى شعوب العالم على مدار التاريخ، وذكر مائة وخمسة وخمسين اسمًا أطلقها الناس على معبودهم، وذكر طبيعة الحال نبذة عن مفهومهم لمعبودهم.

حتى الشعراء قدموا للبشرية تصورهم لله من خلال أبيات الشعر كما فعل ذلك الشاعر الإنجليزي «وليام وودز ويرث» في قصيدته المعنونة بعنوان: «كنيسة تنترن» إذ يقول ما معناه: «الله، ذلك المقيم في ضوء الشموس المتماثلة للمغيب، وفي استدارة المحيطات، وزرقة المساء، وتفكير الإنسان، إنه حركة روح تسير جميع

---

(١) المؤلف هو: مولانا فيديرتي. وعنوان كتابه هو «محمد في الكتب المقدسة العالمية» وكان المؤلف يذكر بطبيعة الحال نبذة عن كل دين ومفهوم الإله عند أصحابه.

الذوات المفكرة، لتحدد خلال وجودها جميع المقاصد والغايات والنوايا ليمتد نشاطها ويشمل جميع الأشياء في عالم الناس».

وفيما بين الرجل الأسترالي البدائى والشاعر الإنجليزي يوجد تصور ما لمعبود البشر، وتعبير الرجل البدائى أكثر صراحة وأكثر حسمًا وتحديدًا، لقد وضع ببساطة ووضوح مقياسًا سليمًا يضمن تنزيه الله عن أن يكون بشرًا، مقتربًا بفطرته في ذلك أشد الاقتراب من التصور الإسلامي لله الذي يتبدى في مثل قوله الله في القرآن الكريم: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الأنعام: ١٤]

هذا هو الله الذي يعبده المسلمون، إنه الله يُطْعِمُ ولا يُطْعَمُ، ولقد اقترب الأسترالويد وهو الرجل البدائى الأسترالى بفطرته من هذا المفهوم الإسلامي الروحي السامي لله في نظر المسلمين، عندما اشترط ألا يأكل الإله، وألا يخرج فضلات الطعام، أي أنه اشترط أن يكون الله أتاناتو Atanatu.

ويقول العلامة ديدات بالحرف الواحد: كم هو سهل منطق هذا الأسترالي الأصيل من بقايا سكان أستراليا الأصليين! ومع ذلك ما أشد وما أعجب هذا الجدل الذي يدور حول ألوهية وبشرية المسيح عليه السلام، هل نحتاج إلى هذا الرجل الأسترالويد ليذكرنا بقوة سلاحنا في مواجهة خصوم الإسلام الذين يريدون زحزحته من قلوب المسلمين لإدخال مفهومهم العجيب بشأن ألوهية المسيح في قلوب جميع سكان العالم؟ لقد فقدنا نحن المسلمين كل براعة أو مهارة في فن الدعاية لنصرة ونشر معتقداتنا، بل نكاد نفقد القدرة على الدفاع عنها؛ لأننا توقفنا منذ عدة أجيال عن نشرة دعوة الإسلام بين الأمم المحيطة بنا، ونجح خصومنا في أن يفرضوا علينا أن نغلق أفواهنا فلا نذكر حق الله، ليفتحوا هم أفواههم ليروجوا بين شعوب العالم أباطيلهم، وها هم أولاء النصارى يقرعون علينا أبوابنا، إن هذه الحقيقة لا تخفى حتى على العميان كل العمى الروحي، ولا عن أعين النعام الكثير الذي يخفي رءوسه تحت الرمال في عالم المسلمين في عالمنا المعاصر.

الكويت مثلاً قبل مضى خمسين عامًا لم يكن فيها من النصارى إلا عائلة واحدة، واليوم أصبح في هذا البلد العربي الإسلامي الصغير المساحة المحدود من حيث عدد سكانه، ورغم ذلك أصبح في الكويت خمسة وثلاثون كنيسة.

وهناك طائفة شهود يهوا النصرانية التي تأسست أصلاً في الولايات المتحدة الأمريكية منذ مائة عامًا أكثر، وأصبحت تدعي أن أعضاءها الموجودين في بلد إفريقي مثل نيجيريا كان ولا يزال يتمتع بأغلبية مسلمة، أعضاؤها في نيجيريا هم أكبر تجمع بشري لأعضاء الجماعي في العالم.

وأندونيسيا، وهي أكثر البلاد الإسلامية من حيث عدد السكان المسلمين، يعيش فوق جزرها أكثر من ستة آلاف مبشر مسيحي، يعتبر كل واحد منهم نفسه مبلغًا، إنه ليس قِسًّا من القساوسة العاملين في الكنسة، إنه مهيج ديني Propagator حتى إذا صادف أي متاعب تتنصل الكنيسة منه، ومنها بعد أن كانت تسانده طالما هو يتقدم في مهمته دون مشاكل أو متاعب، إنهم غزاة[١] صليبيون Crusaders جدد يحاولون غزو العالم الإسلامي وغير الإسلامي بعقائد مزيفة، ولكنهم نشطون لا ينفد صبرهم، ولا تَهُن عزيمتهم، ويزدادون عددًا كل يوم، ويزدادون عدة، إنهم يحملون بضاعتهم الزائفة التالفة من إجل إرهاق وحصار وقهر الكفار، والكفار في نظرهم هم الناس الذين لم يدخلوا في النصرانية بعد، ولم يقبلوا بضاعتهم الزائفة التالفة، وماذا يفعل الناس مع طول الزمان عندما لا يجدون أمامهم سوى بضاعة تالفة؟

إن هذه البعثات التبشيرية النصرانية قد أصبحت تمتلك من المطارات الخاصة فوق الجزر الإندونيسية أكثر مما تمتلكه الحكومة الإندونيسية من مطارات، ولديهم البواخر والعبارات راسية بين الجزر متحركة بينها، ويعتمد أسلوبهم على دعوة المواطن المستهدف أو دعوة جماعة من المواطنين من أهل البلاد لتناول المرطبات والتسلي على ظهر واحدة من البواخر أو القوارب أو البخوت أو العبارات،

---

(١) لم يعد هدف الحرب في الوقت الراهن هو استخدام الجيوش لكسب أرض بقوة السلاح، هدف الحرب اليوم هو كسب عقول الناس والسيطرة على تفكيرهم!

وهناك وبكل خبث ومكر ودهاء، وتعويلاً على المغريات الدنيوية وحدها يلقنونه أن السعادة والراحة إنما هي معهم، وليس مع أهل دينه، ويلقنونه مبادئ تأليه الإنسان.

والأدهى من ذلك والأمر -أي الأكثر مرارة- أنهم قد وضعوا لخطتهم هذه في إندونيسيا اسمًا بالغ القحة دون حياء أو خجل أو وجل؛ إذ جعلوا الاسم الكودي لخطتهم هذه في إندونيسيا هو خطة الإفساد حتى النهاية.

إن أكثر من نصف عدد المبشرين بالمسيحية المنصرين للناس الذين يزيد عددهم عن ستين ألف مبشر ومنصر، موجودون الآن في إفريقيا المسلمة التي تتعرض لهجوم مكثف من الصليبية المعاصرة، التي تسعى نحو تحقيق هدف معلن لا مواربة فيه وهو تحويل إفريقيا إلى قارة مسيحية قبل انقضاء القرن الحالي، أي قبل انقضاء القرن العشرين.

وإذا كانت هذه هي صولات الباطل وجولاته، فماذا نحن صانعون؟ نحن معشر المسلمين، الذين أنزل الله ﷻ بين ظهرانيهم القرآن الكريم، أليس الواجب علينا أن نواجه أعداءنا بما لدينا من إمكانات إلهية لا حدود لها لو أننا شرعنا ومضينا في استخدامها؟ يكفي أن نثير سؤال: هل كان يسوع المسيح يأكل الطعام؟

يكفي أن نجعل قول الله ﷻ حاضرًا أمام أذهان البشر؛ إذ يقول الله ﷻ: ﴿لَقَدۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ رُسُلٗاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ ۝٧٠﴾ [المائدة: ٧٠]

وينبري العلامة ديدات في صفحات وسطور هذا الكتاب الصغير ليحطم مغالطات النصارى فيما يتعلق بألوهية المسيح عيسى ابن مريم تحطيمًا.

ويقدم لنا العلامة ديدات تحليلا لُغويا ليثبت لنا أن شعار جماعة يهوا نفسه YHWH(١) إنما هو تحوير لتعبير «يا» كحرف نداء عندما تسبق ضمير المفرد الغائب «هو» ويبدي في غضون ذلك ملاحظة ظريفة ذكية عندما يتساءل: لماذا لا توجد

---

(١) جماعة «لهوا» أو «يهواه» أو «جهوفا» جماعة تبشير مسيحية، يزعمون أنهم هم وحدهم الذين عرفوا اسم الله المكون من أربعة حروف YHWH، ويعرفون بأنهم أصحاب التربيع.

حروف متحركة، وهي الحروف التي تعطي للحروف الساكنة كيفية النطق في شعار جماعي «يهوا» ولماذا ينطقون الباء مفتوحة، وليس بعدها الحرف المتحرك الذي يحتم نطقها بالفتح؟ وهكذا.

ويلاحظ العلامة ديدات، ويحذرنا من أن المبشرين النصارى يحاولون تشويه صورة الإسلام في العالم أمام شعوب العالم، ومثال ذلك أنهم يطلقون على المسلمين تسمية المحمديون The Mohammadions في محاولة لإفهام السذج من الناس أن المسلمين يعبدون رجلاً أعرابيًا اسمه محمد كان... وكان... وكان... .

والحقيقة هي أن المسلمين يعبدون الله وحده لا شريك له ولا يعبدون محمدًا رسول الله ﷺ، والحقيقة هي أن النصارى هم الذين يخلعون صفة الألوهية على سيدنا عيسى المسيح ابن مريم عليه السلام.

وفي ختام بحثه الممتاز يشير العلامة أحمد ديدات إلى أن اسم رب الناس ومعبودهم في الإسلام هو لفظ الجلالة «الله» وغير ذلك إنما هو صفات لله مثل صفات الغني أو الحميد أو العزيز أو الحكيم، أي أن الله يتصف بالغني، وهو جدير بالحمد، وله العزة ويتصف بالحكمة التامة..... إلخ.

كما يشير العلامة أحمد ديدات إلى أن النصارى يتلاعبون باللفظ الدال على معبودهم كما يحلو لهم، فهو مفرد، وهو جمع عدد، وليس جمع تعظيم[١]، وهو مذكر وهو مؤنث في اللغة الإنجليزية على سبيل المثال.

ويحيل العلامة ديدات إلى مادة إله God في قاموس أكسفورد حيث نجد إله God والحرف الأول كبير، ثم إله god والحرف الأول صغير، ثم آلهة goddess، ثم آلهة gods وهكذا.

ويشير العلامة ديدات إلى أن اللغة العربية تطلق اسمًا واحدًا على معبود المسلمين، كاسم علم دال على لفظ الجلالة هو الله، وليس له في اللغة العربية مؤنث، ولا تثنية، ولا جمع له، أليس ذلك من عجيب المصادفات؟

---

(١) جمع العدد في العربية يفيد أكثر من الاثنين، أما جمع التعظيم، فانه يفيد إظهار عظمة المتكلم أو المخاطب، كأن تخاطب مفردًا بقولك سيادتكم أمرتم، أو يتحدث المتكلم قائلاً أمرنا ورأينا.

ويشير العلامة ديدات إلى أن كلمة «إله» العربية كانت موجودة ومستخدمة في الطبعات القديمة من التوراة، أما الطبعات الحديثة منها فقد خلت منها نصوص التوراة وشروح علماء المسيحية عليها.

ويضرب لذلك مثالاً بالطبعة التي صدرت من ترجمة التوراة باللغة الإنجليزية على يد أكبر علماء المسيحية، وهو الدكتور إسكوفيلد، وعاونه في إنجازها ثمانية من علماء النصارى يحمل كل منهم لقب الدكتوراة في اللاهوت، وهم:

(١) الدكتور الأب هنري ج . وستون.

(٢) الدكتور الأب و . ج . مورهد.

(٣) الدكتور الأب جيمس م . جراي.

(٤) الدكتور الأب إيلمور هاريس.

(٥) الدكتور الاب وليام ج . أردمان.

(٦) الدكتور الأب آثرت . بيرسون.

(٧) الدكتور الاب وليام ل . بتنجيل.

(٨) الدكتور الأب آرنو . ج. بيلين.

وكانت كلمة «إله» وكانت كلمة «إلوهيم» مذكورة في بداية شرحهم لسفر التكوين، ولكن في الطبعات التالية تم حذف هاتين الكلمتين: «إله، إلوهيم» ويورد العلامة ديدات -كالعهد به دائمًا- صورة ضوئية تؤكد ما يقول تحت عنوان الآن تراها -أي ترى كلمة إله- والآن لا تراها.

NOW YOU SEE IT!

THE FIRST BOOK OF MOSES

CALLED

GENESIS.

1 1] [1 4

Genesis is the book of beginnings. It records not only the beginning of the heavens and the earth, and of plant, animal, and human life, but also of all human institutions and relationships. Typically, it speaks of the new birth, the new creation, where all was chaos and ruin.

With Genesis begins also that progressive self-revelation of God which culminates in Christ. The three primary names of Deity, Elohim, Jehovah, and Adonai, and the five most important of the compound names, occur in Genesis; and that in an ordered progression which could not be changed without confusion.

The problem of sin as affecting man's condition in the earth, and his relation to God, and the divine solution of that problem are here in essence. Of the eight great covenants which condition human life and the divine redemption, four, the Edenic, Adamic, Noahic, and Abrahamic Covenants, are in this book; and these are the fundamental covenants to which the other four, the Mosaic, Palestinian, Davidic, and New Covenants, are related chiefly as adding detail or development.

Genesis enters into the very structure of the New Testament, in which it is quoted above sixty times in seventeen books. In a profound sense, therefore, the roots of all subsequent revelation are planted deep in Genesis, and whoever would truly comprehend that revelation must begin here.

The inspiration of Genesis and its character as a divine revelation are authenticated by the testimony of history, and by the testimony of Christ (Mt. 19. 4-6; 24. 37-39; Mk. 10. 4-8; Lk. 11. 49-51; 17. 26-29, 32; John 1. 51; 7. 21-23; 8. 44, 56).

Genesis is in five chief divisions: I. Creation (1. 1-2. 25). II. The Fall and Redemption (3. 1-4. 7). III. The Diverse Seeds, Cain and Seth, to the Flood (4. 8-7. 24). IV. The Flood to Babel (8. 1-11. 9). V. From the call of Abram to the death of Joseph (11. 10-50. 26).

The events recorded in Genesis cover a period of 2,315 years (Usher).

CHAPTER 1.

The original creation.

IN the [a]beginning [b][1]God [2]created the heaven and the earth.

Earth made waste and empty by judgment (Jer. 4. 23-26).

2 And the earth was [3]without form, and void; and darkness was upon the face of the deep. And [c]the [d]Spirit of God moved upon the face of the waters.

The new beginning—the first day: light diffused.

3 And God said, Let there be [4]light: and there was light.

4 And God saw the light, that *it*

B.C. 4004.

a John 1. 1.
b Deity (names of). Gen. 2. 4, 7. (Gen. 1. 1; Mal. 3. 18.)
c Holy Spirit. Gen. 6. 3. (Gen. 1. 2; Mal. 2. 15.)
d Job 26. 13. Psa. 104. 30.

---

[1] *Elohim* (sometimes *El* or *Elah*), English form "God," the first of the three primary names of Deity, is a uni-plural noun formed from *El* — strength, or the strong one, and *Alah*, to swear, to bind oneself by an oath, so implying faithfulness. This uni-plurality implied in the name is directly asserted in Gen. 1. 26 (plurality), 27 (unity); see also Gen. 3. 22. Thus the Trinity is latent in *Elohim*. As meaning primarily the Strong One it is fitly used in the first chapter of Genesis. Used in the O. T. about 2500 times. See also Gen. 2. 4, *note;* 2. 7; 14. 18, *note;* 15. 2, *note;* 17. 1, *note;* 21. 33, *note;* 1 Sam. 1. 3, *note.*

[2] But three *creative* acts of God are recorded in this chapter: (1) the heavens and the earth, v. 1; (2) animal life, v. 21; and (3) human life, vs. 26, 27. The first creative act refers to the dateless past, and gives scope for all the geologic ages.

[3] Jer. 4. 23-26, Isa. 24. 1 and 45. 18, clearly indicate that the earth had undergone a cataclysmic change as the result of a divine judgment. The face of the earth bears everywhere the marks of such a catastrophe. There are not wanting intimations which connect it with a previous testing and fall of angels. See Ezk. 28. 12-15 and Isa. 14. 9-14, which certainly go beyond the kings of Tyre and Babylon.

[4] Neither here nor in verses 14-18 is an original *creative* act implied. A different word is used. The sense is, made to *appear;* made *visible.* The sun and moon were *created* "in the beginning." The "light" of course came from the sun, but the vapour diffused the light. Later the sun appeared in an unclouded sky.

3

الآن تراها!

صفحة من الطبعة القديمة التي قام بتحريرها الدكتور إسكوفيلد بمعاونـة ثمانيـة من أكبر علماء المسيحية لترجمـة الكتـاب المقـدس إلى اللغـة الانجليزيـة، والـصفحة تحوي بداية سفر التكوين وتظهر فيها كلمة «الله» باستخدام لام واحدة Aloh يشير إليها السهم.

NOW YOU DON'T

GENESIS

Author: Moses *Theme:* Beginnings *Date of writing:* c. 1450–1410 B.C.

GENESIS is the book of beginnings. It records not only the beginning of the heavens and the earth, and of plant, animal, and human life, but also of all human institutions and relationships. Typically, it speaks of the new birth, the new creation, where all was chaos and ruin. (See also The Pentateuch, p. xvi.)

With Genesis begins also the progressive self-revelation of God which culminates in Christ. The three primary names of Deity—*Elohim*, *Jehovah*, and *Adonai*—and the five most important of the compound names occur in Genesis, and these in an ordered progression which could not be changed without confusion.

The problem of sin as affecting man's condition on the earth and his relationship to God, and the divine solution of that problem, are here in essence. Of the eight great covenants which condition human life and progressively unfold the divine redemption, four—the Edenic, Adamic, Noahic, and Abrahamic Covenants—are in this book, and these are the fundamental covenants to which the other four—the Mosaic, Palestinian, Davidic, and New Covenants—are related chiefly as adding detail or development.

Genesis enters into the very structure of the New Testament, in which it is quoted above sixty times in seventeen books. In a profound sense, therefore, the roots of all subsequent revelation are planted deep in Genesis, and whoever would truly comprehend that revelation must begin here.

The inspiration of Genesis and its character as a divine revelation are authenticated by the testimony of Jesus Christ (Mt.19:4–6; 24:37–39; Mk.10:4–9; Lk.11:49–51; 17:26–29,32; Jn.7:21–23; 8:44,56) and supplemented by the testimony of history. As indicated in notes throughout the book, archaeology bears witness to the historical reliability of Genesis.

Genesis may be divided into five parts: I. Creation, 1:1–2:25. II. The Fall and the Promise of Redemption, 3:1–4:7. III. The Diverse Seeds, Cain and Seth, to the Flood, 4:8–7:24. IV. The Flood to Babel, 8:1–11:9. V. From the Call of Abram to the Death of Joseph, 11:10–50:26.

I. Creation, 1:1–2:25

Creation of the heavens and earth

1 [1]IN the [2]*a*beginning [3]*b*God [4]*c*created the heaven and the earth.

Earth waste and empty

2 And the earth was [5]without form, and void; and darkness *was* upon the face of the deep. And *d*the *e*Spirit of God moved upon the face of the waters.

First day, light diffused

3 And God said, Let there be [6]light: and there was light.

4 And God saw the light, that *it was* good: and God divided the light from the darkness.

5 And God called the light [7]Day,

a Chronology: Intro. p. vi
b Jn.1:1
c Deity (names of): v. 1, Gen. 2:4. (Gen.1:1; Mal.3:18)
d Holy Spirit (O.T.): v. 2, Gen.6:3. (Gen.1:2; Zech.12:10)
e Job 26:13

1(1:1) The Bible begins with God, not with philosophic arguments for His existence.

2(1:1) Scripture gives no data for determining how long ago the universe was created. See *notes* on Gen.5:3; 11:10. Compare Introduction, p. vi.

3(1:1) *Elohim* (English form "God"), the first of the names of Deity, is a plural noun in form but is singular in meaning when it refers to the true God. Emphasis in Gen.1:26 is on the plurality in Deity; in v. 27, on the unity of the divine Substance. (Cp. Gen.3:22.) The plural form of the word suggests the Trinity. See Gen.2:4; 14:18, *note*; 15:2, *notes*; 17:1, *note*; 21:33, *note*; Ex.34:6, *note*; 1 Sam.1:3, *note*; Mal.3:18, *note*.

4(1:1) Only three creative acts of God are recorded in this chapter: (1) the heavens and the earth, v. 1; (2) animal life, vv. 20–21; and (3) human life, vv. 26–27. The first creative act refers to the dateless past.

5(1:2) Two main interpretations have been advanced to explain the expression "without form and void" (Heb. *tohu* and *bohu*). The first, which may be called the Original Chaos interpretation, regards these words as a description of an original formless matter in the first stage of the creation of the universe. The second, which may be called the Divine Judgment interpretation, sees in these words a description of the earth only, and that in a condition subsequent to its creation, not as it was originally (see Isa.45:18, *note*; cp. also *notes* at Isa.14:12; Ezek.28:12).

6(1:3) Neither here nor in vv. 14–18 is an original creative act implied. A different word is used. The sense is *made to appear, made visible*. The sun and moon were created "in the beginning." The light came from the sun, of course, but the vapor diffused the light. Later the sun appeared in an unclouded sky.

7(1:5) The word "day" is used in Scripture in four ways: (1) that part of the solar day of twenty-four hours which is light (Gen.1:5,14; Jn.11:9); (2) a period of twenty-four hours

والآن لا تراها!

عندما أعادوا طباعة نفس ترجمة الدكتور إسكوفيلد ومعاونيه، قاموا بتفتيح الترجمة، وحذفوا اسم الله Alah من الطبعة الجديدة، إنهم يكرهون اسم «الله» ولا يطيقونه! ويشير السهم إلى المكان الذي كانا يجب أن تطبع فيه كله «الله» ولكنها غير موجوده فيه، حذفوها!

الرد على سلمان رشدي
في كتاب وشريط فيديو

لقد قمنا بترجمة محتوى هذا الكتاب الهام، وكذلك محتوى شريط الفيديو في كتاب واحد ضمهما معًا، وأصدرته دار الفضيلة للطبع والنشر بالقاهرة، ويستطيع مَن يشاء الإطلاع عليه كاملاً، ونكتفي هنا بتقديم الفكرة الرئيسة لمحتوى الكتاب ومحتوى شريط الفيديو.

ونود أن نبدأ بمحتوى شريط الفيديو الذي حوى تسجيل محاضرة ألقاها العلامة أحمد ديدات في قاعة ألبرت في قلب العاصمة البريطانية لندن، وأنقل لحضراتكم بدء هذه المحاضرة من واقع شريط الفيديو الناطق بالصورة والصوت كما يلي:

يقدم السيد شريف مالينك، وهو بريطاني مسلم لمحاضرة العلامة أحمد ديدات بقوله:

بسم الله الرحمن الرحيم، جزاكم الله خيرًا، الأخ ديدات... الأخ شام شاد.. الإخوة والأخوات... السيدات والسادة... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ويرد عليه العلامة أحمد ديدات ردًّا مسموعًا من شريط الفيديو، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

ويستطرد السيد شريف مالينك قائلاً: قبل أن أقدم لحضراتكم شيئًا مهمًا، وأرجو أن تصغوا إليه جيدًا؛ لأنني سأسألكم عنه، النص الذي سأقوم بقراءته على حضراتكم الآن هو: «وإذ تحدد مصير الشيطان كمتشرد جوال؛ وإذ كتب عليه عدم الاستقرار، فلقد غدا الشيطان دون مقر معين محدد له؛ لأنه مع أنه بحكم طبيعته الشريرة لا يوجد إن وجد إلا في أماكن فاسدة مثل المياه القذرة والهواء الفاسد عندما تكون ثمة ضرورة لوجوده في مكان ما، إلا أن هذا إنما هو جزء من عقابه الإلهي الذي حاق به، وهو ألا يكون له مكان محدد يؤويه، وألا يسعه فراغ معين يأمن ويستقر فيه ليستريح بأن يريح عليه قدمًا واحدة من قدميه».

أما وقد انتهيت من تلاوة النص الذي أحببتُ أن أقرأه على حضراتكم، فإنني أسأل سؤالاً محددًا، أرجو أن يجيبني عنه مَن يستطيع الإجابة بصدق وأمانة، والسؤال هو: مَن منكم سمع أو قرأ النص الذي تلوته على حضراتكم في غضون هذا العام الأخير، وأين سمعه أو قرأه بالضبط؟ أرجو أن يتكرم مَن قرأ أو سمع هذا النص منكم برفع يده.

ولم يرفع أحد من الموجودين يده ما عدا شخص واحد رفع يده، وأشار العلامة أحمد ديدات إلى هذا الشخص الذي رفع يده، وقال: يوجد شخص واحد، وعدد الحاضرين هنا الليلة هو ستة آلاف شخص.

كانت التجربة بيانًا عمليًا حاسم الدلالة بشأن موضوع الضجة العالمية الكبرى التي أحدثها الغرب حول كتاب سلمان رشدي المعنون بعنوان «آيات شيطانية Saranic Versese» وذلك أن النص الذي قرأه السيد «شريف مالنيك» إنما اقتبسه سلمان رشدي وكتبه في أول صفحة من كتاب الآيات الشيطانية، ومعنى ذلك بكل حسم ووضوح أن شخصًا واحدًا من بين ستة آلاف مثقف في لندن ربما يكون قد قرأ كتاب سلمان رشدي.

والنص الذي قرأه السيد «شريف مالنيك» واقتبسه سلمان رشدي ليجعله في صدر كِتابه المذكور أعلاه، إنما هو في الأصل نص مقتبس من كتاب للأديب البريطاني دانيال ديفو بعنوان: تاريخ الشيطان[1].

ولو كان عدد كبير من الموجودين بالقاعة لسماع المحاضرة، وهم لا ريب من صفوة البريطانيين من أهالى لندن، قد قرأ كتاب سلمان رشدي عن الآيات الشيطانية، لكان قد سارع إلى رفع يده والإجابة بأنه قد قرأ النص المشار إليه في أول صفحة من كتاب سلمان رشدي المعنون بعنوان «آيات شيطانية» ولكن من بين ستة آلاف بريطاني في مدينة لندن لم يقرأ النص المشار إليه إلا رجل واحد، ويعلم الله أين قرأه، فلم يعد ذلك هو بيت القصيد، بيت القصيد -بلا ريب- هو أن الضجة التي أثارها الغرب حول كتاب سلمان رشدي، إنما هي في حقيقة أمرها

---

(١) «Daniel Defoe: The History of the Devil».

ضجة مفتعلة ضد الإسلام على نطاق عالمي، وهو ما يجوز لي أن أسميه باسمه الصحيح «فن افتعال الضجة العالمية ضد الإسلام».

Art of universal Fuss-making against Islam.

وشاركت في الضجة جميع أجهزة الإعلام في العالم كمحطات التلفاز، ومحطات الإذاعة وعلى رأسها إذاعة لندن الناطقة بالعربية، التي دأبت على تغطية أبناء الضجة الفارغة من المحتوى على فترات متقطعة على مدى عدة أعوام، وآخر الأنباء التي طالعتنا بها هو أن سلمان رشدي يطلب من حكومات أوروبا الضغط على الحكومة الإيرانية لإلغاء قرار إهدار دمه الذي أصدره ضد الزعيم الإيراني السابق «الخوميني» وهو قرار بحد ذاته لا يقل عجبًا عن الضجة نفسها، فلا إهدار دم سلمان رشدي أهدر قدرة من دمه، ولا سلمت صورة الإسلام في العالم من الآثار المدمرة لمثل هذا القرار المتعجل غير الواعي بإهدار دم سلمان رشدي، شاركت جميع أجهزة أعلام الغرب المسيحي في الضجة المفتعلة الخالية من أي مضمون حقيقي يستحق هذه الضجة إنها ضجة من أجل شيء A Fuss about Nothing .

لقد دفعت دار النشر «بنجوين» بالاشتراك مع دار النشر «فايكنج» للمدعو سلمان رشدي الذي احترف كتابة الروايات في لندن، دفعوا له ثمانية مائة ألف دولار (٨٠٠٠٠٠ دولار) لكي يكتب رواية تاريخية يصور فيها شخصيات إسلامية على أن يكون من بينها شخصيات زوجات رسول الإسلام والصحابة، مع الاهتمام بتصوير قيم الحياة الإسلامية في مقابلتها مع قيم الحضارة الغربية لبيان عظمة قيم الحضارة الغربية وانحطاط قيم الحضارة الإسلامية ...... الخ. حددوا له المهمة، واجتهد سلمان رشدي في إنجازها لهم بعد أن فهم منهم المطلوب بالضبط، وقام بالمهمة أسوأ قيام ليحصل على المبلغ المرصود له.

ولقد أثبت العلامة أحمد ديدات مستشهدًا بنصوص الرواية نفسها أن سلمان رشدي قد أساء إلى النصارى واليهود وإلى البريطانيين أنفسهم وإلى ملكة بريطانيا، وإلى رئيسة وزراء بريطانيا آنذاك السيدة مارجريت ثاتشر الشهيرة بلقب ماجي[١] في

---

(١) لاحظ أن اللقب الذي كانت مارجريت تاتشر مشهورة به هو «ماحى» ولاحظ أيضًا أنها كانت

مثل قول سلمان رشدي على لسان إحدى الشخصيات التي ابتدعها خياله المريض، يجعل سلمان رشدي إحدى شخصيات روايته تقول بالحرف الواحد بالصفحة رقم ٢٧٠ من روايته تلك: آه، صحيح إنها ماجي[1] راديكالية محافظة، إن ما تريده ماجي تصل إليه فعلاً، وهي تعتقد أنها تستطيع أن تحقق لنفسها النكاح بكل ما تعنيه حروف الكلمة، بين جنبات عربات معدة للنكاح في رحاب هامبشاير، ولم يستطع أحد من قبل أن يحاول مجرد محاولة أن يخلق طبقة اجتماعية سمتها الرئيسية هي التهتك والخلاعة والمجون وممارسة النكاح على أوسع نطاق، كما حققت ذلك ماجي، إن هذا البلد قد اكتظ كل مكان فيه بالإجساد العجوزة التي أنهكتها كثرة ممارسة النكاح»[٢].

ولماذا نذهب بعيدًا إلى ص ٢٧٠، تعالوا نطالع بضعة سطور على الصفحة الأولى بمدخل الرواية لنجد سلمان رشدي، يصف أهل لندن الذين يعيش بين ظهرانيهم بأنهم أبناء الزنا، وذلك في قوله على لسان أحد شخصيات روايته، وهم أفراد من الشرق في طائرة في سبيلها إلى الهبوط في مطار لندن، ويجعل سلمان رشدي أحدهم يقول للآخر: مزدهرة لندن يا باهي! ها نحن أولاء نحضر إلى لندن. وأبناء الزنا، أولئك الذين يعيشون تحتنا بهذه المدينة لا يعرفون ماذا سيصدمهم!

حتى ملكة بريطانيا لم يعفها سلمان رشدي من بذاءته، ويحسبون أن مثل هذه البذاءة يضير الإسلام في شيء أو تنال من مكانته أو مصداقيته الإلهية.

فلتكن رواية سلمان رشدي بذيئة، وليكن سلمان رشدي قد أساء الأدب في تصوير شخصيات ساقطة في روايته، بعد أن أطلق عليها أسماء بعض زوجات الرسول ﷺ، فإن ذلك لا يعدو أن يكون خيالاً مريضًا، هل عاشت واحدة من زوجات الرسول في لندن؟ بالطبع كلا، وأهل لندن في القرن العشرين أدرى

زعيمة حزب المحافظين، وكانت رئيسة لوزراء بريطانيا كانت راديكالية محافظة.

(١) كان العلامة ديدات قد حذر المستمعين سلفًا في الإعلان المطبوع عن محاضرته أنهم سيسمعون كلامًا بذيئًا لدى مناقشة رواية سلمان رشدى وهو موضوع المحاضرة.

(٢) الآيات الشيطانية ص ٢٧٠.

بشعابها، كما أن أهل مكة في القرن السادس الميلادي أدرى بـشعابها، وشـتان بـين شعاب وشعاب.

ولقد أثبت العلامة ديدات زيف دعاية الغرب ضد الإسـلام باسـتخدام روايـة سلمان رشدي، وافتعال الضجة حولها بوسائل بالغة الفعالية، ومنع سلمان رشـدي من النزول من الطائرة بمطار في جنوب إفريقيا، بعد أن أقنع السلطات ببذاءة روايته المسماة آيات شيطانية، فجزاه الله خير الجزاء.

العرب وإسرائيل

لقاء مع عضو مجلس الشيوخ الأمريكي بول فندلي، مسجل على شريط فيديو

قمتُ بنقل محتوى شريط فيديو موضوعه «العرب وإسرائيل Arabs @ Israel» ينتجه ويوزعه المركز الإسلامي للإعلام بمدينة ديربان بجمهورية جنوب إفريقيا، حيث استقدم العلامة أحمد ديدات عضو مجلس الشيوخ الأمريكي السابق بول فندلي ليحاضرا الناس سويًا بشأن مشكلة الشرق الأوسط المتمثلة في النزاع بين العرب وإسرائيل، وقامت دار الفضيلة بالقاهرة بطبع ونشر هذا الكتاب، وكان هذا الكتاب أول إنتاج لها، وهو بعنوان العرب وإسرائيل شقاق أم وفاق؟

ولقد كتبت في بداية مقدمة الترجمة العربية المشار إليها ما يلي: «تستطيع حكومة من الحكومات لدولة من الدول أن توفر الأموال اللازمة لتحقيق مثل هذا اللقاء الذي حققه الداعية الإسلامي أحمد ديدات لمناقشة ومدارسة ومناصرة القضية الفلسطينية بمدينة «كيب تاون» بجمهورية جنوب إفريقيا، ولكن توفير القدرات الفنية والمواهب اللازمة لإنجاح مثل هذا اللقاء كما أنجحه العلامة أحمد ديدات، أمر بعيد المنال بغير جدال إن لم يكن في نطاق المحال».

يبدأ اللقاء بآيات من الذكر الحكيم، فيرتل مقرئ شاب بصوت وقور جميل باللغة العربية ما تيسر له من آخر سورة الفجر وأول سورة البلد، ويخيل إلى المشاهد لشريط الفيديو الذي يحوي وقائع وتفاصيل هذا اللقاء أن اللقاء يجري في بلد عربي إسلامي عريق في عروبته وإسلامه، وليس في جنوب إفريقيا.

ويدل كل شيء منذ البداية على إمكانات نجاح باهر لهذا اللقاء العظيم، حيث تتضافر على إنجاحه عبقرية المكان مع عبقرية الإنسان، وتتمثل عبقرية المكان في أن المكان هو آخر مكان يخطر على بال إنسان أن يعقد فيه لقاء لمناصرة ومؤازرة قضية العرب الكبرى في فلسطين.

وتتجلى عبقرية الإنسان فيما سيشهده القارئ الكريم على صفحات هذا الكتاب من إبداع فكري، تبارى في إزجائه إلى المشاهدين كل من العلامة أحمد ديدات وعضو الكونجرس الأمريكي السابق بول فندلي.

ونوجز أشد الإيجاز فنقول: إن عضو الكونجرس الأمريكي السابق بول فندلي كان قد توفر على دراسة قضية الشرق الأوسط في العقود الأخيرة، وكان يفوز دائمًا بعضوية الكونجرس الأمريكي ومجلس الشيوخ على مدار ثلاثين عامًا، وعندما اتضحت له حقائق الجانب العربي في مسألة الشرق الأوسط، صحا ضميره، وناصر الحقوق العربية، وقاوم نفوذ جماعات الضغط الصهيونية في أمريكا، فخسر مقعده في الكونجرس الأمريكي نتيجة لذلك، ولكن روحه القوية لم تستسلم أبدًا، لقد قام بتأليف كتابين أحدهم ضخم جدًّا بعنوان «مَن يجروء على الكلام» فضح فيه أساليب جماعات الضغط الصهيونية وخطرها على مصالح أمريكا، والكتاب الثاني أقل حجمًا وهو بعنوان «هناك من يجرؤ على الكلام» إنه مثال للأمريكي المخلص القوي المنصف للحق دون ريب.

وهاك أيها القارئ الكريم بضع سطور مما قاله في هذا اللقاء، ولقد ذكر أنه يستمد معلوماته من عالم يهودي أمريكي اسمه «شاهاك» يهتم بجمع المعلومات عن الممارسات الإسرائيلية الهمجية ضد العرب في فلسطين من الصحافة العبرية والإذاعة العبرية، وهكذا يحدد «فندلي» مصدر معلوماتيه عندما يقول: «يجب أن يعرف الأمريكيون وأن يتحملوا ما يستحقونه من لوم من جراء ما يحدث في الشرق الأوسط، دون مساندة حكومة أمريكا لإسرائيل لا تستطيع إسرائيل الاستمرار في الحياة».

ويقدم فندلي البراهين والأدلة على قوله ذاك. وهو يعتمد في حديثه على الإحصاءات الدقيقة عندما يقول على سبيل المثال: إن اليهود يمنعون الماء الكافي لري تلك المساحات الضيئلة من الأراضي الزراعية التي يقوم الفلسطينيون بزراعتها إن اليهود يحرمونهم من فرص التعليم، إن اليهود يحرمونهم من المواصلات المريحة بكافة أنواعها، إن اليهود يحرمونهم من الخدمات الطبية، إن اليهود يحروموهم من الخدمات السلكية واللاسلكية.

ويستطرد فندلي قائلاً: ولنتكلم عن المياه كمثال، إن إسرائيل تعرف جيدًا أهمية المياه، ولكن تصرفهم وتحكمهم في مياه الفلسطينيين قبيح وفظيع، إن الفلسطينيين

في الضفة الغربية المحتلة مثلاً لا يحصلون على أكثر من ١٧٪ من المياه المتاحة بهذه الضفة، والباقي من المياه وهو ٨٣٪ منها إنما هو مخصص للمستوطنين الجدد من اليهود الذين تتزايد أعدادهم وتتزايد مساحات الأرض الزراعية التي تدخل بالتدريج في ملكية المستوطنين اليهود، والمستوطن الإسرائيلي يحصل على ١٢ مثلاً لما يحصل عليه الفلسطيني من المياه، وعمليات ري الأرض الزراعية تخطر في أحيان كثيرة على أصحاب الأرض العربية حتى يتم ري أراضي الإسرائيليين أولاً، وفي قطاع غزة نجد أن الأمر أكثر سوءًا؛ إذ أن انتاج الفلسطينيين من الطعام يضمر ويتضاءل، بينما يزدهر ويتزايد إنتاج المستوطنين الإسرائيليين.

ويقول: ولنستمع إلى هذه الحقيقة الرهيبة، إن ٢٥٠٠ من المستوطنين اليهود قد خصص لهم ٤٠٪ من الأراضي الزراعية بقطاع غزة، وخصص ٦٠٪ من الأراضي الزراعية للعرب البالغ عددهم ٧٠٠٠٠٠ نسمه، ومعنى ذلك أننا نجد أن نصيب المستوطن الإسرائيلي من الأراضي الزراعية بهذه المنطقة يبلغ ٢٨٠ مثلاً لما يملكه الفلسطيني بها.

ويقول فندلي: إنني كأمريكي لا يسعني إلا أن أطأطئ الرأس خجلاً إزاء هذه الأوضاع الشاذة.

ويكرر بول فندلي هذه المقولة بعد كل مقطع من مقاطع محاضرته التي أثرى بها هذا اللقاء الممتاز في بلدة كيب تاون في جنوب إفريقيا.

هذا، وبينما تحدث بول فندلي عن الجوانب المادية والاقتصادية والأمنية والسياسية والتعليمية والصحية للمشكلة الفلسطينية، أي الجوانب الدنيوية بوجه عام وكان حديثه بالغ الروعة، سنجد أن العلامة أحمد ديدات يتحدث عن الجانب الديني والروحي من الموضوع وكان حديثه أكثر روعة.

لقد عزا العلامة أحمد ديدات المشكلة بين العرب وإسرائيل إلى الاعتبار الديني أساسًا؛ إذ يقول: «لقد دعا في اليهود هنا في جنوب إفريقيا تلفونيًا لإلقاء محاضرة عن القرآن الكريم واليهود، هكذا حددوا لي موضوع المحاضرة التي كانوا يرغبون سماعها مني، وقبلت أن أذهب إليهم، وتحدثت إليهم في الموضوع مباشرة، وقلت

لهم: إن المشكلة بين اليهود والمسلمين في فلسطين يمكن حلها بسهولة كبيرة جدًّا، إن اليهود موحدون بالله والمسلمون موحدون بالله، وهنالك الكثير من أوجه الشبه والاتفاق بين العقيدتين، والمسلمون واليهود أبناء عمومة، ولكن الفرق الكبير إنما يكمن في تسمية كل من الديانتين The Label، وتغدو المشكلة إذن هي مشكلة تغيير أتباع أي الدينين لاسم ديانته، تغدو المشكلة بتعبير أوضح هي، مَن يغير اسم ديانته ويقبل الدخول في دين الآخر واعتناقه؟

إن رفض التفاهم والتعايش يحدث في هذه المسألة بالضبط، إن المعيشة بين المسلمين واليهود في فلسطين تشبه الجسم الإنساني عندما يعتل قلبه، ويقوم الجراحون بالقيام بعملية جراحية لوضع قلب جديد سليم بجسم المريض، إن الأطباء يجرون العملية الجراحية، ولكن الجسم يحدد بطبيعته التي فطره الله عليها من العدو ومن الصديق، وإذا لم يقبل الجسم القلب الجديد، نجد أن الأطباء يوقفون العملية، وأنتم أيها اليهود لا يقبل بكم جسم العالم العربي؛ لأن دقات قلب اليهودي تقول: يهودي ... يهودي ... يهودي، بينما تقول دقات قلب العربي: مسلم ... مسلم ... مسلم!

هكذا يتحدث العلامة أحمد ديدات ليصل إلى كبد الحقيقة بذكاء عبقري منقطع النظير، وما ذاك إلا لمحة موجزة لبضعة سطور من محاضرة ضافية طالب فيها اليهود مطلبا بالغ الأهمية والخطورة والحيوية، طالب اليهود بأن يتعقلوا باعتبار أن التعقل إنما هو لمصلحتهم الحقيقية، وطالب اليهود بأن يرعوا الله ... وإلا فإنهم يعرفون جيدًا كيف أن مكرهم يستحيل أن يغلب مكر الله، والله خير الماكرين.

وللعلامة أحمد ديدات كتاب آخر كتبه بمفرده بعنوان مستقبل الصراع بين العرب وإسرائيل، وقمت بترجمته وهو تحت الطبع منذ وقت طويل لدى دار الفضيلة للطبع والنشر بالقاهرة.

ولكن هذا اللقاء العجيب المسجل على شريط فيديو تخليدًا لجدواه التي لا تقدر بمال ويعز الحصول عليها إلا من خلال جهود عبقرية إنما هو تحقيق لهدف غال، عزيز المنال، دون جدال.

وبعد أن ألقى كل من المحاضرين العظيمين محاضـرته، طالعتنـا إجابـات المستر بول فندلي علـى أسئلة الموجـودين بالعجـب والعجـاب فيمـا يتعلـق بممارسـات الصهاينة ودعايتهم المضللة طـوال عـشرات الـسنين، حتـى جعلـوا الـرأي العـام الأمريكي مناصرًا لأباطيلهم، فماذا يفعل العرب والحق كل الحق في جانبهم؟

مناظرة ديدات وسويجارت

لم أقم بنقل محتوى شريطي الفيديو اللذين يحملان تفاصيل وقائع المناظرة الشهيرة التي جرت بين العلامة أحمد ديدات والقس الأمريكي جيمي سويجارت بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٨٧م، شاهدت الشريطين، واستمعت إلى محتوى كل منهما باللغة الإنجليزية، إذا كان صديق من الإسكندرية قد أعارهما لي، ثم استرد بعد يومين فقط، ولذلك فأنا أعتمد في إيجار محتوى هذه المناظرة على الذاكرة بعد مضي حوالى ست سنوات من مشاهدتي لهذه المناظرة مسجلة على شريطي فيديو.

لقد بدا القس الأمريكي جيمي سويجارت كرجل يرتدي الملابس الإفرنجية في غاية الأناقة، كواحد من أبطال أفلام السينما الذين يتمتعون بأعلى درجات الوجاهة، كان طويل القامة، حسن القسمات، وكان يرتدي بدلة ممتازة التفصيل لونها بني فيما أذكر، وقميصًا أبيض، ورابطة عنق يتسق لها من لون البذلة كل الاتساق، يثبتها دبوس ذهبي لامع لمعان الذهب الخالص، وربما لم يلبس أحد أبطال الأفلام السينمائية ملابس كاملة، كأن يرتدي قميصًا وسروالاً فقط، ولكن القس الأمريكي جيمي سواجارت كان يمكنه الحصول على تقييم عشر درجات من عشر درجات فيما يتعلق بأناقة الملابس وتمامها.

ولقد عرفت فيما بعد أن هذا القس الأمريكي جيمي سويجارت يمتلك محطة بث تلفازي، مثله في ذلك مثل جيرى فولويل وغيره ممَن يسيطرون على الإعلام الديني في الولايات المتحدة الأمريكية، ويمتلك مطبعة ويمتلك مجلة، وهذه الممتلكات الشخصية التي تصل قيمتها إلى مئات الملايين من الجنيهات تدر عليه دخلاً شهريًا يقدر بطبيعة الحال بالملايين.

ولقد عرفتُ أيضًا أن هذا القس الأمريكي جيمي سويجارت كان يدأب على زيارة الكليات والمعاهد الأمريكية، ويطلب إحصاء بعدد الطلبة المسلمين الملتحقين بها، فإذا وجد عددًا كبيرًا منهم في كلية أو معهد، يتبرع للكلية أو المعهد بمبلغ كبير من المال، ويطلب عمل محاضرة لهم ويتعمد التهجم على الدين الإسلامي، ويطلب

أن يتقدم أي مسلم لمناظرته ليثبت أن المسيحية لكي الدين الصحيح، وليثبت أن عيسى إله وليثبت أن الإنجيل هو كتاب الله بحق.

واستنجد الطلبة المسلمون بأمريكا، استنجدوا بالعلاّمة أحمد ديدات، لينقذهم من مضايقات القس الأمريكي جيمي سويجارت المستمرة وتحديه العلني لهم، فضلاً عما كان يبثه في البرامج التلفازية من محطة التلفاز التي يمتلكها من أكاذيب ضد الإسلام.

واستجاب العلامة أحمد ديدات للنداء، وتمت ترتيبات إجراء المناظرة المرتقبة في الولايات المتحدة الأمريكية.

ومن خلال شريط الفيديو كان العلامة أحمد ديدات يبدو بملابسة المتواضعة، والطاقية البيضاء فوق رأسه، وقميصه مفتوح، ولا يرتدي رابطة عنق.

لم أكن أعرف شيئًا عن هذا المدعو أحمد ديدات، وقلت في نفس لدى بدء تشغيل شريط الفيديو الذي تحوي تفاصيل هذه المناظرة: كان الله في عون هذا الرجل، ماذا سيفعل إزاء هذا العملاق الأمريكي ذي المظهر اللامع البراق الجذاب، وستجرى المناظرة باللغة الإنجليزية طبعًا، وها هو ذا مدير اللقاء يتحدث باللغة الإنجليزية لتقديم تفاصيل المناظرة، وكيف سيكون نظامها؟ وخشيت أحد أمرين: أحدهما: ألا تكون درجة إجادة العلامة ديدات للغة الإنجليزية كافية لبيان أفكاره على نحو جيد؛ وثانيهما: أن تكون معلوماته بشأن الموضوعات الإسلامية أقل من أن تفي بما يتطلبه الموقف.

وتبدد نصف ما كنت أخشاه عندما استمعت إلى كلمة القس جيمي سويجارت، وتبدد النصف الثاني مما كنت أخشاه عندما تكلم العلامة أحمد ديدات، كان موضوع المناظرة هو: هل الإنجيل هو كلام الله؟

ولقد اتفق الطرفان على أن يبدأ القس جيمي سويجارت الكلام منتصرًا لوجهة نظره لمدة ثلاثين دقيقة، ثم يتحدث العلامة ديدات لمدة أربعين دقيقة، ثم يتحدث القس جيمي سويجارت لمدة عشر دقائق، وخصصت ساعة لإجابة أسئلة الحاضرين بتوجيه سؤال إلى كل من المتناظرين، وربما أحب القس جيمي سويجارت أن تكون

له الكلمة الأولى والأخيرة من حيث الشكل، فكانت الكلمة الأولى والأخيرة للعلامة ديدات من حيث الموضوع.

لم يستطع القس الأمريكي أن يقدم دليلاً واحدًا يثبت أن الإنجيل كلام الله، وماذا عساه أن يملك من دليل على ذلك؟ إنه شأنه في ذلك شأن غيره، لا يمتلك مثل هذا الدليل البتة، وإن كان أحد يمتلك مثل هذا الدليل فليتفضل ويتقدم به إلى الناس، وحتى يتم ذلك، لا يمتلك أي شخص مثل هذا الدليل، ولكنه غرور جيمي سويجارت هو الذي جعل نفسه تسول له أنه يستطيع أن يثبت أن الإنجيل هو كتاب الله، وأن الكلام الموجود في الإنجيل هو كلام الله، لم يشاهد جيمي سويجارت ولا أي إنسان معاصر الله ﷻ يملي التوراة على سيدنا موسى، ولا توجد النصوص الأصلية للتوراة، إنهم يعترفون بضياعها، ولقد ماتت اللغة التي كتبت بها النصوص الأصلية، والموجود إنما هو ترجمات وإزاء صعوبة مهمته، بل استحالتها، حاول جيمي سويجارت عندما وجد نفسه في مواجهة الجماهير وارتضى أن يمثل أمامهم دور البطل الذي سيحقق المستحيل، إزاء المهمة المستحيلة التحقيق التي أوقع نفسه في مواجهتها عمد إلى خطة أمريكية ساذجة!

حاول القس جيمي سويجارت في إطراء علم ومزايا العلامة أحمد ديدات، وحاول أن يطري الإسلام، وحاول أن يغمر المسلمين بالثناء، ويبدوا أن ذلك كان بهدف مأمول هو أن يرد العلامة ديدات على التحية بمثلها، فلا يذكر شيئًا بشأن حقيقة الإنجيل، ولا يذكر أن الإنجيل بعهديه القديم والجديد، بصورته الراهنة ليس كلام الله.

قال القس سويجارت فيما أذكر مستهلاً كلامه في بداية الدقائق الثلاثين المخصصة له، قال: يكفي أن هذا العالم البارز من العالم الإسلامي، السيد أحمد ديدات قد حضر ليكون معنا في مدينتنا، ولقد تقابلت توًا عصر هذا اليوم مع السيد ديدات، وهو من ذلك الطراز من الرجال الذين تقابلهم فتحبهم فورا.

وسنرى كيف يناقض القس جيمي سويجارت نفسه بعد أن يتحدث العلامة ديدات لمدة أربعين دقيقة، ليثبت ويقدم البراهين الدامغة على أن الإنجيل بحالته

الراهنة ليس كلام الله، سنرى كيف يناقض القس الأمريكي جيمي سويجارت نفسه بكل بساطة وسهولة، وفي ظرف ما لا يزيد عن ساعة ونصف ساعة، ثم سيقول عن العلامة ديدات كلامًا ينطبق على جيمي سويجارت تمام الانطباق، ولا ينطبق على العلامة ديدات بأي حال.

ثم انطلق القس جيمي سويجارت إلى الغمز في الإسلام من ناحية إمكانية تعدد الزوجات في الإسلام[1]؛ إذ قال: «إن العلامة ديدات أخبره أن الإسلام يبيح الزواج من أربع زوجات فقلت له: حسنًا يا مستر ديدات. إن المسيحية تسمح لنا بواحدة فقط، ولذلك اصطاد أفضلهن بأول قذيفة أطلقها.

ومن الغريب أن أتهم وأدين القس جيمي سويجارت باتخاذ عشيقة بالإضافة إلى زوجته، وثبت عليه أمام القضاء الأمريكي أنه قد عاشر فتاة أمريكية معاشرة الأزواج دون زواج، مما حدا بها أن تقاضيه فعلاً، وحكم لها القضاء الأمريكي بتعويض مالى ضخم، وكان ذلك بعد هذه المناظرة ببضع سنين.

ويحاول القس سويجارت اطراء المسلمين ومعتقداتهم، ولكن يغلب عليه الكفر فيقول كلامًا متناقضًا على الوجه التالي وبالحرف الواحد فيما أذكر، وشريط الفيديو موجود يستطيع مَن يشاء مراجعته، يقول كلامًا متناقضًا على الوجه التالي:

---

(١) قضية إمكانية تعدد الزوجات في الإسلام قضية تشبعت بالفعل بالإيضاحات التي تجعل إمكانية تعدد الزوجات وإباحة إمكانية الطلاق أيضًا من مزايا، وليس من مثالب وعيوب الإسلام، ولقد أجازت المسيحية الطلاق، وكان البابا ليو الثامن يساوم إمبراطور فرنسا ليجيز له الطلاق مقابل أن يرسل له جنودا فرنسيين، ولو عملت إحصاءات دقيقة، والعقلية الحديثة مغرمة بالإحصاءات ودلالاتها لا تفضح أن نسبة ضئيلة من الرجال المسلمين يتزوج الواحد منهم أكثر من امراة، تمنع ظروف الحياة وتكاليفها الإنسان المسلم من ذلك، بل المشكلة هي أن نسبة كبيرة من الشباب لا يستطيعون الزواج من إمرأة واحدة لارتفاع تكاليف ذلك عمليًا، وتعدد الزوجات يحل مشاكل المجتمعات بعد الحروب التي يحدث فيها كثير من الرجال، ولقد ثبت أن عدد النساء في كثير من البلاد أكثر من عدد الرجال، وتصل الزيادة في عدد النساء عن الرجال في أمريكا إلى ٧,٤ مليون أمرأة.

لي كثير من الأصدقاء المسيحيين: وقال لي أحدهم ذات يوم: في المسيحية نكتفى بامرأة واحدة. فقلت له مداعبًا: أنت امرأة واحدة تكفيك، ولا تكفى المرأة الرجل المسلم، وأنا شخصيًا يكفينى نصف امرأة.

أريد أن أقول من البداية إن كل إنسان مسيحي صادق يحب المسلمين، وأنا أعني هذا القول من كل قلبي، لقد تعلمت احترام القرآن، وتعلمت احترام المسلمين، ولكني لا أومن أن القرآن كلمة الله، ولا أومن أن محمدًا نبي الله، وأحترم عقيدتكم، وأحترم إخلاصكم لدينكم.

هكذا تحدث القس جيمي سويجارت حديثًا متناقضًا من أوله إلى آخره! ثم يحاول التدليل على صحة الإنجيل، وأنه هو كلمة الله بأدلة مثل هذه التي يقول فيها: إنني أقف مرة إثر مرة أمام مشاهدي التلفاز، وأرفع بيدي هذا الإنجيل (ويرفع الإنجيل على امتداد ذراعه) أو أرفع واحدًا مثله (يحاول أن يوحي أن أناجيل المذاهب المسيحية ليست مختلفة المحتوى، وهو غير صحيح بالأدلة والبراهين) وأنا واثق أن معظمكم قد شاهدني أفعل ذلك، لقد فعلت ذلك ورفعت الإنجيل عاليًا أمام المشاهدين على شاشة التلفاز في مائة وأربعين بلدًا في مختلف أرجاء العالم. (فلننظر كم يبلغ نشاطهم من أجل ترويج بضاعتهم) [(١)] ولقد أعلنت أن هذا الكتاب، الإنجيل، هو كلمة الرب (هل يكفي هذا دليلاً أم أن هذا هو محتوى القضية التي تتطلب دليلاً إن وجد، ولا وجود لمثل هذا الدليل هل يكفي أن يقول شخص ما مولود في القرن العشرين عن كتاب ما إن هذا الكتاب يحوي بين دفتيه كلمة الرب؟ هل يكفي؟ ندع للقارئ أن يتأمل وأن يتدبر نفسه مثل هذه الأدلة، ولم يزد القس جيمي سويجارت عن ترديد مثلها؛ إذ يقول إن فلانًا الذي يشغل منصب كبير القضاة في أمريكا قد قال: إن الكتاب المقدس هو كلمة الله ... وهكذا).

ولقد لاحظت أن القس سويجارت لم يستشهد بأية نصوص تذكر من الإنجيل فيما عدا نص واحد تعمد أن يذكره وأن يقحمه ضمن كلامه وهو: «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد؛ لكيلا لا يهلك كل مَن يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» [يوحنا ٣: ١٦]

وسنرى أيها القارئ الكريم أن هذا النص بالذات من النصوص التي يعتريها التحريف، فضلاً أنه من الواضح أنه لا علاقة له بإثبات مصداقية الإنجيل، هل

---

(١) الكلمات بين القوسين للمؤلف وليست كلمات القس جيمى سويجارت.

الإنجيل صادق لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل مَن يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية؟

وأتذكر جيدًا أن العلامة ديدات قد أعلن في بداية كلمته أن الإنجيل بعهديه القديم والجديد ليس هو كلمة الله، وقدم الأدلة والبراهين المقنعة، وقدم أمثلة عديدة لوجود أكثر من نص من الإنجيل، وأن هذه النصوص غير متطابقة وغير متماثلة المحتوى.

وأشار العلامة ديدات إلى النص الوحيد الذي استخدمه القس سويجارت [يوحنا ٣: ١٦] وقال له: لقد قلت الليلة: «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد his unique son». وقبل أن نلتقي سمعتك تقولها بصيغة أخرى إذ تقول: «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذلك ابنه المولود begotten son». والاختلاف في الصياغتين ليس عفو خاطر أو وليد سهو أثناء ارتجال متحدث ما.

إن بعض الطبعات المطبوعة من الإنجيل تستخدم تعبير: حتى بذل ابنه الوحيد unique[١]، وكانت الطبعات المطبوعة من الإنجيل قبلها ومنذ عهد قريب تستخدم تعبير «حتى بذل ابنه المولود له his begotten son» كيف يكون هذا كلام الله وتحرفونه مثل هذا التحريف؟ هل طبعة الملك جيمس هذه تحوي كلمة الله؟ أم تحوي طبعة الروم الكاثوليك كلمة الله وفيها سبعة أسفار زائدة عن طبعة البروتستانت التي أقسمت عليها قسم القساوسة؟ في طبعة الروم الكاثوليك ثلاثة وسبعون سفرًا، بينما في طبعة البروتستانت ستة وستون سِفرًا، أين ذهبت الأسفار الستة من كلمة الله، خذفتموها؟ والأسفار المستبعدة من الكتاب المقدس هي: طوبيا، يهوديت، بعض سفر أوستير، الحكمة، يشوع بن سيراخ، تتمه دانيال، المكابيين الأول، المكابين الثاني. إنكم لا تزالون تنقحون وتحذفون وتضيفون إلى ما تزعمون أنه كلام الله، في حين أنه منسوب إلى مؤلفيه، بل إن نسبته إلى مؤلفيه

---

(١) كلمة يونيك unique تعنى الوحيد المتفرد الذي لا نظير له، وكلمة بجوتن begotten تعنى المولود، وإزاء الحرج الذي واجهه المسيحيون في ترويج تعبير الابن المولود بدلوها دون أي كلفة أو حرج باستخدام تعبير الابن الوحيد unique son.

أمثال: متى، ولوقا، ومرقس، ويوحنا مشكوك في صحتها، ولا توجد أصول لها من حيث هم أشخاص كتبوا هذه الكتب المنسوبة إليهم، إنَّ نحترم كلام الله كما أوحاه الله إلى سيدنا موسى، فأين هو؟ وبأية لغة كان كلام الله إلى سيدنا موسى؟ الموجود هو ترجمة غير صحيحة إلى لغات مختلفة، إن هذا العيب غير موجود بالنسبة لكتاب يحوي كلام الله بحق هو القرآن الكريم، لماذا؟ لقد أنزل الله القرآن وأوحاه إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ باللغة العربية، وأصل الكلام الذي أوحاه الله باللغة العربية موجود، ويستطيع مَن يشاء أن يصوب ترجمة أي مترجم لو أخطأ المترجم نقل المعنى من اللغة العربية إلى أي لغة أخرى، وفضلاً عن ذلك لا يتعبد أحد بترجمة معاني القرآن في الصلاة لدى المسلمين، مهما كانت اللغة الأصلية للإنسان المسلم يلزمه أن يتلو شيئًا من القرآن أو فاتحة الكتاب على الأقل في كل ركعة باللغة العربية، ولا يتعبد مسلم في الصلاة بأي ترجمة لمعاني القرآن الكريم.

بهذا الكتاب الذي تزعمون أنه كلام الله وما هو بكلام الله، بل هو منسوب إلى مؤلفين، وتستخدمون في اللغة الإنجليزية تعبير وفقا لـ According to لبيان نسبة كل كتاب إلى مؤلفه، كما هو الشأن في معظم كتب العهد القديم فيما عدا ما تطلقون عليه أسفار موسى التي يتداخل فيها الكلام المنسوب إلى سيدنا موسى مع الكلام المنسوب إلى يوشع، أنتم الذين تزعمون نسبته إلى يوشع عندما واجهكم تناقض ضخم مثل التناقض الموجود بسفر التثنية [٣٤:٥- ٨] الذي يتحدث فيه موسى عن وفاة موسى، فيقول: «فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب.قول الرب ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور ......الخ».

عندما واجهتم مثل هذا التناقض، زعمتم أن هذا الكلام المنسوب إلى موسى، لم يقله موسى بل قاله يوشع بن نون، واعتذرتم عن ذلك بأن الفواصل لم تكن معروفة، كما تعتذرن عن وجود أخطاء حسابية بالكتاب المقدس بأن الصفر لم يكن موجودًا، وهو اعتذار وتعلل بعلة غير صحيحة؛ لأن الناس عند تدوين الكتب المقدسة لم يكونوا قد توصلوا إلى اكتشاف الأرقام بوجه عام والصفر بوجه خاص، كانوا يكتبون الأرقام بالحروف، ولا مجال للتعلل بوجود خطأ كتابي، وخلال

المناقشة زعم القس سويجارت أن اختلاف محتوى النصوص في الطبعات المختلفة من الإنجيل شبيهة بما حدث للقرآن قبل وجود مصحف سيدنا عثمان ﷺ، ولقد برهن له العلامة ديدات على أن هذا ليس شبيه ذاك؛ لأن ما فعله سيدنا عثمان لم يتعلق بذات نص القرآن، ولكن باللهجات وقواعد كتابة الحروف التي كانت مختلفة النص القرآني هو هو كما أوحاه الله إلى سيدنا محمد بلهجة قريش، ولكن عندما يقرأ أهل العراق ذات النص قد ينقطون الحاء ظاء وهكذا، مما دعا إلى توحيد الرسم القرآني، لا خلاف في النص إطلاقًا، والخلاف الذي اجتهد سيدنا عثمان لمنعه هو الاختلاف في نطق اللفظ وكيفية كتابته.

وفي سؤال موجه للعلامة ديدات حاول صاحب السؤال المباهاة بما لدى الغرب من حرية التنقل، وسأل العلامة ديدات: هل يمكن عقد مثل هذا اللقاء في مكة؟ وأجاب العلامة ديدات إجابة حاسمة، بأن كل بلد تشترط شروطًا لدخول المواطنين الأجانب، وقد طبق شروط دخول الولايات المتحدة الأمريكية قبل المجيء إليها، ويمكن دخول مكة لمَن يشاء بشرط نطق الشهادتين بشفتيه فقط.

وهكذا حقق العلامة ديدات نصرًا واضح المعالم في هذه المناظرة الشهيرة، ما حاجة البشرية إلى كتاب يزعم له بعض الناس القداسة، وقد ماتت اللغة التي كتبت بها أصوله، وتضارب الكتاب في نقل نصوصه، وأصابه التحريف في ترجمة النصوص، لقد شاءت إرادة الله أن تموت اللغة التي كتبت بها الكتب السابقة زمنيًا على الإسلام، وأن تظل اللغة العربية لغة حية ليكون القرآن الكريم بحق هو كتاب الله وحده، ويستحيل وجود أكثر من كتاب واحد صحيح النسبة إلى الله على وجه الأرض، هذا بديهي بطبيعة الحال.

وإذا كان انتصار العلامة ديدات حاسمًا في مناظرته مع القس الأمريكي جيمي سويجارت، حاول كثير من علماء المسيحية إجراء مناظرات أخرى مع العلامة ديدات في ذات موضوع «هل الكتاب المقدس كلام الله؟» ولكنهم لاقوا هزيمة أوضح من هزيمة جيمي سويجارت، وكان العلامة ديدات يبدو متجددًا في كل مناظرة، ويدلي بأدلة وحجج جديدة حاسمة الدلالة.

مناظرة ديدات والدكتور أنيس شروش

قمنا بترجمة محتوى هذه المناظرة الهامة من شريط فيديو، وقامت دار الفضيلة بالقاهرة بطبعها ونشرها في كتاب بعنوان «مناظرة العصر».

والدكتور أنيس شروش مسيحي فلسطيني الأصل، هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية بعد حرب ١٩٤٨ التي جرت بين اليهود وعرب فلسطين.

وبالولايات المتحدة الأمريكية حصل أنيس شروش على ليسانس في دراسة اللاهوت المسيحي، وواصل دراساته وحصل على درجة الدكتوراة في اللاهوت المسيحي أيضًا، ويعيش الدكتور أنيس شروش في الولايات المتحدة الأمريكية عيشة مرفهة جدًّا.

ويجيد الدكتور أنيس شروش اللغة العربية كما اعترف بذلك في مناظرته، وتحدث بها بضع جمل في بداية حديثه إلى الجمهور، وأشار إلى اللغة العربية باعتبار أنها لغته الأصلية His Mother Tongue.

كما يجيد الدكتور أنيس شروش اللغة الإنجليزية إجادة تامة؛ إذ عاش عشرات السنين بالولايات المتحدة الأمريكية، وحصل على أعلى الشهادات في اللاهوت المسيحي.

والدكتور أنيس شروش كما بدا من كلامه أثناء هذه المناظرة التي جرت وقائعها في شهر ديسمبر عام ١٩٨٥ بقاعة ألبرت بمدينة لندن، الدكتور أنيس شروش فنان مقتدر فيما يتعلق بفن الإلقاء، سواء كان ذلك باللغة العربية أو اللغة الإنجليزية، حروف كلماته سليمة المخارج للغاية، صوته جهوري خطابي بطبيعته، يحسن تمامًا قواعد اللغة التي يتكلمها، ويجيد اختيار أماكن الوقوف التام والوقوف الخفيف كما ينبغي لخطيب مفوه يجيد، ويتقن فن الإلقاء إجادة بالغة واتقانًا تامًا.

ويبدو والله أعلم أن الدكتور أنيس شروش قد غره اقتداره وملكاته المتعددة تلك، وظن أنه يستطيع تدارك ما لم يستطع أن يدركه القس الأمريكي جيمي سويجارت، وظن أنه يستطيع -وهو المتعدد المواهب- أن يسحب البساط من تحت قدمي هذا الداعية الإسلامي العالمي العبقري الموهوب أحمد ديدات الذي بهر العالم

المسيحي والعالم الإسلامي بنشاطه في الدعوة إلى الإسلام بمنهج جديد وأسلوب فريد، فبلغ نجاحًا عالميًّا منقطع النظير ليس بعده زيادة لمستزيد، إلى حد أقلق المبشرين النصارى وهدد جهودهم في تنصير الشعوب تهديدًا خطيرًا.

عبر الدكتور أنيس شروش المحيط الأطلسي من أمريكا إلى إنجلترا، وتعقب العلامة ديدات، وتحداه أن يقابله في مناظرة، وأعلن العلامة ديدات موافقته على أن يحدد الدكتور أنيس شروش مكان المناظرة وموعدها وموضوعها، وتمت المناظرة وكان موضوعها «هل عيسى إله؟» وهو الموضوع الذي حدده الدكتور أنيس شروش بنفسه للمناظرة التي جرت وقائعها بقاعة ألبرت الملكية في لندن عام ١٩٨٥م.

ونزولاً على مقتضيات الإيجاز نقول: إن الدكتور أنيس شروش بدأ حديثه أولاً فقال باللغة العربية الفصحى وبطريقة خطابية خلابة، بدا خلالها كما لو كان وحشًا ضاريًا جوعان سينطلق لاتهام فريسته التي وضعت في طريقه لدى انفلاته من قفص كان محبوسًا فيه، قال باللغة العربية الفصحى: أنا أحييكم جميعًا باسم يسوع الناصرى ابن بلدي، سبحانك اللهم تظهر ما يكتمون.

(يسوع الناصري ابن بلده! ويزعم أن يسوع الناصري ابن بلده إله، ويأتي إلى المناظرة منافحًا عن أن يسوع الناصري ابن بلدته الناصرة بفلسطين، قد أصبح إلهًا، هل يستطيع إثبات ذلك، وقد كان يسوع الناصري ابن بلده يأكل ويشرب ويحدث أي يخرج فضلات الطعام؟).

وبعد هذه التحية الرنانة وبعد تقديم بعض الهدايا إلى العلامة ديدات ومرافقيه، طلب من الناس الوقوف ليقرأ عليهم نصًا من العهد الجديد من الصحاح الأول من الرسالة إلى العبرانيين، وبعد قراءة نص مطول من رسالة بولس إلى العبرانيين طلب من الناس الجلوس، كما لو كان كلام بولس إلى العبرانيين لا يقبل الريب بحال؟

ثم يمضي الدكتور أنيس شروش في محاولات عقيمة لإثبات ما يستحيل إثباته من ألوهية المسيح ﷺ، وهو كلام ركيك مفكك لا قوام له ولا معقولية ولا منطق

فيه، إنه يقول مثلاً: دعوني أوكد لكم أنني في هذه الليلة أحاول بكل تواضع أن أفهم السر كما تحاولون أنتم، ولننظر إلى الطبيعة حيث قدم الله بعض الأدلة على التثليث Trinity، إن لدينا العناصر Elements كم عددها؟ إن عددها ثلاثة هي الأجسام الصلبة والغازية والسوائل، والشمس ضوء light وحرارة Heat ودفء warmth (هكذا قسم الشمس ثلاثة أقسام وكأن الدفء ليس حرارة) والإنسان نفسه Man، إنه نفس وعقل وجسم، والأسرة أو العائلة تنقسم إلى الأب والأم والأطفال (وكأن الجد والجدة لو ظلا على قيد الحياة غير مقبولين في الأسرة).

هذه هي أدلة التثليث فيما ذكر الدكتور أنيس شروش، وهو يحاول الدفاع عن صواب الاعتقاد بألوهية المسيح أثناء المناظرة المشار إليها.

هل يكون الله رباعي الأقانيم؛ لأن الجهات الأصلية أربعة: شرق وشمال وغرب وجنوب؟ وهل يكون الله سباعي الأقانيم؛ لأن أيام الأسبوع سبعة؟ ماذا يحسب أولئك القوم؟ أفلا يعقلون؟ أفلا يدركون أن الناس يعقلون؟

ولقد أثبت العلامة ديدات بأدلة قوية استحالة أن يكون المسيح عيسى ابن مريم إلهًا، لكن أهم ما لفت نظري في مناظرة الدكتور شروش هي آخر عباراته في إجابته السؤال السادس والأخير في المنافسة؛ إذ سأله صاحب السؤال قائلاً: لو افترضنا أن المسيح هو ابن الله فكيف واتته الوفاة؟

وأجاب الدكتور أنيس شروش حرفيا كما يلي: للمرة الثانية أقول لكم: إن يسوع لم يكذب أكذوبة واحدة أبدًا، لقد قال: كما أن موسى قد تحولت عصاه إلى حية، فكذلك يجب أن يكون ابن الإنسان، إن كل مَن يؤمن به لن يهلك أبدًا، بل سيحظَى بحياة أبدية؛ لأن الله قد أحب العالم، فبذل ابنه الوحيد المولود له وضحَّى به كي لا يهلك مَن يؤمن به، بل يحظى بحياة أبدية، وعندما حاول سيدنا إبراهيم الخليل التضحية بابنه الوحيد قال الله: كلا، أنا سأقدم التضحية، وتستطيع أن تقول الليلة لقد قدم لنا نفسه وابنه الوحيد والروح القدس واحد في ثلاثة وثلاثة في واحد، سر ليس عليكم أن تفهموه، بل عليكم أن تتقبلوه.

أقول إن العبارة الأخيرة هي التي لفتت نظري بوجه خاص: سر لـيس علـيكم أن تفهموه بل عليكم أن تتقبلوه.

وفيما عناء المناظرة كلها، وقد فشل سيادته فشلاً ذريعا في اقناع أي إنسان بحـق بأن يسوع إله، وها هو ذا في ختام كلامه يستخدم أسلوب الأوامر العسكرية، يضع الشعارات في فم الناس، ويطلب منهم ترديدها دون فهم، باعتبار أنها أسـرار لـيس عليهـم أن يفهموها، بل عليهم أن يقبلوها.

مناظرتنا ديدات وشوبيرج

هاتان المناظرتان وفقني الله إلى نقل فحوى كل منهما إلى اللغة العربية، وقامت دار الفضيلة بالقاهرة بطبعهما ونشرهما في كتاب واحد بعنوان «مناظرتان في استوكهولم».

باستر إستانلي شوبيرج هو رئيس كنيسي السويد، وباستر هو لقب ديني، أزعجه النجاح الساحق الذي أحرزه العلامة أحمد ديدات في كتبه ومحاضراته ومناظراته من رؤساء للدين المسيحي في أمريكا وإنجلترا، وأراد أن يجرب حظه.

أرسل بصوته رسالة صوتية مسجلة على شريط كاسيت إلى العلامة أحمد ديدات، لكي يأتي العلامة أحمد ديدات لزيارته بالسويد ولإجراء مناظرة معه في موضوع ديني. وقَبِلَ العلامة ديدات الدعوة.

كان موضوع المناظرة الأولى هو: هل الإنجيل كلام الله؟ وكأنما لم تكف هزيمة القس الأمريكي جيمي سويجارت في مناظرته في هذا الموضوع مع العلامة ديدات، وظن باستر إستانلي أن سويجارت لم تكن لديه الكفاية اللازمة، وتوهم أنه، وهو الزعيم الديني المرموق في السويد الذي طالما صدق الناس وآمنوا بكل ما يقوله لهم، توهم أنه يستطيع أن ينجح فيما فشل فيه جيمي سويجارت، ولقي باستر إستانلي شوبيرج ما لقيه جيمي سويجارت، وكانت المأساة التي عايشها باستر إستانلي محزنة للغاية.

لقد بدا إستانلي شوبيرج كما لو كان رجلاً مخمورًا لعبت الخمر برأسه، ولكن شريط الفيديو الذي كان يسجل حركاته المضحكة، وقد بدا أمام المشاهدين كالفأر في المصيدة، ويقول كلامًا غير متماسك وغير مترابط وغير معقول، ليثبت ما لا سبيل إلى إثباته من عدم وجود عديد التناقضات التي أشار إليها العلامة ديدات بكل سلاسة وبراعة وهدوء، ليحاول باستر إستانلي شوبيرج إزالة التناقضات دون جدوى، كان منظره يدعو للرثاء، ولو لم يكن مخمورًا لاستحق الرثاء، ولست أدري ماذا يستحق وقد بدا مخمورًا؟ لعبت الخمر برأسه، وأخذ يمتدح الخمر الإسرائيلية

التي ينتجها الإسرائيليون، بينما هو بصدد البرهنة المستحيلة على أن الإنجيل هو كلام الله.

لقد أخذ يحاول البرهنة على صحة الإنجيل بأقوال مثل: لو أنك أخذت سيارة فولفو وملأتها بعديد النسخ من القرآن الكريم، وألقيت بالسيارة من فوق جبل، هل يصلح القرآن الكريم لجعل هذه السيارة تسير مع خلها من البنزين؟ وكأنما لو ملأ السيارة الخالية من البنزين بعديد النسخ من الإنجيل، وألقى بها من فوق جبل فإن السيارة ستسير؛ لأن الإنجيل هو كلام الله!

ويبدو أن جماهير الناس في السويد قد أنحوا على باستر إستانلي شوبيرج بالائحة؛ لأنه كان أكثر الناس إخفاقًا في مناظرة العلامة أحمد ديدات، ويبدو أن الناس انقسموا في الرأي.

رأى بعضهم أن يجري مناظرة أخرى مع العلامة ديدات عساه أن ينتصر عليه في موضوع آخر مثل موضوع ألوهية المسيح، فيكون النصر في المناظرة الثانية تعويضًا عن الهزيمة الساحقة في المناظرة الأولى.

ورأى بعضهم الآخر أن باستر إستانلي شوبيرج بحالته التي ظهر عليها أثناء المناظرة الأولى، وبحكم إمكاناته لا يستطيع الصمود أمام عبقري مسلم ثري في إمكاناته، متمكن من قدراته ومعلوماته، كما هو الشأن بالنسبة للعلامة ديدات، وأشفقوا أن تقضي مناظرة ثانية على البقية الباقية من باستر إستانلي شوبيرج ونصحوه بالاكتفاء بالهزيمة في المناظرة الأولى حتى لا تضاف الهزيمة الثانية إلى الهزيمة الأولى، ولقد بدرت أقوال من باستر إستانلي شوبيرج تدل على وجود هذا الاختلاف في الرأي بين السويديين؛ إذ نجد أن باستر إستانلي شوبيرج يقول: إن بعض الناس قد نصحوه ألا يأتي لإجراء المناظرة الثانية مع ديدات في موضوع: هل عيسى إله؟

وقال باستر استانلي شوبيرج إنه تلقى مكالمات تلفونية توعدته بالقتل لو ذهب لإجراء المناظرة الثانية، ولكن ماذا يفعل الرجل المسكين وقد طلب من

العلامة ديدات بعد انتهاء المناظرة الأولى أن يجري معه في اليوم الثاني مناظرة أخرى، وحدد معه موضوعها؟

ومن طريف ما يروى بالنسبة لمناظرة استوكهولم الأولى، أنه وقد أصبح من تقاليد هذه المناظرة وأعرافها تخصيص وقت للمناقشة في أعقاب المناظرة، وجاء السؤال الخامس ليجيب عنه باستر إستانلي.

وكان السؤال الخامس كما يلي: لو أننا أخذنا في اعتبارنا أن موضوع مناظرة الليلة هو «هل الإنجيل هو حقا كلام الله؟» ولو أخذنا في اعتبارنا أنك تؤمن شخصيًّا أن الإنجيل هو كلام، نستنتج من ذلك أن سيادتك تؤمن بقول الإنجيل، إنجيل مرقس: «مَن آمن واعتمد خلص، ومن لم يؤمن يدن، وهذه الآيات تتبع المؤمنين، يخرجون الشياطين باسمي ويتكلمون بألسنة جديدة، يحملون حيات، وإن شربوا شيئًا مميتًا لا يضرهم، ويضعون أيديهم على المرضى فيبرءون» [مرقس ١٦: ١٦ -١٨]. ربما أنك تؤمن بصحة هذا الكلام، وتؤمن أنك إذا شربت شيئًا مميتًا لا يضرك كما يقول الإنجيل بشأن المؤمنين، فخذ، هاك زجاجة بها سائل مسموم اشربه، لا تمت؛ لأن عندك إيمان بألوهية يسوع وإيمان بأن الإنجيل هو كلام الله.

وقدم صاحب السؤال إلى باستر إستانلي شوبيرج زجاجة مملوءة بأحد السوائل، وقد ألصقت عليها ورقة مكتوب عليها بحروف كبيرة ما معناه: مسمم POISONED. ويتناول باستر إستانلي الزجاجة ويقول: هذا الرجل يعطيني مشروبًا سامًا ويطلب مني أن أشربه، إنه يطلب مني أن أقوم بعمل تجربة أمامكم لأريكم ما إذا كان ما ورد بالإصحاح السادس عشر من إنجيل مرقس صحيحًا، وهو أننا لو شربنا شيئًا مميتًا لا نموت، إن هذا أمر غريب، أنا مؤمن بالله وبالروح القدس، ولقد قالت لي زوجتي يا إستانلي كن حذرًا (صحتك) هل تعرفون لماذا؟ لأنني أعرف أن كثيرًا من المسلمين ارتدوا وقتلوا، والآن هل سأشرب هذا؟ (صيحات تنادي: نعم ... نعم ... افعل ... افعل) فيقول باستر إستانلي شوبيرج: اسمع يا هذا، لقد سألتني ما إذا كنت مؤمنًا بيسوع المسيح كإله، أنا مؤمن بيسوع المسيح كما هو مكتوب بالإنجيل، وأنا غير مؤمن بيسوع المسيح كما هو مكتوب

بالقرآن؛ لأن القرآن ينكر أن عيسى كان ابن الله، والقرآن ينكر أن عيسى صلب، والقرآن ينكر أن عيسى قام من بين الموتى، أنا مؤمن أن عيسى هو ملك الملوك ولورد اللوردات، ولقد قال الشيطان ليسوع: ارم نفسك من فوق الجبل لتبين للناس أنك ابن الله. لقد كان يسوع المسيح يقف أمام الملك هيرودس. وقال هيرودس: هيا، اعمل بعض المعجزات لنا لنعرف أنك ابن الله وتأتي بالمعجزات.

ولقد رفض باستر إستانلي شوبيرج بطبيعة الحال أن يشرب السائل الذي ادعى صاحب السؤال أنه مسمم، وكأن سيدنا عيسى لم يجر الله على يديه أية معجزات.

رفض باستر إستانلي أن يشرب، متظاهرًا بأن المعجزات لا تكون للتظاهر أمام الناس، بل تجري المعجزات في السر، كما لو كانت معجزات المسيح لم يشهدها الناس علنا، وكأن معجزات سيدنا عيسى عليه السلام كانت تجري في الخفاء فقط ولم يشهدها أحد من الناس، وكأنما شرط المعجزة أن تكون سرية!

وتكون النكتة أكثر مدعاة للضحك والأسى في آن واحد، لو أن الزجاجة لم تكن تحوي سائلاً مسممًا كما كان صاحب السؤال يدعي.

ولا ريب عندنا أن صاحب السؤال كان يريد بهذه التجربة العملية أن يثبت لباستر إستانلي شوبيرج أنه لا يلزم الإيمان بأن الإنجيل يحوي كلام الله!

ديدات في الميزان

منهج العلامة ديدات في الدعوة إلى الله منهج جديد، وأسلوبه في الدعوة أسلوب عبقري فريد، إنه يعتمد على الحوار الهادئ الرصين محققًا أرفع مستوى يمكن تصوره من أدب الحوار مع الغير، على الرغم من أن الطرف الآخر للحوار إنما هو على الطرف النقيض من حيث الرأي والإيمان فيما يتعلق بعقائد الدين، وهي أكثر موضوعات الحوار حساسية وتعقيدًا مما يتطلب قدرة عقلية فذة وثقافة رفيعة المستوى.

والعلامة أحمد ديدات لا يمتلك سوى القدرة العقلية العبقرية الفذة التي كرسها ووهبها للدفاع عن الدين الإسلامي الحنيف، ووهبها لإثبات صحة عقائد الإسلام وشرائعه، ووهبها لإثبات أن رسول الإسلام، محمدًا بن عبد الله، النبي العربي هو بحق خاتم الأنبياء والمرسلين، ولإثبات أن القرآن الكريم هو بحق الكتاب السماوي الذي أوحاه الله إلى بني الإسلام ﷺ، لم تتبدل كلمات الله فيه ولم تتغير كما تبدلت وتغيرت كتب سماوية سابقة زمنيًا على الإسلام، في وقت اشتد فيه التعتيم على حقائق الإسلام، وتضافرت جهود خصوم الإسلام لكي يتهجموا بالأباطيل والأوهام على عقائد وشرائع الإسلام.

وربما تبدو حقائق الإسلام للمؤمنين بالإسلام عقيدة وشريعة حقائق ثابتة ثبات الجبال الرواسي، ولكن الأمر يختلف بالنظر إلى تهجم خصوم الإسلام بالأباطيل والأوهام ضد حقائق الإسلام، ولكن الأمر يختلف أيضًا بالنظر إلى قصور معرفة بعض المسلمين بحقائق الأديان مما يجعل تأثرهم بأباطيل خصوم الإسلام أمرًا واردًا ينبغي أن يوضع في الحسبان، ولو كان الأمر قاصرًا على المؤمنين الواعين المدركين لحقائق الإسلام لما كان الخطب بحاجة إلى كلام أي خطيب.

لقد جرب خصوم الإسلام الحزب السافرة، واعتدوا بجيوشهم وعتادهم على ديار الإسلام في حروب باغية غاشمة، ولم يجدهم احتلال أراضي المسلمين نفعًا فيما يتعلق بالقضاء وعلى الإسلام عقيدة وشريعة.

ولقد أثبتت مجريات الأحداث المعاصرة في أيامنا هذه أن الحرب باستخدام الجيوش والقوات المسلحة لم تعد مجدية، وأصبحت الحرب الدائرة في عالم اليوم لا تستهدف احتلال أرض الغير بالقوات المسلحة، بل أصبحت تستهدف احتلال عقول البشر، وعندئذ ينال المستعمرون الغزاة كل شيء فوق الأرض وتحت الأرض وفي عنان السماء، لو تمكنوا من السيطرة على عقول البشر ليجعلها العدو تفكر وتعمل وتدور كما يشاء.

ولقد جرب خصوم الإسلام صنوف الجدل، وكل أساليب المغالطة والشوشرة والتشنيع، فلم تجدهم تلك الأساليب نفعًا.

ولئن كان الاحتلال العسكري لأقطار المسلمين قد انقشع في مجمله، فإن الحرب الفكرية لا تزال مشتعلة الأوار، يعلق عليها خصوم الإسلام أكبر الآمال، ولكن الله ﷻ يقيض بالفعل للإسلام رجالاً يدفعون عن الإسلام غارات خصوم الإسلام بكل ما تذخر به هذه الغارات من أباطيل وأوهام.

يعتمد منهج العلامة ديدات على الجدل بالتي هي أحسن والحوار مع الغير، ويقول العلامة ديدات: أيها المسلمون لم لا تفتحون أفواهكم لتتكلموا.

والحوار منهج سليم لتبادل الأفكار بين البشر، ويزدهر الفكر البشري في العالم بازدهار الحوار بين البشر وارتقاء مستواه، ولقد كان الحوار السقراطي منهجًا رائعًا حقق للبشرية أفضل الثمار وأرسى دعائم اليقين، وأكد جدول القيم البشرية النافعة بعد أن كان السوفسطائيون بمنهجهم القائم على إثارة الشكوك يكادون يعصفون بكل إمكانات اليقين، وبكل قيمة للقيم الصحيحة في دنيا البشر.

ويمتلك العلامة أحمد ديدات كل مقومات الإنسان الذي يستطيع أن يدير حوار ليصل بالحوار إلى نتائج تبدو للعيان.

وليس المهم هو أن يعلن الطرف الآخر أنه مهزوم في الحوار، الغاية من الحوار هي كشف الحقائق أمام كل الأبصار لكل ذوي العقول والأنظار.

وعندما انتهت المناظرة الحاسمة بين نبي الإسلام ﷺ وبين وقد نصارى نجران، لم يعلن أعضاء وفد نصارى نجران على الفور دخولهم في الإسلام ولكن بقي محتوى

هذه المناظرة حاسم الدلالة على موطن الحق، ومواطن الباطل، وسيظل هذا المحتوى الحاسم الدلالة يعمل عمله، ويؤتي أُكُلَه على مدار الزمان، طالما استظل بنو الإنسان في ظل على وجه الأرض إلى آخر الزمان.

ومن الضروري النظر في جدوى مثل هذا النشاط الذي يقوم به داعية مسلم عالمي مثل العلامة أحمد ديدات، يرى بعض الناس أنه لا جدوى من المناظرات ومحاولة شرح حقائق الإسلام لغير المسلمين، وعلى المسلمين فقط أن يدرسوا موضوعات دينهم، وألا يتعرضوا للمعتقدات الدينية للآخرين بأي حال.

ويمكن أن يكون هذا الرأي صحيحا في حالتين:

أولاهما: ألا تكون هنالك مسائل مشتركة بين الأديان، وهذا محال بطبيعة الحال؛ إذ أن دين الله واحد، ويستحيل أن يكون دين الله حسب الأهواء، وكتاب الله بحق يلزم أن يكون واحدًا، والحقائق بشأن أنبياء الله ورسله عليهم السلام يلزم ألا يعتريها أي تناقض، ويستحيل أن يتعرض باحث لدراسة سيرة سيدنا عيسى عليه السلام دون أن يعرض لرأي النصارى فيه، ويستحيل أن يعرض باحث لدراسة سيرة سيدنا موسى دون أن يعرض لرأي اليهود فيه، ليس سيدنا موسى حِكْرًا على اليهود، وليس سيدنا عيسى وقفًا على النصارى.

وثاني الحالتين التي يجوز فيهما الركون إلى مدارسة مسائل الدين الفقهية فقط إلى حد ما، هو ألا يتعرض أصحاب الأديان الأخرى لمعتقدات الدين الذي يدين به غيرهم، وهذا أيضًا مستحيل.

ويضاف إلى ذلك أن أصحاب الأديان الأخرى لا يكفون عن الدعاية لترويج معتقداتهم الدينية بطباعة ونشر الكتب والصحف والأفلام السينمائية ومحطات البث الإذاعي المسموع والمرئي.

وعندما يتحدث مسلم مصري مع مسيحي مصري بشأن الدين، على أي نحو يتهم فورًا بأنه يثير الفتنة الطائفية، أما في البلاد التي تسود فيها المسيحية فإن التهجم على الإسلام والافتراء عليه بأكاذيب لا أساس لها من الصحة، أمر مشروع تكفله حرية الرأي لديهم، بل يرقى الأمر إلى حد اضطهاد المسلم في أسباب رزقه، بل

يصل الأمر إلى حد يصل إلى حظر أي وجود مكثف يشكل أغلبية سكانية في أي بلد أوروبي، يصر أصحاب المسيحية في أوروبا على أن تكون أوروبا بكامل مساحتها كقارة، قارة مسيحية، وكذلك الأمريكتين وكذلك أستراليا.

ومأساة البوسنة والهرسك دليلٍ واضحٍ قويٍ في أيامنا الراهنة، كما كانت محنة المسلمين في الأندلس (إسبانيا) دليلاً واضحًا قوي الدلالة في أيامنا السالفة.

حكى لي شقيق زوجة طبيب مصري مسلم كان يعمل بنجاح كطبيب بالولايات المتحدة الأمريكية، أن زوج شقيقته تعرض لإلحاح القساوسة على ضرورة ذهابه إلى الكنيسة، وذهب إلى الكنيسة ليرضيهم باعتبار أنه واثق من أن إسلامه ثابت في يقينه لن يضيره دخول مبنى الكنيسة شيئًا، ولم يكتفوا منه بذلك، ألحوا عليه قائلين المرة تلو المرة: ولماذا لا تحضر إلى الكنيسة زوجتك والأولاد؟ وفاتح الطبيب المصري المسلم زوجته المسلمة بهذا الشأن، وقالت الزوجة المسلمة: كلا ... كله إلا هذا ... نرجع بلدنا!

ويبدو أن موقف الزوجة أعاد الطبيب المصري المسلم إلى رشده، فامتنع هو نفسه عن الذهاب إلى الكنيسة، فماذا كانت النتيجة؟

كان هذا الطبيب يعهد إلى سكرتيرة الأمريكية المسيحية باستقبال المرضى وتحصيل الأتعاب المالية مقابل الخدمة الطبية التي جاءوا من أجلها، وكان يعهد إليها بعمل حسابات العيادة من حيث الدخل والمنصرف، كانت تدفع حساب الكهرباء والمياه، وأجور عمال النظافة وغير ذلك، وكانت أيضًا تدفع الضرائب بانتظام، وكان الطبيب المصري المسلم يثق بها، وأكد حسن ظنه بها مضي السنين والأعوام وكل شيء على ما يرام، ومضت الأيام ... وإذا بالطبيب المصري المسلم الذي كان يعمل بأمريكا يفاجأ بأنه متهم في قضية تهرب ضريبي، ويكتشف أن الممرضة الأمريكية قد تعمدت عدم دفع الضرائب المستحقة على العيادة، ويفاجأ أيضًا بأنها قد أعطت بيانات غير صحيحة لمصلحة الضرائب.

هذا الاتهام بالتهرب الضريبي كما نعلم جميعًا إنما هو من أخطر الاتهامات التي يمكن أن يتعرض لها إنسان يعمل بالولايات المتحدة الأمريكية.

لم يجد التعلل بعدم معرفة حقيقة الأمر، قالوا له: أنت المسئول. ولم يجده استعداده لدفع المبلغ المطلوب. قالوا له: المخالفة قد وقعت. ولم يجد استعطاف ... كان الأمر مبيتًا. ووجد الطبيب المصري المسلم الذي كان يعمل بأمريكا اسمه وعنوان عيادته وتخصصه يظهر كل نصف ساعة على شاشات أجهزة التلفاز في الولاية التي كان يقيم فيها مع تحذير المواطنين من التعامل معه.

وكل ذلك لأن زوجته رفضت أن تصحبه في الذهاب إلى الكنيسة مع الأولاد، هكذا يفعلون!

وتحكي لي سيدة مصرية كانت تعمل مدرسة في نيجيريا أنها حضرت تأبين ميت قريب لناظرة مدرستها بالكنيسة على سبيل المجاملة، وقال القسيس في تأبين المتوفى: إنه كان مسيحيًا صالحًا، وقد ارتد أبوه عن الإسلام، وظل المتوفى متمسكًا بالدين المسيحي.

من النادر إن لم يكن من المستحيل أن نجد مسلمًا ارتد عن الإسلام في قُطْرٍ إسلامي عربي ينطق أبناؤه اللغة العربية، ويستمعون في كل وقت إلى القرآن الكريم، ويعرفون سيرة الرسول ويطلعون على حقائق الإسلام، ولكن في بلد إسلامية كثيرة لا تتكلم العربية، يرتد كثير من المسلمين عن الإسلام على نحو جماعي، نتيجة لتضليل المبشرين الذين يريدون تضليل المسلمين الناطقين بالعربية أيضًا، مما يجعل كشف الحقائق وفضح الأكاذيب ضرورة لا سبيل إلى تفاديها أو الدوران حولها.

ولقد تعرض القرآن الكريم نفسه لعقائد وممارسات أصحاب الأديان الأخرى وثنيين وأهل كتاب، ولم يستطع أصحاب أي دين أن ينكروا وصفًا وصف به القرآن الكريم عقيدة من عقائدهم.

وعندما أرسل رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام رسائلة إلى الملوك الموجودين حول شبه الجزيرة العربية، ووصلت رسالة الرسول إلى إمبراطور الرومان، أو عزا إمبراطور الرومان إلى نصارى نجران أن يذهب علماء النصرانية في نجران إلى شبه الجزيرة العربية لمناظرة بني الإسلام ودَحر دعواه، وإظهار أن المسيحية

هي الـدين الـصحيح، وصـدع علمـاء الـدين المسيحي في نجـران بـأمر إمبراطـور الرومان، وحدثت وقائع المناظرة الحاسمة الدلالة بين النبي ﷺ مـع وفـد نـصارى نجران في العالم العاشر للهجرة.

المهم هو توافر أدب الحوار، ولا غبـار عنـدما يتـوافر أدب الحـوار، والله ولـي التوفيق، وعلى الله قصد السبيل.

تم بحمد الله ﷻ

كتاب «حوار الأفكار في منهج ديدات وموجز المنجزات»

للراجي رحمة ربه/ على الجوهري

في ١٨ جمادي الآخرة ١٤١٤ هـ

٢ ديسمبر ١٩٩٣م

القاهرة

عزيزى القارىء الكريم :

هل لك من ملاحظات أو آراء بموضوع الكتاب وإنه ليسعدنا أن ترسل إلينا دائماً بملاحظاتك وآرائك واقتراحاتك النافعة القيمة ، وكذلك أى خطأ مطبعى تلاحظه ..

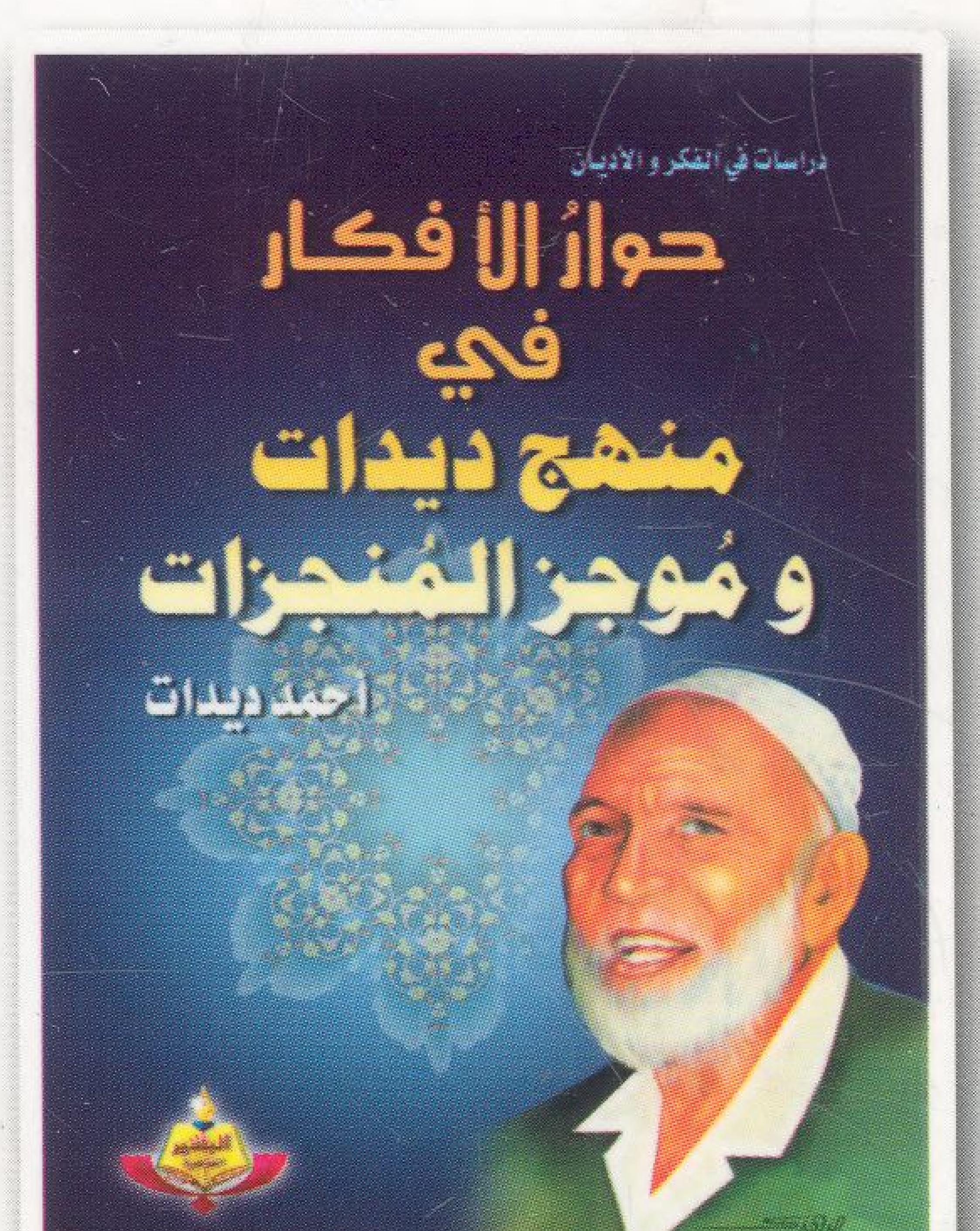
دار البشير القاهرة
للطباعة والنشر والتوزيع
١٤٥ طريق المعادى الزراعى ص.ب :١٦٩ المعادى ت: ٢٥٢٤٢٦٨٧ - ٢٥٢٥٢٣٩٠

المحتويات

تم بحمد الله

رقم الإيداع: ٢٠٠٧/٢٧٣٠٩

الترقيم الدولي: I. S. B. N. 977 – 262 – 114 – 2



هذا الكتاب

- إن للحوار في تاريخ الفكر البشري دور رئيسي في تقدم و تحسين قيم حياة البشر ، ولذلك أوصى الله عز وجل بأن يلتزم المسلمون بالحق وأدب الحوار ، دون إسفاف في الجدل بينهم ومع أهل الكتاب خاصة ،لحكمة يعلمها وهو الحكيم العليم ، ولذلك قال عز وجل في كتابه العزيز : (وَلاَ تُجَادِلُوا أَهلَ الكِتَابِ إلاَّ بِالَّتِى هِىَ أَحسَنُ إلاَّ الذِينَ ظَلَمُوا مِنهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِى أُنزِلَ إِلَينَا وَ أُنزِلَ إِلَيكُم وَ إِلَـٰهُنَا وَ إِلَـٰهُكُم وَاحِدٌ وَنَحنُ لَهُ مُسلِمُونَ) (العنكبوت : ٤٦)

- والدعوة إلى سبيل الله تكون بالحكمة ليس بالسفاهة ولا باللجاجة ، ولا بإلقاء النفس في التهلكة ؛ لأن هذه الأساليب البغيضة من أساليب الدعوة إلى سبيل الله تبعد ولا تقرب ، وتضر ولا تنفع ، وتضل ولا تهدى ، وتجعل المخاطب المدعو أقرب إلى الرفض منه إلى القبول ، ولذلك قال في كتابه العزيز :(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكمَةِ وَ المَوعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلهُم بِالَّتِى هِىَ أَحسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعلَمُ بِالمُهتَدِينَ) (النحل : ١٢٥)

- وهذا منهج العلامة أحمد ديدات في الحوار مع أهل الكتاب وفي الدعوة لكتاب الله عز وجل ، وأسلوبه في مناظراته التي اجراها مع أهل الكتاب في المدن الكبرى مثل بريطانيا والسويد والولايات المتحدة الأمريكية وغيرها ، ولمعرفة اسلوبه في الحوار وآداب الحوار وأسس الحوار الفكري ... هيا نطالع هذا الكتاب .

يوسف ...
دار البشير



دار البشير - القاهرة
للطباعة والنشر والتوزيع
١٤٥ طريق المعادى الزراعى ص . ب ١٦٩ المعادى . ت : ٢٥٢٥٢٣٩٠
٢٥٢٤٢٦٨٧